إعداد

الأب جبرائيل جامبيراديني الفرنسيسكانيّ

مصيرُ المَوْتى في التَّقليد القبطِيّ



تعريب

عبد الملك سامي

الأب ميلاد شحاته الفرنسيسكانِيّ





ولد في لوكولي (مقاطعة اكويلا في إيطاليا) في ١٤ يناير ١٩١٧، باسم إميليو جاميراrديني قدم نذوره الرهبانية الفرنسيسكانية في إقليم القديس برناردينو في أبروتسي في ١٠ سبتمبر عام ١٩٣٣م، اتخذ اسم غبرييل (جبرائيل - غبريال)؛ وارتُسم كاهنا في روما في أبروتسي في ١٣ يوليو ١٩٤١ م؛ حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت عام ١٩٤٤م في جامعة الأنطونيانوم البابوية في روما. في سنوات ١٩٤٤-١٩٤٩م قام بتدريس علم اللاهوت العقائدي وعلم الآباء في كلية اللاهوت بإقليمه الفرنسيسكاني.

مصيرُ المَوْتى في التَّقليد القبطِيّ

الأبُ جبرائيل جامبيراردينِي الفرنسيسكانِيّ

تعريب

عبد الملك سامي

الأبُ ميلاد شحاتة الفرنسيسكانِيّ

هذه ترجمةٌ لكتاب:

Giamberardini G., La sorte dei defunti nella tradizione copta Centro Francescano di Studi Orientali Cristiani, Il Cairo,1965.

الكتاب: مصيرُ المَوْتى في التَّقليد القبطيّ

تأليف: جبرائيل جامبيراردينى الفرنسيسكانيّ (الأبُ)

تعريب: عبد الملك سامي، ميلاد شحاتة الفرنسيسكانيّ (الأبُ)

إشراف فنيّ: ميلاد شحاتة الفرنسيسكانيّ (الأبُ)

التنسيق الداخليّ: أندرو وهيب، ماريان شاكر

المراجعة اللُّغويّة: حسن محمد

طباعـــة : سان مارك ت : ٠١٢٢١٨٢٤٢١٤

توزيع ونشر: الرهبان الفرنسيسكان - إقليم العائلة المُقدّسة. مصر

رقم الإيداع: ٢٥٧٥٧ / ٢٠١٩

{جميع الحقوق محفوظة للناشر}

الفهرس

مقدّمة الناشر

إنّ هذا العمل الضخم هو إضافة وغنى كبير لمجال دراسة القبطيّات حيث يتطرق المؤلف إلى جوانب كثيرة ومتشعبة فيما يختص بمظاهر الموت عند المصريّين القدماء والأقباط بشكل خاص، ويتتبع تلك الظواهر حتّى زمنه المعاصر (النصف الثاني من القرن العشرين). وتتنوع لديه المصادر المختلفة من كتابات منحولة سواء كانت أناجيل أبوكريفيّة أو رؤى أو كتابات غنوصيّة وحتّى الدساتير والقوانين. كما يستخرج مفهوم الموت ومصير الموتى من التراث القبطيّ المتمثل في سيَر القديسين المختلفة، وحتّى أنّه يتطرق إلى دراسة ما هو مكتوب فوق شواهد القبور من كتابات جنائزيّة.

ولم يغفل المؤلف في دراسته عن الموت عند الأقباط أن يدرس الممارسات الطقسيّة مخصّصًا فصل كامل تتبع فيه مفهوم الموت في ليتورجيات التجنيز والدفن والتذكارات. ومَن يهتم بالجانب الطقسيّ في موضوع ما لا يغفل ما هو للاهوت وبالتالي فلقد خصّص المؤلف دراسة وافيّة من الناحية اللاهوتيّة حول موضوع مصير الموتى، بادئًا من القرون المبكرة لآباء الكنيسة حيث إكلّيمنضس الإسكندريّ وأوريجانوس وديديموس الضرير ثمّ إلى غبريال الخامس والإيغومانس فيلوثاؤس عوض وبانوب عبده. ويُتمّم هذا الفصل اللاهوتيّ بفصل آخر يقدم فيه تقييم عقائديّ لمواضيع الموت ومصائره التي تتطرق لها خلال فصول الكتاب فيعتبر هذا خير ختام وتلخيص للموضوع بالكامل.

قامت الرهبنة الفرنسيسكانيّة بالعمل على هذا الكتاب لمدة تتعدى العام تقريبًا، وقد تشارك كثيرين في هذا العمل سعيًا لإخراجه بأحسن صورة ممكنه، لذا وجب الشكر أوّلًا للأب منصور مستريح الفرنسيسكانيّ الذي أهتم بتعريب النصوص اللاتينيّة في الكتاب ولم يبخل بآرائه الشخصيّة حول إخراج الكتاب. والشكر للدكتور سامح فاروق الذي أهتم بمراجعة النصوص اليونانيّة أيضًا مما جعل هذا العمل يخرج بصورة مشرفة أوّلاً لذكرى المؤلف الأب جبرائيل جامبيراردينى الفرنسيسكانيّ الذي كرس حياته لدراسة التراث القبطيّ الغني تاركًا لنا أعمال كثيرة عظيمة تتنوع في مواضيعها المختلفة، وثانيًا حتّى يكون هذا العمل هو بداية لمشروع تعريب كلّ كتابات هذا العلامة الجليل التي تصل إلى حوالي ١٠٠ عمل منشور ما بين الكتب والمقالات في الدوريات المختلفة.

لذا نسأل الربّ أن يبارك هذا العمل ويجعله منفعة لكلّ من يقرأه فيكون بداية لاكتشاف ودراسة التراث القبطيّ الذي به نفهم هويتنا ودورنا في الكنيسة والعالم.

الناشر

نبذة عن حياة وأعمال الأب جبرائيل جامبيراردينى[1]

ترجمها بتصرف عن الإيطاليّة الأب يعقوب شحاته الفرنسيسكانيّ

لم يكن في حسباننا أن يتضمن هذا العدد الأوّل من مجلتنا «أنطونيانوم» لسنة ١٩٧٨ خبرًا جنائزيًّا، وبالأخص أن يكون الخبر متعلقًا بذكرى الأب العزيز علينا جميعًا «جبرائيل جامبيراردينى». والذي رأيناه جميعًا حتّى الليلة السابقة على وفاته ممتلئًا بالحياة ومكبًا بكلّ طاقاته على عمله. لقد رحل ليلاقي الأخ الموت على نحو ملائم له: في صمت، ودون أن يزعج أحدًا. إنّ رحيله المفاجئ، والذي لم يتوقعه أحد، قد أثر بشدّة على إخوانه وزملائه وطلبته بكلية اللاهوت، وكذلك في قسم الدراسات القبطيّة، والذي كان مؤسّسه وملهمه الأوّل.

١. الحياة

ولد في «لوكولي» Lucoli (مقاطعة اكويلا) في ١٤ يناير ١٩١٧، باسم «إميليو جامبيراردينى» Emilio Giamberardini قدّم نذوره الرهبانيّة الفرنسيسكانيّة في إقليم القديس «برناردينو» في «أبروتسي» Abruzzi في ١٠ سبتمبر عام ١٩٣٣، اتّخذ اسم «غبرييل» (جبرائيل - غبريال)؛ وارتُسم كاهنًا في روما في «أبروتسي» في ١٣ يوليو ١٩٤١؛ حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت عام ١٩٤٤ في جامعة «الأنطونيانوم» Antonianum البابويّة في روما؛ في سنوات ١٩٤٤-١٩٤٩ قام

[1] Vazquez Janeiro Isaac - Betti Umberto, *In memoriam Gabriele Giamberardini OFM (1917-1978)*, in *Antonianum*, 53/1-2 (1978) p. 347-354 .

بتدريس علم اللاهوت العقائديّ Dommatica و علم الآباء Patrology في كلية اللاهوت بإقليمه الفرنسيسكانيّ.

حضر إلى مصر وأقام فيها من عام ١٩٥٠ حتّى ١٩٦٩، حيث تخصّص في علم القبطيات Coptology. قام بالتدريس في المعهد الإكليريكيّ الفرنسيسكانيّ الشرقيّ بالجيزة حتّى سنة ١٩٦٥. منذ سنة ١٩٥٢ إلى ١٩٥٥ تولى الإشراف على الدراسات في الإرسالية الفرنسيسكانيّة للوجه القبلي؛ في سنوات ١٩٥٣-١٩٥٦ اختير عضوًا بمحكمة الإسكندرية الكنسيّة؛ تولى إدارة مجلة صوت النيل la Voce del Nilo من ١٩٥٦ إلى ١٩٥٩؛ في عام ١٩٥٧ تمّ تعيينه عضوًا في السينودس القبطيّ الكاثوليكيّ في القاهرة للقسم العقائديّ؛ من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٨ تولى إدارة مركز الدراسات المسيحيّة الشرقيّة بالموسكى، كما أصبح رئيس تحرير مجلة «كولّيكتانيا» *Collectanea* التي تصدر سنويًا عن المركز المذكور. في عام ١٩٦٢-١٩٦٥ اشترك في المجمع الفاتيكانيّ الثاني في معية الأساقفة الأقباط الكاثوليك.

أصبح أستاذًا لعلم المريميات الشرقيّة منذ سنة ١٩٦٧ في معهد الدراسات المريميّة في روما. في سنة ١٩٦٩ بدأ يعلم اللاهوت الآبائيّ في كلية اللاهوت بجامعة «الأنطونيانوم» الفرنسيسكانيّة الحبريّة في روما. في السنوات الثلاث من ١٩٧٢-١٩٧٥ عين عميدًا لتلك الكلية، وبالتبعية أصبح مشرفًا على القسم العقائديّ، وعضوًا بالمجلس الأكاديميّ للجامعة. إلى جانب ذلك كان يُلقي محاضرات في معهد الكتاب المقدس الفرنسيسكانيّ في القدس ما بين ١٩٧١

و١٩٧٢، بالإضافة إلى محاضراته العلميّة من خلال مشاركاته في المؤتمرات المحليّة والدوليّة والمطبوعات المختلفة.

أصبحت إنجازاته العلميّة موضع تقدير على نطاق واسع من قبل المتخصّصين والمؤسّسات الدوليّة. في الواقع، كان عضوًا في جمعية الآثار القبطيّة بالقاهرة *Società d'Archeologie Copte*، وعضوًا في جمعية شمال أمريكا لدراسات القديس يوسف النجار في مونتريال *Società Nord-Américaine de Joséphologie*؛ وعضوًا في الجمعية الدوليّة للدراسات السكوتيّة «يوحنا دنس سكوت» *Societas Internationalis Scotistica*؛ بالإضافة إلى أنّه كان عضو مراسل في فرع الدراسات التاريخيّة لمنطقة «أبروتسو» (Deputazione patria Abruzzese di Storia).

كان الأب جامبيرارديني يعمل دون كلّل أو ملّل طوال حياته؛ وقد وافته المنية بالذات أثناء عمله، إذ عُثر عليه متوفيًا في وقت متأخر من مساء يوم ١٤ مارس، وكان جالسا أمام مكتبه حيث بقيت ورقة واحدة فقط، كان قد صحّحها لتوه، وتتعلق بالموضوع الذي كان يزمع نشره في ذلك العدد من المجلة. بجانبها كان هنالك قلم حبر جاف أحمر. ومصباح لا يزال مشتعل، رمزًا لذلك الضوء غير المضمحل، الذي كسى به الله الآب بالفعل، كما نأمل، نفس عبده الآمين وخادمه المُجدّ.

إنّ الأب جبرائيل جامبيرارديني بموهبته، واجتهاده، وتقواه الدينيّة العميقة قد شرّف كهنوته وثوبه الرهبانيّ؛ وشرّف كذلك مسقط رأسه. وكمواطن أبروتسيّ

احتفظ بأمانته لقيم أرضه؛ كان رجلاً مهذبًا، ودودًا، حتّى وإن كان متحفظًا، خدومًا، لكنه بالأكثر متشدّدًا في ادائه لواجبه. احترم القوانين وأراد أن يحترمها الجميع، حتّى ولو في بعض المرات ولكي لا يبدوا غير منطقيًا أو متطفلاً، فضّل الابتعاد عن مواضع الخلاف، حتّى وإن كلفه ذلك خسارة منصبه.

ليرقد الآن زميلنا وأخانا المرحوم في ذلك السلام الذي سعى إليه دائمًا بقلب مستقيم ونفس صافية.

٢. أعماله المنشورة

- 1948: *De Incarnatone Verbi secundum S. Hilarium Pictaviensem*, Placentiae, 1948, pp. XIV-72, 18x24 cm.
- *Il valore dommatico della liturgia assunzionistica*, in *Atti del Congresso Nazionale Mariano dei Frati Minori*, Roma 1948, pp. 511-557.
- 1949: *De praedesdnatione Verbi incarnati in S. Hilario Pictaviensi*, Romae, 1949, pp. 57, 18x24 cm. 1951: *De divinitate Verbi doctrina S. Hilarii Pictaviensis*, Cairi, 1951, pp. VIII-71, 18x24 cm.
- *L'Assunzione di Maria nella Chiesa egiziana*, Gerusalemme 1951, pp. VIII-161 + XII Tav. f.t., 18x23 cm.
- 1952: *La réiteration du Baptéme des Coptes qui reviennent à l'unite Car tholique*, in *Proche-Orient Chrétien*, t. II (1952) pp. 214-242, t. Ili (1953 pp. 119-144; 306-322.
- *La Mediazione di Maria nella Chiesa egiziana*, Cairo, 1952, pp. VII-124, 18x24 cm.
- 1953: *L'Immacolata Concezione nella Chiesa egiziana*, Cairo 1953, pp. VIII-134, 18x24 cm.; traduz. francese del testo abbreviato: *L'Immaculée Conception de la Vierge dans l'Eglise egyptienne*, in *Proche-Orient Chrétien*, 4 (1954) pp. 291-308.
- 1954: *Il Contributo dell'Egitto all'Anno Mariano*, in *La Voce del Nilo*, 13 (1954) pp. 107-119.

- *Santuari Mariani dei Copti*, in *La Voce del Nilo*, 13 (1954) pp. 93-98.
- *Il Calendario egiziano e le Feste della Vergine*, in *La Voce del Nilo*, 13 (1954) pp. 18-24.
- *L'ottavo Patriarca Alessandrino (Marciano)*, in *La Voce del Nilo*, 14 (1955) pp. 3842.
- 1955: *Le Suore copte ortodosse*, in *La Voce del Nilo*, 14 (1955) pp. 100-120.
- *L'Educatore occidentale in un Seminario orientale*, in *La Voce del Nilo*, 14 (1955) pp. 2-12.
- 1956: S. *Ilario di Poitiers e la sua attività apostolica e letteraria*, Cairo 1956, pp. VIII-267, 24x18 cm.
- *Morte e Assunzione della Vergine presso i Copti ortodossi attuali*, in *La Voce del Nilo* 15 (1956) pp. 18-23.
- 1957: *Sei stele del Convento dei Martiri a Esna*, in *Aegyptiaca Christiana: Collectanea* n. 1, Cairo, 1957, pp. 241-249, 18x24 cm.
- *Inno Copto al Cristo Risorto*, in *La Voce del Nilo*, 16 (1957) pp. 33-35.
- *Dossologia Copta sulla Fuga in Egitto*, in *La Voce del Nilo*, 16 (1957) pp. 14-19.
- *Relazione dei Missionari dell'Alto Egitto*, 19 aprile 1746, in *Aegyptiaca Christiana: Collectanea* n. 1, Cairo, 1957, pp. 207-219.
- *Istruzione del S. Ufficio sul Battesimo e sull'Ordine dei Copti, a. 1885*, in *Aegyptiaca Christiana: Collectanea* n. 1, Cairo, 1857, pp. 199-205, 18x24 cm.
- *La Consacrazione Eucaristica nella Chiesa Copta*, Cairo, 1957, pp. 128, 24x18 cm.
- S. *Antonio Abate-Astro del deserto*, Cairo, 1957, pp. 120, 24x18 cm.
- *Lo sviluppo della Chiesa copta cattolica*, in *La Voce del Nilo*, 16 (1957) pp. 162-177.
- *La Transustaziazione nella Chiesa Copta*, in *La Voce del Nilo*, 16 (1957) pp. 121-127.

- *Le Università medioevali e lo sviluppo della cultura*, in *La Voce del Nilo* 16 (1957) pp. 79-88.
- *L'Ordine sacro nella Chiesa copta*, in *La Voce del Nilo*, 16 (1957) pp. 2-10.
- 1958: *Il Convento dell'Anba Samù'il e i miracoli della Vergine*, in *La Voce del Nilo*, 17 (1958) pp. 140-155.
- *Marie dans la Liturgie Copte*, in *Maria*, voi. V, Paris, 1958, pp. 75-116.
- *Ragguaglio storico sulla Chiesa Copta*, in *La Voce del Nilo*, 17 (1958) pp. 2-9.
- *Il Natale nella Chiesa Copta*, Cairo, 1958, pp. 88, 18x24 cm.
- *I primi Copti cattolici*, Cairo, pp. 264, 18x24 cm.
- 1959: *Cronologia della Missione francescana dell'Alto Egitto*, in *La Voce del Nilo*, 18 (1959) pp. 157-160; 205-211.
- *Il primo Patriarca Etiope*, in *La Voce del Nilo*, 18 (1959) pp. 137-147.
- *La religione faraonica*, in *La Voce del Nilo*, 18 (1959) pp. 52-61; 86-93; 113-127; 151-170; 212-216.
- *Nuova Istituzione francescana, in Oriente (indirizzi di Missiologia aggiornata)*, in *La Voce del Nilo*, 18 (1959) pp. 181-195.
- 1960: *Il Primato di S. Pietro e del Papa nella Chiesa copta*, Cairo, 1960, pp. 130, 24x18 cm.
- *Lettere dei Prefetti Apostolici dell'Alto Egitto nel secolo XVIII*, . Cairo, 1960, pp. VIII-332, 24X18 cm.
- 1961: «*Historia*» *della Missione Francescana in Alto Egitto — Fungi — Ethiopia, 1686-1720, scritta dal P. Giacomo d'Albano*, Cairo, 1961, pp. XII-212, 24x18 cm.
- *Adamo e Cristo furono egiziani?*, in *La Voce del Nilo*, 20 (1961) pp. 167-181.
- *Itinerario in Oriente (1701-1718) del P. Giacomo Negro da Oleggio*, Cairo, 1961, pp. X-35, 24x18 cm.
- *Epistolario (1683-1687) del P. Antonio da Pisticci, Vice Prefetto della Missione Francescana dell'Egitto*, Cairo, 1961, pp. VIII-125, 24x18 cm.

- 1962: *Epistolario (1728-1734) del P. Ildefonso da Palermo, Vice Prefetto della Missione dell'Alto Egitto*, Cairo, 1962, pp. 103, 24x18 cm.
- *Testo copto sa'idico del Genesi* 23, 18-20; 24, 1-24, Cairo, 1962, pp. 14, 24x18 cm.
- *La Croce e il Crocifisso presso i copti*, Cairo, 1962, pp. 56 + XX tav. f.t., 24x18 cm.
- *Cronaca della Missione francescana dell'Alto Egitto: 1719-1739, scritta da P. Ildefonso da Palermo*, Cairo, 1962, pp. XVIII-202, 24x18 cm.ù
- 1963: *La Doctrine Christologique des Coptes*, in *Proche-Orient Chrétien*, 13 (1963) pp. 211-220.
- *I Viaggiatori Francescani attraverso la Nubia dal 1698 al 1710*, in *Collectanea* n. 8, Cairo, 1963, pp. 361437, 24x18 cm.
- *La Preghiera nella Chiesa copta*, in *Collectanea* n. 8, Cairo, 1963, pp. 1-77 + XX tav. f.t., 24x18 cm.; riediz. abbreviata in *La Preghiera*, Milano, Ancora, 1967, voi. II, pp. 747-781.
- 1964: *Quattro documenti sulla separazione dei Missionari francescani dal Clero copto cattolico nel 1893, Collectanea* n. 9, Cairo, 1964, pp. 233-361, 24x18 cm.
- 1965: *La sorte dei defunti nella tradizione copta*, Cairo, 1965, VI488 pp. + VIII tav. f.t. 24x18 cm.
- 1965: *Father Tommaso Obicini O. F. M.* (t *1632) Pioneer of the Coptic Phi-lologi*, in *Franciscan Studies* (St. Bonaventura), New York 1965, 277-284.
- « *La mia dimora nell'Alto Egitto* », *del P. Giuseppe Maria da Broni*, Cairo, 1965, pp. 87, 18x24.
- 1966: *Virgo concepit per aurem*, in *Orientis Stella*, 21 (1966) pp. 98-101.
- *L'Incarnation inconditionnée du Christ dans la théologie copte*, in *Proche Orient-Chrétien*, 16 (1966) pp. 113-119.
- *S. Giuseppe nella tradizione copta*, Cairo, 1966, pp. IV-305, 23 tav. f.t; traduz. francese: *Saint Joseph dans la tradition copte*, Montreal, 1969.
- 1967: *Maria in exegesi neotestamentaria iuxta ecclesiam coptam ortho-doxam*, in *Acta Congressus Mariologici-Mariani in*

Republica Do-minicana anno 1965 celebrati, Romae, 1967, voi. VI, pp. 65-94.

- *Il culto mariano in Egitto nei primi sei secoli: origine, sviluppo, cause*, Cairo, 1967, pp. IV-346, 13 tav. f.t., 18x24.
- 1968: *Due tesi scotiste nella tradizione copta: Il primato assoluto di Cristo e l'Immacolata Concezione di Maria*, in *Acta secundi Congressus Scholastici Internationalis Oxonii et Edimburgi 11-17 sept. 1966 celebrati*, Romae, 1968, voli. Ili, pp. 317-385; traduz. francese coi testi originali copti e arabi: *Deux thèses scotistes dans la tradition copte: La primauté absolue du Christ et VImmaculée Conception de Marie*, Le Caire, 1968.
- *Eine funfzehnte Kreuzwegstation*, in *Oesterreichisches Klerus-Blatt* (Theologische Facultat der Universitat Salzburg), 11 (1968) pp. 108 ss.; traduz.: *A fifteenth Station*, in *The Crusader's Almanac 1969*, London, 1969, pp. 3 ss. *La XV Estación en el Viacrucis*, in *La Tierra Santa*, Jerusalén, 43 (1968) pp. 27 s.
- 1969: *Apostolato romano e martirio dei Santi Apostoli Pietro e Paolo nei documenti copti*, in *Pietro e Paolo nel XIX anniversario del martirio*, Napoli, D'Auria, 1969, pp. 195-211.
- *Maria Santissima e la sua immagine orientale presso Tagliacozzo*, L'Aquila, 1969, pp. 24, tav. f.t.
- *Il « Sub tuum praesidium » e il titolo « Theotòkos » nella tradizione egiziana*, in *Marianum*, Romae, 31 (1969) pp. 324-362.
- *Il mese mariano dei copti*, in *La Madre di Dio*, Roma, 36 (1969) pp. 20 ss.
- *« La Vigna di S. Giuseppe » nel Cairo, opera di Caterina Troiani*, Cairo, 1969, pp. 20.
- 1970: *De primaevo Virginis Deiparae festo in Nativitate Domini occur-rente ex documentis liturgiae aegyptiacae*, in *Acta Congressus Mariologici-Mariani in Lusitania anno 1961 celebrati*, vol. V, Romae 1970, pp. 79-95.
- *Il Concilio Vaticano I e le Missioni nel Medio Oriente*, in *Lucignolo*, n. ser. 2 (1970), pp. 26-30.
- *Il contributo dei francescani alla cultura mediorientale*, in *Frate Francesco*, 37 (1970) pp. 99-11, 194-210; 28 (1971), pp. 2841.

- *L'avvenire del monachesimo copto*, in *Studi Francescani*, 67 (1970), pp. 313-330.
- *Maria Santissima e la sua immagine orientale venerata presso Ta-gliacozzo*, 2* ed. ampliata, Roma 1970, pp. 58.
- *Impegni del Concilio Vaticano I per l'Oriente Cristiano e Reazioni della Chiesa egiziana* (Spicilegium Pontificii Athenaei Antoniani, n. 17), Romae 1970, pp. 257.
- 1971: *Origine delle 7 Theotokie*, in *Orientis Stella*, 26 (1971), pp. 6-7.
- *Chiesa locale e Missione*, in *Vita Minorum*, 36 (1971), pp. 309-316.
- *Disegno pentacrociato su tessuto copto inedito*, in *Liber Annuus*, 21 (1971), pp. 300-310.
- 1972: *Orientamenti teologici della Chiesa copta*, in *Antonianum*, 47 (1972), pp. 213-294.
- *La primauté absolute du Christ et l'Immaculée Conception de Marie dans Jean Duns Scot et dans la Tradition copte*, Le Caire 1972, pp. 118.
- *La « Croce di Gerusalemme » nella numismatica del Museo del-l'Aquila*, in *La Terra Santa*, 48 (1972), pp. 108-118.
- *De mense Mariae dicato in liturgia copta: ritus-rationes-progressio*, in *Acta Congressus Mariologici-Mariani Internationalis in Croatia anno 1911 celebrati*, voi. IV, Romae 1972, pp. 41-63.
- *Maria primera misionera de Cristo*, in *La Tierra Santa*, 47 (1972), pp. 77-83.
- 1973: *Esperienze personali di Maria in ordine al Cristo nell'interpretazione dei Padri*, in *Atti del II Simposio ecumenico celebrato a Spoleto il 18-20 settembre 1972*, Isola del Gransasso 1973, pp. 9-36.
- *La dottrina cristocentrica del Cabasilas*, in *Antonianum*, 48 (1973), pp. 116-123.
- *Nomi e titoli mariani nella filologia e nell'esegesi degli egiziani*, in *Ephemerides Mariologicae*, 23 (1973), pp. 205-230.
- *Shenouda HI Patriarche de l'Eglise copte*, in *Terre Sainte*, n. 10 (1973), pp. 279-284.

- 1974: *Natividad en Egipto*, in *La Tierra Santa*, 49 (1974), pp. 20-24.
- *San José en la Tradición Egipcia*, in *La Tierra Santa*, 49 (1974), pp. 70-78.
- *Baùit: Monastero di Apollo*, in *Dizionario degli Istituti di perfezione*, voi. I, Roma 1974, col. 1250-1255.
- *Il culto mariano in Egitto*, voi. II, Gerusalemme 1974, pp. 432, taw. f.t. XVI.
- *I Presbiteri nella Chiesa Alessandrina*, in *Il prete per gli uomini d'oggi*, Ed. Ave, Roma 1974, pp. 414-453.
- 1975: *Culto mariano in Egitto*, voi. I, 2' ed., sec. I-VI, Gerusalemme 1975, pp. 330, T. f.t. 30.
- *Kellia*, in DIP (Dizionario degli Istituti di Perfezione), voi. IV, 1807-1812.
- 1976: *L'ambiente nazaretano della Sacra Famiglia*, in *Madre di Dio*, 43 (Roma 1976), nn. 9-10, 26-29.
- *Dicembre mariano nel rito alessandrino*, in *Mater Ecclesiae*, 12 (Roma 1976), n. 3, 129-139.
- *L'Assunzione della Vergine e l'Apostolo Tommaso*, in *Abruzzoset-te*, L'Aquila, 20 gennaio 1976, 3.
- 1977: *Le Basiliche della Dormizione e dell' Assunzione in Gerusalemme*, in *Madre di Dio*, 44 (Roma 1977) n. 1, 29-31.
- *La riscoperta del Sepolcro della Vergine in Gerusalemme*, in *Madre Ai Dio*, 44 (Roma 1977), n. 3, 29-31.
- *'Airi Karem-Luogo della Visitazione*, in *Madre di Dio*, 44 (Roma 1977) n. 5, 26-28.
- *La natività di Maria*, in *Madre di Dio*, 44 (Roma 1977) n. 8-9, 28-32.
- *Il ruolo di S. Giuseppe nella Fuga in Egitto secondo la tradizione copta, in Estudios Josefinos*, 31 (Valladolid 1977), 300-320.
- *Il culto mariano in Egitto*, voi. Ili, sec. XI-XX, Gerusalemme 1977, pp. 480, T. f.t. 28.
- *Articoli vari*, pubblicati su quotidiani e periodici *{L'Osservatore Romano, Madre di Dio, La Vetta, Abruzzosette, Orientis Stella*, ecc.).

تمهيد

لقد كانت خطّتنا في البداية أن يكون هذا الكتاب قاصرًا على تناول مسألة المَطهَر في العقيدة القبطيّة الأرثوذوكسيّة. ولكن حين بدأنا في جمع الوثائق شعرنا تدريجيًّا بكوننا في خِضمّ شبكة معقّدة من المعلومات الرائعة والأقوال المتضادّة. ولقد اضطرّتنا العقبات المستمرّة المتواترة التي قابلتنا إلى التوسّع في الموضوع الذي يُعبّر عنه أفضل تعبير العنوان الذي تحمله هذه الدراسة.

بالتأكيد يظلّ المَطهَر هو الموضوع الرئيسيّ في الطرح كلّه ولكنْ دون أن يقتصر عليه. ولا يُمكن أن يقتصر طرحنا عليه حيث أنّ مفهومه منتشر ومُتفرّق لدى بعض الباحثين الجدد. وفي الحقيقة، إن كانت هناك محاولات في بعض الأحيان إلى تأكيد وجود المَطهَر عند الأقباط وفي أحيان أخرى إلى نفي وجوده، إلّا أنّه في كثير من الأحيان يكون هناك شعور بأنّ الفترة الممتدّة من الموت حتّى الدينونة الأخيرة تعتبر مَطهَر عندهم.

قبل أنْ نخوض في متاهة الوثائق الأصليّة المعقّدة، أردنا أن نتعرّف على آراء المستشرقين الذين سبقونا في الخوض في غمار هذه المسائل. في الواقع، لا توجد دراسة بحثيّة بشأن المَطهَر أو بشأن العناصر الأخرويّة لدى الأقباط، لكن هناك أحاديث عارضة أو جزئيّة في سياق أعمال واسعة المضمون. الآراء متنوّعة للغاية بقدر تنوّع المراجع.

مراجع اللاهوت العقائديّ نجدها تمرّ على المسألة مرورًا عابرًا غير ملحوظ تقريبًا، وتتناولها بشكل عامّ وسطحيّ و عابر. كتب الباحث بارتمان Bartmann:

«في الكنيسة اليونانيّة لا يزال لدى الآباء لبس في المفهوم المتعلّق بمصير الموتى إلى حين الدينونة الأخيرة. وفي الواقع، هم لا يعترفون بالدينونة الخاصّة، ولا الرؤية الطوباويّة قبل الدينونة الأخيرة»[1].

أمّا الباحث ڤانسلب Vansleb فيُشير إشارة مباشرة إلى اللبس في العقيدة عند الأقباط[2].

وفي حين يُشير إلى فعّاليّة لا تصدّق في ذبيحة القدّاس، فمهما كانت حالة النفس، في المجد أو في العقاب[3]، هناك تأكيد على إنكار المَطهَر: «إنّهم لا يؤمنون بالمَطهَر» «Ils ne croyent pas le Purgatoire»[4]. أمّا بينيني Benigni فيؤكّد أنّ العكس صحيح، فبعد تعليقه على بعض صيغ الطلبات التي وردت في الكتابات اليدويّة باللغة القبطيّة، يَخلُص إلى ما يلي:

---

[1] المرجع:

Bartmann B., *Manuale di Teologia Dogmatica*, vol. 3, trad. It. Bussi N., Alba 1952, 388.

[2] المرجع:

"Cette doctrine est un point sur lequel l'Eglise Copte ne s'est point encore expliquée". VANSLEB J. M., *Histoire de l'Eglise d'Alexandrie fondée par S. Marc*, Paris 1677, 141.

«هذه العقيدة مازالت غير واضحة لدى الكنيسة القبطيّة»، ڤانسلب، تاريخ كنيسة الإسكندريّة التي أسّسها القدّيس مرقس، باريس ١٦٧٧، ص ١٤١.

[3] الذبيحة تُقدّم «من أجل أنْ تشملها رحمة الله، فإنْ كانت قد بلغت موضع الراحة حينئذٍ ستُزيد الذبيحة من سعادتها، وإن كانت في العذاب ستُخفّف عنها»، المرجع السابق نفسه، ص ١١١ وما بعدها.

Si offrel i sacrificio «pout renouveler sur elle la miséricorde de Dieu, et si elle eft déj enttée au licu de repos, alors le sacnifice augniente sa béatitude, mais si elle et dans les peines il les diminue». VANSLEB, op. cii., 111. s.

[4] المرجع السابق، ص ١٣٩.

«لدينا هنا صلوات لطلب الرحمة من أجل الموتى المؤمنين، مُمَاثِلَة لإيماننا بوجود المَطهَر، وفيها ما يُشير إلى عقوبات قابلة للغفران بصلوات المؤمنين وشفاعة القدّيسين، إنّها شهادات ثمينة وجليّة الوضوح».

«Habemus hic antiquae coptorum erga fideles defunctos pietatis, nec non fidei de Purgatorii existentia, ejusque poenarum suffragabili per fidelium preces et Sanctorum intercessionem mitigatione, praeclarum testimonium, cujus praetium neminem latet».

أمّا بوتشر Butcher، وهي پروتستانتيّة، فقد فحّصت بعض العناصر المُمَاثِلة لفكرة المَطهَر واعتبرتها مُمَاثِلَة لموادّ الإيمان في الكنيسة الكاثوليكيّة «لا تختلف عن الكنيسة الرومانيّة» «not unlike that of the Romish Church»[5]. الباحث

---

[5] «يعتقد كثير من الأقباط، مثل أجدادهم الوثنيّين، أنّ الروح تبقى أربعين يومًا قبل أن يُعلَنَ مصيرها النهائيّ؛ وإنّ الملاك ميخائيل يقوم بوزنها بميزان، مُتّخذًا مكان تحوت في المُعتقد المصريّ القديم. هذه الأربعين يومًا من الانتظار والمحاكمة هي الشكل الوحيد من المَطهَر الذي يعترف به الأقباط. ولكنّ البعض منهم يَخلُصون إلى أنّ الأرواح تُخرج من مادِس، حيث ينتظرون الدينونة الأخيرة للعالم، لمدّة أربعين يومًا بعد عيد الفصح؛ وهناك أسطورة قبطيّة قديمة تشير بوضوح إلى الاعتقاد في مَطهَر لا يختلف عمّا في الكنيسة الرومانيّة في الوقت الذي كُتِبَت فيه الأسطورة. هذه القصّة تقدّم ميخائيل الذي لديه السلطان يومًا واحدًا في السنة، لفتح أبواب المَطهَر ويُخرِجُ منه إلى موضع السلام العديد من النفوس المُعذَّبة بقدر ما يُمكن أن يحملهُ على أجنحته».

«Many of the Copts believe, like their pagan forefathers, that the soul remains forty days before its final destiny is pronounced; and that it is weighed in a scale by the Archangel Michael, who here takes the place of Thot. These forty days of waiting and trial are the only form of purgatory which the Copts acknowledge. But some among them beieve that the spirits are let out from Mades, where they await the final judgment of the world, for forty days after Eaeter; and there is an old Coptic legend which clearly indicates belief in a purgatory not unlike that of the Romish Church at the time when the legend was written. In it Michael is represented as having power, on one day in the year, to open the doors of purgatory and bring out into peace as many of the suffering souls as he can carry on his wings». BUTCHER E. L., *The Story of the Church of Egypt*, vol. 2, London 1897, 415.

يوجي Jugie أيضًا سلّط الضوء على العناصر القديمة في التراث الآبائيّ، كما ذكر بارثمان المذكور آنفًا بشأن ما يقوله اليونانيّون أو الشرقيّون بصفة عامّة:

«المعتقد بشأن المصير الأخير في الكنيسة القبطيّة لا يزال على حالته الغير محسومة الموجودة في الشرق منذ القرن الخامس»[٦].

«La doctrine des fins dernières dans l'Eglise Copte est restée dans l'état de l'indétermination où elle se trouvait en Orient au v^e siècle».

الباحث كلّيمنت كوب Clemente Kopp، الذي حذا حذو يوجي ولكنّه أفضل الباحثين كافّة، تعمّق في المسألة وأعرب عن اعتقاده بأنّه قد تعرّف في العقيدة القبطيّة، على المستوى العمليّ وليس على المستوى النظريّ، على الحالة الثلاثيّة للنفوس في زمن نهاية العالم (**الإسكاتولوجيّ**):

«لا يعرفون إلّا الجنّة وجهنّم... الأقباط ينكرون المَطهَر لأنهم يرفضون تحديد مصير هذه النفوس وتعريف موضعها. تعبيراتهم مثل تيّار من الضباب... إنْ كان الأقباط ينكرون المَطهَر الكاثوليكيّ، فهم مخطئون. ... فهم مثل الكنيسة الكاثوليكيّة، يعترفون بثلاث حالات للمنتقلين، الحالة التعيسة، والطوباويّة، وحالة الذين هم في طريقهم إلى الخلاص، اعتمادًا على نعمة الله وشفاعة المسيح وصلوات المؤمنين الذين على الأرض»[٧].

---

[٦] المرجع:

JUGIE M., *Monophysite* (Eglise Copte), in DTC, 2290.

[٧] المرجع:

KOPP C., *Glaube und Sakrarmente der Koptischen Kirche* (Orientalia Christiana, n. 75), Roma 1932, 73 s.

«Man kennt nur Paradies und Hölle ... Die Kopten leugnen ein Fegfeuer, weil sie es ablehnen, spekulativ näher das Schicksal dieser Seelen zu definieren und lokalisieren. Ihre Ausdtücke sind wie fliessender Nebel ... Irren sich die Kopten, wenn sie das Katholischen Fegfeuer verneinen . . . Wie die Katholische Kirche, kennen sie drei Zustände der Verstorbenen, den der *Unseligen*, der *Seligen* und derer, die *auf dem Wege* zu Seligkeit sind, abhängig von der Gnade Gottes und von der Fürbitte der Christgläubigen auf Erden».

مع ذلك، فإنّ ميزان الأحكام المشار إليه، حتّى وإن كان موجزًا، هو ترتيب تدريجيّ في سُلّم قيم المُعتَقَد. لقد قيل كلّ شيء: إنّ الأقباط يُنكرون المَطهَر (فانسلب)؛ يعترفون به (بنيني)؛ يؤمنون به مثل جهنّم والفردوس، لكن عمليًّا فقط (كوب)؛ وأنّ العقيدة الإسكاتولوجيّة (**الأخرويّة**) غير ناضجة كما هو الحال في العصر الآبائيّ (يوجي)؛ أو ملوّثة بعناصر منحولة ومُغايرة للمسيحيّة (بوتشر). كلّ هذه التصريحات صحيحة، ولكنْ جزئيًّا فقط. الأمر كأنّه تقسيم الحصيلة الذي يؤدّي إلى أشياء عديدة مختلفة، كلّ منها من الحصيلة، ولكنّه ليس الحصيلة كلّها.

في مجال التعليم الإسكاتولوجيّ (**الأخرويّ**)، الأقباط لديهم عقيدة متعدّدة الآراء حقًّا، تشكلت من تدفّق التقاليد الواسعة التنوّع والغريبة الأطوار. وفي الواقع، المعتقدات المصريّة القديمة التي لا تُحصى قد كفلت بقائها على قيد الحياة في العقيدة المسيحيّة المصريّة، حتّى وإن كانت غير ظاهرة بما يكفي. وقد أدّى تأثير الغنوصيّة والميليناريّة والأبوكاتاستاسيس[٨]، التي اجتاحت أرض مصر بتسارعٍ، إلى

---

[٨] هي كلمة يونانيّة ἀποκατάστασις، تُستخدم للإشارة مفهوم يقول إنّه سيأتي زمن حيث كلّ الخليقة الحرّة سوف تشترك معنا في نعمة الخلاص؛ وعلى وجه الخصوص الشياطين والأرواح الضالّة (المحرّر).

مسار عميق ومُعترَف به. إنَّ البدعة التي فصلت الكنيسة القبطيّة منذ عام ٤٥١م في مناسبة انعقاد مجمع خلقيدونيّة، والاتّصال بالعقيدة الإسلاميّة الذي عاشت فيه منذ ثلاثة عشر قرنًا، قد مهّد معسكرًا متحرّرًا لأشخاص خياليّين يتمتّعون بمهارات عالية في التضخيم الأسطوريّ. وأخيرًا، قصور التطوّر اللاهوتيّ، الذي توقّف عند القرن الخامس، يقصِرُ وديعة الإيمان المسيحيّ الحقيقيّ على العناصر الآبائيّة وحدها، مع كلّ المفاهيم غير الدقيقة التي في تلك الفترة. وفي الواقع، تمّ تجاهل مراحل التقدّم التي حقّقتها الكنيسة الكاثوليكيّة، والتي أيضًا في هذا المجال العقائديّ، بالرغم من الدراسة المستمرّة، لم تبلغ التحديد العقائديّ الدقيق إلّا في القرن التاسع عشر.

في خِضَمّ هذا النسيج المُعقّد من التقاليد غير المهضومة، التي تجمّعت دون تنظيم وترسّخت دون تمييز، دارت الدراسة المتعلّقة بالمَطهَر والتعليم الإسكاتولوجيّ (الأخرويّ) في الكنيسة القبطيّة. بالتالي افتراض تقييم لهذه المسألة وفقًا لمعايير الكنيسة الكاثوليكيّة الحالية، يُعتبَر خطأ مُفارقة تاريخيّة، لأنّه لا يضع في الاعتبار الخمسة عشر قرنًا من الانفصال التي وضعت سدًّا منيعًا في مسار الأقباط بينما شهدت تطوّرًا تدريجيًا لدى الكاثوليك. كما أنّه ليس من الصواب الحكم على المسألة بنفس طريقة كلّ الكنائس الأخرى التي اقتصرت على الفترة الآبائيّة، تلك التي توقّفت عندها الكنيسة القبطيّة، لأنّها لا تضع في الحسبان الكَمَّ الهائل من العناصر غير المتجانسة التي تراكمت بتأثير تدفّق التقاليد غير المسيحيّة السابقة واللاحقة. وأخيرًا، الموقف الذي يتجاوز قواعد النقاد هو ترسيخ المعتقدات المنقولة شفهيًّا أو

كتابةً واعتبارها بمثابة إيمانًا قبطيًّا أصيلًا، بدون معرفة أو بغضّ النظر عن العديد من المعتقدات الأخرى المنقولة بالمِثْل شفهيًّا أو كتابةً لأنّها لا تأخذ في الاعتبار الواجب الحرّيّة التي يروي أو يكتب بها الأقباط أساطيرهم. فمن ينبوع **عامّ مُشترك**، تصُبُّ فيه **تيّارات متنوّعة**، ينهل كلّ قبطيّ ما يُرضيه **أكثر** أو ما يتّفق أكثر مع تقاليد منطقته، ويرويه أو يكتبه مُذيِّلًا بملاحظاته **الانفراديّة**، وهذه الممارسة هي التي تُسبّب التناقضات العديدة والواضحة.

إنَّ الدراسة المتكاملة تُحتِّم جمع **كافّة التقاليد**، وربطها **بالمصدر المُشترَك**، ثُمّ تتبّع **خلفيّتها البعيدة**. هذا هو الشرط الوحيد الذي يُتيح التوصّل إلى فرز العناصر المسيحيّة الحقيقيّة وتقديمها على حالتها، أصيلة لكنْ بهيئتها العتيقة.

لا شكّ في أنّها عمليّة شاقّة ومُعقّدة، لذا قُمنا بتجربة كافّة الوسائل لتبسيطها ولكنّ النتيجة لم تكُنْ مُرضِيةً تمامًا. بناءً على ذلك قرّرنا في النهاية اختيار الطريقة التالية التي أخذت كلّ شيء في الاعتبار، فاتّضح لنا أنّها الأفضل في الموضوعيّة وفي تحليل الوثائق وفي الخُلاصة العقائديّة النهائيّة. بعد **العرض التقديميّ للمراجع** التي من شأنها تسهيل تفحُّص المصادر، سنستعرض التعليم العقائديّ الإسكاتولوجيّ (الأخرويّ) وفقًا للتنسيق التالي: ١- **الإثنولوجيا**. ٢- **الكتابات المنحولة**. ٣- **سير القدّيسين**. ٤- **الكتابات اليدويّة**. ٥- **الليتورجيا**. ٦- **اللاهوت**. ٧- **التقييم العقائديّ**. في هذا الفصل الأخير، بناءً على الوثائق المُصنّفة في الفصول الستّة السابقة، سنوضِّح بالترتيب ما تؤمن به الكنيسة القبطيّة بشأن **الموت، الدينونة الخاصّة، الفردوس، جهنّم، المَطهَر، والدينونة العامّة**.

المراجع:

سنعرض هنا قائمة بالمراجع بطريقة تُسهِّل ذكر الشواهد والتفحُّص في الوقت نفسه. المراجع مُنسَّقة حسب الترتيب الأبجديّ (وفقًا للحروف الأجنبيّة) من حيث المؤلِّف أو في حالة عدم معرفته وفقًا لأوّل حرف من الموضوع. المراجع التي يكثر تكرار ذكرها، سنذكر أوّلًا اختصار العنوان ثمّ العنوان كاملًا. العنوان المُختَصَر سيُستخدَم في العرض النقديّ للتسهيل. أيضًا العنوان الكامل سيكون بلغة المرجع الأصليّة، وإذا كان مرجعًا شرقيًّا ستعقبه ترجمة باللغة الإيطاليّة وذلك لتسهيل المسألة على المهتمّين بالموضوع. لن نعرض لكلّ الكُتب المذكورة، ولكنْ الأساسيّة فقط. أمّا بقيّة الكتب والوثائق فنذكر منها الملاحظات التي تفيد السياق. وحيث إنّ المصادر متنوّعة، كما ذكرنا في الافتتاحيّة، تحاشينا التقسيم الفرعيّ المُفْرَط إلى فئات، واستبدلناه بالعرض الأبجديّ للسهولة.

- 'ABDALLAH A., *L'Ordinamento liuurogico di Gabriele V*, 88° *Patriarca Copto* (1409-1427), (Edizioni del Centro Francescano di Studi Orientali Cristiani), Cairo 1962.
- ABÛ'L BARAKÂT, *Lampada*, v. *Shams Al-Ri' âsah*, ccc.
- *Acta Martyrum*: v. Balestri e Hyvernat.
- ALTANER B., *Patrologia*, Torino 1940.
- AMANN E., *Apocryphes du Nouveau Testament*, in *Dictionnaire de la Bible*, *Supplément* I.
- AMÉLINEAU E., *Contes et Romans de l'Egypte Chrétienne*, 2 voll., Paris 1888.
- —— *La géographie de l'Egypte à l'époque copte*, Paris 1893.
- —— *Histoire des monastères de la Basse-Egypte*, in *Annales du Musée Guimet*, 25 (Paris 1894), 225-227.
- —— *Monuments pour servir à l'histoire de l'Egypte chrétienne*, t. 4, 2, in *MMAFC*, Paris 1895, 707-736.

- —— *Un évêque de Keft au VII*[e] *siècle*, in *Mémoires présentés et lus à l'Institut d'Egjpte*, 2 (1889), testo copto 261-332, trad. 333-423.
- AMIOT F., *Evangiles Apocryphes*, Paris 1952.
- ANDRES F., *Die Engellehre der griechischen Apologeten des 2. Jahrhunderts und ihr Verhältnis zur griechisch-römischen Dämonologie*, in *Forschungen zur chistliche Literatur-und Dogmengeschichte* 12, 3. Paderborn 1914.
- —— *Die Engle- und Damonenlehre des Klemens von Alexandrien*, in *Römische Quartalschrift*, 34 (1926), 13-27, 129-140, 307-329.
- مؤلّف مجهول، بعد الموت، في مجلّة الشرق والغرب، ٥٤ (١٩٥٨)، ص ١٣٨-١٤٣.

  Anonimo, *Dopo la marte*, in *Oriente e Occidente*, 54 (1958), 138-143.
- ـــــ طبيعة نار جهنّم، في مجلّة نهضة الكنائس، ٢١ (١٩٦٢)، ص ٥٢-٥٣، ٨٣-٨٤.

  ——, *La natura del fuoco dell'inferno*, in *Risorgimento delle Chiese*, 21(1962), 52-53, 83-84.
- ANRICH G., *Clemens und Origenes als Begründer der Lehre vom Fegfeuer*, in *Theologische Abhandlungen. Eine Festgabe für H. J. Holtzmann*, Tübingen 1902, 95-120.
- *Apocalypsis seu Visio Mariae Virgunis*, ed. Chaîne M., in *CSCO*, n. 39, pp. 51-80.
- BALESTRI G., *Il martirio di S. Luca evangelista (testo copto e traduzione italiana)*, in *Bessarione*, 9 (1905), 128-141.
- —— *Il martirio di Apa Serapione di Panefôsi (testo copto e traduzione)*, in *Bessarione*, 9 (1905), 179-192.
- —— *Il martirio di S. Teodoro l'orientale e dei suoi compagni Leonzio l'Arabo e Panegiris il Persiano*, in *Bessarione*, 10 (1906), 151-168.

- BALESTRI G. -HYVERNAT H., *Acta Martyrum* (coptice et latine), in *CSCO*, nn. 43 (coptice) e 44 (latine).

- بانوب عبده، كتاب كنوز النعمة لمعونة خُدّام الكلمة في شرح أناجيل السنة التوتيّة حسب ترتيب ومُعتقَد الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة

BANÛB 'ABDUH, *I tesori della grazia per l'aiuto dei ministri della Parola nella spiegazione dei Vangeli annuali, dal (mese) Tût, secondo il rito e la credenza della Chiesa Copta ortodossa*, vol. 1, Cairo 1952; vol. II, 1953; vol. III, 1954.

- BARDENHEWER O., *Geschichte der altkirchlichen Literatur*, t. 3, Fribourg Br. 1912.
- BARNES W. E., *The Testaments of Abraham, Isaac and Jacob*, (in *Texts and Studies* II, 2), Cambridge 1893.
- BARONIO C., *Annales Ecclesiastici*, t. 8, Barri-ducis 1867.
- BARTMANN B., *Manuale di Teologia Dommatica*, vol. III, trad. ital, Bussi N., Alba 1952.
- *Baskhah*: `ⲡϫⲱⲙ `ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲡⲁⲥⲭⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲫⲏⲉⲧϣⲉⲙϣⲓ ⲓⲥϫⲉⲛ ⲡⲓⲉϩⲟⲟⲩ `ⲛϯⲕⲩⲣⲓⲁⲕⲏ `ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲙⲉⲛⲟⲥ ϣⲁ`ⲛϫⲱⲕ ⲉⲃⲟⲗ `ⲙⲡⲓϣⲁⲓ `ⲛϯⲁⲛⲁⲥⲧⲁⲥⲓⲥ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲕⲁⲧⲁ ⲧⲁⲝⲓⲥ `ⲛϯⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁ `ⲛⲣⲉⲙ`ⲛⲭⲏⲙⲓ `ⲛⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ. Vol. II (312 pp.), testo arabo:
- كتاب البسخة المقدّسة الذي يخدم من يوم أحد الشعانين إلى آخر عيد القيامة المجيد حسب ترتيب الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة.

Il libro della santa Pasqua che si usa dalla Domenica delle Palme sino al compimento della festa della santa Risurrezione secondo il rito della Chiesa Copta Ortodossa, 2a ed., dell'Anbâ Athanâsîûs, Metropolita di Benî Suîf e di Al-Bahnasâ, Cairo 1949; vol. 1 (572 pp.), testo copto.

- BENIGNI U., *Litaniae: Litaniae defunctorum copticae* (copticae fidei de Purgatorii existentia a suffragiorum pro defunctis virtute antiquum testimonium), in *Bessarione*, a. 4, vol. 6, Roma 1899.

- BENSLEY- JAMES, *The fourth Book of Ezra* (*Texts and Studies*. t. 3,2), Cambridge 1895.
- BERNARDIN J. B., *A coptic sermon attributed to St. Athanasius* (*Journal of Theological Studies*, t. 38), London 1937.
- BETTENCOURT S. T., *Doctrina ascetica Origenis seu quid docuerit de ratione anime humanae cum daemonibus*, in *Studia Anselmiana*, 16 (Rom-Vatikan 1945).
- BLACKMAN A. M., *The Jonrual of Egyptian Archaeology*, vol. 3.

—— *Rock tombs of Meier*, part IV, London 1924.
- BLACKMAN W. S., *Fellahs: Les Feilahs de la Haute Egypte*, trad. di Jacques Marty, Paris 1948.
- BÖHLIG A. - PAHOR L., *Die Koptisch-Gnostische Schrift ohne Titel aus Codex II von Nag Hammadi*, ed. Alex. Böhlig und Pahor Labib, Berlin 1962.
- Bollandisti, *Acta Sanctorum*, Jan II.
- BONACCORSI G., *Vangeli Apocrifi*, Firenze 1948.
- BONSIRVEN J., *La Bible Apocryphe: en marge de l'Ancien Testament*, Paris 1953.
- BOTTE B., *La Tradition Apostolique de Saint Hippolyte*, in *Liturgie Wissenschaftliche Quellen und Forschungen*, 39, Münster W. 1963.
- BRAUM O., *Moses bar Kepha*, Fribourg in Br. 1891.
- BRIGHTMAN F. E., *Eastern Liturgies* I, Oxford 1896.
- BUDGE E. A. Wallis, *Coptic Apocrypha: Coptic Apocrypha in the Dialect of Upper Egypt*, London 1913.
- —— *Miscellaneous: Miscellaneous Coptic Texts*, London 1915.
- —— *Encomium of Theodosius Archbishop of Alexandria on Saint Michael the Archangel*, in *Miscellaneous*, (London 1915), 891-947.
- —— *Discourse on Saint Michael the Archangel by Thimothy, Archbishop of Alexandria*, in *Miscellaneous*, (London 1915), 1021-1032.
- —— *The book of the dead*, (recensione tebana), London 1953.

- بولس سيدهم، الأبديّة! هل تفكّر فيها؟ وأين ستقضيها؟، في مجلّة شمس البرّ، ١٤ (١٩٦٢) عدد ٨ ص ٦–٨.

BÛLUS SÎDHUM, *L'eternitá ! Ci pensi? E dove la passerai?*, in *Sole di Giustizia*, 14 (1962), fasc. 8, 6-8.
- BÜRKE G., *Des Origenes Lehre vom Urstand des Menschen*, in *Zeitschrift für katholische Theologie*, 72 (Innsbruck 1950), 1-39.
- BURMESTER O. H. E., *The Homilies or Exhortations of the Holy Week Lectionary*, in *Le Muséon*, 45 (1932), 24 testo copto, 53 trad. inglese.
- —— *The Canons of Gabriel Ibn Turaïk LXX Patriarch of Alexandria*, in *Le Muséon*, 46 (1933), 43-54.
- —— *Egyptian Apocrypha: Egyptian Mythology in the Coptic Apocrypba*, in *Orientalia*, nova ser. 7 (1938), 355-367.
- BUTCHER E. L., *The story of the Church of Egypt*, vol. 2, London 1897.
- CAPPELLE B., *L'antienne «In Paradisum»*, in *Les questions liturgiques et paroissiales*, 8 (1923), 161-176.
- CARBON J., *Notes sur le vocabulaire de prédication des premiéres sourates Mekhoises*, in *Mélanges de l'Université Saint Joseph*, 36 (Beyrouth 1959).
- CASEY R. P., *The Apocalypse of Paul*, in *The Journal of Theological Studies*, 34 (Oxford 1933), 1-32.
- CHAÎNE M., *Catéchèse attribuée à Saint Basile de Césarée; une letter apocryphe de St. Luc*, in *Revue de l'Orient chrétien*, ser. 3, 3 (1922), 150-159 e 4 (1923), 271-302.
- CHARLES R. M., *Apocrypha: The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament in English*, Oxford 1913.
- CONNOLLY R. H., *The so-called Egyptian Church Order and Derived Documents*, (*Texts and Studies*, VIII, 4), Cambridge 1916.
- *Corano*, ed. ital. Bausani A., Firenze 1955.
- CRAMER M., *Koptische Inschriften in Keiser-Friedrich-Museum zu Berlin*, Le Caire 1949.

- CRUM W. E., *Coptic Monuments* (Catalogue général des antiquités Égyptiennes du Musée du Caire, Cairo 1901.
- —— *Theologi cal Texts from Coptic Papyri*, Oxford 1913.
- —— *Der papyruscodex saec. VI-VII der Phillippsbibliothek in Cheltenham*. Koptische theologische schriften, hrsg. und übersetzt von W. E. Crum; mit einem beitrag von A. Ehrhard. Strassburg, Trübner 1915, 171 pp. illust. (Schriften der Wissenschaftlichen Gesellschaft in Strassburg, 18. hft.).
- —— *Coptic anecdota. I. A. Gnostic fragment*, in *Journal of Theological Studies*, 44 (1943), 176-182.
- CUMONT F., *Lux perpetua*, Paris 1949.
- DANIÉLOU J., *Les Anges et leur mission d'après les Pères de l'Eglise*, in *Collection Irénikon* n. s., 5 (Chevetogne 1951).
- DE GARIS DAVIES N. - GARDEN A. H., *The tombs of Amenemhēt*, London 1915.
- DE GARIS DAVIES N., *The tlomb of Antefoker*, London 1920.
- DE LAGARDE P., *Aegyptiaca*, Göttingen 1883.
- دلوار شنوده المنفلوطيّ، المَطهَر تحت المِجهَر

DELUAR SHENÛDAH AL-MANFALÛTÎ, *Il purgatorio sotto il microscopio*, Assîût 1947.
- DENZINGER H., *Ritus Orientalium*, vol. 2, (Reimpressione Fotomeccanica), Graz-Austria 1961.
- *Diaconale*: ⲓⲡϫⲱⲙ ̀ⲛϯⲙⲉⲧⲣⲉϥϣⲓ ̀ⲛⲧⲉ ⲓⲡⲇⲓⲁⲕⲱⲛ ⲛⲉⲙ ⲓⲡⲃⲱϩⲉⲙ.
- كتاب خدمة الشمّاس والألحان، طُبع بمعرفة جمعيّة نهضة الكنائس القبطيّة الأرثوذكسيّة المركزيّة بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٦٦٨ش ١٩٥١م.

— *Libro del servizio del Diacono e gli Inni*, ed. dell'Associazione Centrale Copta Ortodossa del «Risvegio delle Chiese», 2a ed., Cairo 1668 AM., 1951 AD.
- *Didascalia*: الدسقوليّة أو تعاليم الرُسُل — *Didascalia o insegnamenti degli apostoli*, ed. Ḥâfiẓ Dâûd, Cairo 1924.

- DORESSE J., *Trois livres gnostiques inédits : Evangile des Egyptiens. Epîtres d'Eugnoste. Sagesse de Jésus-Christ*, in *Vigilae Christianae*, 2 (1948), 137-160.
- —— *Une bibliothèque gnostique copte découverte en Haute Egypte*, in *Bulletin de l'Académie royale de Belgique*, 5 sér., 35, 1(1949).
- —— *Nouveaux textes gnostiques découverts en Haute Egypte : La bibliothèque de Chenoboskion*, in *Vigilae Christianae*, 3 (1949).
- —— *Les livres secrets des gnostiques d'Egypte : Introduction aux Écrits gnostiques coptes découverts à Khenoboskion*, Paris 1958.
- —— *Des Hiéroglyphes á la Croix*, Istanbul 1960.
- DOUTRELEAU L., *Didyme l'Aveugle : sur Zacharie, texte inédit d'après un papyrus de Toura: Introduction*, in *SC*. 83 (Paris 1962), 119-185.
- DUBLER C. E., *Altägyptiscbe Miszellen in Islam*, in *Asiatische Studien*, 16 (1963), 106 ss.
- DULAURIER Ed., *Notice sur le manuscrit copte-thébain intitulé la fidèle sagesse* ( ]pctic covia) *et sur la publication projetée du texte et de la traduction française de ce manuscrit*, in *Journal asiatique*, 1 (1847), 534-548.
- EISLER R., *Pistis Sophia und Barbelo*, in *Angelos*, 3 (1930), 93-110.
- ENGER M., *Ioannis Apostoli de transitu Beatae Mariae Virginis*, Elberfeld 1954.
- EPIFANIO (S.), *Haereses*, XXVI, 13.
- ERMAN A., *Zambersprucheb für Mutter und Kind*, Berlin 1901.
- ERMAN E. - RANKE H., *Aegypten und aegyptisches Leben im Altertum*, Tubinga 1923.
- ERMAN A., *The literature of the ancient Egyptians*, London 1927. —— *La religion des Egyptiens*, Paris 1952.
- ERODOTO, *Storie*, II, n. 85, ed. Legrand, Paris 1948.

- عزّت عطيّة، ماذا سنعمل في السماء؟، في مجلّة رسالة الخلاص، ١٣ (١٩٦١) عدد ١١ ص ١.

'EZZAT 'ATÎAH, *Cosa faremo in cielo?*, in *Missione della Salvzza*, 13 (1961), 11, 1.

- —— الدينونة، في مجلّة رسالة الخلاص، ٩ (١٩٥٧) عدد ٨ ص ٢٠-٢١ و ٢٤.

—— *Il Giudizio*, in *Missione della Salvezza*, 9 (1957), fasc. 8, 20-21 e 24.

- FAKHRY A., *The Necropolis al-Bagawât in Kharga Oasis*, Cairo 1951.
- FARÎD KÂMIL, إحياء الكنيسة القبطيّة — *La rinacita della Chiesa Copta*, Cairo 1913.
- FAY E. (De), *Gnostiques et gnosticisme: étude critique des documents du gnosticisme chrétien aux IIe et IIIe siècles*, Paris 1925 (2e éd.).
- FIEBIG P., *Ein Wort über den Bruder des Erlösers in Pistis Sophia*, in *Angelos*, 2 (1926), 155-158.
- FÎLÛTHÂUS, تنوير المبتدئين في تعليم الدين — *Illuminaione degli incipienti nell'insegnamento della religione*, Cairo 1912.
- FRANCÎS BADRÛS, صوت الكنيسة المرقسيّة — *La Voce della Chiesa di S. Marco*, Cairo (senza data).
- FREISTEDT E., *Altchristliche Totengedächtnistage und ihre Beziehung zum Jenseitsglauben und Totenkultus der Antike*, in *Liturgie-geschichtsliche Quellen und Forschungen*, 24, Münster 1928.
- FUNK X., *Didascalia*: *Didascalia et Constitutiones Apostolorum*, 2 voll., Paderbornae 1905.
- GABRIELE V., *Ordinamento Liturgico*, v. 'Abdallah.
- GALBIATI J., *Iohannis Evangelium Apocryphum arabice*, ed. Iohannes Galbiati, Mediolani 1957.

- GARDET L., *Dhikr*, in *Encyclopédie de l'Islam*, nouv. éd., Paris 1961.
- GARDTHAUSEN V., *Katalog der griechischen Handschriften der Universitäts-Bibliothek zu Leipzig*, Leipzig 1898.
- GARNOT J. S. F., *L'appel aux vivants*, Le Caire 1938.
- GEIGER W. – KUH N E.; *Grundriss der iranischen Philologie*, t. 2, Strasbourg 1904.
- GHUBRÎÂL, *Funerali*: — Qommos Ḥannâ Ghubrîâl,

  كتاب التجنيز أي صلوات الموتى، القمص حنّا غبريال – بني مزار سنة ١٩٢٨.

  Libro dei funerali, cioé Preghiere dei morti, Benî Mazâr 1928.
- GIAMBERARDINI G., *Il valore teolgico della liturgia assunzionistica*, in *Atti del Congresso Nazionale Mariano dei Frati Minori d'Italia*, Roma 1948.
- —— *La Teologia assunzionistica nella Chiesa Egiziana*, Gerusalemme 1951.
- —— *La Tebaide*, in *La Voce del Nilo*, 13 (Cairo 1954).
- —— *Il Calendario Egiziano e le Feste della Vergine*, in *La Voce del Nilo*, 13 (Cairo 1954), 18-24.
- —— *Le Suore Copte Ortodosse*, in *La Voce del Nilo*,14 (Cairo 1955),119.
- —— *Il Convento dell'Anbâ Samû'îl e i miracoli della Vergine*, in *La Voce del Nilo*, 17 (Cairo 1956), 140-155.
- —— *S. Antonio Abate: Astro del deserto*, Cairo 1957.
- —— *La Consacrazione Eucaristica nella Chiesa Copta*, Cairo 1957.
- GIAMBERARDINI G., *Sei stele del Convento dei Martiri a Esnâ*, in *Aegyptiaca Christiana*, n. 1, Cairo 1957, 241-249.
- —— *Synodus secunda Coptorum*, in *La Voce del Nilo*, 16 (Cairo 1957), 47 s.
- —— *Inno copto al Cristo risorto*, in *La Voce del Nilo*, 16 (Cairo 1957), 33-35.
- —— *Il Natale nella Chiesa Copta*, Cairo 1958.

- —— *Relig. Paraon. : La Religione Faraonica*, in *La Voce del Nilo*, 18 (Cairo 1959), 52-61, 86-93, 113-127, 161-170, 212-216.
- —— *Il Primato di S. Pietro e del Papa nella Chiesa Copta*, Cairo 1960. —— *Adamo e Cristo furono egiziani?*, in *La Voce del Nilo*, 20 (Cairo 1961), 177-181.
- —— *Preghiera: La preghiera nella Chiesa Copta*, in *Collectanea* 8 (Centro Francescano di Studi Orientali Cristiani), Cairo 1963.
- GOAR J., *Εὐχολόγιον sive Rituale graecorum*, Paris 1647.
- GOLDZIHER L., *L'oiseau représentant l'âme dans les croyances populaires des musulmans*, in *Arabica*, 7 (1960).
- GRAF G., *Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur* (Studi e Testi 118 e 133), volI. 1 e 2, Città del Vaticano 1944-1947.
- GUIDI I., *Gli atti apocrifi degli apostoli nei testi copti, arabi ed etiopici*, in *Giornale della Societá Asiatica Italiana*, 2 (1888), 66.
- —— *Di alcune pergamene saidiche della collezione borgiana*, in *Rendiconti della Reale Academia dei Lincei*, ser. V, 2 (1893), 513.
- GUILLAUMONT A.-PUECH H. CH.-QUISPEL G.-TILL W. YASSAH 'ABD AL MASÎH, *L'Evangile selon Thomas*, Paris 1959.
- HAASE F. A. J., *Zur Rekonstruktion des Bartolomäusevangelium*, in *Zeitschrift für Neutestamentliche Wissenschaft*, 16 (1915), 93-112.
- HABÎB GIRGIS, سرّ التقوى — *Il segreto della pietá*, Cairo 1951.

- HAKÎM GREÎS, *La felicitá dei giusti*, in *Risveglio delle Chiese*, 21 (1962), 186-187, 207-209.

نعيم الأبرار، في مجلّة نهضة الكنائس، ٢١ (١٩٦٢) ص ١٨٦-١٨٧؛ ٢٠٧-٢٠٩.

- HALÎM AL-ARSANÂDÎ, *Dove vanno le anime dei giusli dopo la morte?*, in *Risveglio* 33 (1957), fasc. 6, 25-27.

أين تذهب أرواح الأبرار بعد الموت؟، في مجلّة اليقظة، ٣٣(١٩٥٧) عدد ٦ ص ٢٥-٢٧.

- HALKIN P., *S. Pachomii Vitae graecae* (Hagiogr. Bolland.), Bruxellis 1932.
- HALL H. R., *Coptic and Greek Texts of the Christian period from ostraca, stelae, etc., in British Museum*, London 1905.
- HALLOCK F. H., *Coptic apocrypha*, in *Journal of Biblical Literature*, 52 (1933), 163-174.
- HARNACK (Von) A., *Über das gnostische Buch Pistis Sophia*, Leipzig 1891.
- HEBBELYLINCK A., *Les Mystères des lettres grecques d'après un manuscrit copte-arabe de la Bibliothèque Bodléienne de Oxford*, Texte copte, Traduction, Notes, Louvain 1902.
- HORNER G., *The Statutes of the Apostles or Canones Ecclesiastici*, London 1904.
- HYVERNAT H., *Les actes des martyrs de l'Egjpte tirés des Mss. Coptes de la Bibliothèque Vat. et du Musée Borgia* (Testo copto e traduzione francese), vol. I, Paris 1886.
- —— *Acta Martyrum*, in *CSCO*, nn. 86 (coptice) e 125 (latine).
- IBN AL-'ASSÂL, *Il libro dei canoni raccolti dalle Shaîkh Al-Safî Al-'Alim Ibn Al-'Assâl dai libri dei canoni, compilato nell'anno 955 dei Martiri puri*, ed. Murqus Girgis, Cairo 1927.

كتاب القوانين الذي جمعه الشيخ الصفيّ العالم ابن العسّال من كتاب القوانين وألّفه في سنة ٩٥٥ للشهداء الأطهار.

- IBN AL-MUQAFFA', *Storia dei patriarchi della Chiesa Copta*, testo arabo e traduzione inglese di Evetts B. T. A., in *PO*, voll. 1, 5, 10.
- —— *Réfutation de Sa'îd Ibn Batriq (Eutychius)*, testo arabo e traduzione francese di Chébli P., in *PO*. 3, 142 s.
- —— *Histoire des Conciles*, testo arabo e traduzione francese di Leroy L., in *PO*. 6, 578 s.
- IBN 'ARABÎ, *Al-Fotuhât Al-Makkiyya*, ed. del Cairo 1329 Egira, trad. franc. Anawati G. C., *L'Alchimie du Bonheur d'Ibn 'Arabî*, in *Mélanges* 6, Le Caire 1959-1961.
- IBN SIBÂ', *Perla*: Iûhannâ Ibn Zakarîâ Ibn Sibâ',

الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة.

-- *La perla preziosa nelle scienze della Chiesa*: codice di Parigi, *Ms*. ar. 207, fine sec. XIV. — *Ms*. Vat. ar. 130, sec. XVII. — *Ms*. CF. (Centro Francescano Cairo), sec. XVIII. — Edizioni: Testo arabo e trad. francese (i primi 56 capp.) Périer J., in *PO*, vol. 16. — Klâdiûs Labib, Cairo 1902. - Murqus Girgis, Cairo (senza data).

- IBRÂHÎM MATAR, *La nostra fede nella seconda vita*, in *Oriente e Occidente*, 54 (1958), 211-214.

إبراهيم مطر، إيماننا بالحياة الثانية، في مجلّة الشرق والغرب، ٥٤ (١٩٥٨) ص ٢١١-٢١٤.

- 'ID BUTROS, *Le prove potenti della veritá del domma ortodosso in risposta agli insegnamenti cattolici e protestanti*, Zaqâzîq 1933.

البراهين القويّة على صحّة العقيدة الأرثوذكسيّة ردًّا على تعاليم كاثوليكيّة وبروتستانتيّة.

- IRENEO (S.), *Adversus Haereses* I, ed. Harvey W. W., vol. I, Gambridge 1948.
- IÛHANNÂ GIRGIS-GIUBRÂN NA'AMATALLAH, كتاب اللؤلؤة البهيّة في التراتيل الروحيّة - *Libro delle perle rilucenti nei canti spirituali*, Alessandria 1921.
- IÛHANNÂ SALÂMAH, *Le perle:* كتاب اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة - *Libro delle perle preziose nella spiegazione dei riti e dei dommi della Chiesa*, 2 voll., Cairo 1909.
- IÛSUF ḤANNÂ, *Capitolo delle domande e delle risposte* (*Risposta 4a: Il paradiso e l'inferno*), in *Fede*, 26 (1957), 233.

باب الأسئلة والأجوبة (الجواب الرابع: جهنّم والجنّة)، في مجلّة الإيمان ٢٦ (١٩٥٧) ٢٣٣.

- —— باب الأسئلة والأجوبة (الجواب الخامس: متى تكون نهاية العالم وروح الإنسان بعد مماته وإلى أين تذهب ومن هو المسيح الدجّال)، في مجلّة الإيمان، ٢٦ (١٩٥٧) ٢٣٣-٢٣٤.

- *Capitolo delle domande e delle risposte* (*Risposta 5a: Quando sarà la fine del mondo, dove andrá l'anima dell'uomo, e chi è l'Anticristo*), in *Fede*, 26 (1957), 233-234.

- JAGIČ V., *Slavisehe Beiträge zu dem biblischen Apocryphen*, in *Denkschriften der Kais.* Akad. der Wissensch., 42 (1893).
- JAMES M. R., *Apocrypha Anecdota* (*Texts and Studies*, II, 3), Cambridge 1893.
- —— *Some Coptic new Apocrypha*, in *Journal of Theological Studies*, 6 (1903), 132-142.
- —— *Apocryphal: The Apocryphal New Testament*, Oxford 1926.
- JUGIE M., *Monophysite: Monop4ysute* (*Eglise Copte*), in *DTC*.

- KÂMIL GIRGIS, العلم والدين، في مجلّة الكرمة. — *Scienza e fede*, in *La Vigna*, 12 (Cairo 1926), 288.
- KEES H., *Totenglauben der alten Aegypter*, Leipzig 1916.
- —— *Die Himmelsreise im ägyptischen Totenglauben*, in *Vorträge der Bibliothek Warburg* 1928-1929. (Ueber dic Vorstellungen von der Himmelsreise der Seele), Leipzig-Berlin 1930, 1-20.
- KHUZÂM (Anbâ MURQUS), كتاب الجنانيز أي صلاة الموتى المؤمنين — *Libro dei defunti* (Copto cattolico) edito per ordine di Kh., Cairo 1934.
- KLAMETH G., *Über die Herkunst der apokryphen «Geschichte Josephs des Zimmermanns»*, in *Angelos*, 3 (1930), 6-31.
- KOLPAKTCHY G., *Livre des Morts: Le Livre des Morts des anciens Egyptiens*, Paris 1954.
- KOPP C., *Glaube: Glaube und Sakramente der Koptischen Kirche* (Orientalia Christiana, n. 75), Roma 1932.
- KROLL J., *Die Himmelfahrt der Seele in der Antike*, Köln 1931.
- KROPP A. M., *Ausgewählte Koptische Zaubertexte*, 3, Bruxelles 1930.
- KRUMBACHER K., *Studien zu den Legenden des hl. Theodosios*, in *Sitzungsberichte der philos.-philol. und histor. Classe der Königl. bayer. Akad. der Wissensch. zu München* 1892, München 1893.
- LACAU P., *Fragments d'apocryphes coptes*, in *Mémoires de la Mission Française d'Archéologie Orientale au Caire*, 9 (1904) IV + 115 pp. avec 6 pl.
- —— *Fragments de l'Ascension d'Isaïe en copte*, in *Le Muséon*, 59 (1946), 453-467.
- LADEUZE P., *Apocryphes évangèliques coptes. Pseudo-Gamaliel, Evangile de Barthélemy*, in *Revue d'Histoire Ecclésiastique*, 7 (1906), 245-268.
- LAGARDE P., *Aegyptiaca: 1-37, De morte Josephi*, Gottingae 1883.

- —— *Aegyptiaca*: 38-63, *De dormitione Mariae*, Gottingae 1883.
- LAGRANGE M. J., *Le Messianisme chez les Jujfs*, Paris 1909.
- LAMMENS H., *L'Islâm*, 3 éd., Beyrouth 1943.
- LANTSCHOOT (van) A., *Révèlations de Macaire et de Marc de Tarmaqa sur le sort de l'âme après la mort*, in *Le Muséon*, 63 (1950), 159-189.
- —— *Les «Questions » de Théodore* (in *Studi e Testi*, 192), Città del Vaticano 1957.

Laqân: ⲡⲓϫⲱⲙ `ⲛⲧⲉ ϯⲗⲁⲕⲁⲛⲏ ⲛⲉⲙ ⲡⲓϫⲓⲛⲟⲩⲱϣⲧ (ⲫⲏⲉⲧⲉⲣⲁⲙⲁϩⲓ) ⲉϫⲉⲛ ϯⲗⲁⲕⲁⲛⲏ `ⲛⲧⲉ `ⲛ`ⲡϫⲓⲛⲱⲙⲥ : ⲛⲉⲙ ⲡⲓ`ⲉ `ⲛⲛⲓϣϯ ⲓⲡϣⲁⲓ : ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛⲓⲟϯ `ⲛⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ : ⲛⲉⲙ ϯⲡⲁⲛⲧⲏⲕⲟⲥⲧⲏ : ⲕⲁⲧⲁ `ⲧⲧⲁⲝⲓⲥ `ⲛⲛⲓⲓⲟⲧ `ⲛⲧⲉ ϯⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁ `ⲛⲣⲉⲙ`ⲛⲭⲏⲙⲓ `ⲛⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ.

- — كتاب اللقان والسجدة المُشتَمِل على لقان عيد الغطاس والخميس الكبير وعيد آبائنا الرُسل والعنصرة: كترتيب آباء الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة.

— *Il libro del Laqân (bacino) colle prostrazioni : contiene il laqân della festa dell'Epifania, del grande Giavedì, della festa dei nostri padri Apostoli, e della Pentecoste : secondo il rito dei Padri della Chiesa Copta Ortodossa*. Ed. Anbâ Athanâsîûs, Metropolita di Benî Suîf e di Al-Bahnas, Cairo 1957.

- LECLERCQ H., *Symbole des Evangélistes*, in *DACL*, V, 845-854.
- —— *Ama* (nelle iscrizioni copte, greche e latine), in *DACL*, 1306-1323.
- LEFEBVRE G., *Recueil des Inscriptions Grecques-Chrétiennes d'Egypte*, Le Caire 1907.
- LEFORT L. Th., *S. Pachomii vita boharice scripta*, in *CSCO*, nn. 89 e 107.
- —— *S. Pachomii vitae sahidice scriptae*, in *CSCO*, nn. 99-100.
- —— *Fragments d'apocryphes en copte-akhmimique*, in *Le Muséon*, 52 (1939), 1-10.
- —— *Les Vies Coptes de Saint Pachôme* (Bibliothèque du Muséon, vol. 16), Loavain 1943.

- —— *Note (sur la découverte des manuscrits gnostiques)*, in *Bulletin de l'Académie royale de Belgique*, ser. 5, XXXIV (1948), 100-102.
- LEIPOLD J., *Sinuthi archimandritae vita et opera omnia IV*, in *CSCO*, nn. 73 e 108.
- LEMM (von) O., *Koptische apocryphe Apostelacten*, I, II, in *Bulletin de l'Académie Impériale des Sciences de S. Pétersbourg*, 33 (1890), 509-581; 35 (1892), 233-326.
- LHOTE A., *La Peinture Egyptienne*, Paris 1954.
- *Lîber de transitu Virginis Mariae*, ed. Chaîne M., in *CSCO*, nn. 39 e 40.
- LIECHTENHAN R., *Untersuchungen zur koptisch-gnostichen Literatur*, in *Zeitschrift für wissenschaftliche Theologie*, 44 (1901), 236-253.

LÛKÂS (Anbâ), *Vi è « Purgatorio» nel Cristianesimo?*, in *San Giorgio*, 9 (1957), fasc. 9 e 10, 5-12.

هل من مَطهَر في المسيحيّة؟، مجلّة مار جرجس، ٩ (١٩٥٧) عدد٩ و ١٠ ص ٥-١٢.

- MAAS M., *Neue koptische Apokryphen*, in *Theologische Literaturezeitung*, 38 (1913), 573-574.
- MACCULLOCH J. A., *Some Coptic Christian Apocrypha*, in *Laudate*, 12 (1934), 11-30.
- MAl A., *Scriptorum Veterum nova collectio*, t. V : *Codices Coptici Bibliothecae Vaticanae*, Romae 1831.
- MALININE M.-PUECH H. Ch.-QUISPEL G., *Evangelium Veritatis*, in *Studien aus dem C. G. Jung. Institut*, 6 (Zürich 1956).
- MALININE M.-PUECH H. Ch.- QUISPEL G-.-TILL W., *Evangelium Veritatis* (*Supplementum*), Zürich-Stuttgart 1961.
- MALLON A., Epigraphie Copte, in *DACL*, vol. 3, 2830-2841.
- —— *Grammaire Copte : Christomatie*, Beyrouth 1926.
- —— *La religion des Egyptiens*, in HUBY J., *Christus: manuel d'histoire des Religions*, Paris 1934.

MANASSÂ IÛḤANNÂ, *Le anime dei Padri e dei Profeti prima dell'Incarnazione — Dove vanno le anime dei morti?*, in *Missione della Caritá*, 25 (1959), 269-273.

أرواح الآباء والأنبياء قبل التجسّد- أين تذهب أرواح الموتى؟، في مجلّة رسالة المحبة، ٢٥ (١٩٥٩) ص ٢٦٩-٢٧٣.

- MASPERO J., *Etudes Egyptiennes*, I, Paris 1879.
- MÉNARD J. E., *L'Evangile de la Vérité: rétroversion grecque et commentaire*, Paris 1962.
- MERCER S. A. B., *The Pyramid Texts*, 4 voll., London 1952.
- MESSALE (Khûlâgî) — *Euchologion. Le tre Anafore: di S. Basilio, di S. Gregorio e di S. Cirillo* ; ed. Società dei figli della Chiesa Copta Ortodossa centrale, Cairo 1960.

– بالقدّاسات الثلاثة للقدّيسين باسيليوس وإغريغوريوس وكيرلس وأجبية السبع صلوات وكتاب الألحان، طبع جمعيّة أبناء الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة المركزيّة، القاهرة سنة ١٩٦٠.

- MÎKHÂ'ÎL AL-BAḤARÎ, *La morte dei bambini non battezzati*, in *Risveglio delle Chiese*, 16 (1956), 86-88.

موت الأطفال غير المُعمَّدين، في مجلّة نهضة الكنائس، ١٦ (١٩٥٦) ص ٨٦-٨٨.

- MÎKHÂ'ÎL MÎNÂ, كتاب علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة — *Libro della scienza teologica secondo la credenza della Chiesa Copta Ortodossa*, Cairo 1936-1938.
- MILNE J. G., *Greek Inscriptions*, in *Catalogue Général des Antiquités Egyptiennes du Musée du Caire*, Oxford 1905.
- MONNERET DE VILLARD U., *Le iscrizioni del cimitero di Sakinya (Nubia)*, Cairo 1933.
- MUNIER H., *La Sybille Alexandrine chez les Coptes*, in *Bulletin de la Société Archéologique d'Alexandrie*, 20 (1924).

- MURQUS SIMAIKA Bey, *Some social Coptic Customs*, London 1897.
- NAGÎB GIRGIS, *La preghiera per i defunti*, in *Missione della Caritá*, 24 (1958), 57-58, 97-98, 162-163.

الصلاة من أجل الموتى، في مجلّة رسالة المحبّة، ٢٤ (١٩٥٨) ٥٧-٥٨، ٩٧-٩٨، ١٦٢-١٦٣.

- NÂSHID SKANDAR, *La vita .. La mort .. l'eternitá*, in *Sole di Giustizia*, 13 (1961), fasc. 4 e 5, 20-21.

الحياة.. الموت.. الأبديّة، في مجلّة شمس البرّ، ١٣ (١٩٦١) عدد ٤ و٥ ص ٢٠-٢١.

- NAU F., *Canons des Apôtres*, in *DTC*, II.
- NÛIR G., المَطهَر -- *Il Purgatorio*, Assiût 1947.
- O'LEARY (De Lacy), *The arabic Life of S. Pisentius*, in *PO*. 22.
- ORIGENE, *Contra Celsum*, in *PG*. 11.
- PAHOR LABIB, *Coptic Gnostic Papyri in the Coptic Museum at Old Cairo* (fotocopia degli originali), Cairo 1956.
- PAREJA F. M., *Islamologia*, Roma 1951.
- PÉRIER J.-PÉRIER A., *Les 127 Canons des Apôtres*, in *Po*. 8.
- PIANKOFF A., *La descente aux Enfers dans les textes Egyptiens et dans les apocryphes coptes*, in *Bulletin de la Société d'Archéologie Copte*, 7 (1942).
- —— *Deux Saints á tête de chien*, in *BSAC*, 12 (1949), 57-61.
- *Pistis Sophia ; a gnostic miscellany ...*, ed. Mead G. R. S., London 1921.
- *Pistis Sophia*, edizione e traduzione di Schmidt C. Testo copto: *Pistis Sophia: neu herausgegeben mit Einletung nebst griechischem Wort-und Namenregister*, Hauniae 1925 — Traduzione tedesca: *Pistis Sophia: ein gnostisches Originalwerk des dritten Jahrhunderts aus dem Koptischen übersetzt*, Leipzig 1925. --- 3a cd. della traduzione tedesca curata da Walter Till, Berlin 1962.

- PUECH H. Ch.-DORESSE J., *Nouveaux écrits gnostiques découverts en Egypte*, in *C. R. de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres* (1948), 87-95.
- RAHNER H., *Griechische Mythen in christlicher Deutung. Gesammelte Aufsätze*, Zürich 1945.
- RA'ÛTH ISHAQ, *Tribunale celest*, in *Missione della Salveza*, 9 (1957), fasc. 4, 4-5.

محكمة سماويّة، في مجلّة رسالة الخلاص، ٩(١٩٥٧) عدد ٤، ص ٤-٥.

- RECHEIS A., *Sancti Athanasii Magni doctrina de primordiis seu quomodo explicaverit Genesim 1-3*, in *Antonianum*, 28 (1953), 219-260.
- —— *Engel, Tod, raid Seelenreise ... Lehre der Alexandrinischen und Kappadokischen Väter*, (Temi e Testi, 4), Roma 1958.
- RENAUDOT E., *Perpétuité de la foy de l'Eglise*, Paris 1713.
- —— *Liturgiarum Orientalium Collectio*, t. I, Parisiis 1716.
- REVILLOUT E., *Apocryphes coptes du Nouveau Testament*, Etudes Egyptologiques, VII (1876), f. 1.
- —— *Evangile des douze Apôtres*, in *Po.* 2, 131-184.
- —— *Evangile de saint Barthélemy*, in *PO.* 2.
- —— *Les Apocryphes coptes publiés et traduits*. II. Acta Pilati, in *PO*. 9.
- RIEDEL W., *Kirchenrechtsquellen:* Die *Kirchenrechtsquellen des Patriarchais Alexandrien*, Leipzig 1900.
- RIEDEL W.-CRUM W. E., *The Canons of Athanasius of Alexandria*, London 1904 (testo arabo e traduzione inglese).
- *Rituale dei morti*: vedi Khûzâm, Tâûdurûs, Tûkhî.
- RIVIÈRE J., *Rôle du démon au Jugement particulier chez les Péres*, in *Revue des sciences religieuses*, 4 (1924), 43-64.
- ROBINSON F., *Coptic Apocryphal Gospels—Sahidic Fragments of the Life of the Virgin*, (*Texts and Studies* IV, 2), Cambridge 1896.
- ROSENBERG A., *Die Seelenreise. Wiedergeburt, Seelenwanderung oder Aufstieg durch die Sphären*, Olten 1952.

- ROSSI F., *Trascrizione di tre manoscritti copti*, Torino 1885.
- —— *I papiri copti del museo egizio di Torino*, in *Memorie dell'Accademia delle Scienze di Torino*, ser. II, 35-43 (1888-1893).
- RUSH A. C., *Death and Burial in Christian Antiquity*, in *Studies in Christian Antiquity*, 1 (Washington 1941).
- *Sacramentario*, ed. Tûkhî : ⲓⲡⲇⲱⲙ ̀ⲛⲧⲉ ϯⲙⲉⲧⲣⲉⲙϣⲉⲙϣⲓ ̀ⲛⲛⲓⲙⲩⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲛⲉⲙ ϩⲁⲛϩⲏⲃⲓ ̀ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲣⲉϥⲙⲱⲟⲩⲧ ⲛⲉⲙ ϩⲁⲛϫⲓⲛϩⲱⲥ ⲛⲉⲙ ⲓⲡⲕⲁⲧⲁⲙⲉⲣⲟⲥ ̀ⲛⲁⲃⲟⲧ.
- — كتاب خدمة الأسرار وتجانيز الموتى والهوسات والقطمارس الشهريّ.

— *Libro del servizio dei santi sacramenti, dei funerali dei morti, degli inni e il «Katameron» mensile*. [Roma] 1479 AM., 1763 AD.

- SA'D MÎKHÂ'ÎL, *La vita e l'eternitá*, in *Missione della Caritá*, 28 (1962), 258-259.

الحياة والخلود، في مجلّة رسالة المحبّة، ٨ (١٩٦٢) ص ٢٥٨-٢٥٩.

- *Salmodia Annuale:* ⲓⲡϫⲱⲙ ̀ⲛⲧⲉ ϯⲯⲁⲗⲙⲟⲇⲓⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ̀ⲛⲧⲉ ̀ⲙⲣⲟⲙⲡⲓ ̀ⲙ̀ⲫⲣⲏϯ ⲉⲧⲁⲩⲟⲁϣⲥ ̀ⲛⲭⲉ ⲛⲉⲛⲓⲟϯ ̀ⲛϯⲉⲕⲕⲗⲁⲏⲥⲓⲁ ⲛⲣⲉⲙ̀ⲛⲭⲏⲙⲓ ̀ⲛⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ.
- — كتاب الأبصلموديّة السنويّة حسب ترتيب آباء الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة.

— *Libro della Salmodia santa annuale secondo l'ordinamento dei nosiri Padri della Chiesa Copta Ortodossa*. Traduzione italiana, per cura di Brogi M., (Centro Francescano di Studi Orientali Critiani), Cairo1962.

- SAM'ÂN SALLÎDIS 'ALAM, القول اليقين في الصلاة على المُتنقِلين —

Il detto sicuro sulle preghiere dei morti, Cairo (senza data).

- SCHMIDT C., *Apokalypse des Elias*, in *Theologische Literaturzeitung*, 38 (1913), 764-765.
- —— *Die Urschrift der Pislis Sophia*, in *Zeitschrift für Neutestamentliche Wissenschaft*, 24 (1925), 218-240.

- SCHWARTZE M. G., *Pislis Sophia, opus gnosticum Valentino adjudicatum e codice ms. coptico Londinensi descripsit et latine vertit M. G. Schwartze*. Ed. J. H. Petermann, Berlin 1851.
- SCHWART E., *Ueber dic pseudoapostolischen Kirchenordnungen*, Strasbourg 1910.
- SCHWEITZER U., *Das Wesen des Ka im Diesseits und Jenseits der alten Äypten, Ägyptol. Forsch.*, Heft 19, Glüchstadt 1956.
- SERPILLI B. M., *L'offertorio della messa dei defunti.* Dissertatio ad Lauream (Angelicum), Roma 1946.
- SHAMS AL-RI'ÂSAH ABÛ'L BARAKÂT ÎBN KABAR, *Libro della Lampada delle tenebre e dello schiarimento del servizio* (divino), Ms. Vat. ar., N. 623 (sec. 16°).

شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة.

- *Sinassario : Libro del Sinassario : sulla vita dei profeti, degli apostoli, dei martiri e dei santi nei giorni e nelle domeniche dell'anno di Tût*, Cairo 1912.

كتاب السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء القدّيسين المستعمل في الأيام وآحاد السنة التوتيّة.

- — Ms. C. : *Manoscritto* arabo, n. 139, (I parte) 212 ff.; n. 140 (II parte) 245 ff. : 16 ll., 24x 14 cm., AM. 1056, AD. 1339-1340: Museo copto del Cairo.
- — Ed. Basset R., testo arabo e traduzione francese, in *PO*, voll. 1, 3, 11, 16, 17.
- — Ed. Forget I., traduzione latina in *CSCO*, voll. 78 e 90.
- — Ed. Copta ortodossa, Qommos Filûthâûs Al-Maqârî e Qommos Mîkhâ'il Al-Maqârî, 2 voll., Cairo 1912.
- SPÁČIL TH., *La dottrina del purgatorio in Clemente Alessandrino ed in Origene*, in *Bessarione*, 35 (1919), 131-145.
- SPIEGELBERG W., *Eine sahidische Version der Dormitio Mariae*, in *Recueil de travaux relatifs à la philoiogie et l'archéologie égyptienne el assyrienne*, 25 (1903), 4-5.

- STEINDORFF G., *Die Apocalypse des Elias: eine unbekannt Apokalypse und Bruchstücke der Sophonias-Apokalypse. Koptische Texte. Uebersetzung, Glossar* (in *Texte und Untersuchungen zur Ceschichte der Altchristlichen Literatur*, n. s. II, 3-A), Leipzig 1899.
- STIGLMAYR J., *Das Offertorium in der Requiemmesse und der Seelendurchgang*, in *Der Katholik*, 11, 1 (1913), 247-255.
- *Synodus Alexandrina Coptorum*, Romae 1899.
- TÄCKHOLM V.-EL DUWEINI A. K.-GREISS E. A. M.-ISKANDAR Z., *Le monastère de Phoebammon: Identifications Botaniques, Zoologiques el Chimiques*, Le Caire 1961.
- TÂÛDURÛS, *Preghiere Le preghiere liturgiche : Battesimo, Incoronazione (Matrimonio), La lampada (unzione dei malati), Abû Tarbû, Funerali: raccolte e ordinate dal Qommos* Samû'îl Tâûdurûs *Al-Surîânî*, Tip. del Convento della Signora Vergine — Al Surîân 1951.

الصلوات الطقسيّة: المعموديّة- الأكاليل- القنديل- أبو تربو- التجنيز- جمع وترتيب القمص تاوضروس السريانيّ، مطبعة دير السيّدة العذراء - السريان.

- TESTA E., *Il Simbolismo dei Giudeo-Cristiani*, Gerusalemme 1962.
- TILL W., *Die gnostischen Schriften des Koptischen Papyrus Berolinensis* 8502, Berlin 1955.
- —— *Das Evangelium nach Philippos*, Berlin 1963.
- TISCHENDORF C., *Apocalypsae Apocryphae*, Leipzig 1866.
- TOGO MINA, *Inscriptions copies et grecques de Nubie*, Le Caire 1942.
- —— *Le papyrus gnostique du Musée copte*, in Vigiliae cbristianae, 2 (1948), 129-136.
- TÛKHÎ R., vedi *Messale, Sacramentario.*
- TURMEL J., *Histoire de l'angéologie des temps apostoliques à la fin du v[e] siécle*, in *Revue d'histoire et de littérature religieuse*, 3 (1898), 289-308, 407-434, 533-552.
- UAHBAH 'ABD AL-SAÎED, *La vita dopo la morte*, in *Insegnamenti della Chiesa*, 5 (1956), fasc. 7, 26-30.

الحياة بعد الموت، في مجلّة تعاليم الكنيسة، ٥ (١٩٥٦) عدد ٧ ص ٢٣-٣٠.

- UAHÎB 'ATÂLLAH, *Dove andavano le anime dei morti prima della Redenzione*, in *Scuole Domenicali*, 11(1957), 62-63.

أرواح الموتى قبل الفداء أين تذهب؟، في مجلّة مدارس الأحد، ١١ (١٩٥٧) ص ٦٢-٦٣.

- VANSLEB J. M., *Histoire: Histoire de l'Eglise d'Alexandrie fondée par S. Marc*, Paris 1677.
- VÖLKER W., *Das Vollkommenheitsideal des Origenes*, in *Beitrage zur histor. Theologie*, 7 Tübingen 1931.
- —— *Den wahre Gnostiker nach Clemens Alexandrinus*, in *Texte und Untensuchungen zur Geschichte der altchristlichen Literatur*, 57, Leipzig 1952.
- WADDING L., *Annales Minorum*, a. 1441, vol. XI, Quaracchi (Firenze) 1932.
- WENSINCK A. J.-KRAMERS J. H., *Islam : Handwörterbuch des Islam*, Leiden 1941.
- WESSELY C., *Anciens monuments : Les plus anciens monuments du Christianisme*, in *PO*. 4.
- WIEDERMANN A., *Die Toten und ihre Reiche im Glauben der alten Aegypten*, Leipzig 1910.
- WIESMANN H., *Sinuthi archimandritae vita et opera omnia* IV, in *CSCO*, 108.
- WILSON R. Mc. L., *The Gospel of Philip*, London 1962.
- WINSTEDT E. O., *A Coptic fragment attributed to James the brotber of the Lord*, in *Journal of Theological Studies*, 8 (1906-1907), 240- 248.
- WORRELL W. H., *The odes of Solomon and the Pistis Sophia*, in *Journai of Theological Studies*, 13 (1911-1912), 29-46.
- WRIGHT W., *Contributions to the apocryphal literature of the New Testament*, in *Journal of sacred Literature*, ser. 4, 6-7 (1865), Genn.-Febbr.
- ZANDEL J., *Gnostic Ideas on tbe Fall and Salvation*, in *Numen*, 11 (Leiden 1964), 13-74.

- ZOEGA G., *Catalogus codicum coptorum manuscriptorum qui in museo Borgiano Velitris adservantur*, Romae 1810.

اختصارات:

م التقويم الميلاديّ.	*AD* *Anno Domini.*
هـ التقويم الهجريّ.	*AE* *Anno dell'Egira.*
ش تقويم الشهداء (القبطيّ).	*AM* *Anno del Martiri.*
م د ق مكتبة الدراسات القبطيّة، القاهرة.	*BEC* *Bibliothque d'Etudes Coptes, Le Caire.*
م ب مجموعة برلين: (الكُتّاب المسيحيّون اليونانيّون من القرون الثلاثة الأولى..)، ليبزيج ١٨٧٩ وما بعده.	*CB* *Corpus Berolinense : (Die griechischen christlichen Schriftsteller der ersten drei Jahrhunderte ...), Leipzig 1897 ss.*
م م ل المجموعة المسيحيّة اللاتينيّة، تورنهولت، (بلچيكا).	*CCL* *Corpus Christianorum—Series Latina, Turnholti.*
م ك م ش مجموعة الكُتّاب المسيحيّين الشرقيّين، لوڤن، (بلچيكا).	*CSCO* *Corpus Scriptorum Cbristianorum Orientalium, Lovanii.*

م ف مجموعة الكُتّاب الكنسيّين اللاتين، ڤيينا ١٨٦٦ وما بعده.	*CV* *Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum, Vindobonae 1866 ss.*
ق آ م ل قاموس الآثار المسيحيّة والليتورچيا.	*DACL* *Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie.*
ق ل ك قاموس اللاهوت الكاثوليكيّ.	*DTC* *Dictionnaire de Théologie Catholique.*
م أ البعثة الأثريّة الفرنسيّة بالقاهرة، القاهرة.	*MMAFC* *Mémoires publiés par les Membres de la Mission Archéologique Française au Caire, Le Caire.*
د آ ي «باترولوجيا الآباء اليونانيّين»، مطبعة مين الكاثوليكيّة، فرنسا.	*PG* *Patrologia Graeca, Migne.*
د آ ل «باترولوجيا الآباء اللاتين»، مطبعة مين الكاثوليكيّة، فرنسا.	*PL* *Patrologia Latina, Migne.*
د آ ش «الباترولوجيا الشرقيّة»، باريس.	*PO* *Patrologia Orientalis, Paris*
م م مجموعة المصادر المسيحيّة، باريس.	*SC* *Sources Chrétiennes, Paris*

الفصل الأوّل

الأنثولوچيا

الشكل الأنثولوچيّ لعلم الأخرويّات القبطيّ يتضمّن عناصر متنوّعة عديدة تستدعي دراستها، ولهذا اتّخذناها موضوعًا للفصل الأوّل. وفي الفصول التالية نستعرض الكثير من الأقوال والتأكيدات التي توضّح الطرح المعروض في هذا الفصل. وسنشير بترتيب موضوعيّ إلى ما رأيناه شخصيًّا، وما سمعناه من المصريّين، بالإضافة إلى ما قرأناه. كذلك أيضًا لم نُغفِل ذِكر مرجعيّات المقارنة مع الأديان الموجودة أو ذات الصلة في البلاد، لكي يَسهُل تحديد التيّار الأصليّ من بين المتداخلات البيئيّة. المادّة المعروضة، الغير المتجانسة للغاية، أُعيد تنسيقها بناءً على ما يتعلّق بالجسد وبالنفس، وما يتعلّق بالجسد والنفس معًا إذا ما دعت الحاجة.

١ - الموت:

يعتبر الموت واقعًا أليمًا عند الأقباط، كما هو الحال عند الشعوب الأخرى كلّها، لكن ينبغي أن يكون له تأثير مدوٍّ أكثر ممّا في أيّ موضع آخر. ولم يؤثّر التسليم المسيحيّ في إبطال هذه الظاهرة. ففي عام ١٩٥٥، فور أن عَلِمَت زوجة أحد العاملين لدينا في الجيزة بتدهور حالة ابنها الذي يتلقّى العلاج في المستشفى، شَعُرَت بوجوب توسيع نطاق المأساة. فخرجت إلى قارعة الطريق الترابيّ وكشفت رأسها ونكشت شعرها وراحت تغرِف من تراب الطريق وتسكبه على رأسها وتُخضِّب وجهها بالوحل، وتُطلق صرخات اليأس المُماثِلة لصرخات الندّابات. لكنّ الابن لم

يمُت، لكنْ حين يحدُث الموت لا شيء يمكنه إيقاف هذه الانفجارات الشديدة الهيجان التي لا تعرف حدودًا. هذه الأحداث أبطالها دائمًا هنّ النساء، خاصّة النّدّابات. فهُنَّ يُخضّبنّ وجوهِهن بالطين الأسود علامة على الحزن، وهو النقيض من الحِنّة التي تُستخدم في أيّام الأفراح[1]. في القُرى، من شدّة الأسى يشقّون ثيابهن من أعلاها حتّى البطن. بل يصل الأمر إلى حدّ أن يفتحن أبواب ونوافذ البيت على مصاريعها ويُطلِقن صرخات الأسى طالبات العون، فلا بُدّ أن يسمع الجيران صوتهنّ. الكلمات التي يقولونها في صراخهنّ ينبغي عرضها وتفسير معناها. العبارات العاديّة غالبًا لها معنى يُشير إلى هويّة المتوفَّى ومكانته. يقُلن: «سبعي (أسدي) مات»، إن كان رجلًا قويًّا، أمّا إن كان مجتهدًا في العمل فيقُلن: «جَمَلي مات». وإن كان ذو سلطان، يقُلن: «مات الرجل الذي تعشّش الصقور بين شاربيه»، و«الحبيب أبو العيون العسليّة لم يعد له وجود»، إن كان محبوبًا. وإن كان صبورًا: «مات الذي لا يُبعد الذباب عن وجهه»، وأشياء أخرى[2]. عام ١٩٥٣ تُوفِّي مدرّس شابّ فجأة، وكان قبطيًّا أرثوذكسيًّا، وكان من الواجب أن نذهب لتقديم العزاء. هناك وجدنا الأمّ وحولها صديقاتها والنّدّابات جالسات على الأرضيّة عند مدخل البيت، وعلى وجوههنّ مظاهر الحزن والأسى الملائمة لظروف الجنائز. وفور قيامنا بتقديم العزاء بدأن مشهدًا هستيريًّا. كانت كلّ منهنّ قبالتنا ممسكة بمنديل

[1] الحِنَّة: صِبغَة برتقاليّة تميل إلى الحمرة تُستخدم في تلوين أظافر اليدين والقدمين وجزء من الوجه والشعر. وتعتبر من أدوات الزينة المعتادة لدى النساء، لكنّها تُستخدم بصفة خاصّة في أيّام الأفراح.

[2] المرجع:

GIAMBERARDINI G., *Preghiera*, 49.

تبسطه من طرفيه بعصبيّة وهياج وكأنّها علامة رفض لما يحدث. ولكنّ العبارات التي تطلقنها كانت تعادل الدعوة. «أنتو جايّين تعملوا إي؟ جايّين تخطفوه؟ لا، لا، هوّه ماماتش. ليه جايّين تحرمونا منّه؟ ؟ لا، لا: هوه لسّه حيّ. ادخلوا وشوفوا. هوّه ماماتش، لسّه حيّ». ثُمّ تبع ذلك البكاء اليائس والصرخات العالية. وبعد ذلك: «أنتو جايّين تباركوا فرحه؟ أيوه، تعالوا، هوه خلاص بقى راجل وعايز يتجوّز. تعالوا باركوه، وإحنا حانغنّي ونزغرت»[3]. ويلي ذلك فجأة موجة من البكاء تعود بالمشهد إلى حقيقته. وحين وصول أحد الأصدقاء يتكرّر مشهد المنديل ورثاء الميّت: «آه يا حبيبي، صاحبك جاي يزورك. قوم عشان تقابله. لا، أنت ماموتّش. صاحبك اللي بتحبّه جه، عايزك تِخِفّ (تُشفى): تعالى قابله». وفي الواقع، كلّ ما يدور في المشهد ليس إلّا خداعًا للذات وللتخفيف عن الوالدين. كان الشابّ المتوفَّى في فراشه تغطّيه ملاءة من رأسه حتّى إخمص قدميه[4].

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنّ كلّ شيء مذكور هنا وفقًا لمُشاهدات شخصيّة، موجود في الوثائق العتيقة السابقة للمسيحيّة، على الأقلّ من حيث خطوطه العريضة. هيرودوت، الذي زار مصر حواليّ عام ٤٥٠ قبل الميلاد، ترك لنا هذه المعلومات: «عندما يتوفّى رجل في أحد المنازل، تقوم جميع النساء في المنزل بتغطية رؤوسهنّ ووجوهِهنَّ بالطين. ثُمّ، يترُكْنَ المتوفّى في المنزل، ويخرجن للطواف في

[3] زغاريت أو زغاليط، زغاريد بالفصحى. اللفظة الأولى هي المستخدمة في مصر، وهو صوت معيّن يُشبه كركرة حادّة تُطلقها النساء كعلامة على الفرح. لكن في هذه الحالة ينُمّ عن سخريّة مُلتاعة.

[4] هذا المشهد عاصرناه في القُرى المُحيطة ببلدة أرمنت الحيط.

أرجاء البلدة وهم يلطُمن خدودهنَّ ويندِبْنَ، وتكون ثيابهنَّ مشدودة بحزامٍ عند الوسط، وصدورهِنَّ مكشوفة[٥]. واليهنَّ [تنضمّ] جميع قريباتهنَّ»[٦]. أيضًا من قبل عصر هيرودوت، نجد في مقابر الأشراف في طيبة، في المقبرة رقم ٥٥، رسمًا لا تزال ألوانه زاهية، يُصوّر تفاصيل الحزن والنُواح في جنازة لأحد أفراد الأسرة التاسعة عشرة. هناك أيضًا يُسيطر على المشهد منظر الندّابات بشعورهنّ المشعّثة وصدورهنّ المكشوفة. إنّه الموكب الجنائزيّ للنبيل راموزا، وزير الملك أمينوفيس الرابع وهو في طريقه إلى الجبّانة[٧]. لا يختلف عن ذلك موقف كاهنات حتحور أثناء مشاركتهنّ في جنازة سيروت Serut، حسبما هو مُصوَّر في مقبرته الكائنة في طيبة[٨]. هذا المنظر غالبًا ما تتكرّر مشاهدته أمام مومياوات مصر القديمة، على سبيل المثال في الموكب الجنائزيّ للملك المصريّ الواسع الشهرة توت عنخ آمون، من الأسرة الثامنة عشرة، المتوفّى في ريعان شبابه.

الإعلان التنبيهيّ الذي تقوم به النساء، يُكلّف الجميع بواجب الإسراع للحاق بالجنازة: الأقارب، الجيران، الأصدقاء، والكاهن. يتجمّع الرجال في سُرادق يُقام لهذه المناسبة بجوار منزل المتوفّى، وتُفرش الأرضيّة بالسجّاد وتُصَفّ فيه المقاعد. كما

---

[٥] نص المرجع:

«αὐτχὶ ἄνχ τὴν πύλιν στρωφώμεναι τύπτονται ἐπεξωμέναι καὶ φαίνονσαι τοὺς μαξούς».

[٦] المرجع:

ERODOTO, *Storie*, II, n. 85, ed. Legrand E., Paris 1948, 120.

[٧] المرجع:

LHOTE A., *La Peinture Egyptienne*, Paris 1954, tav. 22-25.

[٨] المرجع:

DE GARIS DAVIES N., *The tomh of Antefoker*, London 1920, tav. XXIII.

تتجمّع النساء في إحدى غُرف المنزل عينه. وكلّ مَنْ يَحْضُر عليه تقديم العزاء الواجب. الغالبيّة يقتصر حضورهم على مجرّد تقديم العزاء، فيجلسون لبضع دقائق محافظين على الصمت بدافع الاحترام. أمّا رجال الكنيسة فيتلون الصلوات ويقرأون نصوصًا من الكتاب المقدّس، ومن لديه المقدرة منهم يتناول الكلمة فيُلقي موعظة يُعدّد فيها مآثر المتوفّى ويذكر عبارات التعزيّة للأهل والأقرباء، ويختتمها بذِكر قيم الحياة الحاضرة والجزاء الأبديّ. وغالبًا ما تكون نفس النصوص والقصص الكتابيّة لأنّها الأكثر تأثيرًا لدى الأقباط. في المناطق الأكثر تطوّرًا تُستخدم مكبّرات الصوت كي يصل الصوت لكافّة أرجاء الحيّ، ويستمرّ الأمر حتّى ساعة متأخّرة من الليل. وهكذا يبدأ طقس الجنَّاز.

٢- وظيفة الكاهن:

الكاهن يكون من بين الذين يُسرعون للجنازة فعليه الدور الرئيسيّ فيها. وهو يحتلّ مكانة عالية لدى الأقباط، خاصّة في القرى، باعتباره خادم الله. وهو بمثابة الأبّ الروحيّ للعائلة، والكبار يعتبرون إخوته والصغار أبنائه. وقد قال عنه أحد الأقباط: «إنّه عميد عائلاتنا، ومُعلّم جماعتنا، والعُمدة الروحيّ لقريتنا». بالتالي واجبه هو مشاركتهم الفرحة في الرخاء، والتعاطف معهم والتخفيف عنهم في ساعة الألم.

ما إن يصله خبر مريض في شدّة المرض في نطاق إيبارشيّته، يبدأ على الفور زياراته المتكرّرة، لدعم المريض روحيًّا وتقديم الأسرار المقدّسة له. وعند الوفاة، يقوم بتلاوة صلاة طويلة على جثّة المتوفّى. ثمّ يلتفت إلى الأهل والأصدقاء الذين

حضروا لتقديم الواجب ويُلقي عليهم كلمات التعزيّة. ويحاول إقناعهم ومنعهم من البكاء والصراخ على الأقلّ لوقت وجيز، وينهاهم بنحوٍ خاصّ عن صرخاتهم الفوضويّة. وفي تلك المناسبة يجب عليه ألّا يبخل بالوقت ولا بالمشاعر.

حينما تهدأ الأمور قليلًا، يبدأ في التشاور مع العائلة أو المهتمّين بأمور الجنازة حول تحديد موعد المراسم الدينيّة وموكب الجنازة ثمّ يستأذن للانصراف. في الوقت المحدّد للجنازة يعود إلى المنزل وبرفقته **العرّيف** وهو مُعلّم الألحان، والشمامسة مرتدين القمصان البيضاء (**التونيّة**) المُطرّزة بالصلبان والوشاح الأسود ومعهم حامل الصليب. يدخُل الكاهن في الغرفة الملتهِبة بالحزن لكي يتلو صلاة على الميت أو حسب عادات القرى الأخرى ينتظر خارج البيت حتّى توضع الجثّة في الصندوق ويخرجون به في موكب متّجهين إلى الكنيسة. هناك يبدأ الطقس الجنائزيّ وفقًا لترتيب المراسم الليتورجيّة التي تتضمّن العديد من الصلوات، وبعد التعزيّات الإيمانيّة وتعديد مآثر المتوفّى، يجب على الكاهن توجيه التعزيّات للأهل وتخفيف أحزانهم.

يقوم الكاهن بمرافقة النعش من الكنيسة حتّى المقبرة، حيث تُقام بعض المراسم بتلاوة الصلوات الطقسيّة، ثمّ يتناول حفنة من التراب ويُلقيها على القبر وهو يقول: «إنّك تراب وإلى التراب تعود». بعد ذلك يتمّ الدفن، ثمّ يتناول الكاهن الكلمة من جديد، لكن بطريقة سريعة وأبويّة أكثر، لكي يُهدّئ من روع المتعلّقين بالمتوفّى فيكفّوا عن بكائهم وصراخهم ويستسلموا لمشيئة الله. ويختتم بتقديم تعزيّاته الرسميّة للعائلة.

لكنّه لا ينصرف، بل يُرافق الأهل إلى منزلهم ويبقى معهم حسبما يليق من الوقت. ويتقبّل منهم القهوة السادة الخالية من السكّر كدليل على مشاركته في أحزانهم. وبعد ذلك ينصرف.

تتكرّر زيارة الكاهن لمنزل المتوفّى لمدّة ثلاثة أيّام متتالية دون انقطاع. يدخل السرادق الذي يتجمّع الرجال فيه، وينتقل إلى الغرفة التي في داخل المنزل حيث تتجمّع النساء. ويقوم بقراءة بعض نصوص من الكتاب المقدّس المختارة للمناسبة ويقوم بالتعليق عليها أمام الرجال والنساء. حال دخول أشخاص جدد لتقديم واجب العزاء يجب على الكاهن أن يكون مستعدًّا دائمًا لتقديم كلمة أو فكرة دينيّة للتخفيف من حدّة الموقف، حيث إنّه لا أحد يجهل كونه رَبّ البيت الروحيّ. وإذا ما حدث أنْ حضر كهنة آخرين، عليهم هُم أيضًا واجب إلقاء كلمة. العجيب بالطبع هو كونهم على استعداد دائم لإلقاء الخُطَب. لكنّ الأقباط لديهم معرفة وأُلفة بالكتاب المقدّس. وهذا ما يؤكّده أحد الكهنة: «نحن لا نجد أنفسنا في وضع محرج في مثل هذه الحالات بشأن اختيار موضوع المواعظ. فالكتاب المقدّس مليء بالقصص والأمثلة والنصوص التي تُلهِم عزاءً فعّالًا في وقت الحزن».

الأصدقاء المسلمون يحضُرون أيضًا لتقديم واجب العزاء، ففي مثل هذه الظروف، تكون الزيارات مُتبادَلة. بالنسبة للجنازات الإسلاميّة، التي ينبغي أن تستمرّ لمدّة سبعة أيّام، ولكنّها عادة ما تُختصَر إلى ثلاثة[1]، يُدعى الفقيه، أي الخبير في

---

[1] المرجع: BLACKMAN, *Fellahs*, 100.

شريعة الإسلام. وهذا يكون مُمسِكًا بيده المِسبَحة ويُعدِّد على حبّاتها بصوت عالٍ سِمات الله (أسماء الله الحُسنى) ويُكرّر آيات من القرآن الكريم، تُلائِم هذه اللحظة. وهو يفعل هذا من منظور جلب الراحة لنفس المتوفَّى. يظهر المسيحيّون أيضًا بين المتكلّمين، خاصّة إذا كانوا كهنة، فالاتّصال العلمانيّ يضع كلَيهما على نفس المستوى في أمور كثيرة.

خلال اليوم الثالث يذهب الكاهن إلى منزل المسيحيّ المتوفَّى، ولكنّ هذه المرّة يذهب بصفة رسميّة لأداء طقس معيّن، ألا وهو **صرف الروح**. أوّلًا يقوم بإلقاء موعظة، وإن كان ذلك في القرى يُمكن أن يلقي أكثر من موعظة، ويلي ذلك بقيّة مراسم الطقس. فيتمّ إعداد طاولة صغيرة، يوضع عليها ماء وخبز وملح، وفي بعض القرى أطباق من الخضراوات. وإضافة إلى ذلك: البخور، والمياه المباركة والريحان(١٠)، وفي الوسط يوضع الصليب، تُحيط به شمعتين. بعد إعداد كلّ شيء يواصل الكاهن تلاوة الصلوات الطقسيّة، وعند نهايتها يستخدم الريحان مع الماء المبارك في رشّ غرفة المتوفَّى، فراشه وأثوابه ومفروشاته. ويختتم برسم علامة الصليب على جِباه جميع الحاضرين، رجالًا ونساء. في بعض الأماكن يتزامن هذا الطقس مع غروب الشمس. يلي ذلك في النهاية وجبة العشاء التي يجب على الكاهن المشاركة فيها كعلامة على قرابته والتزامه تجاه العائلة التي ابتلاها الحزن. هكذا يبدأ

(١٠) الريحان هو الذي تُحدّده الليتورجيا، راجع:
GABRIELE V, *Ordin. Litutgico*, 428.
لكن في حالة تعذّر الحصول عليه يُفضّل البقدونس وهو المستخدم بالفعل.

الهدوء يعود إلى الدار بعد مغادرة **الروح**(١١). وسنناقش ماذا تكون هذه الروح في الفقرة التالية.

٣- تَدَخُّل الأرواح:

الأرواح الشرّيرة، والملائكة التي أرسلها الله، والروح التي تنفصل بألم عن الجسد، كلّها معًا تخلِقُ كابوسًا يُخيّم على البيت الذي يموت فيه المصريّ. زد على ذلك الأشباح التي يخلقها الخيال المُستثار.

الاتّصال مع الأرواح، وخاصّة الحماية من الأرواح الشرّيرة، هاجس يوميّ. ويكفي حضور الاحتفال بعيد مار جرجس لرؤية المشهد. مجموعات بكاملها من الممسوسين، غالبيّتهم من النساء، يبقون في الكنيسة لفترة تتراوح بين يوم وسبعة أيام منتظرين معجزة التحرّر من الروح الشرّيرة. في الطويرات عام ١٩٦٢ رأينا فتاة تبلغ من العمر ١٧ عامًا كانت تخضع لطقس طرد الأرواح الشرّيرة منذ ثلاثة أيام، وقيل لنا: «لديها سبعة شياطين». «ثلاثة خرجوا من أظافرها وكعب قدمها، تاركين فيه جرحًا، والبقيّة ما زالت تُقاوم. الشيطان، الشرير، قادها تحت الأرض، وسلّمها خاتم الزواج وهدايا أخرى. لكنّها تتعرّض للإهانة من جانب زوجة الشيطان».

(١١) لا يزال الاعتقاد موجودًا حتّى في البيئات المُتعلِّمة. وبينما نحن بصدد كتابة هذه السطور، تلقّينا تأكيدًا على ذلك. ففي أحد أديرة القاهرة، توفّيت إحدى الراهبات، وبعد بضعة أيام أتت رئيسة الدير الأوروبيّة ترجونا أن نُبارك الغرفة والأشياء لكي **تنصرف الروح**. فهل هي تعتقد بهذا أيضًا؟ لا، بل كانت هناك راهبة **قبطيّة**، متقدّمة في السن، تشكّت من أنّها لم تَعُد قادرة على أداء مهامّها في ذلك المكان. حيث إنّها قالت إنّ الروح سوف تَعلَق وترفرف دائمًا هناك، ما لم يأتِ الكاهن وينفّذ طقوس اليوم الثالث.

وكبرهان على ذلك أظهروا خاتمًا به خصلة من الشعر، ولم يكن هناك أدنى شك عند محاورينا: «إنّها هدية الشيطان».

هناك مشهد أكثر إثارة عاصرناه في كفر الدوّار بتاريخ أوّل مايو ١٩٦٣، وكان هذا هو اليوم الأخير في عيد مار جرجس. كان حوالي نصف الرواق الأيمن في الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة ممتلئًا بالممسوسات، مسيحيّات ومُسلمات معًا. كُنَّ جميعًا يرتدينَ زيًّا موحدًا: ثوبًا طويلًا أبيض اللون وغطاء للرأس أبيض اللون أيضًا. لم يكُن هناك نظام: البعض مستلقي على الأرض، والبعض الآخر يجلس القرفصاء بينما تقف أُخريات مِنهُنَّ. في لمح البصر كشفت واحدة منهنّ رأسها وبعثرت شعرها فوق كتفيها وراحت تُحرِّك رأسها حركة موجيّة متسارعة إلى حدٍّ بعيد. كان الشعر مبعثرًا بفوضويّة، والوجه ملتهِبًا إحمرارًا، والعينان براقتين، والرأس يتأرجح بإيقاع مُتسارع، واستمرّ ذلك قُرابة رُبع ساعة. المقاومة كانت مثيرة للدهشة، وعلّق شخص بجواري قائلًا: «الشيطان هو الذي يجعلها تفعل هذا». وانتهى أمرها بالانطراح أرضًا منهكة تمامًا، فغطتها اللواتي بقربها بوشاح من رأسها حتّى إخمص قدميها. ثمّ انتشر الهياج كالعدوى، حتّى وإن اختلفت الحركات، فها هي واحدة ثانية من الممسوسات، وكانت جالسة على الأرض، تهزّ قدميها وتبسط ذراعيها لتحقيق التوازن، وتؤرجح رأسها وترمق من حولها بنظرات شرسة. وبالمثل راحت الحركات تتسارع تدريجيًّا حتّى تبلغ ذروتها. كما راحت القريبات منها يتّخذن حذرهنّ من الركلات واللكمات، ويحاولن تغطية ما يتعرّى من جسد الممسوسة. وبدأت واحدة ثالثة حركاتها بحِرص: تضع أصابع إحدى اليدين قبالة أصابع اليد

الأخرى، ثمّ تضغطها بشدّة مرارًا وتكرارًا وبعد ذلك تمرّ بيديها مقوّستين على صدرها وبطنها. الضغطات المتشنجة هي نتيجة الكثير من التقلّصات. وقد أكّدَ الرجل الواقف بجوارنا باقتناع: «إنّها تحثّ الشيطان على الخروج». ثمّ استمرّت هذه الحالات وتعدّدت وتنوّعت الحركات. الغريب في الأمر هو أنّ الحركات كانت متوافقة في إيقاعها مع إيقاع اللحن الطقسيّ الذي يُنشده العرّيف في مكبّر الصوت. وفي النهاية يُجبر الشيطان على الخروج بشفاعة مار جرجس الذي دعاه أبونا ميخائيل راعي الكنيسة القبطيّ الأرثوذكسيّ. فهذا الكاهن قام بالصلاة، لكنْ أيضًا قام بالعمل: قصّ بالمقص قطعة من طرف الثوب الذي كانت ترتديه الممسوسة، ثمّ عرضها على الشعب الشغوف مشيرًا إلى بقع الدمّ عليها المصفوفة بشكل اسم **مار جرجس**. الكتابة باللغة العربيّة وفي بعض الحالات بلغة أوروبيّة. الجموع تنظر وتؤمن ثمّ تُعلِّق: «من خلال طرف الثوب هذا خرج الشيطان! ولكونه غاضب، تسبب في خروج ذلك الدمّ من المريضة المسكينة! لكن اسم مار جرجس برهان على قدرة قدّيسنا صانع العجائب!». حينئذٍ تُدوّي **الزغاريد** كختام لطقس طرد الأرواح الذي نجح في مسعاه. لكنّ الطقس لا يكون فعّالًا دائمًا خصوصًا لو كان قد سبقه **الزار**[١٢]، وقد شاهدنا هذا في ميّت دمسيس بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٦٣[١٣]. مع

---

(١٢) الزار، شعائر إسلاميّة، من حيث هدفها تشبه طقس طرد الأرواح المسيحيّ. توفيق حنّا في مقالته "حول الفلكلّور المصريّ" التي نُشرت مجلّة "الثقافة" الأسبوعيّة – ٣٣ (القاهرة، ١٩٦٤) ٣٥-٣٨، افترض أنّ الزار أصله رقصة دينيّة قديمة، أو بالأصح طقوس سحريّة بدائيّة. من يُمارسه بغرض التخلّص من الروح الشرير، يقوم بهزّ يديه ورأسه وجسده، ويواصل ذلك حتّى تتسارع الحركات المتموّجة ويتفوّه في نفس الوقت بتعبيرات غير مترابطة. يقول الأقباط في مزار مار جرجس أنّ القدّيس لا يتدخل لو كان الممسوس قد وثّق في **الزار** قبل حضوره إلى المزار.

ذلك، في أغلب الحالات يظلّ الاقتناع بأنّ تلك **الزغاريد** هي دليل على مجموع خرافات أكثر من كونها معجزة[14].

في حالات ليست بقليلة يطلب **الروح الشرير** موت ضحيّته، لذا إذا ما بدا أنّ القائم بالطقس ليس قديرًا يكون اللجوء إلى السحرة تفاديًا للخطر. فالسحر لم يبتعد عن مصر أبدًا. في عصر مصر القديمة كانت هناك صيغة يتلوها السحرة بغرض حفظ المرأة من حبائل **روح من النوعيّة الأنثويّة** يستهدف خطف الأطفال من

---

[13] يوجد مزار لمار جرجس أيضًا في هذه القرية من قُرى الدلتا، ويُحتفل بعيده في الفترة ٢٣ إلى ٢٩ أغسطس. وقد أخبرنا الكاهن القبطيّ الأرثوذكسيّ بمبالغة كبيرة، أنّه يبلغ عدد الزوار في هذه المناسبة قرابة المليون نسمة. بلا شكّ عدد الممسوسين بأرواح شيطانيّة يكون كبيرًا، لكنّنا لم نهتمّ إلّا بحالة معيّنة. ففي جانب من الرواق الأيمن للكنيسة، كانت تجلس هناك إمرأة شابّة مسلمة. كانت هناك منذ أربعة أيّام، لأنّ الشيطان لا يريد الخروج منها إطلاقًا. وقال لنا أحد الأقباط: "إنّه لا يريد الخروج لأنّها قد مارست الزار". قال لها الكاهن: "دعينا نحاول مرّة أخرى، فأطاعته وتمدّدت فوق الحصيرة وتمّت تغطيتها بملاءة بيضاء حتّى رقبتها، وبدأت حركاتها. كانت تُغلق عينيها بقوّة وتومئ بيديها وترفع قدميها ثمّ تبسطها من جديد، وتتماوج بجسدها، كان صدرها أحيانا يلتصق بالأرض وأحيانًا أخرى يتقوّس، وتُطلق صرخات وتنوح بشكل مخيف. واستمرّت التشنّجات العصبيّة مرارًا وتكرارًا، وفي النهاية همست في أذن الكاهن: "كلّ هؤلاء الناس تجمّعوا من أجلي؟ لكن لن أتركها". كان تعليق الحاضرين الذين اعتادوا على هذه الأمور الغريبة: "الشيطان هو الذي يتكلّم بلسانها". حينئذٍ بدأ الكاهن في قراءة نصوصًا إنجيليّة، ويتلو صلوات طقسيّة، ويُهدّده لكي يخرج، وكان يرسم بكتاب الإنجيل علامة الصليب مرارًا وتكرارًا على الجبهة والوجه وعلى الجسد كلّه ويضرب به اليدين والركبتين والقدمين. ولكن كان كلّ شيء بلا جدوى، لأنّها خضعت لشعائر "الزار" من قبل. بأمر الكاهن تمالكت المريضة نفسها، وانبسطت تحت الملاءة ورقدت كأنّها امرأة هادئة انتظارًا لمحاولة أخرى.

[14] إلى جانب إمكانيّة حدوث المسّ الشيطانيّ وفعّاليّة طقس طرد الأرواح، الجزء الأكبر من الحالات التي لاحظناها في مصر يتطلّب تفسيرًا آخر. هستيريّة المرضى وسهولة اعتقاد العامّة وطموح الشهرة الذي يسعى إليه القائمون بالطقس تُخبِر بالكثير في هذه البلاد الحارّة.

أمّهاتِهم[15]. هذا الاعتقاد الذي ظلّ حيًّا مدّى القرون[16]، منتشر فعلًا على نطاق واسع بين جميع المصريّين مسيحيّين ومُسلمين. الروح الذي يخطف الأطفال يطلقون عليه اسم **القرينة**. هذا الاسم واسع المعنى، فهو يعني: **الزوجة، الشريكة، الرفيقة، الأخت**. بَيْدَ أنَّ المعنى الأخير يتّفق مع ما روته سيّدة من منطقة أنطونيادس في الإسكندريّة. هذه السيّدة كانت قد فقدت ابنة لها، وكانت تقول وهي غاضبة مُلتاعة، وبلا تردّد: «لقد قتلتها أختها!». في البداية كان لدينا سوء فهم، لكنّها شرحت الأمر: «إنّها ليست أختها الجسديّة بل **عفريت**[17]. فكلّ شخص يتبعه روح،

---

[15] المرجع:
ERMAN A., *Zambersprüche für Mutter und Kind*, Berlin 1901, 30 Ss..

[16] هناك مجموعة من التعاويذ السحريّة يرجع تاريخها للقرون المسيحيّة الأولى وردت في المرجع:
WESSELY C., *Anciens monuments*, in PO, 4, 183-192.
هناك صيغتان مطوّلتان، إحداهما عتيقة وُجدت في أسيوط والأخرى حديثة تسلّمناها في القاهرة، محفوظتين في أرشيفنا بالموسكي. الصيغ التي يستخدمها المحترفون، المكتوبة في صفحات منفردة أو المجموعة في كُتب، موجودة في كلّ مكان، خاصّة في قُرى الصعيد، مصر العليا.

[17] العفريت، من فئة الجِنّ. راجع: القرآن الكريم، سورة النمل،٣٩ وأيضًا:
ed. ital. Bausani A., Firenze 1955, 276.

وللمعالجة النقديّة راجع:

WENSINCK-KRAMERS, *Islam*, 199.
الكلمة تُعبِّر بصفة عامّة عن فكرة كائن شرير. وقد انتشرت في مصر بسهولة ويُقال: "فُلان مَسَّهُ (أو لِبْسُه) العفريت- عِفريت مُسلِم -عِفريت قبطيّ- عِفريت كاثوليكيّ". المعنى: مَسَّه عدوّه، والعنصر الدينيّ دافع للتميز. حيث أنّ الفكرة بالإضافة إلى الروح المحضّ تتضمّن الروح البشريّ أيضًا. القاعدة العريضة من الشعب يسيطر عليها الاعتقاد في السحر والتنجيم. عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ في مدينة القاهرة حدث تعاطف كبير مع حالة الطالبة المسلمة راجية محمد شحاتة البالغة ثمانية عشر عامًا من العمر. فقد شاهدت في الحمام قزمًا عجوزًا يرتدي زي راهب بعمامة سوداء وثوب بنيّ اللون، ويمسك عصا في يده وحول رقبته حبل يتدلّى منه صليب كبير. تكرّرت الرؤية طوّال عامين، لكنّ الأغرب هو ظهور آثار دمويّة بشكل صليب على جسد الفتاة، وكانت تختفي من منطقة ثمّ تظهر ثانية في منطقة أخرى. الأمّ هي

ينبغي اعتباره بمثابة أخوه أو أخته، ويُسمّى قرينَه. وعادة ما تسكن تحت الأرض، لكنّها غالبًا ما تخرج وتحمي وتدافع وتوبّخ وتعاقب وتقتل. إنّها تتصرّف وفقًا لسلوك الخاضع لها. الموت المفاجئ وغير المتوقّع ينبغي أن يُنسَب للقرينة، فهكذا ماتت ابنتي. فهي، للأسف، كانت قَلِقَة وعصبيّة وغير متّفقة مع القرينة ولذا قتلتها القرينة».

ها هي إحدى الصيغ التي يستخدمها السحرة لإبعاد روح الموت: «اخرج من هنا فورًا، أنت يا مَنْ تأتي من الظلمات، أنت يا مَنْ تتسلّل بخُبث، أنت يا مَنْ أنفك خلف رأسك، أنت يا مَنْ تحوم بنظراتك. يا مَنْ تُخادع بشأن سبب مجيئك. هل أتيت لكي تحتضن هذا الطفل؟ أنا لن أسمح بأن يأخذ قُبلَتك. أتيت لتقتله؟ أنا لن أسمح بذلك. لكي تضايقه؟ أنا لن أتحمّل ذلك. لكي تخطفه؟ أنا لن أتركه. لقد حَصّنته بالحماية منك بعُشب إفزيّ، بالبصل الذي يجعلك تتألّم، بالعسل اللذيذ عند الأحياء والمرير عند الموتى، بظهر السمكة الفارسيّة، إلخ»[18]. من الواضح، أنّه بمثل هذه التعاويذ ظلّ مُعتقَد الشعب المصريّ القديم بالخاصّيّة الغامضة للكائنات حيًّا[19].

التي تحقّقت من هذه الظاهرة، وتحقّق منها الأطباء والمدرّسات أيضًا. وذاع الخبر في الصحافة، راجع: التحرير، ١٢ مارس ١٩٥٧، عدد ٣٠٤؛ صوت النيل، ١٦(١٩٥٧)، ٥٢-٥٥. نحن أيضًا أُتيحت لنا فرصة التعامل طويلًا مع الشابّة التي قدّمت لنا ألبومًا من الصور كدليل على ما حدث. لكن لم يستطِع أحد تفسير الأمر.

[18] المرجع:

BLACKMAN, *Fellahs*, 274s.

[19] من المعروف أنّ المصريّين القدماء كانوا يكرّمون العديد من الكائنات الحيّة والجماد، للاستفادة من الفضيلة السرّيّة التي لكلّ منها. والسحرة يحافظون على هذا التقليد حيًّا حتّى يومنا هذا.

عندما يحدث الموت فعلًا، يُعتقَد أنّ البيئة تصير ملائمة لانتشار العفاريت. إنّها كابوس، حتّى أنّ القدّيسين أيضًا يردّدون:

«يا ربّ، أتوسّل إليك ألّا تدعني لقبضة قوّات الظلمة، التي في الهواء، تلك التي تُزعجني بالشرّ، وتعرقل مسيرتي نحوك»[20].

«Domine, deprecor ne vim afferant mihi tenebrarum potestates, quae in aëre sunt, quae ad nequitiam pertinent, et cupiunt infestare iter meum ad te».

العذراء مريم أيضًا في ساعة موتها طلبت معونة ابنها[21]. بل إنّ هذه النقطة تتطوّر بتوسّع حينما تتناولها السير الذاتيّة.

بَيدَ أنّ الرجاء يزدهر حين يتوجّه التفكير نحو تَدَخُّل الملائكة الأخيار، وهم في العادة اثنين: ميخائيل وجبرائيل. فحينما ينزل المسيح كي يأخذ الروح، يقف ميخائيل عن اليمين وجبرائيل عن اليسار، ولكن تعدّدت واختلفت الآراء بشأن غاية تدخّلهما، وهذا ما يُستشفّ من الوثائق المكتوبة. باختصار، ينبغي عليهما أن يُقنِعا الروح بمغادرة الجسد، ويُعزونها بتركها ثلاثة أيّام في بيتها من أجل راحتها وراحة الأهل، ويرافقانها في طبقات السماء وفي تلك التي تحت الأرض إلى أن يقودانها إلى جوار الله حيث ينبغي عليها أن تُقدّم حسابًا عن عملها. لقد نشرنا مؤخرًا وثيقة موجزة مكتوب فيها أنّ روح المتوفّى تظهر بجوار مَلَكَين[22]. المسلمون

[20] «Domine, deprecor ne vim afferant mihi tenebrarum potestates, quae in aëre sunt, quae ad nequitiam pertinent, et cupiunt infestare iter meum ad te ». *Acta Mart.*, CSCO, 44, 70.

[21] المرجع:

GIAMBERARDINI, *Assunzione*, 10 ss.

[22] المرجع:

GIAMBERARDINI, *Preghiera*, 66, n. 15.

أيضًا يعتقدون في وجود مَلَكَين، يعرفونهما تحت اسميّ **المُنكر والنكير**[٢٣]، ومهمّتهما هي استجواب الروح، تشجيعها أو ترهيبها، إثابتها أو عقابها وفقًا للحسنات أو السيّئات. وسنعود للحديث عن ذلك في الفقرة ١٢ بعنوان **أسئلة مُباشِرَة**.

في اليوم الثالث، الروح التي تُحيط بها الأرواح الشرّيرة ويقف بجوارها المَلَكان الخيّران تكون لا تزال ضيفًا في بيت أهلها، ولكنّه يكون اليوم الأخير. فبالفعل لكي تنصرف يُدعى الكاهن لممارسة طقس **صرف الروح**، الذي تحدّثنا عنه آنفًا.

بعد ما عرضناه، الآن يُفهَم على نحوٍ أفضل لِمَن يمتدّ الصَرف. تتنوّع الإجابة على التساؤلات: أحيانًا الروح، وأحيانًا الملائكة الأشرار، وأحيانًا أخرى الملائكة الأخيار. الروح هي التي ينبغي أن تنصرف، لكن في الواقع، تُغادر البيت الأرواح الخيّرة والشرّيرة مع الروح، لأنّها كانت متّحدة بالروح من منظرها.

٤ - التعامل مع الجسد:

الجسد الذي صار بلا روح، يتمّ إعداده للدفن. بالطبع اليوم لا يتّجه التفكير نحو محاكاة عمليّة التحنيط البارعة التي استخدمها المصريّون القدماء، الذين كانوا يعتبرون أنّ الحفاظ على الجسد ضمان لخلود الروح[٢٤]. وقد أوصى القدّيس أنطونيوس الكبير، تنفيذًا للمفهوم المسيحيّ، بترك هذه الممارسة، وأوصى بأن يُكفّنوا

---

[٢٣] المرجع:

WENSINCK-KRAMERS, *Islam*, 542 s.

[٢٤] المرجع:

GIAMBERARDINI G., La Relegione Faraonica, in La Voce del Nilo, 18(1959). 212.

جسده ببساطة بعد وفاته[٢٥]. ومع ذلك، فإنّ العديد من التفاصيل خالف أصلها الموجود في التراث.

تهيئة الجسد للدفن يقوم بها الأهل، من أجل قصر الخصوصيّة تمامًا على العائلة. وهم مُلزَمين أوّلًا **بغسل جسد المتوفّى**. ومن المُعتقَد أنّ هذا الفعل الرحيم هو امتداد لتقليد متواصل وعتيق جدًّا، ثابتة صحّته بمثال من الكتاب المقدّس[٢٦]. وقد انحسر هذا العمل الواجب ولكنّه مازال باقيًا لدى المسلمين فإذا أُهمِل ستكون وصمة في جبين العائلة ونقص في احترام المتوفّى. أيضًا هناك عادة **مسحة الزيت**، وهي أقل انتشارًا ولم تختفِ تمامًا، فبعد غسل الجسد يتمّ وسمه بالزيت. في كتاب **الترتيب الطقسيّ** للبابا الأنبا غبريال الخامس، نجد وصف الطريقة التي تقتصر على ثلاثة رشومات برسم الصليب بطول الجثّة[٢٧].

استخدام الزيت يمتدّ حتّى القبر[٢٨]، والدليل على ذلك هو أوعية الزيت فوق شواهد القبور القبطيّة[٢٩]. **الحنّة** أيضًا عنصر آخر يستخدم في هذا الظرف وهي مادّة

---

[٢٥] «لقد رأيتم كيف وبّخت أولئك الذين يتمسّكون بهذه الممارسة، وكيف أمرتهم بالامتناع عن مثل هذه العادة. لذلك عليكم أن تدفنوا جسدي تحت الأرض، وتحترموا كلماتي بحيث لا يعرف أحد، سواكم أنتم وحدكم، المكان المدفون فيه جسدي. ومن هناك سآخذه في يوم الربّ». المرجع:

GIAMBERARDINI G., S. *Antonio Abate-Astro del deserto*, Cairo 1957, 5 s.

[٢٦] إنّها حالة وفاة طابيثا: «فغَسَّلوها ووَضَعوها في عُلِّيَّة» (أع ٩: ٣٧).

[٢٧] «يصُبّ الكاهن الزيت النقيّ فوق المتوفّى [برسم] الصليب ثلاثة مرات من أسفل إلى أعلى، ويبدأ الشعب كلّه في أخذ بركته ووداعه ويُتلى مزمور الرحمة التعزية لأهلِهِ»، الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٤٢٦.

[٢٨] طقس المسح بالزيت متّسع لدى الأقباط، فهم يمسحون الطفل في المعموديّة وفي التثبيت. ويمسحون الكهنة في سرّ الدرجة المقدّس، والزوجين في سرّ الزواج المقدّس، كما يمسحون المرضى والأموات.

[٢٩] توجد مجموعة كبيرة في المتحف القبطيّ بالقاهرة، القاعة ١٨-١٩، راجع:

تلوين يميل لونها إلى الأحمر القاني. تستخدم لصبغ أظافر اليدين والقدمين، وبعض مناطق الوجه والشعر. ويستخدمونها في الأرياف بكثرة في الأفراح. أيضًا في حالة الوفاة يقتصر استخدامها على الشباب المتوفّين، فيما يشبه التوهّم، الذي لا طائل من وراءه، بموت ظاهريّ أو غير واقعيّ لا يزال يتيح الزواج في المستقبل. هذه الممارسة وجدناها في منطقة الأقصر، بالإضافة إلى إمكانيّة ملاحظة مومياوات من العصور المصريّة القديمة تحمل آثار الممارسة عينها، ممّا يدلّ على أنّها مسألة موروثة عن الأسلاف.

بعد ذلك **الملبس**، إذ يستخدمون ملابسًا جديدة في العادة، أو نظيفة على الأقلّ وبيضاء اللون، لكن لا يخلو الأمر من التغيير في التفاصيل طبقًا للحالة. للمرأة المتزوّجة يُفضّل ثوب العُرس، أمّا إذا كان المتوفّى **مُقَدَّس**، أي سبق له الذهاب لزيارة بيت المقدِس (أورشليم)، فتُفضّل الملابس البيضاء التي استخدمها في رحلته المقدّسة. وإذا كان كاهنًا يُلبسونه ثوبه الكهنوتيّ وعلى رأسه غطاء الرأس الأسود، **القلّوسَة** عند الكاثوليك، **والعِمَّة** عند الأرثوذكس. وبالنسبة للجميع باستثناء الإكلّيروس والرهبان، فوق الملابس السابق ذكرها يستخدمون **الكَفَنْ** **والبُرنُس**.

إنّهما عنصرين مثيرين للاهتمام حيث إنّهما يرجعان إلى ممارسات شرقيّة قديمة، كما في حالة لعازر الذي من بيت عنيا[30]، إن لم يكونا منحدرين مباشرة من إجراءات جزئيّة في عمليّة تحنيط المومياوات المصريّة[31]. يتكوّن **الكفن** من شريط عريض من القماش

GIAMBERARDINI, *La Preghiera*, 57-73.

[30] «مَشدودَ اليَدَينِ والرِّجلَينِ بالعَصائِب، مَلفوفَ الوَجهِ في مِنْديل» (يو ١١: ٤٤).

[31] كانوا يستخدمون لفائفًا عديدة وطويلة، مغموسة بالصمغ العربيّ، يلفونها حول الجثّة. راجع:

الأبيض يصل طوله أحيانًا إلى عشرة أمتار، ويتمّ لفّه حول الجسد من القدمين حتّى الرأس بتكرار حتّى طرفه الأخير، ثُمّ يُربَطُ في النهاية. أمّا **البُرنُس** فهو غطاء للرأس (يشبه الكابوتشو[32])، يُغطّي الرأس ويبقى مربوطًا بارتفاع العنق. وبعد إتمام ما سبق توضع الجثّة في صندوق الموتى كي تُنقَلُ إلى الكنيسة أوّلًا وبعد ذلك إلى المدافن.

في بعض القُرى، مثل دير درُنكة بمنطقة أسيوط، قبل أن يضعوا البُرنُس يدخلون عملة معدنيّة من فئة **القِرش**[33] في فمّ المتوفّى ويتركونها فيه. حين سألنا عن سبب هذه الممارسة أعطونا سببًا عامًّا: إنّها من أجل احتياجات الحياة الأخرى. إنّه ثمن رمزيّ لدفع ضريبة **جمركيّة تحت الأرض**، من أجل الحِلّ من الخطايا ودفع مقابل الدخول في الحياة الأخرى. كلّ هذه الأمور تُثير الاهتمام بدراسة مقارنَة لتأثير الممارسات المصريّة القديمة. فالمقابر التي تُكتَشَف تثير الدهشة دائمًا لما فيها من كنوز ثمينة وأيضًا مواد غذائيّة وفيرة كان يجب وضعها لكي تضمن لقدماء المصريّين رحلة سعيدة في مرحلة ما بعد القبر الغامضة. بالتالي الاستخدام الحالي للقِرش ما هو إلّا تذكار.

٥- الموكب والرقص الجنائزيّ:

يُجهَّز النعش للخروج به، لكن قبل أن تتوارى الجثّة نهائيًا يقوم الأقارب بأداء واجب إلقاء **النظرة الأخيرة**. فبينما الندّابات يبدأن ندبهنّ، يقوم الأقارب بالتحديق

GIAMBERARNI, *Religione Faraonica*, 212.

[32] هو غطاء الرأس للرهبان الفرنسيسكان، وهو جزء من ثوبهم الرهبانيّ. وقد كان يستخدمه الفلّاحون في إيطاليا، فاستوحاه القدّيس فرنسيس الأسيزيّ (مؤسّس الرهبنة) منهم. (المحرّر).

[33] الجنيه المصريّ يحتوي على مائة قرش.

طويلًا في فقيدهم العزيز. هذا الفعل أيضًا حلقة أخرى مرتبطة بحلقات التقليد، ففي تلّ العمارنة هناك رسم يصوّر الملك الثائر أخناتون وزوجته وهما يثبّتان نظريهما بتركيز على جثّة إحدى بناتِها[٣٤].

في الساعة المحدّدة يصِل الكاهن، ويقوم بالصلاة والبركة ثمّ يأمر بمواصلة الإجراءات، حيث يكون الموكب الجنائزيّ هو الأثقل وطأة. يخرج الجميع في الموكب الذي يتقدّمه حامل الصليب ثمّ الشمامسة والكاهن، وخلفهم النعش يحمله أربعة أشخاص أو أكثر على أكتافهم، وأخيرًا صفوف الأهل والأقارب والأصدقاء. وفي الأرياف مازالوا يستخدمون الترانيم الطقسيّة **باللحن الحزين**[٣٥] أثناء تَقَدُّم الموكب. ولا يختلف المسلمون في هذا، فيسيرون بخطوات سريعة الموكب الجنائزيّ مردّدين بصوت جماعيّ وإيقاع عميق اعترافهم الإيمانيّ[٣٦].

يتوجّه الموكب القبطيّ إلى الكنيسة، وبعد المراسم الطقسيّة يتوجّه إلى المدافن. أثناء سير الموكب في الطريق تُغلق المحالّ التجاريّة أبوابها أو تُسدل الخيام عليها، من باب الاحترام من جهة ومن الجهة الأخرى من باب المخاوف الخرافيّة. وإذا كانت العائلة من الطبقة القادرة ماديًّا، تُرافِق الموكب جوقة تعزف الموسيقى الجنائزيّة.

---

[٣٤] المرجع:

ERMAN A.-RANKE H., *Aegypten und aegyptisches Leben im Altertum*, Tubinga 1923, 365, fig. 164.

[٣٥] الأقباط يمكنهم تعديل الترانيم الكنسية وفقًا لما لايقلّ عن ١٩ لحنًا، لكن غالبًا في العادة يستخدمون ٨ فقط. يُستخدم اثنين من هذه الثمانية للتعبير عن الحزن (حزايني)، راجع:

GIAMBERARDINI, *La preghiera*, 8.

[٣٦] يتلون الشهادة أو الاعتراف الدينيّ للمسلمين وهو: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله.

وأثناء مرور الموكب يقف المارّة على جانبيّ الطريق في سلوك ينُمّ عن الجديّة والاحترام.

في داخل الكنيسة وفي المقابر كما ذكرنا في الفقرة الثانية، يقوم الكاهن بالطقس الدينيّ، وبعد أن يقول: «**أنت تُراب وإلى التراب تعود**»، ينطق بكلمات صرف الشعب الطقسيّة. حينئذٍ ينصرف الأصدقاء المشاركين في الموكب بعد تقديم واجب العزاء. وفي العادة أثناء ذلك يقولون عند مصافحة أهل المتوفَّى: «البقيّة في حياتك»، أي: إن كان المتوفَّى قد تُوفِّيَ قبل وقته، لتكن السنين المنتقصة من عمره مُضافة إلى حياتك أنت.

أمّا **الرقص الجنائزيّ** الذي يُمارس في وقت الحزن فهو أمر فريد، ليس متداولًا كثيرًا حسبما اتّضح لنا، لكنّه لم يُنسى. ففي الأرياف يصطفّ المشاركون في دائرة ممسكين حبلًا أعلى ظهورهم يضمّهم معًا؛ وإذ يحافظون على مسافة مناسِبة فيما بينهم، يبدأون اللفات الإيقاعيّة، في حين تكون يدّ ممسكة بالحبل، واليدّ الأخرى تُلوِّح أو تهزّ عصا، ويتفوّهون بعبارات تنمّ عن الخسارة والألم. في الليل، مع الظلال الأولى التي تُغلِّف الحركة يتّخذ المشهد طابعًا من الدعاء الغامض. عام ١٩٦٠ في أحد الشوارع الكبيرة في حيّ الموسكي بالقاهرة، دائمًا في الساعات الأولى من الليل كنّا نشاهد مرارًا وتكرارًا هذا الرقص. والجدير بالذكر هو نظامه: حبلان طويلان، وليسا بشكل دائرة بل متوازيين وعلى بعد أمتار قليلة من بعضهما. اصطفّ بهما صفّين من الرجال الذين راحوا يرقصون على إيقاع القائد الذي يتقدّمهم، وكانوا يتقدّمون ببطء بحركات مشابهة لتلك المذكورة أعلاه. المشاركون هم أقارب أو

أصدقاء، ولكن أولئك الذين هم الأكثر حزنًا، يفضّلون أن يحتفظوا بحدادهم في المنزل.

الانعزال في المنزل والثياب السوداء التي ترتديها النساء هي العلامات الأكثر اعتيادًا لفترة الحِداد. وكانوا حتّى يصرّحون لهم بالتحرّر من الالتزام بحضور القدّاس الاحتفاليّ طالما كانوا في حداد ولا يغادرون المنزل. كان الحداد يمتدّ لفترة عام يرتدون خلاله الملابس السوداء، بل كان البعض يندفع إلى ارتداء ملابس داخليّة سوداء أيضًا، وفقًا لدرجة القرابة مع المتوفّى، فضلًا عن امتداد فترة الحداد إلى ثلاثة أعوام. والأرامل يرتدين الملابس السوداء طوال حياتهنّ.

غاية في إحياء الشعور بالألم ولتحريك مشاعر الجيران يستخدمون مناسبات الأعياد الرئيسيّة، مثل الميلاد والغطاس والفصح. أولئك الذين يفقدون أحد أفراد العائلة أثناء العام، في سياق الأعياد المذكورة يجلسون على عتبة المنزل بثياب سوداء وينوحون بصوتٍ عالٍ. هذه الظاهرة لاحظناها في نقادة وفي فرشوط، حيث ينتشر البكاء في هاتين البلدتين ذات الكثافة السكانيّة العالية، لأنّ هناك من فقد الأمّ أو الأبّ، الابن أو الأخت أو الأخ. هكذا هو الحال أيضًا في الاحتفالات الكبرى، حيث إنّ تلك العادة مازالت حيّة، فينخرط الجميع في نحيب مشترك[٣٧].

[٣٧] في بعض الحالات يستدعون النذّابات أيضًا. وقد أوردنا في الفصل السابع الصيغ التي يستخدمونها في مراثيهن.

٦- الطعام في فترة الحداد:

في أيام الحداد لا يهتمّ أفراد عائلة المتوفّى بإعداد الطعام، بل الجيران والأصدقاء هم الذين يهتمّون بذلك، فذلك واجب متبادل. المشتروات تكون في الأيام الثلاثة الأولى، لا أحد يرفض الشراء، ولا أحد يرفض البيع. ولكن تسديد النفقات ينبغي أن يكون في اليوم الثالث، وتعتبر إهانة أن تُطلب النفقة أو تُدفع مقدّمًا. هنا أيضًا تدخل الخرافات في الأمر: فالمسألة تتعلّق بالموتى. وفي قرى الصعيد، حيث المحافظة على العادات والتقاليد مازالت بنضارتها الأصليّة، يرفض التجار قبول المال قبل غروب شمس اليوم الثالث.

وفقًا للعادات الموروثة، يجب أن يقتصر الطعام في الأيام الثلاثة الأولى على وجبة واحدة يوميًّا يشترك فيها جميع الأهل والأصدقاء. أولئك الذين يلتزمون بشراء المواد الغذائيّة وإعداد الطعام، لا يقتصدون في نفقات هذه الظروف، وبالتالي نظرًا للعدد الكبير من الناس ووفرة الطعام، تكون النفقات مبلغًا ضخمًا.

في بعض الأماكن لا تُشارك أسرة الفقيد في الوليمة، بل يتّبعوا نظامًا غذائيًّا معيّنًا. غير أنّ هذا النظام الغذائيّ يُراعى بطرق مختلفة، فقد يكون لمدّة يوم أو يومين، أو ثلاثة على الأكثر. وفيما بعد، يقتصر على الدهون خلال عام كامل، فهم يمتنعون عن أطعمة مميّزة، مثل اللحوم والدجاج والفاكهة وغيرها، وذلك حتّى حلول الذكرى السنويّة الأولى لوفاة الفقيد. وفي الواقع، وفقًا لعرف خاصّ، يجب استبعاد كلّ شيء يتطلّب إعداده أن يوضع على النار، لدرجة أن الناس يعتبرون أنّه حتّى إشعال النار في الأفران أمرًا محظورًا، فلا تُشعل الأفران إلّا لإعداد الخُبز.

من بين الهبات التي يأتي بها الأقارب إلى بيت المتوفَّى، يمكن أن يكون جديًا أو خروف أو عجلًا، فذلك يعتمد على المقدرة الماليّة للواهبين وحالة المتوفَّى. فمثلًا عند وفاة طفل تكون الهبة دجاجة. التفاصيل لاحظناها في قرية الطويرات، في شهر يناير عام ١٩٦١. الحيوان الذي يوهَب يجب ذبحه وتقسيمه بحيث يأخذ الفحّار الجِلد والأحشاء[٣٨]، ويأخذ الكاهن رُبع الذبيحة والباقي للمدعوّين، ويُرشّ الدمّ في مكان حدوث الوفاة. هذه الممارسة شائعة أيضًا لدى المسلمين، فهم يعتبرونها صراحةً شرطًا لدخول الجنّة. سكب الدم هذا أو رشّه كطقس ذبيحة كان أيضًا جزءًا من الطقوس المصريّة القديمة. فما يُقرأ في قصّة سنوحي: «الذبيحة تمّت على باب الشاهد الحجريّ»[٣٩]، يُمكن أن يُفسَّر بنفس المعنى.

٧- مراثي الندّابات:

لقد وصفنا في الفقرة الأولى الدور الذي تقوم به النساء في بيت المتوفَّى. المُهمّة الشائعة لهُنَّ كما وضحّنا هي مهمّة الندّابات، اللائي يُستأجرن بمقابل ماديّ لذرف الدموع والصراخ بالمراثي (التعديد)، ويكون ذلك طوّال فترة الجنازة. وسنذكر الآن

---

[٣٨] تتكلّم دساتير الكنيسة المصريّة، ٣١ (*Constitutiones Ecclesiae Aegyptiacae*) عن الاعتناء بالفحّار وفقًا للنصّ التالي:

«Ne graventur homines, homines in coemeteriis sepelire; opus enim pauperum omnium est; modo merces operario detur fodienti et donum custodibus. Eos qui ibi sunt et opus navant, episcopus sustentet, ne cui ad illos locos venienti sint oneri». FUNK, *Didasealia*, II, 116.

للنسخة العربيّة راجع:

PÉRIER J.-PRIER A., *Les «127 Canons des Apôtres»*, in *PO*, 8, 616.

[٣٩] المرجع:

ERMAN A., *The literature of the ancient Egyptians*, London 1927, 24.

بعضًا يسيرًا من النصوص التي يتفوّهنّ بها، كما أمكننا تمييزها من أصواتهنّ العالية أثناء رحلاتنا هنا وهناك، خاصّة في قُرى الصعيد المصريّ.

إنّها صلوات، دعوات، كلمات يائسة، تجاديف وعبارات غير مترابطة، باللغة العربيّة العاميّة، وغالبًا ما تحتاج إلى تفسير. كذلك ليس نادرًا أن تكون مرتبطة بعبارات الندّابات عند المصريّين القدماء، اللائي تتشابه معهنّ «المِعدِّدات» أو ندّابات الوقت الحالي حتّى في سلوكياتهنّ الظاهريّة. على سبيل المقارنة نذكر هنا عبارات الرثاء التي تبادلتها زوجة نِفرحوتب مع عبارات الندّابات.

زوجة المتوفَّى:

«أيّها الأبّ، هل من دواعي سرورك أن أبتعد عنك؟

كيف لي أن أعود وحدي؟!

أقول: أنا أُرافِقك، أما كنت تُحب الحديث معي؟!

لكنّك تبقى صامتًا! إنّك لا تتحدّث معي!».

جوقة الندّابات:

«يا ويلتاه! وأسفاه!

اِرفَعنَ، اِرفَعنَ، اِرفَعنَ المراثي، بلا توقّف أبدًا!

آهٍ، يا للخسارة!

أيّها المسافر الجميل، غادرت إلى أرض الخلود،

ها أنتَ أُمسِكْتَ!

أيا أنت يا مَنْ كنت مُتسَلِّطًا على أُممٍ عديدة،

ها أنت تجد نفسك في التراب وتبتهج بالعُزلة!

أيا أنت الذي كنت تُحِبّ تحريك ساقيك لتسير،

ها أنت تجد نفسك ملفوفًا بأكفان ومربوطًا بشِدَّة!

أيا أنت يا مَنْ كنت تمتلك الأثواب بوفرة

وكنت تُحِبّ أن تكتسي بها،

ها أنت تجد نفسك مُمَدَّدًا بين ملابس العشيّة المُستَعملة!».

كما كان الحال وقتئذٍ، حاليًا أيضًا تُسمَع تعبيرات مماثلة في الشوارع بينما ترتدي النّدابات السواد مُسرعاتٍ باكيات إلى بيت المتوفَّى، وأمام الجثّة الممدّدة، وخلال الموكب الجنائزيّ. أيًّا كان الوقت: إن كان يوم الوفاة، أو أيّام التذكارات أو الذكرى السنويّة. وأيًّا كان المتوفَّى: إن كان صبيًّا، شابًّا، شيخًا، متزوّجًا، أبًا، أُمًّا. فوفقًا لهذا الترتيب سنعرض النصوص التالية على سبيل المثال:

١. عند باب المنزل:

1. Alla porta di casa:

اللي ضَرَبَك واقِف على حيلُه.
ضَرْبَة قويّة لمّا هَدَّت حيلُه.

Colui che ti ha loipito, sta in piedi.
Possa un forte colpo abbatterlo.

اللي ضربك واقِف على قَدَمُه.
ضَرْبَة قويّة هَدَمِت صَدْرُه.

Colui che ti ha colpito, sta in piedi.
Possa un duro colpo abbattergli il petto.

اللي ضربك واقِف على قَدَمُه.
ضَرْبَة قويّة لمّا خَدِتْ عُمْرُه.

Colui che ti ha colpito sta fermo, in piedi Possa un duro colpo portargli via la vita.

اللي ضربك واقِف على حيلُه.

Colui che ti ha colpito sta fermo, in piedi.
Non sciolga più la staffa, nè leghi più

لا حَلّ سَرْجْ ولا رَبَطْ خِيلُه.

il cavallo.

يا ضارِب النِشاب ضَرْبِتَك لفوق.
ما لَقيتشِ غيرُه يا قليل الذوق.

O tu che lanci la freccia all'insù.
Non hai trovato un altro, maleducato?

٢. في الأعياد:

2. Nelle feste:

والله اللي جيتو، العيد عَيِّدناه.
واللي ما جيتو، العيد حَرَّمناه.

Per Dio[40]! Se venite, la festa la faremo.
Se non venite, rimarremo senza.

يا عيد عَيِّدْ عَنْدِ الجيران وِرُوح.
داحنا حزانى وقلبنا مجروح.

O festa, svolgiti[41] presso i vicini e poi vattene:
Noi siamo tristi; abbiamo il cuore ferito.

يا عيد عَيِّدْ عَنْدِ الجيران وامشي.
داحنا حزانى وقلبنا مَشْوي.

O festa, svolgiti presso i vicini e poi vattene:
Noi siamo tristi; abbiamo il cuore bruciato[42].

سكّان المدينة:

طريق الكنيسة فَرَشْتَها بالورد.
يا ريتهُم يجوني في يوم الحَدّ.

Tappezzò di fiori la via della chiesa:
Magari venissero da me di Domenica.

طريق الكنيسة فَرَشْتَها بالياسمين.
يا ريتهُم يجوني في عيد الخمسين.

Tappezzò la via della chiesa di gelsomini:
Magari venissero da me di Pentecoste.

الفــلّاحون:

يا ناس سَكِّنوني في جَبَلْ وحدي.

O gente, fatemi abitare da solo, in un monte.

---

(40) *Letter.* O Dio. Espressione molto usata nelle esclamazioni e nelle imprecazioni.
(41) *Letter.* festeggia.
(49) Letter. arrostito.

لمّا اِنساوي الناس نبقى نِجِي.

Quando sarò uguale agli altri[43] verrò anch'io.

أمسك رِبابَة وأدوَّر في الوادي.

Prenderò la viola e mi aggirerò per la valle.

ألقى مِثلي وين يا حبايبي.

Dove potrò trovare uno simile a me, o diletti?

أمسك رِبابَة وأدوَّر في الوديان.

Prenderò la viola e mi aggirerò per le valli.

ألقى مِثلي وين يا حِبّان.

Dove potrò trovare uno simile a me, o amati?

وأنا إن زَقوني المُرّ ما نِعوفُه.

Se mi faranno bere la mirra, non mi disgusterà:

نُصبُر على وَعْدِي لمّا نشوفه.

Pazienterò sul mio desetino quando lo vedrò.

وأنا اللي زَقوني المُرّ ما نرميه.

Se mi faranno bere la mirra, non la butterò via:

نُصبُر على وَعْدِي لمّا نوفيه.

Pazienterò sul mio desetino allorchè l'avrò portato a termine.

وأنا دُبت دوب الملح في الجَرَّة.

Mi sono sciolto come il sale nella brocca.

توبي على جِلدِي شَكا برَّه.

La mia veste che è sulla mia palle si lamenta fuori.

وأنا دُبت دوب الملح في البَلاص.

Mi sono sciolto come il sale nell'anfora:

توبي على جِلدِي شَكا للناس.

La veste che è sulla mia pelle si lamenta presso la gente.

أمشي وأقول يا حيط داريني.

Camminando dico: Muro, nascondimi.

من خوف عَدُوّي لا يلاقيني.

Per timore che non mi incontri il nemico.

والهَمّ في قلبي بَنالو دار.

La preoccupazione si è costruita nel mio cuore una casa:

---

[43] Letter. alla gente.

بَنى وعَلّى وِسْع الدوّار.

Ha costruito ed ha innalzato : spaziosa quanto il cortile.

بَنى لُه بيت والهَمّ في قلبي بنى له بيت.

Si è costruita una casa: la preoccupazione si é costruita una casa nel mio cuore:

بَنى بِناية زَيّها ما رِيت.

Una casa di cui non ne ho visto mai una simile.

والناس تِنام الليل وأنا مالي.

La gente di notte dorme. Ed io ? cosa m'importa!

يا ناس مَنام الليل للخالي.

O gente, di notte darme chi é spensierato.

وأنا ما أنام والناس تنام الليل وأنا ما أنام.

Io non dormo. La gente di notte dorme, ma io non dormo.

يا ناس منام الليل لِلفَضْيان.

O gente, di notte dorme il disoccupato.

كِتاب جِبيني يا رِيتني ريتُه.

La scritta della mia fronte[44], oh, l'avessi vista!

كُنت كَسَرْت القَلم والحِبر كَبِّيتُه.

Avrei rotto la penna e versato l'inchiotro.

كتاب جِبيني كُنت نعسانة.

La scritta della mia fronte (fu tracciata) quando avevo sonno:

ولا واحدة قالِت تعالي حَدانا.

E nessuna mi ha detto : vieni da noi!

كُنت في نومي يوم ما اتكتب جِبيني كُنت في نومي.

ولا واحدة قالِت يا نايمة قومي.

Dormivo, quando mi fu scritto in fronte. Dormivo ! Nessuna ha detto: o tu che dormi, svegliati !

قَعَدْنا أنا والمَوْت على الفَرْشَة(٤٥).

Io e la morte ci siamo sedute sul tappeto[46]:

---

[44] Il destino.

(٤٥) العادة المصرية في الجلوس في وضع القرفصاء على الأرض فوق السجّاد أو الحُصر.

[46] E' uso egiziano di sedere sui tappeti e sulle stuoie, colle gambe incrociate.

هو أقضى وأنا طِلعت كِدَه.

Lei ha giudicato, ed io sono rimasta così.

على الفِراش قَعَدنا أنا والمُوت على الفِراش.

Io e la morte ci siamo sedute sul tappeto:

هو أقضى وأنا طِلعتْ بَلاَش.

Lei ha giudicato, ed io sono rimasta senza niente !

تَمَنيت يا ربّي وأنا أوَصّيك.

Spero, Signore, e domando: allontana le calamità:

حيل البلاوي كلّها مِنّيك.

Tutte vengono da Te.

وانا أقُلّك اتمنيت يا ربّي وأنا أقُلّك.

Ti dico, Signore : lo spero. Ti dico :

حيل البلاوي كلّها مِنَّك.

Allontana le calamità: Tutte vengono da Te.

لو معي سِلّمْ كان طلِعْتِلَّك فوق.

Se avessi una scala, sarei salita da Te :

خَت (أخذت) الصغير ياعديم الذوق.

Hai preso il piccolino, maleducato !

أستغفِر الله ربِّي لا تِعاتِبني.

Dio perdonami ! Signore mio, non mi rimproverare:

ده أنا جاهْلَة والشوق كاويني[47].

Sono ignorante e la nostalgia mi marca[48]

وأستغفِر ربِّي لا تعامِلني[49].

Signore mio, perdonami, non mi Trattare[50]:

ده أنا جاهْلَة والشوق حارِقني.

Sono ignorante e la nostalgia mi brucia.

٣. في أيام توزيع الصدقات أثناء زيارة المقابر:

3. Nei giorni d'elemosina durante la visita al cimitero

طِلِعت الجَبل أشَوّط عليهم.

Sono salita sul monte per visitare loro:

---

[47] في قُرى مصر هناك عادة كَيّ جسد المريض برأس مسمار كبير مُحَمّى بالنار، وخاصّة في العنق، مقتنعين بأنّ ذلك يشفيه إلى الأبد.

[48] Marcare col ferro rovente. Nei villaggi dell'Egitto si usa imprimere un marchio col ferro rovente sul corpo, specialmente dietro il collo, del malato persuasi di guarirlo per sempre.

[49] المعنى: لا تُحاسبني على ما أقوله.

[50] Senso: Non mi trattare secondo quel che dico.

لقيت الحصى والرمل عاميهُم.

Li ho trovati accecati dai sassolini e dalla polvere.

سودة عليكِ يا زايرة قَبري[51].

E' tetro per te, o visitatrice del mio Sepolcro[52]!

تُنْضُري التراب ما تُنضُري وجهي.

Vedi la polvere, non vedi il mio viso.

سودة عليكِ يا زايرة البورة[53].

E' tetro per te, o visitatrice della fossa!

تُنضُري التراب ما تُنضُري الصورة.

Vedi la polvere, non vedi la figura.

جات المواسِم والبَلَحْ لَوّن.

E' tornata la stagione. 1 datteri hanno preso Colore:

يا غيبين غيابكُم طَوّل.

O assenti, è troppo lunga la vostra assenza.

يا ساكنين في الشمس والقِيلَة[54].

O voi che abitate nel sole, nella canicola[55]:

تعالوا حدانا عَندنا ضَلِيلَة.

Venite da noi: perchè c'è ombra.

طِلِعْتْ الجَبَل ولَقيت زرزورة.

Sono salita sul monte, dove ho trovato un ucceilo[57]:

مَكتوب ومِسَّطَر على القُورة[56].

Con scritte e linee sulla fronte.

طِلِعْتْ الجَبَل ولَقيت قِمرِيَّة.

Sono salita sul monte, dove ho trovato la tortora

مكتوب ومِسَّطَر على عِينَيَّه.

Con scritte e linee sugli occhi.

عَمَلْتْ إيه وقت طلوع روحي.

Cosa hai fatto quando è partito il mio spirito ?

Divoravo il nerofumo a palate[59].

---

[51] إنّه حوار بين الميّت والزائرة.

[52] Dialogo tra la visitatrice e il defunto.

[53] الحُفرة.

[54] القيلة = شمس الظهيرة.

[55] *Letter.* Sotto il sole meridiano.

[56] زرزورة = عصفور صغير الحجم، القورة = الجبين.

[57] *Letter.* Storno.

ده أنا كُنت باسِفّ القَندَلة بلوحي[٥٨].

عَمَلْتْ إيه وقت طلوع الروح.

ده أنا كُنت باسِفّ القَندَلة باللوح.

Cosa hai fatto quando è partito lo spirito?
Divoravo il nerofumo colla pala.

٤. للرضيع:

واللَبَن يجْري.

عاوِز عادتُه بَدْري.

واللبن للدليل (الرقيق الضعيف).

عاوِز عادتُه في الليل.

4.Per un lattante:

Il latte scorre;
vuole presto la sua abitudine[60].

Il latte è per il tenerello.
Vuole la sua abitudine: anche di notte.

٥. لليتيم:

وَرد اليتامى وَرْدهُم مقطوف.

وقُعادهُم وِسط العيال معروف.

وَرد اليتامى وَرْدهُم مايل.

وقُعادهُم وِسط العيال باين.

مالَك يا يتيم حاطط إيدَك على عِينك.

لا عاش أبويا ولا شُفْت من خيرُه.

مالَك يا يتيم حاطط إيدَك على خدَّك.

لا عاش أبويا ولا كَلّ (أكلَ) من كَدّه.

5. Per un orfano:

Le rose degli orfani sono rose colte:
Si riconoscono quando siedono tra gli altri bambini.
Le rose degli orfani sono rose inclinate:
Appariscono quando siedono tra gli altri bambini.
Orfano, cos'hai che metti la mano sull'occhio?
Oh, non fosse mai vissuto, mio padre, né avessi mai visto il suo bene.
Cos'hai orfano, che metti la mano sulla guancia?
Non fosse mai vissuto mio padre: [non avessi mai] mangiato della sua fatica.

[59] E' uso egiziano tingersi col nerofumo in segno di lutto.

[٥٨] هناك عادة تضميخ الوجه بسناج المصابيح (هباب القناديل = القندلة) علامة على الحِداد.

[60] Personificazione del latte. Vuole colui che è abituato a succhiarlo.

أنا رِيت ولدي يُكرُت ورا عَمُّه.

ماشي ودليل وغابني هَمُّه[٦١].

Ho visto mio figlio correre dietro allo zio: .
Cammina, è sommesso : ed io sono assente alla sua pena.

٦. للصبيّ:

ألْبِسه بدله وحطه وِسط الولاد عَجَبَة.

ألْبِسه طربوش وحطه وِسط الولاد وشوف.

شُفت الولاد مرصوصة.

غَطّي عينك وقولّي مَطروفة (مُصابة).

شُفت الولاد مِتصَفّة (في صَفّ).

غَطّي عينك وقولي ما (بسبب) الطرفة.

تِسَكّتونا ليه.

الحيّ والميّت ما قِدِرْ عليه.

6. Per un ragazzo:

Mettigli la divisa e fallo andare tra i ragazzi. E' una meraviglia!
Mettigli il tarbúsh[62] *e fallo andare tra i ragazzi. Vedrai !*

Ho visto i ragaazi in ressa.
Chiudi l'occhio e di: é offeso[63].

Ho visto i ragazzi in ressa.
Chiudi l'occhio e dì: come sono irritato !

Perchè ci volete far tacere?
Nè vivi nè morti lo hanno superato.

٧. للشبّان:

نِزل اللَحد سَقّف لُو.

الناس مِشِت والجَدع قاعِد وحدو.

نِزل اللَحد سَقّف ليه.

الناس مِشِت والجَدع قاعِد لوحديه.

نَزّلوني القبر بالعاصي (بالقوّة).

7. Per i giovani:

E' sceso nella tomba; battigli le mani
La gente se n'é andata, ma il galantuomo resta solo.
E' sceso nella tomba; battigli le mani.
La gente se n'è andata, ma il galantuomo resta solo[64].
M'hanno calato nella tomba per forza;
Ero appena rasato: m'ha preso un

[٦١] المعنى: رأيت ولدي يجري وراء عَمّه يسير ضعيفًا مكسورًا والآن غابت عنّي همومه.

[62] Berretto rosso, turbante.

[63] Cioè ; il mio occhio é offeso.

[64] I due emistichi sono una ripetizione del verso precedente. Nel testo ataba cambia l'assonanza.

حالِق جديد والهوا خَدْ راسي.

نَزِّلوني كابوس.

لا فيه مِشمّع (شمّاعة) أعَلّق الطربوش.

نَزِّلوني اللَّحد ولَّا فيه نار.

ولا فيه مِشمّع أعَلّق القُفطان.

نَزِّلوني اللَّحد ولا شمعة.

و لا فيه مِشمّع أعَلّق البَدلَة.

صغير قوي ولا حِلتَك مِيتَة.

ولا حِلتَك في اللَّحد لَتلَتَة.

colpo d'aria alla testa.

Per forza m'hanno calato [nella tomba];

Non c'è neanche un attaccapanni per appendere il tarbùsh.

M'hanno calato nella tomba: non c'è fuoco;

non c'è neanche un attaccapanni per appendere il qaftân[65] .

M'hanno calato nella tumba: non c'è nè una candela

nè un atraccapanni per appendervi la divisa.

Era troppo piccolo! Non ti era lecito farlo morire.

Non ti era lecito rotolarlo nella tamba.

٨. للشبّان والشابّات:

ما حَدَّش كواني إلا موْت الشبوبية.

كواني على قلبي وعلى عيني.

عينَك معاك وأنا عِدِمْتْ وحدي.

كواني على عيني وأنا عِدِمْتْ وحدي.

ما حَدَّش كواني إلّا موْت الصِغار.

كواني على قلبي مجامِر نار.

أجيبك من وين يا فلان تحميني.

8. Per i giovani e le giovane:

Nulla mi ha bruciato, fuorchè la monte dei giovani:
Mi ha bruciato[66] il cuore e gli occhi.

Il tuo occhio è con te: io, sola, sono ridotta a niente:
Mi ha bruciato l'occhio : ed io, sola, sono ridotta a niente.
Niente mi ha bruciato, se non la morte dei piccoli:
Mi ha bruciato il cuore, come bracieri di fuoco.
Da dove ti porterò, o N., per difendermi:

---

(65) Veste esterna, come abito, spesso stretto da cintura.
(66) Letter. Mi ha marcato [col ferro rovente].

لَحسَن وحوش البَرّ ترميني.

أجيبك من وين يا فلان تحميني.

لَحسَن وحوش البَرّ تاكلّني.

يالَهوتي لَمّا دَخَل يشكي.

آخِر شِي لَمّا ضربني في صدري.

يالَهوتي لَمّا دَخَل شاكي.

قال وضربني في وِراكي.

أستغفِر الله قبل ما أقول.

الموت حقيقي بَسّ الزمن يِطوُل.

أستغفِر الله قبل ما أتكلّم.

الموت حقيقي بَسّ الفراق يؤلِم.

بَكِت الديارة والسِلِّم المنجور.

اسوَدّت على دخلِة الغندور[67].

بَكِت الديارة والسِلِّم العالي.

واِتسَوِّدت على دَخْلِتَك يا غالي.

Affinchè le bestie feroci non mi abbattano?
Da dove ti porterò, o N., per difendermi:
Afinchè le bestie feroci non mi divorino ?

Oh me sciagurata ! Quando lamentandosi entrò, l'ultima cosa che fece fu il colpirmi in petto.

Me sciagurata! Quando lamentandosi entrò,
Parlò e mi percosse sulle anche.

Dio perdonami, prima che io dica:
La morte è certa; ma la durata è lunga.

Dio perdonami, prima che io parli :
La morte certa, ma la separazione è dolorosa.

Piangono le case e la scala logora:
Tutto è diventato nero all'entrare del bello[68].

Piangono le case e l'alta scala:
Sono diventate nere, al tuo entrare, o caro.

٩. للشُبّان:

يا نازِل القامة يابو سروال.

نِفسَك دليلة ياك وراك عيال.

يا نازِل القامة يا شَلبِي.

9. Per i giovani:

O tu, dalla statura che scende, che porti i calzoni:
L'animo tuo è avvilito: forse hai dietro di te dei bimbi?
O tu dalla statura che scende, o elegante:

---

(67) الديارة = المنزل، المنجور= نوعيّة من الطوب الأسود اللون المصقول، الغندور= الشابّ الوسيم.
(68) All'apparire del cadavere che portato al cimitero.

إرْجَع قوام عيالك تِبكي.
لَمّا نويت على القبر يا عَجْبَان.
خُدْلَك سرير عوارضُه رُمّان.
لَمّا نويت على القبر يا شَلَبِي.
خُدْلَك سرير عوارضُه عنبي.
لَمّا نويت على القبر تُدخُل ليه.
خُدْلَك سرير عوارضُه مِنيَّه.
لا يِنزّلوك في المقبرة تِتحاش.
لَمّا نويت خُدلَك قميص ولِباس.
لَمّا يِنزّلوك يا جدع طاطي.
ده القبر ضيق وِسِلّمه واطي.
فوق السرير يتدحرج الرُمّان.
فوق السرير يتقلّب العَجْبان.
تحت السرير يتدحرج العِنَبي.
فوق السرير يتقلّب الشَلَبي.
أنا ريت مركِب جاية من الفيوم.
واسقه بضايع لأبو شنب مبروم.
وأنا ريت وِلَدَك عند البوابة.
حايس دليل يقول لمين يا با.
دَخَل الحكيم وقزازته في إيدو.

Torna presto: i tuoi bimbi piangono.
Poichè hai deciso (di andare) alla tomba, o diletto,
Prenditi un letto cons tanghe di melagrano.
Poichè hai deciso (di andare) alla tomba, o ammirabile,
Prenditi un letto con le stanghe di rami di vite.

Se hai deciso di entrare nella tomba, Prenditi un letto con stanghe connesse.

Affinchè tu, quando ti calano nella tomba, non rimanga impedito:
Se hai deciso di andarvi, prenditi una camicia e un paio di mutande.
Giovanotto! Quando ti caleranno, abbassati:
La tomba è stretta e la scala bassa.

Sul letto rotolano melagrane.
Sul letto si rivolta l'ammirabile.

Sotto il letto rotola l'uva.
Sul letto si rivolta l'elegante.

Ho visto una barchetta venire dal Faiûm
carica di merci per colui che porta i baffi arrotolati.
Ho visto tuo figlio vicino alla porta. Smarrito ed avvilito, dice : per chi, papà?

E' entrato il dottore, con la

قال يا وليه يلاطفو سِيدو(٧٠).

دَخَل الحكيم وقزازته في يَدُّه.
وقال يا وليه يلاطفو رِبُّه.

١٠. للرجال الكبار:

سَلاَمتَك يا سَبع الحارة(٧١).
من غيابك صِرنا حيارة (حيارى).

لو كان الولد الكبير بِعْمامَة.
يريد أبوه ويريد كلاَّمَه ويريد أبوه في الجَمع قُدامه.
يا دود كلّ مِنُّه وخلِّيلي.
خَلِّي دراع السبع يحميني.
حُطي العِمامَة في طاقة الديوان.
تِشكِي الوليَّة منّي ما تِتهان.
وِسط الهجاير رميت منديلي.
أبكي على أبويَه جَلعي (دلعي) وتبطيلي.
يا بنت إبكي على أبوكي.

bottiglia
in mano:
Ha detto : o donna, ne ha cura il suo Padrone(70).
E' entrato il dottore, con la bottiglia
in mano:
Ha detto: donna, ne ha cura il suo Signore.

10. Per uomini adulti:

Salute, o leone del quartiere(1) .
Siamo perplessi per la tun assenza .

Fosse il bimbo già grande, col turbante !
Vuole suo papà : vuole la sua parola :
Vuole che nell'assemblea papà gli stia davanti.
Vermi, mangiatene, ma lasciate (qualcosa anche) per me :
Lasciate per me il braccio del leone, per difendermi.
Metti il turbante nella cavità del salone.
La signora si lamenta di me : Che non si offenda.
Ho gettato il mio fazzoletto in mezzo ai derelitti :
Piango mio padre, Che mi amava e mi cullava.

Ragazza, piangi tuo padre.

---

(٧٠) إنّه بين يدي الله. على وشك الموت.

(70) E' nelle mani di Dio. E' destinato a morire.
(71) *Letter.* Dalla strada. È per ragione di rima.

لا ينفعك بختك ولا أخوكي.	Non ti servono più nè fortuna nè fratelli.
يا بنت ما تبكي على بيّك.	Ragazza, non piangi il tuo pap ?
لا ينفعك بختك ولا خيّك.	Non ti servono più nè fortuna nè fratellini.
اللي بابوها طاطا لها الريس[٧٢].	A lei, in compagnia di suo padre, il capo[73] si inchinò:
مدّ لها السقالة وقالها كويس.	Le stese la trave dicendole : bene.
اللي بابوها طاطا لها النوتي.	A lei, in compagnia di suo padre, si è inchinato il marinaro;
مدّ لها السقالة وقالها فوتي.	Le ha steso la trave dicendo : passa.
يا زين أبوي لو جيت زمقانة[٧٤].	Mio bel papà ! Se divenissi arrabbiata[75],
أبوي يقولي سلامتك ياستّ من الهانة.	Mio papà mi direbbe : lontano da te, signora, ogni male !

١١. للنساء الشابّات:

11. Per giovani donne:

يا لابسة المنديل أبو نقشة.	O tu, dal vela colorato :
هلّي على عيالك هويد عشة.	Rivolgiti verso i tuoi bimbi, verso sera .
يا لابسة المنديل أبو طرفين.	O tu, dal velo con due estremità,
طلّي على عيالك هويد الليل.	rivolgiti verso i tuoi bimbi verso notte:
قيدي الفتيلة وعدّليهم زين.	Accendi la lanterna e aggiustali per bene.
جوز العديلة في الموردة يُرقُب.	Il marito della cognata osserva nella strada :
عمّا يدور كيفها يكدب[٧٦].	Va mentendo su ciò che vuole lei[77].

[٧٢] الريّس = قائد المركب.

(73) Il conduttore della barca.

[٧٤] زمقانة = إمرأة غاضبة من زوجها، فتعود إلى بيت أبيها.

(75) Senso: La donna sposata inquieta per il marito, torna alla casa paterna.

جوز العديلة في الموردة رقّاب.	Il marito della cognata osserva nella strada :
عمّا يدور كيفها كدّاب.	Va mentendo su ciò che vuole lei.
فخّار يقول يا ستّ جابوكي.	Il becchino dice : Signora, ti hanno portata;
خايف أدفنك يصعب على أخوكي.	ho paura di seppellirti : dispiacerà al tuo fratello.
والله لأروح للفخّار وأوصّيه.	Per Dio ! Andrò dal becchino e gli raccomanderò :
شعر الصبية من التراب خلّيه.	Salva i capelli della giovane dalla terra.
والله لأروح للفخّار وأقلّه.	Per Dio ! Andrò dal becchino e gli dirò :
شعر الصبية من التراب لُمّه.	Raccogli i capelli della giovane dalla terra.
يا راقدة في القبر وسطاني.	O tu, addormentata in mezzo alla tomba ;
وردك[٧٨] هويد الليل بكّاني.	Il tuo figlio(1) mi ha fatto piangere di notte.
يا راقدة في القبر من جوه.	O tu, addormentata dentro la tomba:
وردك هويد الليل يقول يامّه.	Il tuo figlio dice di notte : mamma.
بيتك الجديد وبيتك التاني.	La tau casa nuova e la tua seconda casa:
بيتك الجديد اللي شغل بالي.	E' la nuova che mi preoccupa.
أنتَ رميت أمّك في قمير النار[٧٩].	Hai gettato tua madre in una fornace di fuoco[81]:

[٧٦] ذهب يسعى إلى ما لا يُرضيها، رغم وعده لها بالعكس. ربّما ذهب للبحث عن زوجة أخرى، فالإسلام يسمح بتعدّد الزوجات.

(77) Senso: Va in cerca di ciò che dispiace a lei, pur avendo promesso il contrario. Probabilmente cerca un'altra donna per sposanla. Per i musulmani la poligamia é legale.

[٧٨] وِردِك = ابنك، مستخدمة في بعض قُرى الصعيد.

[٧٩] القمير = فُرن لحرق الطوب النيّء ليصبح طوب أحمر.

لا حيل ولا قوّة ولا تغيار(٨٠).
Non vi è più nè forza, nè coraggio, nè cambiamento[82].

أنتَ رميت أُمّك في قمير الجير.
Hai gettato tua madre nella fornace di calce:

لا حيل ولا قوّة ولا تغيير.
Non vi è più nè forza, nè coraggio, nè cambiamento.

وِلْدِك بكى ما تورّوهالو.
Il tuo bimbo piange ! Fategliela vedere.

وَصّيت على وِردي(ابني) مَرَة خالو.
Ho affidato il mio figlio alla moglie dello zio materno.

وِرْدِك بكى ماتورّولو أُمُّه.
Il tuo figlio piange! motsrategli sua mamma!

وَصّيت على وِردي مَرَة عَمُّه.
Ho affidato il mio figlio alla moglie dello zio paterno.

أنا ريت وِليدِك واقف جاري.
Ho visto tuo figlio che mis ta accanto.

يتفقّد الحريم يا ناري.
Osservava tutte le donne. Me Sciagurata[83]!

وأنا خاطري في نومه ترضيني.
Desidero un sonno che mi faccia piaccre:

في حُضن أبوي وأُمّي تغطّيني.
Nel seno di mio padre; e mia madre mi copre.

كام خاطري في نومه وتفرّحني.
Quanto desidero godermi una dormita nel seno di mio padre!

في حُضن أبوي وأُمّي تِرَقّدني.
E la mia madre mi faccia addormentare.

يا جاية الولاد يا حليلك.
O tu che porti bambini: ti sono legittimi.

حلو سرايرهم حريم غيرِك.
Hanno abbellito i loro letti altre donne diverse da te.

وإن كان على الربابة تُقعُد على حيلي.
Quanto all'allevamento: ti ho fatto sedere sulle mie ginocchia.
Se dice mamma! perdo il lome

(٨٠) المعنى: انتهت إلى الأبد.

(81) Fornace ove si cuociono i mattoni.

(82) *Senso*; E' finita per sempre.
(83) *Letter.*: Tormentata dal fuoco.

وإن قال ياما ياعما عيني.
degli occhi.

وإن كان على الربابة تُقعُد على رِجلي.
Quanto all'allevamento: ti ho fatto sedere sui miel piedi.

وإن قال ياما ياعما نَضري.
Se dice: mamma mi si acceca la Vista.

وادِي الغُراب يزعَق على عِشُّه.
Ecco che il corvo gracchia sul suo nido;

يِزعَق عليكي يا مفارقة الخمسة.
Gracchia per te, tu che hai lasciato cinque (bambini).

وادِي الغُراب يزعَق على حالِك.
Ecco che il corvo gracchia sul tuo stato;

يِزعَق عليكي يا مفارقة عيالِك.
Gracchia per te, che hai lasciato i figli.

أُمّي بَطِّتْ يابوي هاتهالي.
Mia mamma ha fatto tardi. Papà dammela!

ما يكون تيجي كان جابها خالي.
Ma se potesse venire, la condurrebbe seco mio zio materno:

كان جابها عمّي كرام لي.
Mio zio paterno la condurrebbe seco per amor mio.

أُمّي بَطِّتْ يابوي هاتلي أُمّي.
Mia mamma ha fatto tardi. Papà, dammi mia mamma!

ما يكون تيجي كان جابها عَمّي.
Ma se potesse venire, la porterebbe mio zio paterno:

كان جابها خالي شقيق أُمّي.
La porterebbe mio zio materno, fratello di mia mamma.

أنا طالعة غصبَن عنّي.
حَصَل النَدَم يا خوي رِجّعني.
Ormai sono pentita. Fratello mio, riportami indietro.

إنتَ رَقَدْتْ وأنتَ استَحْليت.
وأنتَ على فراقي استَلَذّيت.
Ti sei addormentata e ti piace : Provi gusto nella tua separazione da me!

١٢. للزوج:
12. Per uno sposo:

جوز الصبيّة في الدار صَدّقني.
Mi sono incontrato con lo sposo della giovane;
Ha lavato ed ha steso (i panni),

غاسِل وناشِر وكِأنُّه عريس مجْلي.

جوز الصبيّة في الدار لَقاني.

غاسِل وناشِر وكِأنُّه عريس تاني.

جوز الصبيّة في الدار قَلَبْ مخَدَّاتُه.

ناسِب نسابه غير نَسَبَاتُه.

جوز الصبيّة جاب المِسْك جوّا الجيب.

قَعَدْتْ أَحَدِّتُه بإنّ فيه العيب.

come un lindo sposo.

Lo sposo della giovane mi ha incontrata in casa;
Ha lavato ed ha steso, come un secondo sposo.
Lo sposo della giovane ha voltato i suoi cuscini;
Ha contratto parentele, diverse dalla sua cognazione.
Lo sposo della giovane si è portato il muschio in tasca;
Mi sono messa a dirgli che in ciò sbaglia.

١٣. للنساء:

أُمّي الحَنِّينة يا حميمة البَنِي (الأبناء).

نُصّ الليالي جِينك يامّي.

وأُمّي الحَنِّينة وتحَنِّن الجافي.

نُصّ الليالي أُتركي أخوي صافي.

وأنا داخلة والباب خَدْ راسي.

وين الحبيبة اللي تقول طاطي.

وأنا داخلة والباب خَدْ وِشّي.

وين الحبيبْ' اللي تقول خُشّي.

ماتفتحي بابِك وأنا جيتك.

ومعاي وَجيعَه وجاية ليكي.

وأنا أبكي عليكي بدموع رويانة.

مانتي طالعة العاية معانا.

13. Per donne:

Mamma mia diletta, amata dai figli,
A mezzanotte è venuta la tua ora, mamma.

Mamma mia diletta, che commuovi i cuori duri,
Lasciami il fratello tranquillo, di meazanotte.
Mentre entravo ho sbattuto il capo contro la porta;
Dov'è l'amata che diceva: « abbassati »?
Mentre entravo, ho sbattuto il viso contro la porta;
Dov'é la diletta che diceva: « Entra »?

Non mi apri la porta? Io vengo da te:
Ho un gran dolore: vengo da te.

Ti piango con lacrime abbondanti:
Poichè pensavamo che sei tu che ci offendeva.

أبكي عليكي وأبكي بَدَلِيّة.

إنتي قليلة العاية فيّا.

سِرّي وسِرّك في قَدَح صيني[٨٤].

القَدَح انكسر وإنتي فضحتيني.

ياما قَعَدنا ياما اتحاكينا.

ياما كَمَدْنا السِرّ بينينا.

أُمّي الحنونة يا واقفة قُبالي.

أجيبك منين يامربيّة عيالي.

ياما قَعَدنا والقمر عالي.

أنا أقعُد وأُمّي قاعدة قُبالي.

أنا شقيّة وأُمّي مِتلي (مثلي).

هيّا تُقعُدلي وأنا أبكي.

قالوا شقية قُلت من يومي.

كتبوا الشقاوة نايبي وكومي[٨٦].

من يوم غِبتي من يوم غِبتي.

ولا يوم من الأيام شَوَّطتّي.

Piango su di te, ti piango con accoramento;
Poiché sei tu che mai mi offendeva.

Il tuo e il mio segreto erano in una tazza cinese[85],
La tazza si è rotta: mi hai diffamato.

Oh quante volte ci siamo sedute;
quante volte ci siamo parlate !
Quante volte ci siamo confidate i segreti !
Tenera mamma mia, che mi stai davanti;
Da dove ti porterò, o allevatrice dei miei bimbi ?
Quante volte ci siamo sedute sotto l'alta luna;
Io seduta e mia mamma seduta di fronte a me.

Sono sciagurata ! Cosi purc mia mamma !
Lei seduta, e io piango.

Dicono: sciagurata ! Rispondo: da quando son nata,
mi é stato scritto la sciagura come sorte e come mucchio[87].

Da quando ti sei assentata,
Non sei più venuta a visitarci.

١٤. للأُمّ:

14. Per una mamma:

---

[٨٤] فنجال.

[٨٦] جرت العادة في مصر على تكديس القمح في أكوام - جمع كوم.

[85] Senso: tazza di porcellana (importata dalla Cina).

[87] Senso probabile; Io e la mamma siamo separate, *come mucchi di grano*. E' un uso in Alto Egitto, dove mai piove, di conservare il grano all'aperto, a mucchi separati.

حبيبتي اللي هيّا أمّي.
حنينة عليّا وعايلة همّي.
وإن حلّفوني حبيبتي هيّ أمّي.
غالية عليّا وعايلة همّي.
أمّي حبيبتي إن قُلت ياعيني.
تِقسِم معاي الليل نُصّيني.
ماتقُمشِ من جاري إلّا لمّا تطيِّب عيني
إن قُلت يا قلبي حبيبتي يا أمّي.
تِنُصّ الليالي وعايلة همّي.
تِنُصّ الليالي تُقعُد معاي.
لمّا تطيّب عيني.

La mia diletta è mia mamma;
E' tenera con me, e porta le mie pene.

Se mi facessero giurare, [direi] :
Mia mamma è la mia diletta:
E' cara a me, e porta la mia pena.

Mia mamma è la mia diletta. Se dico:
« L'occhio mi fa male »,
Passa con me metà della notte.
Non si divide dal mio filanco finchè non guarisce l'occhio.
Se dico: «Ahi, il cuore mi fa male»,
mia mamma, la mia diletta,
Passa con me metà della notte,
portando le mie pene.
Passa metà della notte seduta accanto a me
Finchè non guarisce il mio occhio.

١٥. وفاة الأمّ:

مين يعزّزني يا أمّي.
من بَعْد أمّي ما ليش حِنّة.
لا حِنّة الخالة ولا العَمّة.
أمّي تغطّيني بِكُمّ طويل.
وتخاف عليّا من الزمان لا يميل.
وِلَدِك وراكي يمسح بمنديل.
على أمّي عمار البيت وتَدْبيره.
وِلَدِك وراكي يمسح بمحْرَمْتُه.
على أمّي عمار البيت وتَدْبيره.

15. Morte della mamma:

Chi mi cullerà, madre mia?
Dopo della madre mia non ho più affetto.
Nè l'affetto della zia materna, nè di quella paterna.
Mia madre mi copriva con una lunga manica.
Temeva per me dalla vita, che non si voltasse contro di me.
Il tuo figlio è dietro di te, e si asciuga col fazzoletto.
Sulla mia madre stava la prosperità della casa e il suo governo:
Il tuo figlio ti sta dietro e si asciuga col gran fazzoletto.
Sulla mia madre stava l'avvenire della casa e la sua prosperità.

١٦. لوفاة الأبّ:

يا أبو الولاد سايب الولاد على مين.
سايبهُم على قلب جافي واللا قلب حَنين.
يابو الولاد سايب الولاد على مين.
سايبهُم على عَمّ غالي واللا خال حَنين.
يا عَمّي حَسِّسْني قرار جيبَك.
يا عَمّي يا جافي مافيش غيرَك.
يا عَمّي حَسِّسْني قرار الجيب.
لَحَسَن أبويا يثبِّت عليك العيب.

16. Per la morte del padre:

O padre dei figli, a chi lasci i figli?
Li lasci a un cuore duro o a un cuore tenero?

O padre dei figli, a chi lasci i figli?
Li lasci a uno zio (paterno) caro o uno zio (materno) tenero?

Zio, fammi toccare il fondo della tua tasca.
Zio crudele, non ho altri che te.
Zio, fammi toccare il fondo della tasca:
Diversamente mio padre avrà delle accuse contro di te.

٨- مسار رحلة النفس:

الروح عقب انفصالها عن الجسد تكون مُلزَمة بالقيام برحلة شاقّة نحو مسكنها الأبديّ. إنّها تتّخذ مسيرتها في طريق تحت الأرض حيث تعوقها هنا وهناك الوديان والأنهار. وفي كلّ مكان تترصّدها حبائل الشياطين الذين يُحلِّقون في الهواء، والحيوانات المُتوحِّشة، مثل الثعابين والتنانين والنمور والأُسود التي تملأ الكهوف المظلمة. إنّها مسيرة تحُدّها حدودًا جمركيّة عديدة تتحكّم فيها بسلطان هذه الكائنات المُثيرة للرُعب. ويجب على الروح أن تدفع لهم ثمن المرور ويجب أن تُقدِّم حسابًا عن أعمالِها لكي تتمكّن من عبور كلّ الحواجز، وتواصِل مسيرتها، وتصِل إلى المصير الذي أعدّه الله لها. هذا الواقع يُروِّعها، فقد روَّعَ حتّى القدّيسين والعذراء مريم، الذين وقت احتِضارهم، دَعوا الفادي الإلهيّ حتّي يُرسِل حاميًا سمائيًّا لكي يقودهم كمُرشِدٍ موثوق. المُرشِد الأمين المُرسَل من السماء ليس لديه فقط سُلطان الدفاع عن

الروح ضدّ الذين يترصّدونها، بل يمكنه أن يقودها نحو مصيرها أيضًا عَبر مسارات هوائيّة ومضيئة.

على مِثال القدّيسين، مازال الأقباط حتّى اليوم يدعون الربّ مُعزِّزين ثقتهم. فهُم على قناعة، في الواقع، بأنّ النفس المُفتدَاة، على الأقلّ النفس البارّة، لا تنساها السماء: فإمّا أن ينزِل المسيح شخصيًّا أو يُرسِل لها رؤساء الملائكة ميخائيل وجبرائيل، أو مار جرجس. هذا القدّيس، ذو الشعبيّة الكبيرة جدًّا في مصر، غالبًا ما يُصوّره الفنّ والنقوش والكتابات الجنائزيّة القبطيّة بسبب المعركة الأسطوريّة، التي فيها يمتطي حصانه الثائر وسيفه ممدود لمحاربة التنّين. أيضًا بالإضافة لمار جرجس، هناك القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة الذي يتّخذ جزءًا كبيرًا من أحداث النفس الراحِلة. فهو الذي قهر لوسيفوروس وطرده من السماء ينبغي أيضًا أن ينصُرها على أعداء الكنيسة[٨٨] وعلى الجحيم. وهو يستقبل نفس المُحتضر، ويقودها في السُبل الأكثر أمانًا لكي لا تسقط في الوديان المُظلمة، ويسحق رأس الحيّة والتنّين اللذَيْن يتربّصان بها، ويقودها إلى حضرة الديّان الإلهيّ. إنّ الأيقونة التي تزخر بها عادةً الكنائس المصريّة[٨٩] وتصوّره بيده سيف واليدّ الأخرى تحمل ميزانًا، تُجمِل كلّ هذه المعتقدات التي، كما سنرى، تنتشر على مدى واسع في الكُتب الطقسيّة القبطيّة، بالإضافة أيضًا إلى الكُتب المنحولة (الأبوكريفا).

(٨٨) جميع الكنائس القبطيّة تقريبًا يوجد فيها هيكلٌ مكرّس للقدّيس ميخائيل رئيس الملائكة. وفي أديرة الصحراء، في أعلى جزء من الحِصن توجد كنيسة حارس الدير، فهذا هو اللقب الذي يُطلقونه على رئيس الملائكة.

(٨٩) هناك صورة للقدّيس ميخائيل، مُرشِد النفس، في اللوحات المصوَّرة المُدرجة في نهاية الكتاب.

بالتأكيد، مفهوم الطريقين اللذَيْن على الأرض، طريق الخير وطريق الشرّ؛ ومفهوم الفريقين اللذين يجاوران النفس، الحُماة والمتربّصين؛ ومفهوم الضريبة الذي يليهما، مع السعادة الأبديّة أو مع العقاب الأبديّ: يُشير إلى مجال يتجاوز حدود مصر، فهو مفهوم عالميّ[٩٠]. في الغرب المسيحيّ، البرهان على ذلك نجده في النصوص الأكثر قِدمًا في الليتورجيّة اللاتينيّة. والقدّيس أغسطين يقول بإنّ أُمّه مونيكا «لم تكُن بلا ديون» وقالت له أن يذكرها «على مذبح الربّ» ثمّ يختم بقوله:

«لا يقوَ أحد على أن يُخرجها من كَنَفِك؛ ولا يقومنّ بينها وبينك لا الأسد ولا التنّين معترضين سبيلها بالقوّة أو بالخداع»[٩١].

«Nemo a protectione tua dirumpat eam. Non se interponat nec vi nec insidiis leo et draco».

هنا العبارة الأخيرة هي إشارة واضحة لتقدُمة الموتى، حيث تُذكَر صراحة ظلمات ما تحت الأرض وحبائل الوحوش الشرسة كما تُذكَر أيضًا حماية القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة:

«أيّها الربّ يسوع المسيح، ملك المجد، خلّص نفوس جميع المؤمنين الذين غادروا آلام الجحيم والهاوية السحيقة. نجّهم من فم الأسد، لكي لا يبتلعهم الجحيم، لكي لا يسقطوا في الظلمة

(٩٠) المرجع: CUMONT F., *Lux perpetua*, Paris 1949.

(٩١) القدّيس أغسطين، الاعترافات، ٩، ١٣.

الخارجيّة، ولتسمح بأن يردّهم، دليلك القدّيس ميخائيل إلى ضياءك القدّوس»[92].

«Dómine JesuChriste, Rex glóriæ, líbera animas ómnium fidélium defunctórum de poenis inférni et de profúndo lacu: líbera eas de ore leónis, ne absórbeat eas tártarus, ne cadant in obscúrum: sedsígnifer sanctus Míchaël repræséntet eas in lucem sanctam».

بدون أن نُخاطر بإصدار أحكام بشأن الترابط بين تقاليد الشعوب المختلفة، يمكن القول بأنّ الأقباط قد استقوا هذا أيضًا من علم الأخرويّات المصريّ القديم الثريّ، حيث إنّ الفنّ الجنائزيّ ونصوص كتاب الموتى تثبت ذلك بشكل شامل. على جدران مقابر الملوك والنبلاء في مدينة الأقصر تتكرّر اللوحات الجداريّة التي تُصوِّر المتوفَّى وهو يتجوّل في مناطق العالم السُفليّ قلقًا بشأن هجمات الجُباة والوحوش. في مقبرة سيتي الأوّل (١٣١٨-١٢٩٢ ق. م.)، تصوّر النقوش روح الملك محمولة فوق قارب يعبُر ١٢ منطقة، تُمثّل عدد ساعات الليل الاثنتا عشرة ساعة، ويفصلها اثنا عشر بابًا عاليًا تحرسها حيّات كبيرة الحجم تنفث النار. في أماكن أخرى نجد الحرّاس بشكل آلهة كلّ منها يحمل سكّينين، كلّ يدٍ ممسكة بسكّين، كما هو الحال في مقبرة آمون هار خوبسف. فعلى يمين ويسار الطريق تحتشد كائنات خياليّة تسكن على ضفاف النهر الجهنّميّ. وفي مقبرة آن هار خاو (من الأسرة العشرين) قِطّ هليوبوليس، المفوَّض من قِبَل الإله رع، يسحق رأس الحيّة أبوبيس. كلّ هؤلاء مُهمّتهم هي أن يتربّصوا لمركب الشمس التي تحمل روح

---

[92] كتاب القدّاس الرومانيّ، قدّاس الموتى المؤمنين - التقدمة.

المتوفَّى. أيضًا في مواضع أخرى، مثل برديّة أني المحفوظة في المتحف البريطانيّ، المتوفَّى نفسه هو الذي يحمل سيفًا ويضرب به الحيّة أبوبيس. وعلى تابوت خونسو (الأسرة التاسعة عشر)، الذي يعرضه المتحف المصريّ بالقاهرة، رسم يصوِّر روح المتوفَّى في وضع سجود للأسد العملاق «عاكر» حارس الشمس. أمّا في مقبرة سن-نيجمّ (الأسرة العشرون)، فالرسوم تُصوّر المتوفَّى ساجدًا لمجموعة من الكائنات الجهنّميّة لإرضائها. هناك أيضًا في مقبرة رمسيس التاسع (الأسرة العشرون)، لوحة جداريّة تُصوّر روح المتوفَّى وهي تتجوّل في وديان سحيقة تطفو فيها أرواح المُدانين متّخذة أغرب الأوضاع. في كلّ هذه المواقف الخطيرة للغاية، تدعو نفس المتوفَّى الروح الطيب فهو دليلها وحاميها في نفس الوقت. في التقاليد المصريّة الأكثر قِدمًا[93]، كان سيت دليل الموتى والمُدافع عنهم، وكانت الرسوم تصوّره في هيئة فارس مُسلَّح، يهاجم الحيّة ويطعنها برُمح، ممّا يدفع للتفكير تلقائيًّا في أيقونات القدّيس ميخائيل، ومار جرجس أو غيرهما من القدّيسين الفرسان الذين تُكرِّمهم الكنيسة القبطيّة[94].

إنّ الرسوم الجداريّة تُطابق تمامًا تلك التي في الكتابات الجنائزيّة لقُدماء المصريّين. فهناك فقرة في الفصل الحادي والتسعين من كتاب الموتى تنصّ:

---

[93] في الأساطير المصريّة الأحدث، تحوّل سيت من صديق إلى عدوّ ينبغي تجنّبه. هذا ما ينصّ عليه الفصل ٩٥ من كتاب الموتى: «لقد ذُبح سيت (بيدّ تحوت).. انظروا كيف يضرب ذراع تحوت أعدائه في وسط العواصف». المرجع:
KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 171.

[94] مار جرجس، القدّيس مرقوريوس، القدّيس ديمتريوس، الأنبا مينا، هؤلاء هم القدّيسين الذين يُصوِّرهم الأقباط بنفس الهيئة: فرسان مُسلحين بالرمح، في وضعية القضاء على التنّين الجهنّميّ.

«إذا كان المتوفّى على دراية بهذا الفصل، في العالم السفليّ يُمكن أن يُتحوَّل إلى روح مُقدَّسة مُحصَّنة كما يجب ضدّ أيّ هجوم. لن يسجنه أيّ باب من أبواب أمنتي[95]، عندما يدخل وعندما يخرج على حدٍّ سواء»[96]. في دُعاء الروح الذي توجِّهه إلى أنوبيس[97] في الفصلين ٩٦ و ٩٧ من الكتاب نفسه، يرِد ذكر الأسد عاكر: «لقد أقمت السلام مع سيت بالتقدمات إلى عاكر. وأقمت السلام مع الشياطين الحُمر بسجودي لـ(كين).. لتعرف يا صولجان أنوبيس: لقد أقمت السلام مع الأرواح الأربعة، توابع سيِّد الكون»[98]. أمّا في الفصل ٩٩ فهناك أبوبيس الذي يُقلِق الروح أكثر: «أيَّتها الأرواح التي تُبحِرُ فوق فقرات ظهر أبوبيس النَجِسَة: دعوني أبحر في قاربي، في سلام... أيا سادة العواصف، وأنتم أيضًا أيّها الملّاحين الأشِدّاء فوق فقرات ظهر أبوبيس: أنتم يا مَنْ، بعد إفلاتِكم من السكّين، عُدتم لمهاجمة الرأس غليظ الرقبة! أنتم، يا رِفاق القارب الغامض، الذين يهيمنون على أبوبيس ويربطونه، إلتَفِتوا نحوي! إنّني أُبحِرُ في قاربي بأن أحِلَّ حبالي إليّ بقَدْرِ ما أتقدَّم نحو المنطقة الملعونة حيث سقطت النجوم، غارِقَةً نحو الهاوية... عساني ألّا

---

[95] الكلمة القبطيّة ⲁⲙⲉⲛϯ تُشير إلى العالم الآخر، حيث تُستقبل النفوس.

[96] المرجع:

KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 167.

[97] الإله أنوبيس يصوّرونه بجسد إنسان ورأس ابن آوى، وهو الذي كان يترأس عمليّة تحنيط الجسد يقوم بتقديم روح المتوفّى للمحاكمة في العالم الآخر.

[98] المرجع:

KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 171.

أهلَك في **المسكيت**[99]، وألّا تتلبَّس الشياطين أعضائي. لَعَلَّني أتمكَّن من العثور على الخبز المقدَّس لأُطعِم بي، والشراب المكرَّس ليشرب **ديب**... لَعَلَّني أخرج نحو ضوء النهار»[100].

فكرة الإبحار في مناطق ما وراء المقبرة ظلّت باقيّة في ذاكِرَة الأقباط، واعتبروها مسألة خطيرة. وهناك نقش جنائزيّ يقولها صراحة: «أيا أيّها الإبحار الذي يؤدّي إلى ميناءِكَ بمشقّةٍ!»[101].

٩- الدينونة الإلهيّة:

مسار الرحلة ينتهي **بالدينونة الإلهيّة**، فهي الغاية الحاسمة لمصير الروح. متى تكون؟ وكيف تتمّ؟ ، تلك مسألة لا يعرف الأقباط الحديث عنها بشكل مؤكّد. الجدليُّون، الذين يُحرّكهم الجدل المسيحيّ الصارم، يُمدّدون أجلها إلى يوم مجيء الربّ. أمّا الشعب، المتمسّك أكثر بالأساطير الوطنيّة القديمة، فكثير وخياليّ مثل الأفكار المنحولة (الأبوكريفا) التي يعكسها. وبما أنَّ هذا الفصل يقتصر على التقاليد

---

[99] مسكيت (*Mesket*)، إحدى المناطق الجهنّميّة الاثنتي عشرة.

[100] المرجع:

KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 174-177.

[101] النصّ:

«ⲱ ϭⲓⲛ̀ⲡⲗⲉⲁ ⲉⲥⲛⲁϣⲧ ⲉⲛⲉⲓ ⲉⲡⲉⲕⲣⲟ»,

المرجع:

MALLON A., *Grammaire Copte: Christomathie*, Beyrouth 1926, 131.

فيما يتعلّق بحال الروح في العالم الآخر عند المسلمين، يمكن قراءة فصل في كتاب "الفتوحات المكّيّة" لابن عربي، طبعة القاهرة ١٣٢٩ هـ، الجزء الثاني، ف ١٦٧، ص ٢٧٢-٢٨٤؛ ونسخته باللغة بالفرنسيّة:

ANAWATI G. C., *L'Alchimie dei Bonheur d'Ibn 'Arabî*, in *Mélanges* 6, Le Caire 1959-1961, pp. 353-385.

الشعبيّة، فإنّنا نقول إنّ عدم اليقين المنحول هذا هو الذي تناقلوه. من خلال العديد من الاستجوابات التي أجريناها اتّضَحَ أنّ دينونة النفس وفقًا للبعض تَتِمّ في يوم الوفاة؛ ووفقا لآخرين في اليوم الثالث، عندما تخرج الروح من المنزل؛ وآخرون أيضًا يقولون في اليوم التاسع أو الثلاثين، عندما يقود الملاك المُرشِد الروح إلى جوار الله؛ وآخرون يقولون في اليوم الأربعين، بعد أن تكون الروح قد استطاعت أن تتعرّف في خطّ سيرها على رعب المناطق الجهنّميّة وضياء المناطق السماويّة الساطع. وهناك آخرون لا يزالوا يفكرون في الشهر السادس أو الذكرى السنويّة، عندما يتمّ الصلاة من أجل راحة النفس. وسنرى الكثير من التنوّع والاختلاف بشكل أفضل مع المزيد من التوضيح في الفصل الخاصّ بالفكر المنحول.

الاقتناع السائد أكثر هو أنّ ذلك يكون في اليوم الأربعين، والسبب الذي يسوقونه عمومًا هو التالي: الروح تبقى ثلاثة أيام في المنزل، وسبعة أيام أخرى في المناطق السماويّة برفقة رئيسيّ الملائكة ميخائيل وجبرائيل، ثمّ ثلاثين يومًا أخرى تُكمل فيها رحلتها خلال المنحدرات الجهنّميّة: وفي اليوم الأربعين تقف أمام الدينونة الإلهيّة لكي تتلقّى الجزاء الذي تستحقّه[١٠٢]. **الميزان الذي يظهر بشكل شبه**

[١٠٢] قوانين إكلّيمنضس، بند ١٧، تقول صراحة بأنّ المسيح يقوم بدينونة النفس في اليوم الأربعين بعد الوفاة. المرجع:
RIEDEL, *Kirchenrechtsquellen*, 169.
راجع أيضًا في هذا الكتاب: الفصل ٢، فقرة ١٧ والفصل ٣، فقرة ٦.

دائم في يد الملاك ميخائيل، حتّى في أقدم الرسوم المصريّة[١٠٣]، يُعيد الترابط بين الأفكار الثلاثة: روح مرتحلة، ملاك مُرشِد ومُدافِع، دينونة أو محاكمة ختاميّة.

المفهوم الشائع عن الدينونة هو التالي: كشف الخير والشرّ الذي فعله الإنسان في حياته مع الجزاء المترتّب عليه. والميزان له دور الترجيح بين قيمة الأعمال الصالحة وقيمة الأعمال السيئة، والدِقّة في الميزان يضمنها **سفر الحياة**[١٠٤]. العرّافة (سيبيل) أيضًا معروفة لدى الأقباط، وفي كثير من الأحيان يضعوها في الطِلبات من أجل الموتى. ويحتمل أنّهم عرفوها من الأدب الإسكندريّ أو الكتب المنحولة. أيضًا هناك نقش في سقّارة ينص: «**أُمّنا تُحبّ سيبيل النبيّة**»[١٠٥]. فهي التي تتنبّأ بشأن الدينونة الأخيرة، يمكن أن تكون مُشاركة بمهارة في دينونة كلّ نفس.

[١٠٣] في صور اللوحات المُدرجة في نهاية الكتاب، صورة قبطيّة للقدّيس ميخائيل رئيس الملائكة يحمل ميزانًا في يده بينما يتلقّى نفس المتوفّى.

[١٠٤] هنا ربط تلقائيّ مع نصّ **يوم الغضب** (*Dies irae*) الذي يقول: «الكتاب يتضمّن أين وكيف حدث كلّ شيء» (Liber scriptus proferetur- in quo totum continetur). لكنّ الأقباط يستوحونها من سفر الرؤيا ٢٠: ١٢-١٥: «ورَأَيتُ الأمواتَ كِبارًا وصِغارًا قائِمينَ أمامَ العَرْش. وفُتِحَت كُتُبٌ، وفُتِحَ كِتابٌ آخَرُ هو سِفرُ الحَياة، فحوكِمَ الأَمواتُ وَفقًا لِما دُوِّنَ في الكُتُب، على قَدرِ أعْمالِهِم. .....».

[١٠٥] المرجع:
QUIBELL I. A., *Excavations at Saqqara*, 1908-1910, nn. 290 ,306.
النقوش أحيانًا ما تُحبّذ المساواة ما بين سيبيل الأسطوريّة وشخصيّة تاريخيّة، ممّا دعا أ. مالون –
MALLON A., *Copte (Epigraphie)*, in *DACL*, col.2850-
إلى معارضة قبول التفسير الأوّل: «إنّني متردّد جدًّا في الاعتراف بأنّ الأمر يتعلّق بسيبيل الأسطوريّة التي من الإسكندريّة»
–répugne vivement à admettre qu'iI s'agit de la Sybille légendaire d'Alexandrie–
لكن مونيه يدحض من خلال نصوص مرجعيّة وحجج رأي مالون ويعود للاعتراف بكلّتا الاثنين سيبيل. المراجع:
MUNIÉ H., *La Sybille Alexandrine chez les Coptes, in Bulletin de la Société Archéologique d'Alexandrie*, 20 (1924), 196-201; BENIGNI, Litaniae, 116.

البيئة الإسلاميّة التي عاش فيها الأقباط طوال ما يزيد عن ١٥ قرنًا من الزمان، تُفضّل نوعًا ما التقليد الشعبيّ بشأن الدينونة. فالروح وفقًا للتقاليد الإسلاميّة عند خروجها من الجسد يجب أن تعترف بشهادتها الإيمانيّة أمام **الملَكَين** في القبر، اللذين يُطلق عليهما **منكر و نكير**(١٠٦). هذين الملَكَين يستجوبانها بأسئلة مثل: «من هو ربُّك؟ - ما هي عقيدتِك؟ - من هو نبيُّك؟ - ما هو كتابِك؟». وعلى المتوفَّى أن يكون دقيقًا في إجاباته لكي يدخُل الجنة أو في حال النقيض، سيقوم كلا هذان الروحان ذاتها بجَلدِهِ. لكي يتجنّب كلّ مخاطرة يجب على الأحياء مساندته، الأهل أو فقهاء الدين، بتلقينه ما يقوله. فيقوموا بتلقينه الإجابات التي يجب أن يرُدّ بها على الأسئلة التي يوجّهها الملَكَين إليه.

أمّا بالنسبة للشعب القبطيّ فهو أيضًا لديه دائمًا نبع أكثر فيضًا وأكثر أصالة، ألا وهو علم الأخرويّات المصريّ القديم. على سبيل المثال، في المشهد الوحيد الذي يصوّر الملكة ماكت – رع (Makeria) بجوار أوزيريس، يمكن ملاحظة كلّ العناصر الضروريّة. الروح يقودها أنوبيس في **قاعة المحاكمة** الكبيرة، والميزان يتصدّر المشهد وعلى كفّتيه وُضع بالترتيب: قلب المتوفَّى وقبالته ريشة العدل. وأنوبيس يراقب ما إذا كان القضيب الأفقي متّزنًا أم لا. بينما يُسجّل تحوت كاتب الأعمال، سكرتير الآلهة، التفاصيل الدقيقة في **كتاب الحسنات والسيئات**. هناك أيضًا وحشٌ يُدعى بعبي، برأس تمساح موجود في قاعة المحاكمة ويقف متأهّبًا لافتراس

(١٠٦) الاسمان يُكتبان أيضًا بأداة التعريف – منكر و نكير –، المراجع:
WENSINCK-KRAMERS, *Islam*, 542 s. — PAREJA F. M., *Islamologia*, Roma 1951, 495. LAMMENS H., *L'Islâm*, 3e éd., Beyrouth 1943, 70.

المُذنِب. فوق كرسيّ العدل يجلس أوزيريس، **ديّان الأحياء والأموات**، متسلّحا بسوط في يده من أجل العقاب، وهو متأهّب أيضًا لكي يدعو الصالحين قائلًا: «هلُمّ فادخُل إلى مملكة السعادة». اللوحات الجداريّة في المقابر الأخرى، إلى جانب العناصر المذكورة، تصوّر أيضًا الاثنين وأربعين قاضيًا كلّهم أو جزء منهم، أولئك الذين يُخضعون الروح لاستجواب عسير(١٠٧).

الفصل ١٢٥ من **كتاب الموتى** مثير للاهتمام بنحوٍ خاصّ من أجل التعرّف على التطوّر في التعليم العقائديّ بشأن الدينونة الإلهيّة عند قُدماء المصريّين(١٠٨). تدخل النفس المحكمة، أي **قاعة ماعت، إلهة العدل والحقّ**. وأمام الاثنين والأربعين قاضيًا تواصل اثنين وأربعين **اعترافًا سلبيًّا** لتتبرّأ من الذنوب، واثنين وأربعين **اعترافًا إيجابيًّا** لكي تبيّن استحقاقاتها، وبالإجابات الاثنين والأربعين على الأسئلة الاثنين والأربعين تدفع اتّهامات الاثنين والأربعين قاضيًا. وتطلب قبولها في القاعة الكبرى: «أيا ماعِت، ها قد أتيت لأمثُل أمامك! دعيني أتامّل محاسنك البرّاقة». وبعد أن يُخضعها أنوبيس للاختبار الطقسيّ، يجدها أهلًا فيقول لها: «هلُمّي واعبُري لأنّكِ تعرفين الأسماء السحريّة». فتدخل النفس وبعد أن توجّه التحيّة للمُحلّفين السمائيّين، تبدأ **اعترافها السلبيّ**:

(١٠٧) المرجع:
GIAMBERARDINI G., *Religione Faraonica*, 163.

(١٠٨) المراجع:
KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 205-219; GIAMBERARDINI, *Religione Faraonica*, 162-168.

«التحيّة لكَ أيّها الإله العظيم، ربُّ الحقّ والعدل .. إنّني أعرف اسمك وأسماء الاثنين وأربعين إلهًا، الذين يحيطون بك في القاعة الرحيبة، قاعة الحقّ والعدل، في اليوم الذي فيه يُقدّم الحساب عن الخطايا أمام أوزيريس .. إنّني لم أرتكب جرائم. إنّني لم أجعل أحدًا يؤدّي لي عملًا زائدًا. لم أضع المكائد من أجل طموحي. لم أعامل الخَدَم بالسوء. لم أُجدّف على الآلهة. لم أحرم المحتاج من قوتِه.. إلخ. لقد تطهّرت مثل فينيس العظيمة من هيراكلّيوپوليس.. لذلك عسى ألّا يمسسني أيّ ضرّر في هذه المنطقة، أيّتها الآلهة، ولا في قاعتكم العظيمة، قاعة الحقّ والعدل». ثمّ تنتقل على الفور بعد أن ينتهي التبرّؤ من الذنب إلى **الاعتراف الإيجابيّ**. فتبدأ بالتحيّة ثمّ تواصل تعديد الفضائل: «التحيّة لكم أيّها الآلهة الجالسين في القاعة الفسيحة، قاعة الحقّ والعدل! .. لتخلّصوني من **بعي** الذي يتغذّى على أحشاء العظماء في يوم المحاكمة العظيم.. لقد أرضيت الآلِهة لأنّي قد نَفَّذت مشيئتها. أعطيتُ الخبز للجياع والماء للعِطاش والكساء للعرايا والعصا للغريق. لقد صنعتُ القرابين للآلِهة والسكيب للأرواح المُقدَّسَة. فيا أيّتها الأرواح الإلهيّة، خلِّصيني! .. عسى أنّ أسمع هذه الكلمة حين آتي عندكم: "تعالِ في سلام أيتّها النفس التي وصلتى إلى هنا! تعالِ في سلام"»(١٠٩). لكي تتحقّق هذه الرغبة للنفس عليها أن تُجيب على **استجواب سحريّ** يُفرَض عليها كبرهان على إخلاصها في اعترافها الدينيّ. «.. يمكنك

(١٠٩) فردوس السعادة في المُعتقد المصريّ القديم كان يُسمّى: «**حقول السلام**».

أن تعبر باب ماعت، لأنّك تعرف الوجه المزدوج للحقّ- العدل. يقول مزلاج الباب: "لن أدعك تعبر إلّا إذا أخبرتني باسمي الخفيّ". اسمك "مِثقال **الميزان** في قاعة الحقّ والعدل". تقول قائمة الباب اليُمنى: "لن أدعك تمرّ إلّا إذا أخبرتني باسمي". "دعامة **ميزان** الحقّ والعدل": هو اسمك. تقول قائمة الباب اليُسرى: "لن أدعك تمرّ إلّا إذا أخبرتني باسمي". اسمك: "ميزان الكرمة".. يقول مصراعي الباب: "لن ندعك تمرّ إلّا إذا ذكرت اسمينا الخفيّين". "ابنَيّ الإلهتين المتوّجتين بالحيّات": هذان هما اسميكما. يمكنك أن تمرّ لأنّك عرفتنا .. خُبز مشاركتك، وخمر مشاركتك، وكلّ تقدمات الدفن الموجّهة لك، منبثقة من عين رع»(١١٠). يوصّي الكتاب بنسخ الفصل ١٢٥ ووضعه في المقبرة. ويختتم: «سيجد المتوفّى خبزًا وخمرًا ولحمًا على مذبح الإله العظيم. لن يُرذَل أمام أبواب أمنتي. وسيدخل برفقة ملوك مصر. وسيكون حقًّا في موكب أوزيريس، باستمرار وإلى الأبد».

(١١٠) "خبز وخمر مشاركتك". كذلك أيضًا، الفصل ٩٩ يتكلّم عن "خبز مقدّس وخمر مكرّس". وبالتحديد أكثر: "الخبز الذي كرّسته إيزيس". في البدايات قديمًا كان المصريّون يعتقدون أنّ الخبز مصنوع من جسد الإله پاوتي. ثمّ في حقبة أحدث، فكّروا في آلهة أخرى، لا سيّما جسد أوزيريس. في أحد الرسوم التوضيحيّة التي في القسم السادس من سفر الأبواب، مشهد يصوّر أتباع أوزيريس الذين يبذرون القمح، والنبات يُسمّى: **جسد أوزيريس**. فمن يأكله، "يأكل جسد أوزيريس". إحدى أناشيد إكرام أوزيريس تقول صراحة: أوزيريس هو پاوتي القديم: الخبز مصنوع بجسد أوزيريس، كما كان مصنوعًا بجسد پاوتي. المرجع: ERMAN A., *A. Z.*, vol. 38, p. 30 ss.

ممّا سبق ذكره، رغم إيجازه، يبدو واضحًا مدى اتّساع أفق علم الأخرويّات المصريّ. والمسيحيّ القبطيّ لا يتبنّى ولا يُفسّر كلّ شيء، ولكن فقط العناصر الأساسيّة التي يحصل عليها من جميع الاتّجاهات. وبالإضافة إلى المصادر المسيحيّة الحقيقيّة، لديه تقليد شعبيّ حيّ، وممارسة مستمرّة للسحر، وكتب منحولة عديدة من البيئة، تشكلت منها توليفة مع مرور الوقت.

١٠ - أيّام التذكارات:

لكي تتغلّب الروح على مخاطر الرحلة فيما بعد القبر وتخرج منها سالمةً إلى دينونة الله، تُنادي الأحياء كي يُصلّوا من أجل راحتها، وبالتالي يقوم الأحياء بالصلاة من أجلها. وهُم يُصلّون بنحوٍ خاصّ في الأربعين يومًا الأولى. فلماذا؟ الباحث ڤانسلِب، في النصف الثاني من القرن السابع عشر، جمع من بين الأقباط الأسباب التالية: لأنَّ الروح في رحلتها يجب أن تُقابل أربعين شيطانًا مختلفًا، كما تكشف للقدّيس مقّار «من فِكر شخص مصريّ قديم»[111]؛ لأنَّها تتعذّب لمدة أربعين يومًا من قِبَلِ هؤلاء الشياطين الذين يخضعونها لاستجوابات قاسية ويوبّخونها على الخطايا التي ارتكبتها. أخيرًا، لأنَّ الروح بعد أربعين يومًا يجب أن تخضع لدينونة الله. ثمّ يستنتج الباحث ڤانسلِب، الذي يورد كلامه دون بيانات للمقارنة: «هذا التعليم العقائديّ هو نقطة لا تزال بلا تفسير من جانب الكنيسة القبطيّة»[112]. لكنّ العبارة

[111] النصّ بالفرنسيّة:
«par la tête d'un ancien égyptien idolâtre».

[112] النصّ بالفرنسيّة:

المحفورة: «من فِكر شخص مصريّ قديم» هي بمثابة خيط يقود إلى المصدر. بَيْدَ أنّ الفقرتين السابقتين قد وضّحتا ما كان غامضًا على ڤانسلِب.

لكي نستطرد في حديثنا بِدِقّة نقول إنَّ مواعيد التذكارات عند الأقباط هي: **اليوم الأوّل، الثالث، السابع، الثلاثين، الأربعين، الشهر السادس، الذكرى السنويّة.** هذه هي التذكارات الطقسيّة التي تمّ تحديدها بعد إجراءات طويلة وبطيئة، لكنّ الشعب لا يتصرّف وفق الطقس دائمًا كما يختلف التصرّف في مكان عن الآخر. فوفقًا لاستجوابات أجريناها: في بعض القرى يُضيفون اليوم التاسع والثاني عشر والرابع عشر و«أوقات أخرى». بشأن هذه الظاهرة أيضًا يجب أن نتفحّص تأثير التقاليد الغريبة وغير المتجانسة التي أُخِذَ بها بلا تمييز. ففي الواقع، المتغيّرات الشعبيّة تتضارب حتّى في الوثائق القديمة التي تداولتها مجالات الكنيسة القبطيّة. لقد حدّدت **القوانين الكنسيّة**[113]، بند ٧٦، الأيام الثالث، والسابع، والثلاثين. بيدَ أنّ اليوم الأربعين يظهر في النسخة الحبشيّة من هذه **القوانين**[114] عينها. أمّا **الدساتير الرسوليّة**[115]، ٨/ ٤٢ فقد رتّبت اليوم التاسع، بالإضافة إلى الثالث، والأربعين والذكرى السنويّة. أمّا اليوم الثاني عشر مع الثالث، التاسع، الثلاثين، الأربعين

«Cette doarine et un point sur lequel l'Eglise Copte ne s'est point encore expliquée». VANSLEB, *Histoire*, 139-141.

[113] المرجع:
DE LAGARDE P., *Aegyptiaca*, Göttingen 1883, 285.

[114] المرجع:
HORNER G., *The Statutes of the Apostles or Canones Ecclesiastici*, London1904, 72 s.

[115] المرجع:
FUNK, *Didascalia*, I, 553.

والذكرى السنويّة، فتتضمّنهم **قوانين إكلّيمنضس**[١١٦]. واليوم الرابع عشر موجود في **قوانين القدّيس باسيليوس**[١١٧]، ٣١.

بُناءً على هذه المصادر القبطيّة، التي ذكرناها للتوّ هنا وسنشير إليها بالتفصيل في القسم الخاصّ بها، يتبيّن أنّ القناعات الشعبيّة ليست عشوائيّة. ومع ذلك، ينبغي أن نُضيف أنّ هذا التنوّع والاختلاف في أمور التذكارات ليس مقصورًا على مصر وحدها. ففي الغرب، يذكر القدّيس أمبروزيوس أنّ أخيه ساتريوس تمّت الصلاة من أجل راحة نفسه في **يوم الوفاة وفي اليوم السابع**[١١٨]. ويقول بإنّ هناك آخرين اعتادوا على الصلاة من أجل راحة الموتى في اليوم الثالث واليوم الثلاثين، وآخرين أيضًا في اليوم السابع واليوم الأربعين[١١٩]. أمّا القدّيس أغسطين فقد ذكر اليوم التاسع ولم ينصح به لأنّه عادة وثنيّة[١٢٠]. كما أنّ عادة الذكرى السنويّة قد ذكرها

---

[١١٦] المرجع:

RIEDEL, *Kirchenrechtsquellen*, 169.

النصّ العربيّ الذي سنورده في الفصل الثاني، مقطع ١٧، مكتوب **اليوم الستين بدلًا من الذكرى السنويّة**.

[١١٧] المرجع:

RIEDEL, *Kirchenrechtsquellen*, 248.

(118) «Ergo quia dudum *dies mortis* inter lacrimabiles aspectus debuit animum inclinare fraternum, qui totum tenebat, nunc, quoniam *die septimo* ad sepulcrum redimus, qui dies symbolum futurae quietis est, a fratre paululum ;...». S. AMBROGIO, *De excess fratris Satyri* 2, 2; recensuit FALLER O., in *CV*. 73, 251s.

(119) «Alii *tertium* diem et *tricesimum*; alii *septimum* et *quadragesimum* observre consueverunt». S. AMBROGIO, *De obitu Theodosii*, 3; *CV*. 73, 372.

(120) «Nescio utrum inveniatur alicui sanctorum in scripturis celebratum esse luctum *novem* dies, quod apud latinos *novendial* appellant. Unde mihi videntur ab bac consuetudine prohibendi, si qui Christianorum istum in mortuis suis numerum servant, qui magis est in gentilium consuetudine». S. AGOSTINO, *In Gen*., 2, 172; cura FRAIPONT I., CCL. 33, 67 s

ترتوليانوس أيضًا[١٢١]. وفي النسخة السلافيّة من سِفر آدم يدور الحديث عن الأيام الثالث، التاسع، العشرين، الأربعين[١٢٢]. وهذه الأيام نفسها، ماعدا العشرين، موجودة في **الطقس البيزنطيّ**[١٢٣]. كذلك أيضًا في **سوريا**[١٢٤]، القدّيس إفرام السريانيّ ألمح إلى اليوم الثالث[١٢٥]. أيضًا في **فارس** أشار الأدب الأفستيّ إلى اليوم الثالث[١٢٦]، واليوم السابع ورد ذكره في **سفر عزرا الرابع**[١٢٧].

الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي وجود وانتشار تذكارات الموتى في كلّ مكان، ولكنّ الرغبة في العثور على مصدر مشترك، وقبل كلّ شيء السبب الدقيق الذي يفسّر اختلاف الأيام المحدّدة هي مسألة صعبة للغاية. هناك تفسير نفسانيّ[١٢٨]. وهناك أيضًا نظريّة تقوم على التوازي الفسيولوجيّ: تقول بإنّ بدايات حياة ما بعد القبر تُشبه تطوّر نموّ الجنين في الرحم[١٢٩]. أمّا بشأن رمزيّة الأرقام[١٣٠]، فالسائد بين

---

(121) «Oblationes pro defunctis, pro nataliciis, annua die facimus». Tertulllano, *De Corona*, 3, 3; cura KROYMANN A., *CCL*. 1, 1043. Cf. De *Monogamia* 10, 4; cura DEKKERS E., *CCL*. 1, 1243. *De Exhortatione Castitatis* 11, 1; cura KROYMANN A., *CCL*. 1, 1051.

(122) JAGIČ V., *Slavische Beiträge zu dem biblischen Apocryphen, in Denkschriften der Kais*. Akad. den Wissensch., 42 (1893), 102.

(123) GOAR J., Εὐχολδγιον *sive Rituale graecorum*, Paris 1647, 540, n. 3. Cf. FUNK, *Didascalia*, 352 s., note.

(124) BRAUM O., *Moses bar Kepha*, Fribourg in Br. 1891, 149.

(125) BENEDICTUS P., *S. P. N. .Ephraem Syri opera omnia*, t. 2, Romae 1740, 390.

[١٢٦] «خلال الأيام الثلاثة التالية لمفارقة الحياة للجسد، تكون الروح لا تزال تطوف بقُرب الرفات وتختبر الفرح أو الألم وفقًا لما فعلته على الأرض»، راجع:

GEIGER W.- KUHN E., *Grundriss der iranischen Philologie*, t. 2, Strasbourg 1904, 684 s.

(127) «Et dixit mihi: septem diebus erit libertas earum ut videant septem diebus qui praedicti sunt sermones, et postea congregabuntur in habitaculis suis». BENSLEY-JAMES M. R., *The forth Book of Ezra* (*Texts and Studies*, t. 3,2), Cambridge 1895, 35. LAGRANGE M. J., *Le Messianisme chez les Juifs*, Paris 1909, 127.

(128) FUNK, *Didascalia*, 552 s., nota al n. 42.

(129) FRETSTEDT E., *Altchristliche Totengedächtnistage und ibre Beziehung zum Jenseitsglauben und Totenkultus der Antike, in Liturgiegeschichtliche Quellen und Forschungen*, 24 (Münster 1928) 179-189.

الأقباط هو التفسير الدينيّ، وهو أنّها رغم التأثير الواضح للفكرِ المنحول مستمدَّة من الكتاب المقدَّس، وبوعي أو بدون وعي من العقيدة المصريّة القديمة.

اليوم الأوّل: الصلاة تكون لأنّ الروح ترفض الخروج من الجسد؛ لأنّ جمهرة من الأبالسة تحوم في الهواء كي تختطفها؛ لكي يستجيب الله لاهتمامنا بالصلاة فيُرسل رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل. هذه الأسباب، كما سنرى لاحقًا، منتشرة بتوسّع في المراجع المكتوبة.

اليوم الثالث: لثلاثة أسباب: أحدها من الكتاب المقدّس، والثاني من الكتابات المنحولة، والثالث من المصريّ القديم. الصلاة من أجل مساعدة الروح كي تنال مجد بلوغ حضرة الربّ بعد الوفاة بثلاثة أيام[131]؛ لأنّها في هذا اليوم وفقًا لتقليد ما، ينبغي أن تقف لأوّل مرّة أمام الديّان الإلهيّ[132]؛ وأخيرًا، من أجل إخلاء **الطريق** الذي ينبغي أن تسلكه الروح، حيث إنّ الشياطين تترصّدها فيه لكي لا تصِل إلى محكمة المسيح[133].

التفسير الفسيولوجيّ له أصول في بعض المراجع اليونانيّة، راجع:

KRUMBACHER K., *Studien zu den Legenden des hl. Theodosios, in Sitzungsberichte der philos.-philol. und histor. Classe der Königl. bayer*. Akad. der Wissensch. zu München 1892, München 1893, 341-355.

[130] المرجع هو دراسة حديثة للباحث تستا:

TESTA E., *Il Simbolismo dei Giudeo-Cristiani*, Gerusalemme 1962, 197-211.

[131] الدساتير الرسوليّة، ٨/ ٤٢، «إشارة إلى القيامة في اليوم الثالث»

Constitutiones Aposlolorum VIII, 42: «... ob eum, qui tertia die resurrexit». FUNK, *Didascalia*, 553.

[132] الحديث هنا يدور حول ما كُشِفَ للأنبا مقّار، وستحدث عنه لاحقًا في الفصل الثالث، المقطع الخامس من هذا الكتاب.

[133] كتب ڤانسلِب: «في ذلك اليوم يقبض الأبالسة على المؤمن لكي يمنعوه من الذهاب إلى محكمة يسوع المسيح».

اليوم السابع: «بسبب كون الروح هائمة في ذلك الحين»[134]. بمعنى أنّ الصلاة تكون من أجل أن تتغلّب على مخاطر المناطق الجهنّميّة وأن تجد باب السعادة مفتوحًا لها؛ أيضًا من وجهة النظر المتعلّقة برمزيّة كتابيّة: كما استراح الله في اليوم السابع، كذلك أيضًا يُرجى أنّه في اليوم السابع بعد الوفاة يُعطي الربّ الراحة للنفوس[135].

اليوم التاسع: فيه تُكمل النفس أوّل مرحلة في رحلتها ويجب عليها أن تواجه الديّان الإلهيّ للمرّة الثانية. بعد ذلك المرحلة الثانية التي تكون في المناطق الجهنّميّة، وخلال ذلك الوقت كلّه تحتاج النفس للمساعدة.

«Ils croyent être arrêtée ce jour-là par les demons, qui veulent l'empêcher de monter au tribunal de Jesus Christ». VANSLEB, *Histoire*, 111.

أيضًا القدّيس إفرام في تعليقه على قصة لعازر بيت عنيا (**يو١١: ٣٩**)، يقول بإنّ الروح بعد اليوم الثالث تسير في بحر العفونة والفساد: «يتجوّل المتوفَّى طوال ثلاثة أيام في مناطق الموت بدون أن يتأذّى: لكن في اليوم الرابع يسقط في بحر التعفّن»، المرجع:

BENEDICTUS P., *S. P. N. Efraem Syri opera omnia*, t. 2, Romae 1740, 390.

(134) VANSLEB, *Histoire*, 112.

[135] نفس هذا السبب ذكره القدّيس أغسطين في موعظته عن سفر التكوين:

«*Septenarius numerus* propter sabbati sacramentum praecipui quietis indicium est: unde merito mortuis tamquam requiescentibus exhibetur. Quem tamen numerum in luctu Jacob decuplaverunt Aegyptii, qui eum *septuaginta* diebus luxerunt». S. AG., *In Gen.*, 9, 172; cura FRAIPONT 1., *CCL*. 33, 68.

لكن الحِداد لمدة سبعين يومًا (**تك٥٠: ٣**) وجب تفسيره بشكل مختلف، فقد كان هو الوقت الذي تتطلّبه عمليّة معالجة الجثّة بملح النترات من أجل تحنيطها. وهذا الأمر ذكره هيرودوت أيضًا:

«كانوا يملّحون الجثّة بتغطيتها بملح النترات لفترة تبلغ **سبعين يومًا** (ἡμέρας ἑβδομήκοντα). وينبغي عليهم ألّا يتركوها فترة أطول في الملح. ثمّ بعد مرور **السبعين يومًا** يغسلون الجثّة، إلخ».

ERODOTO, *Storie*, II, 86; ed. Legrand E., Paris 1948, 121. — GIAMBERARDINI, *Religione Faraonica*, 212.

فيما يتعلّق بالمرجع الكتابيّ للعدد سبعة، راجع: تك ٥٠: ١٠؛ جا ٢٢: ١٢.

اليوم الثلاثون: قوانين الرُسل تُبرّر المسألة على مثال الشعب العبرانيّ الذي ناح على موسى ثلاثين يومًا[136]، وفقًا لما ذكره **سفر التثنية**[137]. لكن ڤانسلِب استنتج سببًا ثانيًا، مثلما فعل بالنسبة لليوم الثالث: حتّى لا تفقد النفس الطريق إلى الفردوس خلال رحلتها الجهنّميّة الخطيرة[138].

اليوم الأربعون: الصلاة فيه من أجل سببين، أوّلًا لأنّ النفس عليها مواجهة أربعين استجوابًا من جانب أربعين شيطانًا مختلفين: هذا ما كشفته جمجمة شخص مصريّ قديم للراهب الأنبا مقّار[139]. وثانيًا، لأنّ النفس بعد انقضاء أربعين يومًا يجب أن تواجه دينونة الله الحاسمة لكي تدخل الموضع الذي تستحقّه[140].

الستّة أشهر: الصلاة من أجل الموتى لكي يترأّف الله عليهم ويرحمهم. فإنْ كانت النفس في السماء بالفعل، يزداد مجدها، وإن كانت مُدانة تُخفّف الصلاة من عقوباتها.

الذكرى السنويّة: «يُحتفل بها في نهاية العام تذكارًا [للنفوس]، وتذكارًا للمتوفّى يُقدّم جزء من خيراته للفقراء»[141]. هناك دافعين لهذا الأمر لدى الشعب: لكي يُلبِس الربّ النفس في ذلك اليوم وشاح المجد الأبيض؛ ولأنّ اليوم نفسه هو أوّل يوم في النعيم التامّ الممنوح للمنتقلين.

---

(136) النصّ: «يصنعوا أيضًا تمام الشهر كالمثال الأوّل هكذا حَزِنَ الشعب على موسى»

Canoni degli Apostoli, 69; *PO*. 8, 653.

(137) «فبكى بَنو إِسْرائيلَ على موسى، في بَرِّيَّةِ موآب، ثَلاثينَ يَومًا» (تث ٣٤: ٨).

(138) VANSLEB, *Histoire*, 112.

(139) راجع الفصل الخاصّ بالكتابات المنحولة (الابوكريفا).

(140) *Canoni di Clemente*, n. 17; RIEDEL, *Kirchenrechtsquellen*, 169.

(141) *Canoni degli Apostoli*, 69; *P0*. 653.

هذه هي أيّام وأسباب **الذُكران**[142]، أو بالأصحّ **تذكار** الموتى عند الأقباط. بَيْدَ أنّ هذه ليست كلّ أيّام التذكارات المعروفة لدى الشعب، لكنّها الأكثر شيوعًا؛ كما أنّ الأسباب المذكورة ليست هي وحدها الرائجة في البيئة القبطيّة، بصفة عامّة، بل هي الملحوظة أكثر عند الناس. فهناك الكثير غيرها، كما سنرى، ورد ذِكره في وثائق كثيرة. في هذا الصدّد، لقد أُفرِدَت أهمّيّة خاصّة **للخمسة بوابات**، التي ينبغي على النفس عبورها طوّال «النهر المُشتعل بالنيران» (flumen ignis). إنّما بمثابة خمسة عقبات خطيرة، تقع في اليوم الأوّل، والثالث، والسابع، والثلاثين، والأربعين بعد الموت، تضعها «حسابات جُباة وعمّال تحصيل ضريبة الأجواء الهوائيّة» (exactores et actionum censores aërie tionum)، بتوجيه من الشيطان «المُتربِّص كالأسد في عرينه، وكالتنّين العظيم» (qui insidiatur ut leo in antro suo, et draco magnus)، وفقًا لقول القدّيس كيرلس الإسكندريّ في إحدى المواعظ المنسوبة إليه. من هنا بالتالي تتّضح ضرورة الصلاة في تلك الأيّام من أجل النفوس.

١١ - زيارة المقابر والتقدمات من أجل الموتى:

هذا هو السلوك الشهير للغاية في مصر، الذي يُسمّونه **الطَّلْعَه**. الكلمة تعني الصعود من المصدر العربي **طَلَعَ**، وأيضًا في اللغة القبطيّة الفعل (ⲦⲀⲖⲞ) بنفس المعنى. أيضًا، عند المصريّ القديم كان هناك استخدام العبارة: «برت- ار- خرو»،

---

(142) ذُكران هي الكلمة المستخدمة في المراجع القديمة، وهي من نفس المصدر ذِكر الذي يُمارسه المسلمون، لكن المعنى والأسلوب مختلفان تمامًا. راجع:

GARDET L., *Dhikr, in Encyclopédie de l'Islam*, nouv. éd., Paris 1961, 230-233. — CARBON J., *Notes sur le vocabulaire de prédication des premiéres sourates Mekkoises, in Mélanges de l'Université Saint Joseph*, 36 (Beyrouth 1959), 192-194.

«*prt-r-khrû*»، التي تعني: «ذاك الذي يصعد [عندما يسمع] **الضجيج**»، والمقصود بالضجيج هو صوت **حورس**[١٣]. من المحتمل أن يكون المعنى الواقعيّ لكلمة *طَلْعَة* مستمدًّا من ارتفاع منسوب الجبّانة التي تقع في الصحراء ودائمًا ما تكون مرتفعة عن منسوب وادي النيل، وبالتالي لا بُدّ للزائر أن يَطْلَع.

الغرض المباشر أكثر الذي يُبرّر زيارة القبور هو إعادة التواصل مع المتوفَّى: البكاء لفراقِه، لَمّ الشمل مع روحه، الصلاة من أجل راحته. البكاء ظاهرة طبيعيّة لدى قلوب الأقارب الحزانى، ولكنّه يُصبح مظهرًا استعراضيًّا حينما يُنظّمه محترفون يلتقطون رزقهم من التردّد على المقابر. فكما كان الحال في أيّام الجنازة، كذلك أيضًا تذهب النّدّابات مع الزوّار سعيًا للحصول على أجر، ويتقبّل الأقارب ذلك الأمر باعتباره إتمامًا لطقس من الطقوس عليهم تنفيذه، ويعتبرون الأجر المدفوع بمثابة رحمة من أجل راحة نفس المتوفَّى.

الأمر الطريف بصفة خاصّة هو الجانب التقليديّ الذي يتضمّن القناعة الشعبيّة بأنّها زيارة للقاء مع روح المتوفَّى، ولا يختلف المسيحيّين عن المسلمين في مصر بشأن هذه المسألة. لذلك المرأة التي فقدت زوجها تكون مقتنعة بأنّها تعود للقاء روحه مع جسده الموجود في القبر بحيث يمكنها أن تُحييه وكأنّه حيّ، فتقول: «**نهارك سعيد، يا فُلان: إزّيَك؟**». عام ١٩٦٠ أخبرونا في الطويرات بأمر آخر: المرأة العاقِر، التي ترغب في الإنجاب، تذهب إلى الجبّانة وتخطو فوق قبر بحيث يكون بين ساقيها،

---

[١٣] المرجع:
Nina DE GARIS DAVIES-GARDEN A. H, *The tombs of Amenemhēt*, London 1915, 85.
اللفظة خرو، بمعنى ضجيج يُقابلها في القاموس القبطيّ: «ϩⲣⲱⲟⲩ».

وتغطيه كلّه بثوبها الطويل. هذه العادة المكروهة تأخذ الذهن تلقائيًّا إلى أسطورة إيزيس، التي تتّخذ هيئة طائر وتُحلّق فوق جثّة أوزيريس وتُنجِب حورس. هذه الأسطورة ظاهرة في كثير من نقوش المعابد في طيبة.

المُعتَقَد هو أنّ روح المتوفَّى تظهر في القبر بهيئة طائر. هذا الظهور الخُرافيّ الذي يتّخذ هيئة طائر يطير ويُصدر صوتًا موجودًا في كثير من المرّات في مراثي النّدّابات المنظومة بقوافي، التي ذكرناها في المقطع السابع. الطائر مذكور أيضًا في الصيغة التالية من مراثي النّدّابات:

أعمل إيه يا ربّي	*Cosa fa, o mio Signore ?*
جسم السليم صبح مبلي	*Il corpo del sano è deventato malato !*
ياما العوازل عيّروني	*O quanto i detrattori mi diffamano !*
وعد ومكتوب يا عيني	*E' stato stabilito e scritto, o occhio mio!*
والخال يلوم عليَّ	*E lo zio mi rimproverà :*
وليه يلوم عليَّ	*Ma perchè mi rimprovera ?*
يا حمام.. الأحباب سكنوا التراب	*O colombe : i cari abitano nella polvere*
وقلبي داب .. ولا جوني	*E il mio cuore si liquifa ... e non vengono a me !*
راحو شباب	*Sono partiti giovani*
سكنوا التراب	*Abitano nella polvere*
سكنوا اللحدي	*Abitano nella tomba*
سابوني وحدي	*E hanno lasciato me sola!*

تبكي بحُرقة:	***Piange fervidamente:***
سكنوا التراب	*Abitano nel cimitero!*
يا طير ياللي على الشجر	*O uccello che sei sull'albero*
حبيبي ناوي على السفر	*Il mio caro ha intenzione di partire!*
ياطير مالك مالي[١٤٥]	*O uccello, cosa a te? Cosa a me?*[145]
يا طير خلّيني بحالي	*O uccello lasciami nel mio stato.*
يا طير مالك بتنوّح	*O uccello perchè tu gemi?*
فكّرت عليّ الحبايب	*Forse pensi ai cari?*
يا لابسة الجزمة السودة	*O tu che porti le scarpe nere,*
حزينة على مين	*Tu sei in lutto per chi?*
حزينة على الحبايب	*Io sono in lutto per i cari*
اللي راحوا صغيّرين	*Che se ne sono andati piccoli.*

عودة الروح إلى قُرب جسدها وهيئتها كطائر يطير هي تقاليد مصريّة أصيلة. ففي الواقع، ليس نادرًا أن نجد في بعض المقابر المصريّة القديمة «**تابوتًا ثانيًا**»، يكون فارغًا. «**التابوت الأوّل**» يحتوي على المومياء، بينما يكون الثاني فارغًا لكي يستضيف

[١٤٥] المعنى ماذا يهمّ؟ والعبارة تشبه الشاهد الكتابيّ: «ما لي وما لَكِ؟» (يو٢:٤)، بمعنى: ما الذي يعنينا إنْ كان ليس لديهم خمر؟ عليهم أن يتصرّفوا بنفسهم.

(145) Senso: cosa c'importa? La frase araba é simile al testo biblico: «Che ho da fare con te?« (quid tibi et mihi?) (*Giov.* 2, 4). Cioé: se non hanno vino, *cosa importa a noi*? Se la vedano essi.

الروح[١٤٦] حين تأتي لزيارة جسدها في المقبرة، غاية في ضمان المحافظة عليه[١٤٧]، وبغرض تعزيته في وحدته، وتتّخذ دائمًا هيئة **طائر**. هذا هو المشهد المُلاحظ في كثير من الرسوم الجداريّة في مقابر طيبة. في برديّة «**نو**» (شكل ٨-٩)، صورة للروح في هيئة طائر برأس وذراعيّ امرأة في وضع عبادة الآلهة[١٤٨]. أيضًا في الصيغ المسجّلة في الأهرامات، الروح منذ مغادرتها للجسد تتّخذ أسماء طيور مختلفة. «تمضي إلى السماء **كالصقر**، الذي يشبه ريشه ريش **الأوزّ**. تنطلق نحو السماء مثل **طائر الكركي**، وتُقبِّل السماء **كالصقر**، وترتفع للسماء **كالجراد**. هكذا تُغادركم، أيها البشر»[١٤٩]. وهي لا تُغيِّر هيئتها عند زيارتها للجسد. هناك رسم في برديّة نب خود يصوِّر مقبرة، تُشبه إلى حدٍّ كبير تلك المُتاحة للزيارة حاليًا في سقّارة بالقرب من هرم أوناس. الرسم يُصوِّر الروح بجناحين وهي تهبط باستخدام سُلَّم في بئر سحيقة. في قاع البئر ينفتح بهو

[١٤٦] «كان المصريّون القدماء يعتقدون بوجود عنصر روحيّ بالإضافة إلى الجسد، تنوّعت الأسماء التي أطلقوها عليه: با، كا، رِن، أب. ويبدو أنّ الـ(با) هي التسمية الخاصّة بالنفس. أمّا الـ(كا) فليس لها تفسير دقيق: الكثيرون يعتبرونها الجنّيّ الذي يحمي كلّ إنسان أثناء حياته وبعد موته..». المرجع:

GIAMBERARDINI, *Religione Faraonica*, 161.

أمّا بشأن الـ(كا)، راجع التفسير اللاحق في المرجع التالي:

ERMAN A., *La religion des Egyptiens*, 245 s.

حيث يقول إنّ الـ(كا) تحرس الجسد في القبر، كما تحرس الـ(با) أيضًا حين تأتي لزيارته.

[١٤٧] راجع:

GIAMBERARDINI, *Religione Faraonica*, 169.

المحافظة على سلامة الجسد كانت شرطًا للحفاظ على النفس، لدى قدماء المصريّين. فهذين العنصرين البشريّين كان مصيرهما العودة إلى الاتّحاد معًا في يوم القيامة.

(148) British Museum, N. 10, 477. Cf. BUDGE E. A. W., *The Book of the Dead*, London 1953, 258.

(149) ERMAN, *La religion des Egyptiens*, 248.

يمتدّ حتّى حجرة الدفن حيث يوجد التابوت الذي يحوي الجسد، فهو الغرض من الزيارة[150].

إنّ أيّام زيارة المقابر متعدّدة على مدار أيّام السنة، ولكنّها ليست متماثلة في كلّ المناطق. وهذا الاختلاف والتنوّع ليس موجودًا الآن فحسب، بل أيضًا كان موجودًا في أيّام زيارة الجبّانة المصريّة القديمة. لدينا مرجع يعود إلى الأسرة الثالثة، مأخوذ من مقبرة مي – تحن، ينصّ على ترتيبها كالتالي: «أوّل يوم من الشهر، أوّل يوم من منتصف الشهر، أوّل يوم من كلّ أسبوع». وهناك مرجع آخر من الأسرة السادسة أكثر تفصيلًا إلى حدٍّ ما: «إنّه يصعد عند صوت الضجيج إلى محراب قبره في مناسبة العيد الشهريّ، وعيد نصف الشهر، وأوّل يوم من فصول السنة، والشهور، والأسابيع»[151]. أمّا الأقباط فلديهم قاعدة عامّة: الصعود إلى المقابر عشيّة الأعياد الكبرى كلّ عام. والأعياد الكبرى هي: عيد الميلاد، الغطاس، القيامة، وعيد العنصرة. لكن تختلف العادات باختلاف المناطق، كما تختلف الأعياد التي يقومون فيها بالزيارة مع اختلاف المناطق. ففي أسيوط تكون زيارة المقابر خمسة مرّات في السنة: رأس السنة القبطيّة (١١ سبتمبر)، عيد الصليب المقدّس، عيد الميلاد، والغطاس، ويوم الجمعة العظيمة. وفي مدينة قنا، مرّتين في العام: عيد الغطاس وشَمّ النسيم (الاثنين التالي لعيد القيامة). أمّا في نقادة، فأربعة مرّات في السنة: يوم الجمعة

[150] فيما يتعلّق بالرسوم التي تُصوِّر الـ(كا) أو الروح في هيئة طائر، راجع:

BLACKMAN, *Fellahs*, 107 — SCHWEITZER U., *Das Wesen des Ka im Diesseits und Jenseits der alten Ägypten, Ägyptol*. Forsch., Heft 19, Glüchstadt 1956. — GOLDZIHER I., *L'oiseau représentant l'âme dans les croyances populaires des musulrnans*, Arabica 7 (1960), 259. — DUBLER C. E., *Altägyptlische Miszellen im Islâm, in Asiatische Studien*, 16 (1963), 108-110.

[151] BLACKMAN A. M., *The Journal of Egyptian Archaeology*, vol. 3, 32.

العظيمة، يوم ١٥ هاتور في مناسبة بدء صوم الميلاد، ٢١ طوبه تذكار نياحة مريم العذراء، و ١٦ مسرى عيد انتقالها. وفي أرمنت ثلاثة مرّات: الجمعة العظيمة، ١٢ هاتور الموافق عيد القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة، و٥ أبيب عيد القدّيسين بطرس وبولس. وقد بلغ الأمر في الأقصر إلى حدّ المبيت في المقابر برفقة الأموات.

التقدمات: الأحياء لا يقومون بزيارة المقابر بدون التقدمات على نيّة راحة الموتى. واللوحات الجداريّة في مقابر مصر القديمة لا تخلو من تصوير لمواكب من الرجال والنساء المتوجّهين إلى الجبّانة، حاملين الخبز والحبوب والطيور وجِرار الجعة. بالإضافة إلى كميّات وفيرة من البخور، الذي كان من شأن عِطره أن يعبّق أنفاس المتوفَّى ويُشيع فيه الراحة والفرح[152]. فضلًا عن العثور على العديد من أنواع المواد الغذائيّة في داخل المقابر المصريّة القديمة. والمتحف الزراعيّ بالقاهرة به معروضات من أرغفة الخبز، والبلح، والبصل، والقمح وما إلى ذلك، عُثِر عليها في الجبّانات المصريّة. كلّ تلك التقدمات كانت من أجل أن يستفيد منها المتوفَّى، حيث إنّ الـ«كا» حيّة مثل النفس خاصّتها. فحين زيارتها للجسد تحتاج للغذاء كما كان الحال على الأرض أثناء الحياة، وكذلك كما هو الحال في أمنتي حيث ينمو القمح حتّى يبلغ ارتفاعه خمسة أذرع[153]. وهناك دليل واضح على هذا، ألّا وهو شاهد حجريّ من المملكة الوسطى، محفوظ في فلورنسا، يحمل النصّ التالي:

«الملك يقوم بتقديم القرابين إلى أوزيريس، سيّد بوزيريس، زعيم سكّان أمنتي، ربّ أبيدوس لكي يمنحه المخرج بأصناف،

[152] BLACKMAN A. M., *Rock tombs of Meier*, London 1924, part IV, 22.

[153] GIAMBERARDINI G., *Religione Faraonica*, 169.

الخبز، الجِعَة، ألف ثور، ألف أوزّة، ألف ثوب، حُليّ، بخور، زيت، وكلّ الأشياء الطيّبة والنقيّة التي يحيًّا بها الإله، المعطاة من السماء ومن ثمار الأرض، والتي يجلبها النيل: عسى أن يُعطيها لـ «كا» الخاصّة بذاك الذي يُكرَّم (هنا)، كاتب **الحريم**، «سِنوي»، المُبجَّل، ابن «أنتيف»، المُبرّأ»(١٥٤). وأيضًا، النصّ الجنائزيّ التالي: «ليقُل كلّ من يَعْبُر هذا الطريق: الآلاف من أرغفةِ الخبز، وأكواب الجعة، والملابس والأقمشة من أجل كيربري»(١٥٥).

أمّا تقدمة الأقباط حاليًا فليست أقلّ تنوعًا، فهُم يأخذون معهم الخبز والفطائر والبسكويت والفواكه والعدس والزيت والبخور والنقود أيضًا. أثناء صوم الميلاد(١٥٦) والصوم الأربعينيّ، وفي كلّ الآحاد يذهبون إلى أديرة الصحراء ليُقدّموا عطاياهم. هناك الكثير من الأديرة ليس بها رهبان ولكنّها كلّها تُحيط بها المقابر، لذا يذهب المؤمنون والكهنة منذ السبت السابق، المؤمنون ليقدّموا عطاياهم والكهنة لكي يتسلّموها. عام ١٩٥٤ عاصرنا الحدث في دير الأنبا متاؤس الفاخوريّ بجوار إسنا، فشاهدنا تقدمات من العدس، البصل، الخبز، لحوم الضأن، وأشياءً أخرى(١٥٧). كما لاحظنا في عام ١٩٥٦ وجود نفس المراسيم في دير الحَمّام الكائن في صحراء الفيوم. مثل هذه العطايا تُعرف باسم **الكلَفَة، أي المفروض، الواجِب**. التقدمات المتنوِّعة تُعطَى للفقراء مُباشَرة، ولكن غايتها هي منفعة الموتى. في حين أنّ الهدف

(154) MALLON A., *La religion des Egyptiens*, in HUBY J., *Christus: Manuel d'histoire des Religions*, Paris 1934, 706.
(155) GARNOT J. S. F., *L'appel aux vivants*, Le Caire 1938, 55.
(156) GIAMBERARDINI G., *Il Natale della Chiesa Copta*, Cairo 1958, 6-9.
(157) GIAMBERARDINI G., *La Tebaide*, in *La Voce del Nilo*, 13 (Cairo 1954). 50 s.

النهائيّ هو منفعة الموتى. بالتأكيد، التعليم المسيحيّ قد صقل عقليّة المصريّين فيما يتعلّق بطبيعة المنفعة. لكن يُمكن أن تُشاهد الآثار النادرة للمفهوم المصريّ لتقديم الزيت كوقود ووسائل الراحة إلى الـ«كا» أو **الروح** الزائرة بغرض استخدام الزيت في إشعال مصابيح الإضاءة، وتقديم وفرة من البخور الذي تتصاعد أدخنته في كلّ مكان، وترك المال والفطائر داخل القبر. شكل الشواهد الحجريّة الجنائزيّة القديمة، المزوّدة بقبوات كي توضع فيها العطايا، يؤكّد هذه القناعة. لكن لقد تغيّرت كثيرًا أيضًا الرمزيّة المتعلِّقة بهذه المسألة. المنفعة المقصودة، إذن، هي المنفعة الروحيّة، أي من أجل جلب الراحة للراقدين باستحقاقات الصدقات.

١٢ - استفسارات مباشِرَة:

استكمالًا لهذا الفصل الأوّل الخاصّ بالمعتقدات الشعبيّة سنشير إلى بعض الاستفسارات التي أجريناها مع الأقباط بشكل مُباشر، وسُنسطرها هنا كما هي بغرض الموضوعيّة. سيكون من السهل ملاحظة خاصّيّتين فيها: حيازة تُراث مع عدم اليقين بشأن الأسباب، فالأقباط يجهلون الأصل العتيق وتتأرجح فكرتهم عن الغاية المحدّدة. وإذا ما سُئلوا، لا يصمتون بل تكون إجاباتهم عشوائيّة في غالبيّة الحالات. أمّا المصادر المُباشِرة التي يُشيرون إليها فهي سير القدّيسين بتفسيرات ملفّقة. البعض يُشيرون إلى مراجع طقسيّة أو قصص من الكتاب المقدّس. ولا يخلو الأمر من البعض الذين يكونوا أكثر انفتاحًا للجدل اللاهوتيّ فيتّخذوا موقفًا أكثر صرامة، ولكن تميّزهم ليس بأقلّ من جهل الآخرين. ففي الحقيقة، بينما أنّ أولئك

يحتفظون بتراث علمانيّ رغم جهلهم بالتطوّر اللاهوتيّ، يتعدّى الجدليّون حقيقة التقليد الأصليّ ويُشوّهون التطوّر اللاهوتيّ. وها هي بعض الأمثلة.

القاهرة، ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣. إجابة خرستوس متري، رئيس شمامسة كنيسة العذارة بحارة زويلة. س: إلى أين تتوجّه النفس بعد انفصالها عن الجسد؟

ج: يأتي الملاك كي يتسلّمها. وهو يسهر عليها لمدّة ثلاثة أيام في بيت الأسرة. ثمّ يقودها إلى حضرة الله. ثمّ بحسب أمر الله يأخذها إلى الفردوس أو إلى جهنّم. ثمّ يعود بها إلى حضرة الله من جديد، وفي النهاية يسلّمها الموضع الذي ينتظرها.

س: متى تكون الدينونة؟ ج: الدينونة الحقيقيّة تكون في نهاية العالم. الدينونة العامّة موجودة ولكنّ الخاصّة لا. س: إذن، ليس هناك اختلاف في نصيب النفوس من الموت حتّى الدينونة الأخيرة؟ ج: هناك اختلاف في النصيب، فقد قال يسوع: «في بيت أبي منازل كثيرة». س: ما هي المنازل الكثيرة؟ ج: ثلاثة: الفردوس، موضع انتظار الصالحين، وموضع انتظار الأشرار. س: ومن الذين يشغلون كلّ منها قبل نهاية العالم؟ ج: الفردوس فيه القدّيسة مريم العذراء. أمّا موضع الراحة الذي يُشبه فردوسًا أرضيًّا ففيه القدّيسين. وموضع العذاب فيه الخطأة. س: كيف يُمكن تحديد التقسيمات الثلاثة بدون دينونة؟ ج: أنّها تحدث فحسب، هكذا هو الأمر. س: والترحيم، مثل الصلوات والصدقات، هل تنفع النفس؟ ج: تنفع الأحياء أكثر من الأموات. فالأحياء يستريحون بقيامهم بأعمال الرحمة. والنفوس، التي ترى كلّ ما يحدث، تتعزّى أيضًا إذ تشعر بمن يتذكّرونها. س: لكن لا شيء من

ذلك يُمكن أن يؤثّر على نصيبها؟ ج: كيف يكون ذلك؟ عمومًا، أوصيك بقراءة ميمر الأنبا مقّار.

كان من العبث التعمّق في المسألة، بما أنّها ليست واضحة لديه. فالملاذ الأخير كان قصّة منحولة: مخطوط باللغة العربيّة لن نقوم بنشره في سياق دراستنا هذه.

قنا، ٢٩ ديسمبر ١٩٦٠. دار الحوار مع عرّيف كنيسة مار جرجس. س: هل يقوم الأقباط بالصلاة من أجل الموتى؟ ج: بالتأكيد. يُصلّون في اليوم الأوّل، والثالث، والسابع، والرابع عشر، والأربعين، والستّة أشهر، والسنويّة. والجدير بالذكر هو أنّ صلاة اليوم الثالث تكون في المنزل، بحضور الكاهن من أجل صرف الروح. س: وهل هناك صلاة في المقابر؟ ج: يُصلّون في المقابر أيضًا، غالبًا في الذكرى السنويّة للوفاة، ويتكرّر الأمر كلّ عام. لكن أقول تحديدًا إنّ مواعيد الزيارات الدوريّة على مدار السنة ليست متماثلة في كلّ مكان، ولا تُشير إلى نفس التذكارات. مثلًا في محافظة أسيوط، الطلعة تكون في أعياد النيروز (رأس السنة القبطيّة)، الصليب، الميلاد، الغطاس، يوم الجمعة الكبيرة. أمّا هنا في قنا، فنحن نقوم بها في الغطاس وشَمّ النسيم (الاثنين التالي لعيد القيامة). س: ماذا تفعلون أثناء الزيارات؟ ج: نقوم بالصلاة والتقدمات. يُقدّمون: الخبز، الحلوى، قصب السكر، البرتقال، والنقود، وأصناف أخرى وفقًا لمقدرة كلّ شخص. س: هل يمكنك أن تشرح لي سبب التقدمات؟ ج: هذا أمر سهل. عليك أن تتناول سفر طوبيا وستجد فيه أنّ الصدقة تُنَجِّي مِنَ الخَطيئة وتنال الحياة الأبديّة»[158]. س: إذن، تلك التقدمات

(١٥٨) «الصَّدَقَةُ تُنَجِّي مِنَ المَوت وهي تُطَهِّرُ مِن كلّ خَطيئة» (طوبيا ١٢: ٩).

تؤدّي منفعة هامّة للنفوس؟ جـ: لا. النفوس لا تستفيد منها، لأنّ كلّ واحد يحصد ما يزرعه. إنّما تفيد المحسنين لأنّهم يتعزّون بها ويساعدون الفقراء لأنّ هؤلاء ينالون ما ليس لديهم. سـ: وهل يُشارك الكهنة؟ جـ: بلا شكّ. فهُم يرفعون البخور، يقومون بالصلاة أثناء الجنازات وفي وقت زيارات المقابر. ويصلّون من أجل الراقدين في كلّ مرّة يحتفلون بالقدّاس. عليك أن تقرأ ما في الخولاجي. سـ: من الذي قام بترتيب زيارات المقابر والصدقات والصلوات من أجل الأموات؟ جـ: هكذا كان الأمر دائمًا. سـ: حسنًا: إن كانت هذه الأعمال التَقَوِيَّة تُركِّز على الأموات، فلماذا تُفيد الأحياء ولا تفيد الأموات. جـ: يمكن إثبات منفعة الأحياء، أمّا منفعة الأموات فمن يستطيع أن يعرف. من يستطيع أن يذهب للعالم الآخر ويستطلع؟ نحن نضع كلّ شيء بين يدي الربّ، فهو الذي يعرف كيفيّة معاملة النفوس.

كما هو واضح، عرّيف قنا يؤكّد وينفي. إنّما مجادلة تدور بين تقليد ثريّ وجدل لاهوتيّ غير مستوعب.

الطويرات، أوّل يناير ١٩٦١. المعلومات سَجّلها المُرسل الكاثوليكيّ الذي ظلّ طوال ٣١ عامًا مسئولًا عن هذه الإرساليّة.

سـ: ما هي عادات المصريّين عند وفاة شخص ما؟ جـ: حزنهم وبكائهم شديد. في اليوم الثالث يجرون طقس صرف الروح، **إبعاد الروح**. يقوم الأهل بعرض كلّ الأشياء الموجودة في المنزل وتُتلى عليها الصلوات. سـ: هل يُشارك الجيران؟ جـ: الأقارب والمعارف يُشاركون في تقديم العزاء. وأيضًا يذبحون جديًا أو خروفًا أو عجلًا بحسب إمكانيّاتهم المادّية وعدد الحاضرين. الأحشاء والجلود تكون من

نصيب الفخّار. رُبع الذبيحة يُعطى للكاهن والباقي يأكله أقارب المتوفّى. والمساعدة واجب متبادل بين العائلات. سـ: هل هناك تقدمات أخرى من أجل الأموات؟ جـ: نَعَم، تُسمّى **الرحمة**، والكلمة تُخبِرُ عما تعنيه. وهذا هو المعنى بالفعل: أن يرحم الله المتوفَّى. هذه العادة شائعة بين المسيحيّين والمسلمين. وتتكرّر **الرحمة** نفسها في جميع زيارات المقابر. سـ: هل زيارات المقابر متكرّرة؟ جـ: تتفاوت المواعيد حسب البلاد، ففي الطويرات يذهبون في اليوم التالي لعيد الميلاد واليوم التالي لعيد الفصح. وفي البلّاص ودندرة يقضون ليلة عيد الغطاس في المقابر. وفي نقادة يوم الجمعة المقدّسة. سـ: من الذي يهتمّ بالمقابر؟ جـ: الفخّار، فمهنة الفخّار في مصر لها مكانتها. ومن الصعب أن يهجر مهنته، لذا فهي تنتقل من الأب إلى الابن، وهي مهنة مُربِحَة. ففي فترة المأتم هو المُكلّف بإعداد القهوة والشاي لزوم **الجنازة**. كما أنّ له حقّ أخذ جلد وأحشاء الحيوان الذي يُذبح من أجل إطعام المشاركين في المأتم. وكذلك هو أوّل من يحِقّ له أخذ العطايا في أيّام الزيارات.

نقادة، ٢ يناير ١٩٦١. لقاء مع الأخت/ لميعه، راهبة قبطيّة أرثوذكسيّة. سـ: هل توجد ممارسات خاصّة بالموتى؟ جـ: ينُصّ الطقس على أن يقوم الكاهن بالصلاة يوم الوفاة في منزل المتوفَّى، وفي الكنيسة والمقابر. وبالإضافة إلى ذلك يقوم في اليوم الثالث بصلاة صرف الروح في المنزل، حيث يتمّ إعداد بخور وملح وماء، ويشترك الجميع في صلاة **الأبانا** وصلاة الشكر. سـ: هل توجد دينونة بعد الموت؟ جـ: لا توجد دينونة خاصّة للمتوفَّى، لكن توجد الدينونة العامّة. فقد جاء يسوع المسيح في المرّة الأولى من أجل الخلاص، وسيأتي في المرّة الثانية للدينونة. سـ: وما هو مصير

النفوس قبل الدينونة العامّة؟ جـ: كلّ نفسٍ تتعرّف بعد الموت على الخير والشرّ الذي فعلته. من هذه المعرفة تتشكل ثلاثة حالات: الفردوس، الموضع الذي ينتظر فيه الصالحين ويتنعّمون، والموضع الذي ينتظر فيه الأشرار متألّمين. سـ: من الذين في الفردوس حاليًا؟ جـ: العذراء مريم، والأبرار الذين من العهد القديم، والرُسل وتلاميذ الربّ، والشهداء وجميع القدّيسين الكبار. سـ: ومن في موضع الانتظار والنعيم؟ جـ: جميع الآخرين الذين ارتكبوا بعض الخطايا، لكنّهم لا يستحقون جهنّم. فالجميع لديهم بعض الخطايا. فليس عبثًا القول بأنّ الربّ أتى ليدين الأحياء والأموات. كما ينبغي ألّا ننسى قول المسيح: «في بَيتِ أَبي مَنازِلُ كثيرة .. إِنّي ذاهِبٌ لأُعِدَّ لَكُم مُقامًا». فلا يُمكن أن يظهر أحد أمام يسوع إلّا الأبرار وحدهم. سـ: وماذا عن الخطأة؟ جـ: الخطأة أيضًا ينتظرون. لكن ضميرهم يؤنبهم ومنذ الآن يعانون صريف الأسنان وعذابات النار. ولا يسعهم سوى أن يقولوا : «آه، لو لم نرتكب الخطايا». هكذا ينتظرون جهنّم. سـ: هل ينتظر يهوذا أيضًا؟ جـ: لا، يهوذا بالفعل في جهنّم، لأنّ الربّ قال: «كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد». أمّا الخطأة الآخرين فما زالوا لم يسمعوا العقوبة. ولكيلا يسمعوها يردّدون: «أيتّها الجبال، اسقطي علينا واخفينا». إلى جانب أنّنا لم نرَ السماء ولا الجحيم، ولا نعرف شيئًا على وجه اليقين سوى أنّ يسوع قال: «أَمّا أَنتُم فَاحذَروا». ونحن الأقباط نؤمن بكلّمته. سـ: هل توجد هنا في نقادة عادة زيارة القبور؟ جـ: نَعَمْ، الطَلَعَة عندنا أربعة مرّات في السنة: الجمعة العظيمة، ١٥ هاتور، ٢١ طوبة، ١٦ مسرى. سـ: ما هو أصل هذه الزيارات؟ جـ: قديمًا، كان هناك شخص، قبل مغادرته متوجّهًا إلى الحرب قال

للملك: **سأقتُل** جميع الذين سيأتون للقائي. فحضرت إلى لقاءه ابنته، وكانت لا تزال بِكرًا، وبرفقتها العديد من الصبايا(١٠٩). فلمّا رآها تأثّر وعَدَل عمّا انتوى. لكن بعد أربعين يومٍ، عادت إليه قسوته من جديد فقتلهنّ. فمضت رفيقاتهنّ الباقيات على قيد الحياة إلى قبرهنّ وبكينَ هناك، فصار مثالهنّ هذا تقليدًا. أيضًا العذراء مريم ومعها النساء التقيّات الأخريات ذهبنَ إلى زيارة قبر يسوع. ونحن نقتدي بهنّ. سـ: هل تقدّمون عطايا في الزيارات؟ جـ: نعم، نقدّم الخبز والفواكه والنقود وأشياء أخرى. سـ: ما هو الغرض من العطايا؟ جـ: إنّها مساعدة للفقراء، وبهذا الإحسان يتحنّن الربّ فيتعامل **بالرحمة** مع النفوس. سـ: لكن، ماذا تستفيد النفوس؟ جـ: النفوس لا تستفيد شيئًا إن كانت في جهنّم، أمّا إذا كانت في الفردوس، يزداد مجدها. سـ: متى تكون الصلاة من أجل الأموات؟ جـ: في اليوم الأوّل، والثالث، والسابع، والرابع عشر، وبعد مرور شهر، وستّة أشهر، وبعد ذلك في الزيارات السنويّة للمقابر. والأغنياء في كثير من الأحيان يوزّعون الصدقات بالإضافة للصلاة. سـ: هل هناك صلوات خاصّة؟ جـ: هناك صلوت خاصّة بالصغار والصبيان والصبيّات، المتزوّجين والأرامل، الراهبات والرهبان، والكهنة. وهذه الصلوات كلّها يتضمّنها كتاب الجنازة.

أرمنت الحيط، ٣ يناير ١٩٦١. حوار مع الأرثوذكسيّ شفيق، وهو نجّار بالبلدة. سـ: ما هي أيّام تذكارات الموتى؟ جـ: اليوم الأوّل، الثالث، السابع، الرابع عشر، الثلاثين، الأربعين، الستّة أشهر، السنويّة. وهناك أيّام أخرى اختياريّة، فهناك

(١٠٩) المقصود هو يفتاح الجلْعادِي، قض ١١: ٣٠-٤٠.

البعض يستدعون الكاهن للصلاة كلّ خمسة عشر يومًا. سـ: ما هي الممارسة التي تتمّ في اليوم الثالث؟ جـ: إنّه إخراج الروح، إذ تُجلَب أمام الكاهن جميع متعلّقات المتوفّى ويقوم بتلاوة الصلوات عليها. سـ: هل توجد تذكارات طقسيّة بعد الذكرى السنويّة؟ جـ: نعم توجد، ومن أشهرها طقس الجمعة العظيمة وعيد العنصرة. في يوم الجمعة العظيمة، في ساعة الذُكران، أي حينما يقول اللصّ اليمين: «اذكرني يا ربّ متى جئت في ملكوتك»، يرفع الكاهن البخور ويقوم الكهنة الآخرين بتلاوة مجموعة الصلوات من أجل الأموات. وها هو ترتيب الطقس: يأخذ المؤمنون حبّات البخور من حُقّ البخور ويضعونها في الطبق. وحينها يقوم شخص يتمّ تكليفه بهذه المسألة بقول: «وتقدمة نقديّة أيضًا من أجل راحة نفس فلان وفلان». وتكون هناك تقدمة من أجل كلّ اسم يتمّ ذِكره. وبعد ذلك في عيد الخمسين، تكون هناك صلاة السَجْدَة. ففي الواقع، قبل بداية صوم الرُسل (يبدأ يوم الإثنين التالي لأحد العنصرة) حدّد الطقس ثلاثة سجدات تذكارًا للموتى. سـ: هل هناك زيارات للمقابر أيضًا؟ جـ: بالتأكيد، أكثر من مرّة: يوم الجمعة العظيمة، عيد الرُسل، عيد القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة. وفي هذه المناسبات تُقام الصلوات وتُقدّم العطايا. سـ: ما هي العطايا. جـ: ترمس، خيار، لحوم، خبز، حلوى، زيتون، وأشياء أخرى حسب المواسم والفصول. سـ: من الذي يستفيد بالعطايا؟ جـ: يأخذها الكاهن والفقراء والفحّار. سـ: لماذا تُقدّم في المدافن؟ جـ: نقدّمها رحمة على الميّتين، أي من أجل طلب الرحمة للموتى. سـ: ما هو مصير النفوس بعد الموت؟ جـ: ينقسمون لكي يشغلوا موضعين مختلفين: الصالحون في موضع السعادة، والطالحون في موضع

العذاب. وهناك ينتظر الجميع إلى حين مجيء الربّ الثاني. سـ: هل هذا التقسيم الذي تتحدّث عنه يكون نتيجة دينونة فوريّة؟ جـ: لا، لا وجود للدينونة الخاصّة، فكلّ نفس عند الموت تعرف أعمالها، وبناءً على ذلك تشغل المكان المقابل لذلك، فتتنعّم أو تتألّم وفقًا لصلاحها أو لشرورها. الدينونة الأخيرة لا تُغيّر مصيرهم هذا، لكنّها ضروريّة من أجل الإعلان العامّ لاستحقاقات أو لعنات كلّ فرد.

إلى هنا وكفى، فلن نُضيف شيئًا آخر لأنّ ما قيل يكفي لتوضيح المسائل التي أشرنا إليها. بالإضافة إلى أنّ الإنكار المُنظّم والتناقضات مؤكّدة ولا تحتاج إلى توضيح، بما في ذلك ما يتعلّق بالدينونة الفوريّة أو الخاصّة والمَطهَر، والصلاة من أجل راحة الموتى. قد تختلف المسمّيات ولكنّ المعنى المقصود واحد حتّى وإن كان بوسائل مختلفة. أن يُدرك المرء بعد موته ما فعله إن كان خيرًا أو شرًّا، هذا يعتبر على نحوٍ ما تمييزًا محدّدًا يُشير إلى عقوبة أو نتيجة لدينونة ما. التقسيم إلى ثلاثة حالات، إدانة، ومكافأة، وانتظار يحِلّ مَحَلّ الأسماء جهنّم، فردوس، و مَطْهَر. الصلوات والصدقات من أجل الموتى، على الرغم من المجادلات السفسطائيّة، تتضمّن كامل قيمة الاسترحام أو طلب الراحة لهم. الأمر مثل سحابة ضبابيّة منتشرة ولكنّها لا تُلغي وجود النور.

الفصل الثاني

الكتابات المنحولة

الكتابات المنحولة مفيدة لسببين: لأنّها تنبع من الخيال الشعبيّ، ولأنّها تُقدِّم المرجعيّة التاريخيّة للمعتقدات الشعبيّة. بالتالي تكوينها هو نقطة التقاء ما كان مُعتَقَدًا فيه من قبل، مع وثيقة تؤكِّد ما هو مُعتقدًا فيه في وقت لاحق. بالتالي، مُجْمَل المعتقدات الأخرويّة للأقباط، التي عرضناه في الفصل السابق، ستجد تأكيدًا قويًا في هذا القسم المُخصّص للأدب المنحول أو المُلَفّق.

لا بُدّ من فهم المصطلح المختار كعنوان، إذ ينبغي ألّا يُساء فهمه. إنّه يشتَمِل على الكتب التي تحمل اسم كاتب مقدّس، ولكن الكنيسة لا تعترف بها على هذا النحو. كذلك ليست هي فقط الكتابات المُلَفّقَة بشكل صحيح، ولكن هناك أيضًا أنواع أخرى من الأدب منسوبة إلى سُلطة شخصيّة من الشخصيّات التي سطّرت أسفار الكتاب المقدّس. على سبيل المثال: مجموعات القوانين المنسوبة إلى الرُسل. ولكنّها لا تتعدّى على الكتاب المقدَّس. أمّا الوثائق المنحولة الأخرى فسنعرضها في الفصل التالي الذي سيتناول سير القدّيسين.

الكتب والوثائق التي تتضمّنها مجموعة المنحولات القبطيّة كثيرة جدًّا[1]. وكذلك ليست أصليّة دائمًا، لأنّها في غالبيّة الأحيان تكون منقولة عن كنائس أخرى أو

---

[1] مراجع عن الأدب القبطيّ المنحول:

REVILLOUT E., *Apocryphes coptes du Nouveau Testament*, Etudes Egyptologiques VII, f. 1 (1876), 128 pp. — GUIDI J., *Gli atti apocrifi degli apostoli nei testi copti, arabi ed etiopici*, in *Giornale della Società Asiatica Italiana*, 2 (1888), 66. — LEMM (von) O., *Koptische apocryphe Apostlacten*,I, II, in *Bulletin de l'Academie Impériale des Sciences*

مترجمة من لغات أخرى. مع ذلك، اللغات الثلاثة، اليونانيّة والقبطيّة والعربيّة[1] التي استخدمتها الكنيسة القبطيّة على التوالي ولا تزال تستخدمها، متغلغلة في الكتابات المنحولة سواء كانت أصليّة أم منقولة. وعندما لا تكون هذه أصليّة، فإنّ اللغات تتعامل بملاحظات محدّدة، أي وفقًا للقوميّة التي نشأت فيها منذ فجر

de S. Pétersbourg, 33 (1890), 509-581; 35 (1892), 233-326. – GUIDI J., *Di alcune pergamene saidiche della collezione borgiana*, in *Rendiconti della Reale Academia dei Lincei*, ser. V, 2 (1893), 513. — Rossi F., *I papiri copti del museo egizio di Torino*, in *Memorie della Academia delle Scienze di Torino*, ser. II, 35-42 (1888-1893). — ROBINSON F., *Coptic apocryphal Gospels. Translations together with the texts of some of them, also notes and indices*, Cambridge 1896 (Texts and Studies, IV, 2). — STEINDORFF G., *Die Apokaypse des Elias : eine unbekannte Apokaypse und Bruchstücke der Sophonias. — Apokaypse. Koptische Texte, Uebersetzung und Glossar*, Leipzig 1899. — JAMES M. R., *Some Coptic new apocrypha*, in *Journal of Theological Studies*, 6 (1903), 132-142. — SPIEGELBERG W., *Eine sahidische Version der Dormitio Mariae*, in *Recueil de travaux relatifs à la philologie et l'archéologie égyptienne et assyrienne*, 25 (1903), 4-5. — LACAU P., *Fragments d'apocryphes coptes*, in *Mémoires de la Mission Français d'Archéologie Orientale au Caire*, 9 (1904), Iv + 115 pp. avec 6 pl. — LADEUZE P., *Apocryphes évangéliques coptes. Pseudo-Gamaliel, Evangile de Barthélemy*, in *Revue d'Histoire Ecclésiastique*, 7 (1906), 245-268. — WINSTEDT E. O., *A Coptic fragment attributed to James the brother of the Lord*, in *Journal of Theological Studies*, 8 (1906-1907), 240-248. — MAAS M., *Neue koptische Apokryphen*, in *Theologische Literaturzeitung*, 38 (1913), 573-574. — SCEIMIDT C., *Apokaypse des Elias*, in *Theologische Literaturzeitung*, 38 (1913), 764-765. — BUDGE W., *Coptic Apoerypba in the Dialect of Upper Egypt*, London 1913. — REVILLOUT E., *Les Apocryphes coptes publiés et traduits II*. Acta Pilati, in *Patrologia Orientalis*, IX, 2 (Paris 1913). — BUDGE W., *Miscellaneous Copic Texts in the dialect of Upper Egypt*, London 1915. — HAASE F. A. J., *Zur Rekonstruktion des Bartolomäusevangelium*, in *Zeitschrift für Neutestamentliche Wissenschaft*, 16 (1915) 93-112. — CHAÎNE M., *Catéchèse attribuée à Saint Bacile de Césarée; une lettre apocryphe de St. Luc*, in *Revue de l'Orient Chrétien*, ser. 3, 3 (1922), 150-159; 3 (1923), 271-302. — KLAMETH G., *Über die Herkunst der apokryphen "Geschichte Josephs des Zimmermanns"*, in *Angelos*, 3 (1930), 6-31. — HALLOCKS F. H., *Coptic apocrypha*, in *Journal of Biblical Literature*, 52 (1933), 163-174. — MACCULLOCH J. A., *Some Coptic Christian Apokrypha*, in *Laudate*, 12 (1934), 11-30. — LEFORT L. Th., *Fragments d'apocryphes en copte-akhmimique*, in *Muséon*, 52 (1939), 1-10. — LACAU P., *Fragments de l' Ascension d'Isaïe en copte*, in *Muséon*, 59 (1946), 453-467.

[1] واللغة الحبشيّة أيضًا. وهذا ما يُفسره وجود العلاقات التاريخيّة والقانونيّة بين الكنيسة المصريّة والكنيسة الإثيوبية منذ القرن الرابع.

المسيحيّة، على الأقلّ منذ القرن الثاني؛ وبعد تعديلها وفقًا للناحية القوميّة، مع تغيير النصوص، تكون قد صارت تحمل بصمة التقاليد الرجعيّة للبلاد. لذا فإنّ العناصر الورائيّة التي للمُعتقد المصريّ القديم، التي تداخلت فيها عناصر الثقافات غير المتجانسة، تظهر بوضوح في الوثائق التي نحن بصدّد الإشارة إليها.

كما قلنا آنفًا، الكتابات القبطيّة المنحولة وفيرة للغاية، لذا سنقتصر فقط على العناصر الإسكاتولوجيّة. وبما أنّ هذه كثيرًا ما تتكرّر في كتابات مختلفة، كما أنه سيظهر جزء منها في الفصل الخاصّ بسير القدّيسين، نعتقد أنّه يكفي لأهدافنا أن نقصرها على بضعة مختارات. في الاختيار ركّزنا تركيزًا خاصًّا على سفر الرؤيا **القبطيّ للقدّيس بولس والكتابات الغنوصيّة القبطيّة**[2]، وخاصّة تلك التي اكتشفت

[2] مراجع عن الكتابات الغنوصيّة القبطيّة:
DULAURIER Ed., *Notice sur le manuscrit copte-thébain intitulé la fidèle sagesse* (ⲡⲓⲥⲧⲏ ⲥⲟⲫⲓⲁ) *et sur la publication projetée du texte et de la traduction française de ce manuscrit*, in *Journal asiatique*, I (1847), 534-548. — SCHWARTZ E., *Pistis Sophia, opus gnosticum Valentino adjudicantum e codice ms.coptico Londinensi descripsit et latine vertit*, ed. J. H. Petermann, Berlin 1851. — HARNACK A. VON, *Über das gnostische Buch Pistis Sophia*, Leipzig 1891. — LIECHTENHAN R., *Untersuchungen zur koptisch-gnostischen Literatur*, in *Zeitschrift für wissenschaftliche Theologie*, 44 (1901), 236-253. — WORRELL W. H., *The odes of Solomon and the Pistis Sophia*, in *Journal of Theological Studies*, 13 (1911-1912), 29-46. — MEAD G. R. S., *Pistis Sophia ; a gnostic miscellany..*, London 1921. – SCHMIDT C., *Pistis Sophia ; ein gnostisches Originalwerk des dritten Jahrhunderts aus dem Koptischen übersetzt*, Leipzig 1925. — SCHMIDT C., *Pistis Sophia, neu herausgegeben mit Einleitung nebst griechischen Wort- und Namen-regitler*, Hauniae 1925. — SCHMIDT C., *Die Urschrift der Pistis Sophia*, in *Zeitschrift für Neutestamentliche Wissenschaft*, 24 (1925), 218-240. — FAY E. DE, *Gnostiques et gnosticisme : étude critique des documtents du gnosticisme chrétien aux IIe et IIIe siècles*, Paris 1925 (2e éd.). — FIEBIG P., *Ein Wort über den Bruder des Erlösers in Pistis Sophia*, in *Angelos*, 2 (1926), 155-158. — EISLER R., *Pistis Sophia und Barbelo*, in *Angelos*, 3 (1930), 93-110. — CRUM W., *Coptic anecdota. I. A. Gnostic fragment*, in *Journal of Theological Studies*, 44 (1943), 176-182. — LEFORT L. Th., *Note (sur la découverte dei manuscrits gnostiques)*, in *Bulletin de l' Académie royale de Belgique*, ser. 5, 34 (1948), 100-102. – PUECH H.-Ch.-DORESSE J., *Nouveaux écrits gnostiques découverts en Egypte*, in *C. R. de Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, (1948), 87-95. — TOGO MINA, *Le papyrus gnostique du Musée copte*, in *Vigiliae christianae*, 2 (1948), 129-

حوالي عام ١٩٤٥ في بلدة خينوبوسكيون، حاليًا منطقة قصر الصعيد بالقرب من نجع حمادي[4]. فهذه هي التي تظهر فيها الهويّة المصريّة بوضوح أكثر.

سيظهر التأثير القويّ لعلم الأخرويّات للمصريّ القديم في هذا الفصل في مواضع كثيرة[5]، كما ظهر في الفصل السابق. في **وصيّة إبراهيم وإسحق ويعقوب**، وفي **إنجيل يوحنّا المنحول**، وفي **رؤيا بطرس ورؤيا بولس**، وأيضًا في قصّة يوسف سيدور الحديث عن نهر **النيران** الذي يجب على النفس عبوره أثناء رحلتها في العالم السُفليّ. ذلك المفهوم كان مألوفًا لدى الشعب المصريّ القديم. ففي كتاب الموتى، الفصل ١٧، تُنادي الروح الإله رع وتقول: «نَجّني من هذا الشيطان الذي هيئته تُشبه هيئة كلْب، لكن حاجبيه يشبهان حواجب الإنسان. فهو يتقلَّد حراسة مجرى **بحيرة النيران**، ويفترس جثث الموتى». ثُمّ يقول في مقدّمة الفصل التالي: «من يتلو هذا الفصل سيتشدّد على الأرض؛ و (هناك في العالم الآخر)، حينما يتحتّم عليه عبور

136.— DORESSE J., *Trois livres gnostiques inédits : Evangile des Egyptiens.Epître d'Eugnoste. Sagesse de Jésus-Christ*, in *Vigiliae christianae*, 2 (1948),137-160.

(4) المراجع:

DORESSE J. e TOGO MINA, *Nouveaux textes gnostiques découverts en Haute Egypte : La bibliothèque de Khenoboskion*, in *Vigiliae Christianae*, 3 (1949), 129-141. DORESSE J., *Une bibliothèque gnostique copte découverte en Haute Egypte*, in *Bulletin de l'Académie royale de Belgique*, 5 sér., 35, 1 (1949), 435-449. — PAHOR LABIB, *Copte Gnostic Papyri in the Coptic Museum at Old Cairo (fotocopia degli originali)*, Cairo 1956. — DORESSE J., *Les livres secrets des gnostiques d'Egypte : Introduction aux écrits gnostiques coptes découverts à Khenoboskion*, Paris 1958.

وسنهتمّ لاحقًا بالنصوص التي تمّ نشرها.

(5) فيما يتعلّق بتأثير ثقافة مصر القديمة على الكتابات القبطيّة المنحولة، راجع:

WIEDERMANN A., *Die Toten und ihre Reiche im Glauben der alten Aegypter*, Leipzig 1910. — KEES H., *Totenglauben der alten Aegypter*, Leipzig 1916.— BURMESTER O. H. E., *Egyptian Mythology in the Coptic Apocrypha*, in *Orientalia*, nova ser. 7 (1938), 355-367. — PIANKOFF A., *La descente aux Enfers dans les textes Egyptiens et dans les apocryphes coptes*, in *Bulletin de la Société d'Archéologie Copte*, 7 (1942), 33-46.

مناطق النيران، لن يُحاصَر حصارًا لا فكاك منه بسبب سيّئاته». أيضًا في الفصل ٩٨: «ها قد بَلَغْتُ إلى **بحيرة النيران**، بين **حقول النار!** وفي الحقيقة، بحيرة النيران هذه، وحقول النار هذه، هما نبعيّ حياتك»[6].

في رؤيا بولس نصّ عن آبارٍ ساخنة لدرجة الغليان تنبعث منها **عفونة شديدة** تُثير الغثيان، تتحمّلها النفس بصعوبة. بينما في **كتاب آم- دوات** لدى قدماء المصريّين مذكور أنّه حتّى الطيور تحرص على الابتعاد عن تلك المياه العفنة: «مياه تلك البحيرة ساخنة لدرجة الغليان. والطيور تُحلّق عاليًا مبتعدة عندما ترى تلك المياه وحينما تستنشق هذه الرائحة النتنة»[7].

وفي **إنجيل برثلماوس** وفي **رؤيا بولس** تظهر **حيّات تنفث النار** من أفواهها. بينما في الكتاب المصريّ العتيق، **كتاب الكهوف**، الإله رع يُناجي حراس الكهف الأوّل قائلًا: «أيتها الحيّات اللادِغَة، ها إنّني أدخل نطاق الغرب كي أعتني بأوزيريس .. أيّتها الثعابين المتسلّلة، **التي بأفواهها النافثة للنيران تستهدف إحراق** أعداء أوزيريس، اسجُدْنَ ولتتراجع أذرعتكنّ»[8].

الكتابات المسيحيّة المنحولة بالإضافة إلى كونها تذكر **المركبة السمائيّة**، تتحدّث أيضًا كما هو الحال في **رؤيا إيليا** وكذلك **رؤيا بولس**، عن **القارِب السمائيّ** الذي ينقِل

(6) المرجع:

KOLPAKTCHY G., *Livre des Morts*, 77, 81, 173.

(7) المرجع:

BUDGE E. A. Wallis, *The Egyptian Heaven and Hell*, part II, 112 s.

(8) المرجع:

Presso PIANKOFF, *art. cit.*, 37 s.

النفوس. على سبيل المثال لا الحصر، نقرأ في الفصل ٩٨ من كتاب الموتى النصّ التالي: «آه، ها هو الإله كا! **لقد وصل بقاربه.. إنّني** واقف على الجسر المؤدّي للقارب، في اتّجاهه، وأقوده فوق صفحة المياه الصافية. فأُبحِرُ في هذا القارب وفقًا لأوامر هذا الإله. وهذا الإبحار لا يخلو من الثمار. هكذا أسلُك في السُّبُل السمائيّة بقاربي»[9]. النوتي كان اسمه: **حِر-اف-حا-اف** (*Ḥer-f-ḥa-f*)، أي: **وجهه خلفه**؛ أو: **ماع-اف-حا-اف** (*Maa-f-ḥa-f*)، أي: **ذاك الذي ينظر إلى الخلف**. الاسم ينمّ عن وضعيّة النوتي الذي يولّي ظهره لاتّجاه القارب أثناء قيامه بالتجديف.

إنّ الإنجيليّن القبطيّين اللذين يتكلّمان عن مريم وقصّة يوسف ورد فيهما ذِكر **حُرّاس الأبواب وأولئك الذين يوجّهون الاتّهام في أمنتي**. في هذا الشأن يمكن الرجوع أيضًا إلى **كتاب الموتى** باعتباره المصدر. ففي الفصل ١٢٧ تقول الروح العبارة التالية: «التحيّة لكم، **يا حُرّاس الأبواب! التحيّة لكم!** يا مَن تُعاقبون النفوس، وتفترسون الجثث، يا مَن تقودون الحقّ- العدل نحو الروح الإلهيّ، أنتم أيّها المعفيّين من كلّ سوء الساكنين في عاكر[10]: لا تتركوني بلا حماية، لكي لا أفنى.. أرشدوني إلى الطريق، افتحوا لي الأبواب ومقرّ كِرتي»[11]. ونقرأ في الفصل ٣٠: «لعلّهم لا يُدلوا بشهادة كاذبة ضدّي! عسى ألّا ترذلني الآلهة التي تُدين! ولتكن

---

[9] المرجع:

KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 173.

[10] عاكر، إنّه العالم السُفليّ.

[11] المرجع:

KOLPAKTCHY G., *Livre des Morts*, 221 s.

كِرتي *Kerti*: يُشير إلى منطقة العالم السفليّ، في المغاور أو الكهوف الدائريّة، والآلهة التي تسكنها.

صادقة الشهادات بشأن أعمالي في الأرض أمام ذاك الذي يُراقِب الميزان[12] و(أمام) الإله ربّ[13] أمنتي»[14].

إنّ كافّة أرجاء الكتابات المنحولة نجد فيها وصفًا لمختلف العقوبات الصادرة على النفوس، وفي **رؤيا بطرس** هناك وصف لحال بعض الخطأة المُدانين الذين يبقون مُعلّقين في الهواء بينما تكون رؤوسهم غارقة في مستنقع المياه الساخنة لدرجة الغليان. أيضًا في الكتاب المصريّ **عن الدوات** أو **كتاب الكهوف**، توجد هذه العقوبة: «أنتم من المذبوحين.. أنتم من الباكين الذين أُفنيَت نفوسهم.. أنتم من وُضِعتم في موضع الهلاك.. فإنّ نفوس أعداء أوزيريس تسير **مُنحنية الرؤوس في** موضع الهلاك»[15].

إنّ بعض المراجع المنحولة مثل **إنجيل إيليا وإنجيل برثلماوس**، تقول بإنّ عددًا كبيرًا من النفوس تدخل فردوس النعيم بعد أن تقضي عقوبتها الكفّاريّة في موضِع العقاب. ووفقًا لما ورد في الفصل ١٧٤ من **كتاب الموتى** يُمكن للنفسِ أن تؤكّد بأنّها قد أتمّت **مَطهرِها**: «ها قد وصلتُ إلى الموضِع المُعَدّ لي. إنّني أعبرُ الباب وفوق رأسي الإكليل الملوكيّ المزدوج.. فضيلتي الساطعة تجتاح السماء اللانهائيّة! وملكوت الطهارة يستقبلني، حيث سأستقرّ أبديًّا، بقُربِ الأنفاس الإلهيّة القديرة. فقد أقمتُ

---

[12] أنوبيس هو الذي يتحكّم في الميزان، وتحوت هو الذي يُدوِّن في السجِلّ.

[13] أوزيريس.

[14] المرجع:

KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 93.

[15] المرجع:

Presso PIANKOFF, *art. cit.*, 37 s.

بالفعلِ في بحيرة النيران: حيث لاقيتُ هناك جزائي على السيئات التي ارتكبتها على الأرض»[١٦].

البرديّات الغنوصيّة التي لا تحمل عنوانًا، تلك التي تمّ اكتشافها بالقرب من نجع حمّادي تحكي قصّة **فينيكس أو طائر العنقاء**، الذي يرمز إلى القيامة والحياة الأبديّة. و**كتاب الموتى**، يُقدّم في الفصل ١٧ النفس التي تُعلن أنّها قد كَفَّرت عن ذنوبها وحملت اسم الطائر المقدّس: «**أنا العنقاء العظيم** من هليوپوليس[١٧]. أنا حارس كتاب المصير المكتوب فيه كلّ ما كان وكلّ ما سيكون.. ها قد وصلتُ إلى موطني الأصليّ، وأنتظر موضع إقامتي الثابت. لقد تمّ اقتلاع الشرّ الذي كان فيّ مع جذوره. عيوبي ونقائصي كلّها قد زالت، فقد عَبَرْتُ بالفعل دروب العالم الآخر»[١٨].

التشابه بين الكتابات المسيحيّة المنحولة و الأساطير المصريّة القديمة لا نجده فقط في التفاصيل وحدها، بل نجده أيضًا في المستوى العامّ لنشأة الكون الإلهيّ ذاته. على هذا المستوى عينه يُمكن أن يسير من يريد اكتشاف الينابيع التي تحدّث عنها دانتي أليچييري. السماء والأرض، المَطهَر والجحيم: هذه المناطق الأربعة التي تنقسم إلى العديد من التدرّجات هي التي تُشكل المضمار الرحب الذي يُنسج فيه خيال

---

[١٦] المرجع:

KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 309.

[١٧] فينيكس أو طائر العنقاء: بالهيروغليفيّة «بنّو» bennu، وبالقبطيّة ⲂⲎⲚⲈ (باللهجة الصعيديّ) وⲂⲎⲚⲒ (باللهجة البحيريّ)، وباليونانيّة φοίνιξ، وقد وردت التسمية أيضًا في الكتابات القبطيّة. وهو يرمز إلى روح رع التي تولد كلّ يوم. هليوپوليس: هي مدينة رع أو مدينة الشمس. بالهيروغليفيّة: أنو annu وبالقبطيّة ⲰⲚ ⲑ ⲰⲚ ⲈⲦⲈ ⲈⲂⲀⲔⲒ ⲙ̀ⲫⲣⲏ ⲧⲉ أون مدينة الشمس. وفي الكتاب المقدّس «ⲁⲛ»، راجع: تك ٤١: ٥٥؛ ٤٦: ٢٠.

[١٨] المعنى: المناطق السفليّة في العالم الآخر، حيث موضع الألم، راجع:

KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 74.

الكتابات المنحولة. العالم يبدو في الكتابات المصريّة الأخرويّة كما يلي: السماء، والعالم السفليّ الذي ينقسم إلى قسمين. **الأرض** هي موضع الحصول على الاستحقاق أو اللعنة، وحيث تعود الـ(**كا**) أو روح المتوفّى إلى الظهور. **والسماء** هي منطقة المجالات المضيئة التي تبلغها بمركب الشمس وتعبر فيها. **العالم السفليّ** هو منطقة المصير المباشر للروح فور انفصالها عن الجسد. وهذه المنطقة تنقسم إلى قسمين: **أمنتي**، القسم العلويّ، وهو منطقة البلاد الغربيّة حيث يحكُم أوزيريس؛ وطوات (*Ṭuât*) أو **دوات** (*Duât*)، القسم السفليّ السحيق المُظلِم الذي ينقسم إلى كهوف أو مغاور دائريّة تُعرف باسم **كِرتي** (*Kerti*)، وهو الجحيم بعينه. هنا تمتدّ حقول النار، **بحيرة النيران**. هنا تتألّم النفوس وِفق أمر الحُراس القُسَاة الذي يتحكّم كلّا منهم في أحد الكهوف. الأمل منوط بأوزيريس، مِلك **أمنتي** وديّان الأحياء والأموات. حيث إنّ المتوفَّى، المقتنع بأنّه مات في أوزيريس، يعتبر ذاته شيئًا واحدًا معه، ويتّخذ اسمه. هذا ما يُفسّر تقديم المتوفَّى لذاته في العالم الآخر بالتعبير: «أنا أوزيريس» أو «**أنا فلان** (اسمه الشخصيّ) **أوزيريس**». نذكر كدليل على ذلك بعض النصوص من الفصل ١٢٧ من **كتاب الموتى**: «التحيّة لكم، يا آلِهة كِرتي؛ وأنتم يا سكّان أمنتي! التحيّة لكم، يا حُرّاس أبواب طوات.. أنتم يا مَنْ تستحضرون الحقّ-العدالة للكائن الكامل والغامض الذي يسكن العالم السُفليّ: الكائن الذي روحه، المماثلة لروح رع، تُدعى أوزيريس! أرشدوني إلى الطريق، وافتحوا لي أبواب ومسكن كِرتي. أنتم وحدكم الذين باستطاعتكم أن تنصروني على أعدائي!.. افتحوا لي أبواب السماء، والأرض والطوات. أنا الروح الحيّ لأوزيريس! إنّني أسكن في

حضن هذا الإله. اجعلوني أعبُر بدون عقبات جميع المناطق الموصوفة، بحسب القانون الإلهيّ. عسى أن تُمجِّدني الآلهة حين تراني! عساني أستطيع أن أجِد حظوة لديهم! عساني أن أستطيع أن أتقدّم وأطوف كما يروق لي! عسى ألّا تواجهني أيّة رذيلة ولا أيّة خطيئة!»[١٩].

من بين جميع العناصر المشار إليها، تنعكس المجموعة الأكثر تجانسًا في نسخة **رؤيا بولس**، ففي الكتابات المنحولة الأخرى تبدو مُجزّأة أكثر. ومن ناحية أخرى، تتداخل عناصر جديدة قيِّمة في تفسير التقاليد القبطيّة المتعدّدة الأوجه التي وصلت إلى أيّامنا هذه.

١- وصيّة إبراهيم وإسحق ويعقوب:

قام بنشرها بارنس Barnes في **نصوص ودراسات**[٢٠]. إنّها تتضمّن وصفًا لمسار رحلة النفوس، سواء كانت بارّة أم خاطئة، في المناطق الجهنّميّة. فهذه النفوس أو تلك ينبغي أن تَعبُر **نهر النيران**، لكنّ التأثير يكون مختلفًا: «هناك طريقة موجود في نيران النهر بحيث ألّا تقوم بتعذيب **الأبرار**، بل تُعذِّب **الخطأة** وحدهم فتحرقهم»[٢١]. بما يتطابق مع نصّ دانيال: «مِن أمامِه يَجْري وَيخرُج نَهْرٌ مِن نار»[٢٢].

---

[١٩] المرجع: KOLPAKTCHY, *Livre des Morts*, 221 s.

[٢٠] المرجع: BARNES W. E., *The Testaments of Abraham, Isaac and Jacob* (in *Texts and Studies*, II, 2), Camblidge 1893.

[٢١] المرجع: BARNES, *op.6it.*, 147.

[٢٢] المرجع: دانيال ٧: ١٠.

التأثير المزدوج للنار هامّ للغاية في التمييز اللاهوتيّ فيما بين **نيران المَطهَر ونيران جهنّم**.

٢- رؤيا إيليّا:

الإصدار النقديّ لهذه الكتابات نشره شتايندروف Steindorff[٢٣]. الموضوع الرئيسيّ يتركّز في مجيء المسيح الثاني والآية الألفيّة. فيما يتعلّق بموضوعنا، سنركّز على وجود **الأرواح** في وقت الموت وتأجيل مسيرة النفوس لمدة ثلاثة أيّام نحو مصيرها فيما بعد القبر: «إنّهم (الملائكة) يقضون **ثلاثة أيام** في الطواف معها في الهواء قبل أن يأخذوها إلى الجزاء الأبديّ»[٢٤]. هنا تظهر **أيضًا** صورة **المركِب السمائيّ** الذي يستقبل نفوس المُختارين: «هؤلاء يأخذون بيدي، لكي أصعد إلى ظهر هذه المركب ويبدأوا في الإنشاد أمامي مع آلاف آلاف، وربوات ربوات الملائكة»[٢٥]. هناك نصّ غير واضح يبدو لي أنّه متّفق مع نظريّة **العودة الشاملة إلى الله أو الدينونة العامّة**: «الأبرار سيعاينون الخطأة الذين ينالون عقابهم وأولئك الذين اضطّهدوهم وأسلموهم. والخطأة من جانبهم سيعاينون الأبرار وسيشتركون في النعمة. وفي ذلك اليوم **سيُسمح لهم بما طلبوه** [الأبرار] مرارًا وتكرارًا». چيمس James الذي

---

[٢٣] المرجع: STEINDORFF G., *Die Apocalypse des Elias : eine unbekannt Apokalypse und Bruchstücke der Sophonias-Apokalypse. Koptische Texte.Uebersetzung, Glossar.* (in *Texte und Untersuchungen zur Geschichte der Altchristlichen Literatur*, n. s. II, 3-A), Leipzig 1899.

[٢٤] المرجع: STEINDORFF, *op. cit.*, 42 s.

[٢٥] نفس المرجع السابق، ص ٥٦.

ذكر هذا النصّ متّفق مع هذا الرأي، فهو يقول: «ما أفهمه من هذا، هو أنّ الخطأة سينالون الخلاص بفضل صلوات الصدّيقين»[26].

٣- إنجيل الرُسل الاثنا عشر:

إنّه سلسلة من الوثائق القبطيّة المتفرّقة، مختلفة عن بعضها من حيث تاريخها ونوعيّتها، جمعها معًا ونشرها **ريفلاوت Revillout**[27]. العنوان يؤكّده النصّ التالي: «نحن، **الرسل**، نشهد بهذه الأمور»[28]. لكن ليس من السهل أن نعترف بأنّها جزء من الإنجيل المعروف، إنجيل الرُسل الاثني عشر[29].

فيما يتعلّق بنهاية العالم، هذه الكتابات تعرض بوضوح وجود جحيم حقيقيّ **وفردوس حقيقيّ قبل الدينونة الأخيرة**. كما أنّ صورة المركِب السمائيّ قد حلّت محلّها صورة **المركبة النورانيّة**. وتقول بأنّ يهوذا قد غاص على الفور في جهنّم: «لقد أصغى لزوجته[30] فصار له مصير الحرمان من **السماويّات والأرضيّات**، لينتهي أمره في **أمنتي**: موضِع البكاء والنحيب»[31].

---

[26] المرجع:

JAMES, *Apocryphal*, 521.

[27] المرجع:

REVILLOUT E., *Evangile des douze Apôtres*, in *PO*. 2, 131-184.

[28] نفس المرجع السابق، ص ١٨٢.

[29] المرجع:

GIAMBERARDINI G., *La Teologia assunzionistica nella Chiesa Egiziana*, Gerusalemme 1951, 10-12.

[30] الكتابات المنحولة تُركِّز على شهوات زوجة يهوذا. فقد دفعت زوجها إلى أن يسرق يوميًّا خزانة الرُسل، إلى حدّ خيانة يسوع وتسليمه في مقابل ثلاثين دينارًا. راجع:

أمّا حنانيا، فلأنّه دافع عن الربّ على الجلجلة ووقف ضدّ العبرانيّين، قد أفلت من جهنّم واستحقّ أن يدخل **الفردوس**: «لقد خرج صوت من جسد المخلّص المُعلّق على الصليب يقول: حنانيا، حنانيا! نفسَكَ لن تمضي إلى **أمنتي**، وجسدك لن تفوح منه رائحة الموتى.. **وفي تلك اللحظة**، «**ǸTEϤNOϤ**»، أخذ المُخَلِّص نفس حنانيا معه في السماء، نحو السماوات. وقال له الربّ: «طوباك، يا حنانيا، لأنَّكَ آمنت بابن الله حينما كنت في العالم»»[32].

الملامح العقائديّة للفردوس نجدها بوضوح أفضل في **انتقال العذراء بالنفس والجسد**. فهي جالسة **عن يمين الابن** الذي يقول لها: «كما أقامنى أبي من بين الأموات، كذلك أقمتُكِ لكي أقودكِ إلى السماء بجواري: «**ϨΑϨTHI**». – كُنّا نحن (الرسل) ننظر **وفي تلك اللحظة** رأينا العذراء القدّيسة مريم بذلك الرداء (الجسد) الذي وُلِدت به، وكأنّه لم يعرف الموت قبلًا. رأينا الربّ يسوع يَمُدّ يده إليها ويُصعِدها على **المركبة النورانيّة** التي كان يقودها بنفسه. ورأينا جوقة الملائكة التي تسير أمامهما حتّى بلوغهما السماوات.. هكذا، ذلك الجسد الذي أخذته العذراء القدّيسة في بطن أمها، قد أُقيم بنفس حالته **وصار عن يمين ابنها**، يسوع المسيح[33].

GIAMBERARDINI G., *Inno copto al Cristo risorto*, in *La Voce del Nilo*, 16 (1957), 33-35.

[32] النصّ والمرجع:

«ⲚϤⲔⲀⲦⲀⲚⲦⲀ ⲈⲀⲘⲈⲚⲦⲈ ⲠⲘⲀ ⲠⲢⲒⲘⲈ ⲚⲚ ⲠⲀϢⲀϨⲞⲘ». REVILLOUT, *l. cit.*, 156 s.

[33] المرجع:

REVILLOUT, *l. cit.*, 166 s.

(33) «ϨⲒ ⲞⲨⲚⲀⲘ [ⲘⲠⲈⲤ] ϢⲎⲢⲈ».

إنّها تُصلّي من أجل العالم كلّه: ويتقبّل الآب التوسّلات والصلوات التي تقدّمها من أجلنا بأكثر من تلك التي يقدّمها جميع القدّيسين»[34].

٤ - إنجيل يوحنّا:

هناك العديد من الكتابات المنحولة المتداولة وتحمل اسم يوحنّا الرسول. سنفحص هنا مخطوط باللغة العربيّة موجود في المكتبة الأمبروزيّة في ميلانو، وقد قام جالبياتي Galbiati[35] بنشره باللغة اللاتينيّة. الجدير بالذكر هو أنّ الناشِر يزعم بأنّ المخطوط الأصليّ كان باللغة السريانيّة[36]، ومن المحتمل أنّ قبطيًّا قام بترجمتها إلى اللغة العربيّة. على أيّة حال، المرجع قيد بحثنا مصدره مِصر وقام بنسخه إسحق القبطيّ، كما هو مدوّن في الحاشية الهامشيّة: «ⲁϥⲥϧⲁⲓ ⲓⲥⲁⲁⲕ»، كتبه إسحق. وهناك أيضًا تأكيد في الخاتمة حيث كُتب التاريخ القبطيّ، شهر برمهات بتقويم الشهداء الخاصّ بالأقباط: «العاشر من برمهات سنة ألفٍ و ثمانية وخمسين للشهداء الأبرار»، الذي يقابله عام ١٣٤٢م.

سنذكر هنا من هذا الإنجيل المنحول بعض النصوص التي تُبيّن العناصر الأخرويّة بوضوح أكثر: **الهواء المزدحم بالشياطين، بحر النيران، الفردوس والجحيم الفوريّين، الأبديّة في المجد وفي العقوبات. فيما يتعلّق بنهاية العالم** والدينونة العامّة

[34] REVILLOUT, *l. cit.*, 181-183. «ⲡⲁⲣⲁ ⲛⲉⲧⲟⲩⲁⲁⲃ ⲧⲏⲣⲟⲩ».

[35] المرجع:

Iohannis Evangelium Apocryphum Arabice, ed. Iohannes Galbiati, Mediolani 1957.

[36] المرجع السابق، XXII.

سنشير إلى الفقرات المائة وعشر من الفصل ٣٧ حيث يوجد وصف له طابع رؤى نهاية العالم مليء بالتفاصيل والألوان.

سقوط الملائكة الأشرار، ٢: ٨:

«[أمّا الملائكة] الذين لم يصغوا إلى صوت الربّ عن طريق جبرائيل، فسقطوا عن رتبتهم في تلك اللحظة، وفي نفس الوقت سقط أيضًا سطنائيل مع جيوشه. ذلك إنّه قد سقط معه جيش غاضب لا يُحصى من الملائكة من سائر الرُتَب، ولذلك اتّخذت الأرواح النجسة أشكالاً كثيرة ومختلفة. ومن الملائكة الذين سقطوا عن رتبتهم، وقع بعضهم في الهواء، وغيرهم على الأرض، وآخرون في أنترطوس ووصلوا إلى طاهوم، وهو المقر أسفل الأسافل. وها إنّ جميع الملائكة الذين سقطوا في تلك اللحظة من السماء، سيستقرون في الموقع الذي وصلوا إليه ما دامت الدهور».

"[Angeli] vero qui Dominum per vocem Gabrielis non audierunt, *eo temporis momento* e gradu suo deciderunt, sed simul concidit Satânâ ʾîl cum suis exercitibus. Concidit enim cum eo indignans multitudo angelorum ex omnibus ordinibus ac propterea spiritus impuri *multiplices formas diversasque* sumpserunt[37]. Et qui ex angelis ex gradu suo deciderunt : *alii in aëra, alii super terram corruerunt, alli ad Antartûs*[38] *at-Tahûm pervenerunt*, quod est infimus in infimis locus. Ecce autem omnes angeli, qui eo puncto temporis de coelo concidetunt, locum incolent in quem pervenerunt *quoad saeculum durabit*"[39].

[37] infra, *Morte di Giuseppe*.
[38] infra, *Apocalisse di Paolo*.
[39] GALBIATI, *op. cit.*, 12 s.

اللصّ اليمين يدخل الفردوس قبل آدم(٤٠)، ١٠ : ٣ :

«فقال [اللص] للمسيح: حدّد يا ربّ [لي] النهاية التي ترضيك، من [النهايات] التي تُحدّدها لمن يتبعونك. فهنّأ يوسف اللص لقوله هذا، ووضع يد المسيح على رأسه. عندئذ سجد ذلك اللص أمام [المسيح] وقال له: باركني يا ربّ! فقال له يسوع: الحقّ أقول لك، إنك ستسبق آدم إلى الفردوس، حيث يسلّمك الآب المفاتيح».

"[Latro] Christo dixit : Domini mi, Statue fine unum ex iis qui sequentur id quod tibi placuerit. Et Joseph, gratulans de hoc latroni illi, manum Christi prehendit et super caput ejus [latronis] posuit. Tunc latro ille in eum [Christum] se prostravit eique dixit: Domine mi, mihi benedic! Et dixit ei Jesus; Vere dico tibi, te praecessurum esse Adam in paradisum tibi claves a Patre datum iri"[41].

أبديّة الفردوس وجهنّم، ٣٧: ٦٠-٦١ :

«المؤمنون سوف يرثون الفردوس أو الملكوت الذي لا نهاية له... أمّا هؤلاء المرفوضون فسوف يرثون النار التي لا تنتهي، لزمن لا نهاية له حيث الدود الذي لا يموت. وسوف يعيشون في ظلام لا نور له».

"[Fideles] heredes constituam Paradisi deliciarum, nec non regni, cui neque consumptio neque finis erit... eosque qui nomen meum reicerunt heredes ignis instituam, cui neque extinctio erit neque consumptio

---

(٤٠) في الكتابات القبطيّة تقرأ مرارًا وتكرارًا أنّ المسيح، بعد موته نزل إلى الجحيم لكي يقود إلى الفردوس آدم والآباء والصدّيقين. وبعض الكتابات المنحولة تقول بإنّه خَلّص الجميع باستثناء قاين ويهوذا وهيرودس. وسنرى هذا لاحقًا.

(41) GALBIATI, *op. cit.*, 54.

neque terminus : et vermes qui non moriuntur. Eos proiciam ad habitandum in tenebris, quae sine luce sunt"[42].

الأبرار لن يخضعوا للدينونة الأخيرة، ٣٧: ٨٣ :

«طوبى للذين يشتركون في جسدي ودمي كل يوم، لأنّ سيكنون فيّ، وأنا فيهم، **ودينونتهم لن تأتي، لكنهم سيظلون في القبر حتّى الحياة الأبديّة**».

"Beati qui courpus meum et sanguinem meum recipient singulis diebus, quoniam ipsi in me erunt et ego in eis et *ad judicium non venient, sed exsilient de tumulis suis ad vitam perpetuam*"[43].

في الفقرة التالية تمتدّ هذه الميزة إلى جميع الذين مارسوا أعمال الرحمة.

رئيسيّ الملائكة ميخائيل وجبرائيل يُعطيان إشارة الدينونة الأخيرة، ٣٨: ٢٩ :

«في ذلك الوقت، سيأتي إلى القبر الملاك **جبرائيل**، حيث يقوم الموتى من سباتهم ويخرجون من قبورهم، **ورئيس الرؤساء ميخائيل** سوف يصدر أمره بالنفخ في الأبواق».

"Eodem tempore, quo ex somno sepulcri veni[44] surgent mortui ex monumentis atque eo tempore *Gabrielem, pontificum meorum caput*, iubebo bucinas occanere et Michaëlem inflare tubas"[45].

---

(42) GALBIATI, *op. cit.*, 54.
(43) GALBIATI, *op. cit.*, 204 s.

(٤٤) المعنى: في يوم الأحد، ففي ذلك اليوم يسوع قام من الموت.

(45) GALBIATI, *op. cit.*, 238.

مسار الرحلة في العالم السفليّ، المتربِّصون وبِحار النيران حتّى بالنسبة للقر
اليمين، ٤٥: ٦:

«أقول لك، اليوم تكون في فردوس عدن وتنظر إلى شركاء السعادة؛ وتصير بين الحاشية الملكيّة، وسوف تُمنح فرصة فتح عدن لك فلا تخف من **الملائكة المتربصين**، ولا من بحار النار، فسوف **تعبرها لكن ليس لأنها قابله للهرب منها؛ لأنك في هذا اليوم سوف تسبق آدم إلى الملكوت**».

"Dico tibi: ecce eris hodie in *'adn*[46] para-disi et consors *gaudii mei* quod intuitus es: tu hodie eris inter hereditatis possessores. Profesciscere ad *'adn* voluptatis et eum pande, iam enim facultatem ad hoc tibi dedi: *neve maria neque angelos timeas*, quos ibi videris, *neve maria ignis*[47] *quae transcurreris, quia ipsa te detinere non poterunt; nam illinc hodie scito te esse et te praecessurum Adam ad paradisum*"[48].

٥- سفر يوحنّا المنحول (أبو كريفون يوحنّا):

سفر منحول من أسفار الطائفة الغنوصيّة (النصرانيّة)، نشره الباحث تل TILL باللغة القبطيّة مع ترجمة باللغة الألمانيّة[49]. ربّما يكون النصّ الأصليّ من أخميم، وتمّ الحصول عليه في القاهرة عام ١٨٩٦م، وهو محفوظ حاليًا في برلين تحت عنوان:

Codex Berolinensis, n. 8502, ff. 19, 6-77, 7.

---

[46] كلمة عَدِنْ: موضع الإقامة (السعيد) عدن.

[47] ولا من بِحار النار: في مصر تستخدم كلمة بحر بمعنى نهر (النيل).

[48] المرجع: GALBIATI, *op. cit.*, 280.

[49] TILL W., *Die gnostischen Schriften des Koptischen Papyrus Berolinensis 8502*, Berlin 1955: *Das Apokaphon des Iohannes*, testo copto e traduzione tedesca, pp. 78-193.

الميلاديّ.

ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس الميلاديّ.
السياق العام للسِفر المنحول يقوم على مسألتين: لماذا يوجد الشرّ في العالم؟
وكيف يتخلّص الإنسان منه؟ والإجابة العامّة هي: تخليص الروح من حدود المادّة
الضيقة. والمسيح هو الفادي، وقد تعاونت معه أربعة **أضواء زمنيّة**: أرموزل،
أوروئيل، دافيث، إيليث، وتحت كلّ ضوء منها تعمل ثلاثة دهور. تحت أرموزل:
σθης , μυήμηϊπρόυος , α ؛ تحت أوروئيل: χάρις , αλήθεξα , μορφή
τελεϋτηὸ, εβρήίη , ؛ تحت إيليث: σύνεσις , αγάπη , ίδέα
تحت دافيث: σοφβα. المسيح يقود آدم في **الضوء الأوّل**؛ وشيت في **الضوء الثاني**؛ والنفوس
البارّة من نسل شيت في **الضوء الثالث**؛ والنفوس التي عرفت طريق الحقّ لكنّها لم
تسِر فيه سوى في النهاية في **الضوء الرابع**.

التطهير يمكن إتمامه في **هذه الحياة**؛ ويمكن أن يُستكمَل في الحياة الأخرى حتّى
خلاص أخير، جزئيّ على الأقلّ؛ أو يمكن ألّا يحدُث فيُفسِح المجال **لدينونة أبديّة** في
الحياة الأخرى. إجابات المسيح على يوحنّا غامضة، لكن مع ذلك يبدو أنّها تعبّر
بوضوح عن تلك الحقائق.

في ٦٥: ٣ وما بعده، **يخبِرُ المسيح يوحنّا عن تطهير النفوس في هذا العالم**:

«تلك [النفوس] التي حلَّ عليها روح الحياة، والذي به اتّحدت **بالقوّة**، تصير مُخلَّصَة وكامِلة[50]: وتصير مستحقّة لصعود جميع

---

[50] النصّ: «ЄΝΑΟΤΧΑΙ ΝСЄΡΤЄΛΙΟС».

الدرجات النور العُظمى، لأنّها بها تصير مستحقّة للتطهير من السيّئات[51] ومن كلّ جاذبيّات الشرّ»[52].

في ٦٧: ١٥ وما بعده، **يجيب المسيح يوحنّا بشأن حالة النفوس الممتلئة بروح الحقّ بعد الموت:**

«هناك موضع لتلك النفوس، ألا وهو القوّة، وهي الأشدّ من **الروح المضادّ**[53]. إنّها تكون قديرة، تقهر أعمال الشرّ، وبواسطة عناية لا تنقُص تنال الخلاص وتُقاد إلى الراحة الدهريّة»[54].

في ٦٧: ١٣ وما بعده، **يجيب المسيح يوحنّا بشأن حالة نفوس أولئك الذين لم يكونوا مُتطهِّرين تمامًا في ساعة الموت. هناك تبدو رؤية أخرويّة بعد مَطهَر:**

«الروح المضادّ يُضاعف لهم الصعوبات، فيُثقِل على نفوسهم[55]، ويجتذبها نحو أعمال الشرّ: وبتلك الطريقة يضعها في حال عدم المقدرة على المعرفة. وبعد أن يتعرّوا [من الجسد]، يُسلَّموا إلى السلاطين الموجودين تحت الدهور. ثمّ يُطرحون من جديد بين الرباطات ويُساقون في جولات: حتّى يتخلّصوا من عدم المقدرة

---

(51) النصّ: «ⲕⲁⲕⲓⲁ».

(52) TILL, *op. cit.*, 171.

(53) النصّ: «ⲡ̀ⲁⲛⲧⲓⲙⲓⲙⲟⲛ ⲙ̀ⲡⲛⲉⲩⲙⲁ».

(54) النصّ: «ⲁⲛⲁⲡⲁⲩⲥⲓⲥ ⲛ̀ⲛⲁⲓⲱⲛ». TILL, *op. cit.*, 173.

(55) النصّ: «ⲁϥⲣ̀ⲃⲁⲣⲉⲓⲛ ⲛ̀ⲧⲯⲩⲭⲏ».

على الأخذ بالمعرفة؛ وهكذا يصلون إلى أن يكونوا كاملين ومُخلَّصين»[56].

٧٠: ٩؛ ٧١: ٤، **يجيب المسيح يوحنّا بشأن حالة الموتى الذين لم يستجيبوا في حياتهم:**

«يذهبون هناك، حيث يختلي ملاك الشقاء: لأنّه لن تُقبَل أيّة **توبة**[57]. هناك ينتظرون إلى اليوم الذي سيُعاقبون فيه[58]. أولئك الذين جدّفوا على الروح القدس، سيتعذّبون بعقوبات أبديّة»[59].

٦- إنجيل برثلماوس:

المقاطع القبطيّة المتفرّقة المأخوذة من إنجيل برثلماوس المنحول تمّ نشرها تحت مختلف العناوين. فقد كتب ريفلاوت REVILLOUT: **أناجيل القدّيس برثلماوس**[60]؛ **مخطوط بَدج Budge، رؤيا برثلماوس**[61]؛ **مخطوط جيمس، قيامة**

---

(56) النصّ: «ⲛ̀ⲥϫⲱⲕ ⲛ̀ⲥⲟⲩϫⲁⲓⲧⲉ». TILL, *op. cit.*, 177.

(57) النصّ: «ⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲓⲁ».

(58) النصّ: «ⲛ̀ⲥⲉⲁⲣⲉϩ ⲉⲣⲟⲟⲩ ⲉⲛⲉϩⲟⲟⲩ ⲉⲧⲟⲩⲛⲁⲕⲟⲗⲁⲍⲉ ϩⲣⲁΐ ⲛ̀ϩⲏⲧϥ».

(59) TILL, *op. cit.*, 181.

(60) المرجع: REVILLOUT E., *Evangile de saint Barthélemy*, in *PO*. 2, 185-198. وقد نشر فيه النصّ القبطيّ للمخطوط المحفوظ في المكتبة الوطنيّة في باريس برقم ١٢٩: ١٧-١٨ مع ترجمة باللغة الفرنسيّة.

(61) BUDGE E. A. W., *Coptic Apocopha in the Dialect of Upper Egypt*, London 1913. Dal Ms. 6804 Orientai, del British Museum.

المسيح عند برثلماوس الرسول[٦٢]. وكلّها من النوعيّة الغنوصيّة. فيما يتعلّق بالأخرويّات نقرأ فيها تأكيدات تُحبِّذ دينونة خاصّة، جزاءً فوريًّا إمّا في الجحيم أو في الفردوس، ورؤية أخرويّة حتّى وإن لم تكن تامّة.

المقطع ١: دينونة يهوذا وإدانته بالجحيم.

«ميراث يهوذا هو مع أبيه الشيطان. فقد كان اسمه ساطعًا في **كتاب الحياة**[٦٣]، ولكن مصيره رُفِعَ من عِداد الأحياء: لقد هلك **Τεϥπεηαϩις**، وتمّ تمزيق وشاحه وتسلَّم الشيطان الحُكم عليه» (٦٤).

المقطع ٢: يسوع يُخلِّص المدانين ما عدا ثلاثة.

«قام المُخلِّص من بين الأموات في اليوم الثالث. **أباتون** Abbatôn أي الموت، قام. ولم أجد مومياء يسوع الذي كنت أتكلّم معه في القبر. حينئذٍ قالت البلَيّة **ⲡⲗⲁⲓⲙⲟⲥ** لسُلطانها: "اهبط فورًا إلى **أمنتي**. وشَدِّد يدك جيّدًا، وأغلق **أبواب أمنتي**، إلى أن أرى مَنْ الذي خدعني بهذه الطريقة بدون عِلمِي. لقد تحدّثنا معه، وهو احتجب عنّا ولم نعرف إلى أين ذهب. ربّما يكون ابن الله، وإلّا سأُهلِكُ الجميع. لكن هوا ضدّه لا قوّة لي، ولا [مقدرة]

(٦٢) المرجع بالاعتماد على بَدج:

JAMES M. R., *Apocryphal*, 181-186: *The book of the Resurrection of Christ by Bartholomew the Apostle*.

(٦٣) النصّ:

«ⲡϫⲱⲱⲙⲉ ⲙ̀ⲙⲱⲛⲁϩ».

(٦٤) النصّ:

«ⲁⲡⲥⲁⲧⲁⲛⲁⲥ ϫⲓ ϩⲁⲛ ⲛ̀ⲙⲙⲁϥ». REVILLOUT, *op. cit.*, 185 s.

لقوّاتي". [حينئذٍ] هبط الموت إلى أمنتي مع رؤسائه السِتّة، فوجد أمنتي مهجورة ولا نفسَ فيها، بل كلّ شيء فيها مملوء بالرعب[٦٥]. أبوابها كانت مُحطَّمَة، **وسلاسلها** مُقتحَمة، وهو (يسوع) كان قد ملأ آتونها بالبرونز المُشتعِل. لم يجدوا أحدًا في ذلك الموضِع، سوى أصوات الرجال الثلاثة الذين كانوا يصرخون من شِدّة الرُعب، في البكاء والألم والكآبة. كانوا في موضِع البكاء وصريف الأسنان: موضِع النحيب والكآبة، الرعُب والديدان التي لا تغفو أبدًا. الويل لهم، الويل للأشقياء التعساء أمام الله، فهؤلاء الثلاثة قد تمّ استبعادهم من **مصافّ القدّيسين** ومن **معرفة الخلاص**[٦٦]، ألا وهُم يهوذا وقاين وهيرودس. هؤلاء الثلاثة **ⲧⲣⲓⲕⲉⲫⲁⲗⲟⲥ** كانوا في ذلك الموضع وقد وقع عليهم مرسوم عدم الرحمة، فلا يُذكَرون فيما بعد. يهوذا خان الربّ في كلّ ما هو في السماء وعلى الأرض؛ وهيرودس لَطَمَ يسوع لطمة قويّة على وجهه؛ وقاين ثار على أخيه وقتله.

(٦٥) النسخة التي نشرها بَدج تتضمّن الاختلافات التالية: «أباتون، ألا وهو الموت، مع جايوس *Gaios*، تريفون *Trifone*، أوفيات *Ofiat*، وفتينون *Ftinon*، سوتوميس *Sotomis*، وكومفيون *Komfion*، وهم أبناء الموت السِتّة كانوا في قبر ابن الله. كانوا يُشعلون الجمر، ووجوههم نحو الأرض، وهم في هيئة حيّات.. ولمّا أدرك الموت أنّ المُخلِّص قد سَخَرَ منه، اضطربَ وتراجع للخلف وسقط على الأرض مع بنيه.. **ويسوع أعتق جنس البشر كلّهم**، وشفى أبناء آدم الذين كان العدوّ قد ضربهم، وقاد القطيع الشارد إلى الحظيرة القديمة، قاد آدم وأعاده إلى أصلِهِ الأوّل، وغَفَر له خطاياه». راجع:

BUDGE, *Coptic Apocrypha*, 179 s.

(٦٦) النصّ:

«ⲉ̀ⲧⲉ ⲛⲁⲓ ⲛⲉ ⲛ̀ϣⲟⲙⲛⲧ ⲛ̀ⲧⲁⲩϣⲟⲟⲛⲟⲩ ⲉ ⲡ̀ϫⲱⲱⲙⲉ ⲙ̀ⲡⲱⲛϩ ⲑ ⲁⲩϥⲓⲧⲟⲩ ⲉⲃⲟⲗ ϩ̀ⲛ ⲧ̀ⲃⲓⲃⲗⲓⲱⲑⲏⲕⲏ ⲛ̀ⲛⲉⲧⲟⲩⲁⲁⲃ ⲑ ⲙⲉⲛ ⲧⲉⲩⲛⲱⲥⲓⲥ ⲙ̀ⲡⲟⲩϫⲁⲓ».

صرع الموت ومن بعده رؤسائه: "ذاك هو ابن الله الذي قام من بين الأموات، قد أعتَقَ آدم وبنيه جميعًا. قد غَفَرَ لهم جميع خطاياهم بسلام أبيه آمين" (٦٧).

المقطع ٣: مريم في الفردوس الحقيقيّ.

«قال لها [يسوع لمريم]: «سآتي إليكِ فور خروجك من الجسد. أنا وميخائيل وجبرائيل [سنكون] عندكِ لكي لا تخافي أمام الموت، الذي يرتعِب الجميع أمامه، حتّى آخُذَكِ إلى أرجاء الخلود: حيث تكوني معي في ملكوتي» (٦٨).

٧- إنجيل توما:

نصّ إنجيل توما الكامل باللغة القبطيّة مع ترجمة باللغة الفرنسيّة قامت بإعداده ونشره لجنة من المتخصّصين (٦٩). وهو جزء من المكتبة الغنوصيّة المكتشفة في خينوبوسكيون بالقرب من نجع حمادي حوالي عام ١٩٤٥. النصّ القبطيّ يرجع تاريخه إلى القرن الرابع، ولكن اللجنة التي قامت بإعداده ونشره تحتّم عليها أن تضع في اعتبارها ترجمة عن الأصل المكتوب باللغة اليونانيّة الذي ربّما يرجع تاريخه إلى

---

(67) REVILLOUT, *op. cit.*, 186-188.

(68) النصّ:

«ⲛ̀ⲧⲁϫⲓ ⲙ̀ⲙⲟ ⲉⲛⲉⲧⲟⲡⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲙⲛⲧⲁ̀ⲧⲙⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉϥ[illegible] ⲛ̀ⲙⲙⲁⲓ ϧⲛ̀ ⲧⲁⲙⲛⲧⲉⲣⲟ». REVILLOUT, *op., cit.*, 193.

(69) *L'Evangile selon Thomas* : texte copte établi et traduit par A. Guillaumont, H. Ch. Puech, G. Quispel, W. Till, et Yassah 'Abd Al Masih, Paris 1959.

[illegible] كما أنّه تكرار لطابع كلام يسوع λΰγια `Içóoà (٧٠)، تلك [illegible] عام [illegible] في نهاية القرن الثامن عشر في مدينة أوزيريس، حاليًا البهنسا في [illegible] الكتابات [illegible] وهي غنوصيّة بحتة (٧١).

[illegible] ١٤-١٧: تتضمّن توضيحًا لمرطقة الخلاص لجميع الناس [illegible] النصّ يُبيّن أنّ النهاية مثل البداية، أي أنّ الغنوصيّ ينبثق من [illegible] بالعودة إلى الآب.

[illegible] التلاميذ ليسوع: "قُل لنا متى تكون النهاية؟" فقال [illegible] كشفتم البداية حتّى تسألوا إذ ذاك عن النهاية؟ فحيث [illegible] هناك تكون النهاية. طوبى لِمَنْ يقف في البداية: ذاك [illegible] النهاية ولن يذوق الموت"» (٧٣).

[illegible] ٢٢-٢٥: سرّ الحياة الأبديّة.

[illegible] هي كلمة يونانيّة تُشير إلى جزء من البرديّات المكتشفة في منطقة البهنسا [illegible] أوراق البردي التي تمّ اكتشافها في عام ١٨٩٧، ويُرجح أنّها ترجع إلى أوّل القرن [illegible]

[illegible] التي اكتُشِفَت في مدينة أوزيريس نشرها الباحث بوناكورسي:

BONACCORSI G., *Vangeli Apocrifi*, Firenze 1948, XVIII-[illegible]

ZANDEL J., *Gnostic Ideas on the Fall and Salvation*, in [illegible]

«ⲟⲩ ⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲥ ⲡⲉⲧⲛⲁⲱϩⲉ ⲉⲣⲁⲧϥ ϩⲛ̀ ⲧⲁⲣⲭⲏ ⲁⲩⲱ [illegible] ⲙ̀ⲙⲟⲩ».

«لكم، في الجنّة، خمس أشجار(٧٤) لا تتبدّل، لا صيفًا ولا شتاءً، ولا تسقط أوراقها. مَنْ يعرفها لن يذوق الموت»(٧٥).

الورقة ٩٠، II. ٨-١٢: الراحة واكتمال الأحداث يتطابقان مع الغنوصيّة.

«متى تحلّ الراحة ⲁⲛⲁⲡⲁⲩⲥⲓⲥ للأموات، ومتى يأتي العالم الجديد؟ قال [يسوع] لهم [للتلاميذه]: ما تنتظرونه قد أتى، لكنّكم لا تعرفونه»(٧٦).

٨- إنجيل الحقّ:

هذا الإنجيل أيضًا أتى من مكتبة خينوبوسكيون، ومثل الإنجيل السابق أصله مكتوب باللغة اليونانيّة نحو منتصف القرن الثاني لكنّه وصلنا باللغة القبطيّة. وقد قامت لجنة من المتخصّصين(٧٧) بجمعه وتنسيقه. بالطبع مضمونه غنوصيّ وسنشير إلى بعض المقاطع منه.

الفصلان ١٢-١٣: الدينونة ستكون بقدر **العودة من التعدّديّة إلى الوحدة بواسطة المعرفة**(٧٨).

(٧٤) النصّ:

«ϯⲟⲩ ⲛ̀ϣⲏⲛ ϩⲛ̀ ⲡⲁⲣⲁⲇⲓⲥⲟⲥ».

(٧٥) إنجيل توما، ١٣ وما بعده.

L'Evangile selon Thomas, 13 s.

(٧٦) إنجيل توما، ٢٩.

(77) MALININE M., PUECH H. Ch., QUISPEL G., *Evangelium Veritatis*, in *Studien aus dem C. G. Jung. Institut*, vol. VI, Zürich 1956. — MALININE M., PUECH H. Ch., QUISPEL G., TILL W., *Evangelium Veritatis (Supplementum)*, Codex Jung, f.XVII r-XVIII r, Zürich-Stuttgart 1961.

(٧٨) وفقًا لمبدأ الغنوص الفالنتيّ، التعدّديّة التي يجب التطهّر منها تعني الرذائل التي أصلها المادّة، راجع:

S. IRENEO, *Adversus Haereses* I, 2,4 e I, 3,5; ed. Harvey W. W., vol. I, 16-19 e I, 30.

«بطريق الوحدة كلّ واحد سيفهم نفسه. وبطريق المعرفة سيتطهّر من التعدديّة بمنظور الوحدة التي ستبتلع في ذاتها المادّة كالنار والظلام بالنور والموت بالحياة... لأنّ هذه هي الدينونة الآتية من العلاء، التي أدانت كلّ شخص كسيف مستلّ ذو حدّين قاطع من هذا الجانب ومن ذلك الجانب»(٧٩).

الفصل ٢٣: الأبوكاتاستاسيس. هنا يعود مفهوم **إنجيل توما** ولكن بوضوح أكثر: النهاية تجد نفسها في البداية.

«الآب يعلم بدايتهم جميعًا ويعلم خاتمتهم. فحين تأتي خاتمتهم سوف يسألهم عمّا فعلوه. النهاية إذن هي معرفة ذاك الخفيّ ألا وهو الآب الذي جاءت منه **البداية الذي إليه سيرجع كلّ الذين جاءوا منه**»(٨٠).

الفصل ٢٥: الفردوس الحقيقيّ من أجل الذين **يعرفون (الغنوصيّين)**، ولهذه الغاية أرسل الآب الابن.

«لأجل هذا أرسَلَهُ: حتّى يتكلّم عن الموضِع الذي جاء منه وحتّى يُمَجِّد الامتلاء الپليروما Pleroma(٨١) عظمة اسمه وراحته وعذوبة الآب. **كلّ واحد سيتكلّم عن الموضِع الذي جاء منه وسيعود سريعًا إلى المنطقة التي أخذ فيها جوهر كينونته**. سوف يُغادر هذا الموضِع، الموجود فيه، وسيتذوّق ذلك الموضِع الذي سيُطعَم

(79) MÉNARD, *op. cit.*, 48 ss.
(80) *Ib.*, 73 s.

(٨١) الپليروما πλήρωμα، هي كلمة يونانيّة تُشير بشكل عامّ إلى مجموع القوى الإلهيّة. وهي تعني حرفيًّا الامتلاء، وقد استخدمت في السياقات اللاهوتيّة المسيحيّة، وخاصّة الغنوصيّة (المحرّر).

فيه وينمو. و موضِع راحته هو الامتلاء. فكلّ الانبعاثات من الآب بسبب ذلك هي إمتلاءات وكلّ الانبعاثات جذورها في ذاك الذي جعلها تنموا جميعًا في ذاته. لقد حدّد لهم المصير تحديدًا: فأصبحوا متجسّدين فرادى حتّى يُكوِّنوا فكرهم الخاصّ. لأنّ الموضِع الذي يوسّعون أفكارهم نحوه هو الأساس الذي يرفعهم إلى السماء فوق كلّ الارتفاعات نحو الآب، حتّى رأسه فهو راحتهم»[٨٢].

الفصل ٢٧: العارفون (الغنوصيّون)، إذ يُطلِقوا الجُزيء الإلهيّ الكامن فيهم، يصيروا أهلًا لملكوت النور.

«هؤلاء هم الذين يملكون شيئًا من العلاء، من العظمة غير المُدرَكة: وهم يتّجهون لهذا الواحد الكامل والفريد الذي هناك من أجلِهم. وهُم لا يهبطون للجحيم أمنتي. ولا يكون لديهم حسَد ولا بكاء ولا موت: بل يستريحون في ذاك الذي فيه الراحة بدون إرهاق وبدون أن يدوروا حول أنفسهم بخجل بحثًا عن الحقيقة. بل بالفعل هم الحقيقة: والآب فيهم وهم في الآب لأنهم كاملين، وغير منفصلين عن هذا الكيان الصالح بحقّ»[٨٣].

٩- إنجيل فيلبس:

كان هناك نصّ معروف ذكره القدّيس أبيفانيوس[٨٤] قبل اكتشاف وثائق خينوبوسكيون. ثمّ نُشرت مؤخّرًا[٨٥] الوثيقة الجديدة التي باللغة القبطيّة كما هو حال

(82) *Ib.*, 78 s.
(83) *Ib.*, 81s.
(84) S. EPIFANIO, *Haereses*, XXVI, 13; in BONACCORSI, *Vangeli Apocrifi*, 31; in JAMES, *Apocryphal*, 12.

على التعليم ... الأهمّيّة المتميّزة لهذا الإنجيل ترجع إلى تركيزه ... بشأن الأسرار المقدّسة، ويقول بأنّ أعظمها هو سرّ الزواج المقدّس ... بحيث يعتبره بمفهوم رمزيّ. الزوجة ترمز للنفس، والزوج يرمز إلى ... معًا حجرة الزفاف هو التعبير عن الكمال الأسمّى.

... ١١: ٨-١٢: الاتّحاد يكون به الكمال، والكمال يكون به خلاص

... يستطيع (الإنسان) أن يهرب منهم (الأرواح الشرّيرة) ... يملكونه ما لم ينل قوّة الذكر أو قوّة الأنثى (ⲉϥⲧⲙϫⲓ ... ⲛⲟⲩⲟⲩⲙ ⲛ̀ϩⲟⲟⲩⲧ ⲙⲛ̀ ⲛ̀ⲟⲩ...) أي العريس ... مع ذلك يتمّ الحصول عليها من غرفة الزفاف التي هي ... المقدّس»[٨٦].

... ٢٥:

... الحال حينما تتّحد الصورة مع الملاك فيُشكّلان

WILSON R. Mc L., *The Gospel of Philip*, London 1962.
... ومناقشة موسّعة. النصّ باللغة القبطيّة مع ترجمة إلى الألمانيّة:
TILL W., *Das Evangelium nach Philippos*, Berlin 1963.
... تل فقد عمل على النسخة التي نسخها باهور، بدون أن يتمكّن من مراجعة ... النقاط المُغفَلة في نسخته. هذه النقاط المتروكة قام بإصلاحها مارتن ... استكمال النصّ الذي نسخه تل، ونشره في مقالته المعنونة:
Zeitschrift für Kirchengeschichte, 75 (1964),165-182.
(86) TILL, *op. cit.*, 32 s.
(87) «ⲧⲁⲉⲓ ⲧⲉ ⲑⲉ ⲉⲣϣⲁⲟⲓⲕⲱⲛ ⲙⲛ̀ ⲛ ϭⲁ† ⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ϩⲙⲡⲣ̀ ...

الفصل ١١٥: ١٥-١٨: الخلاص النهائيّ للذي يعرف (الغنوصيّ) يبلغه بدخوله في الامتلاء.

«حقًّا أنّ غرفة الزفاف والصورة يجب أن تُدخلا من خلال الصورة في الحقيقة، فهذا هو الإصلاح»(٨٨).

الفصل ١٣٤: ٤-٧: الإصلاح عمليّة متطوِّرة.

«إذا أصبح أيّ شخص ابنًا لغرفة الزفاف سيقبل النور. وإن لم يقبله أيّ شخص بينما هو (على الأرض) فلن يقبله (ولا حتّى) الموضِع الآخر (العالم الآتي)»(٨٩).

الفصل ١١٦: ٢٢-٢٦: الانفصال هو بداية الهلاك.

«حين كانت حواء لا تزال مع آدم لم يكُن الموت. وبعد أن انفصلت عنه جاء الموت إلى الوجود. حينما يتّخذها (آدم) من جديد ويُدخِلها بقُربه حينئذٍ سينتهي الموت»(٩٠).

الفصل ١٨٨: ١٤ وما بعده: المسيح يستعيد الاتّحاد فيحدث الخلاص الشامل.

«لو لم تنفصل المرأة عن الرجل لَمَا كان يجب أن تموت مع الرجل. لأنّ انفصالها أصبح بداية الموت. بسبب هذا جاء المسيح لكي يُصلِح الانفصال الذي كان منذ البدء ولكي يجمعهما معًا لكي يُعطى الحياة مرّة أخرى لأولئك الذين ماتوا نتيجة الانفصال»(٩١).

---

(88) «...ⲉⲧⲟⲩⲉⲓ ⲉϩⲟⲩⲛ ⲉⲧⲁⲗⲏⲑⲉⲓⲁ ⲉⲧⲉ ⲧⲁⲉⲓ ⲧⲉ ⲧⲁⲡⲟⲕⲁⲧⲁⲥⲓⲥ». TILL, *op., cit.*, 36 s.

(89) «...ⲉⲣϣⲁⲟⲩⲁ ϣⲱⲡⲉ ⲛ̀ϣⲏⲣⲉ ⲙ̀ⲡⲛⲩⲙⲫⲱⲛ ϥⲛⲁϫⲓ ⲙ̀ⲡⲟⲩⲟⲉⲓⲛ ⲉⲧⲙ̀ⲟⲩⲁ ϫⲓⲧϥ ⲉϥⲙ̀ⲙⲉⲉⲓⲙⲁ ϥⲛⲁϣ ϫⲓⲧϥ ⲁⲛ ⲙ̀ⲡⲕⲉⲙⲁ». TILL, *op., cit.*, 70 s.

(90) TILL, *op., cit.*, 38 s.

(91) «... ⲉϥⲛⲁⲥⲉϩⲱϥ ⲉⲣⲁⲧϥ ⲡⲁⲗⲓⲛ. ⲛ̀ϥϩⲟⲧⲣⲟⲩ ⲙ̀ⲡⲥⲛⲁⲩ ⲁⲩⲱ ⲛⲉⲛ ⲧⲁϩⲙⲟⲩ ϩⲙ̀ ⲡⲛⲱⲣϫ. ⲉϥⲛⲁϯ ⲛⲁⲩ ⲱⲛϩ ⲛ̀ϥϩⲟⲧⲣⲟⲩ». TILL,*op.cit.*, 40-42.

[illegible] ١٢-١٨: بلوغ السعادة الأبديّة يكون بالتحرّر من الظلمات

[illegible] (الذي يعرف أو الغنوصيّ) قد تسلّمَ الحقيقة سلفًا في [illegible] في السرّ المقدّس) والعالم أصبح دهرًا(٩٢). لأنّ الدهر [illegible] بالنسبة له وهذه هي الحال: لقد كُشِفَ (الدهر) له [illegible] لكونه مخفيًا في الظلام والليل: بل مخفيًا في يوم كامل و [illegible]

[illegible] الأطراف السلبيّ والإيجابيّ، المألوف في رؤى نهاية العالم عند [illegible] في تلك الفقرة من إنجيل فيلبس التي ذكرها القدّيس [illegible]

[illegible] ما يجب أن تقوله الروح عندما تصعد إلى [illegible] على كلّ قوّة من القوى هناك. أي: «لقد عَرِفتُ [illegible] مكانه، وأنا لم أُنجب أبناءً للعاهل الأعظم (لهذا [illegible] من جذورهم، وجمعت الأطراف المبعثرة، [illegible] من بين أولئك الذين من العلاء». وهكذا

---

(٩٢) [illegible] اعتباره موجودًا في الأبديّة.

(93) «ⲁⲗⲗⲁ ⲉϥϩⲏⲡ ϩⲙ̀ [illegible]

(94) BONACCORSI, *op. cit.*, 31.

GIAMBERARDINI, *Relig. Faraon.*, 161 ss.

١٠ - إنجيل مريم:

إنّه جزء من مخطوط برلين (*Codex Beolinensis*, n. 8502, ff. [1]-19, 5) ويُحتمل أن يكون قد عُثر عليه في أخميم، وتمّ الحصول عليه في القاهرة عام ١٨٩٦، ثمّ في عام ١٩٥٥ نسخه تل(٩٥) وقام بنشره. الوثيقة الأصليّة يعود تاريخها للقرن الخامس، وتتشابه في نواحٍ عديدة مع حكمة الإيمان *Pistis Sophia*(٩٦). مريم المجدليّة هي البطل الرئيسيّ في الإنجيل، حيث تقوم بأدوار الوسيطة بين المسيح الذي يخاطبها في رؤيا وبين الرُسل. الموضوع بأكمله يتركّز في مسألة الخلاص، في ضوء المذهب الغنوصيّ.

فيما يتعلّق بالأخرويّات، النصّ يوجز فكرة الخلاص النهائيّ لجميع الناس. وفقًا للنظام الغنوصيّ، الروح بعد عمليّة صعود تدريجيّ، تصل إلى التجرّد من ثياب الجهل وأتباع ملكوت المعرفة. مريم تسأل المسيح (البرديّة ١٠: ١٧ وما بعده) عمّا إذا كان يمكن معرفة الحقيقة بالعقل ΝΟΥC، عن طريق النفس ΨΥΧΗ، أو بالأصحّ عن طريق الروح ΠΝΕΥΜΑ. فيؤكّد لها أنّ العقل ΝΟΥC في حدّ ذاته يمكنه أيضًا المعرفة (البرديّة ١٥-١٦، ١ وما بعده) لمتابعة الغاية ينبغي التحرّر من روابط قوى العلم الأربعة ЄΞΟΥCΙΑ(٩٧).

---

(95) «ЄΥΑΓΓЄΛΙΟΝ ΚΑΤΑ ΜΑΡΙΖΑΜ». TILL W., *Die gnostischen Schriften des Koptischen Papyrus Berolinensis 8502*, Berlin 1955.

(٩٦) حكمة الإيمان أو Πίστις Σοφία باليونانيّة هو نصّ غنوصيّ تمّ اكتشافه في عام ١٧٧٣م، ويُحتمل أنّه يرجع إلى ما بين القرن الثالث والرابع الميلاديّ. هو عبارة عن مجموعة من التعاليم الغنوصيّة على لسان يسوع للتلاميذ ومعهم مريم أمّه ومريم المجدليّة ومارثا (المحرّر).

(97) TILL, *op. cit.*, 71 s.

... لكي يمكن نوال الخلاص تُعبّر عنها النفس المتحرّرة التجرّد من الحجاب الساتر للقوّة الثانية (البرديّة ١٥، ٦ وما بعده): «أنا رأيتك، وأنتِ لم تَريني ولم تتعرّفي عليّ». بمعنى: إذ كانت القوّة المادّيّة ما زالت تحت الحجاب الساتر، لم تستطِع أن ترى النفس ولم تتعرّف عليها.

لكنّ المسألة تتبلور بنحو أفضل في المناقشة بين القوّة الرابعة والنفس (البرديّة ١٦، ١ وما بعده؛ ١٧، ١ وما بعده). تتمثّل القوّة بسبعة أشكال: «القوّة الرابعة(٩٨) أخذت سبعة أشكال ⲘⲞⲢⲪⲎ. الشكل الأوّل هو الظلام؛ الثاني هو الرغبة؛ الثالث هو الجهل؛ الرابع هو إثارة ... الخامس هو مملكة الجسد؛ السادس هو حكمة الجسد ... السابع هو الحكمة الرعناء (؟). هؤلاء هم شُركاء السخط سألت النفس: "من أين أتيت يا قاتلة الرجال؟ أو إلى ... يا مُهلِكة الأماكن؟". أجابت النفس وقالت: "ما ... هو كوني مقتولة؛ وما غيّرني هو كوني مُحطّمة (أو قد ... فائتة ⲀⲦⲞⲨⲞⲤⲤ). رغبتي هي أن أبلُغ الكمال ... وأن يموت الجهل. في عالم أتحرّر فيه من العالم؛ في ... أسى ومن قيد عدم المقدرة على المعرفة، الذي

---

(98) TILL, *op. cit.*, 71.

«ⲘⲀⲂⲊⲈⲦⲞⲈ ⲚⲈⲜⲞⲨⲤⲒⲀ».

«ⲚⲀⲨ ⲚⲈⲦⲤⲀϢϤⲈ Ⲛ[...]ⲞⲨⲤⲒⲀ ⲚⲦⲈ ⲦⲞⲢⲦⲎ».

مضمونه سريع الزوال. **من هذا الزمن سأبلُغ الراحة في الوقت المناسب للدهر، وفي صمت**"»[١٠١].

١١ - الإنجيل المجهول:

إنّه مجموعة من المخطوطات التي عُثر عليها ضمن مجموعة خينوبوسكيون، بالقرب من نجع حمادي، وهي بدون عنوان. لهذا السبب نُشرت بلا عنوان *ohne Titel*[١٠٢]. وفي إحداها **يُقدّم مصر باعتبارها رمز للجنّة**[١٠٣].

الرمزيّة تجد تطبيقها المحدّد في **أسطورة العنقاء (فينيس)**. فهذه الأسطورة تكتسب أهمّيّة خاصّة، خصوصًا لأنّها تؤكّد من جديد فكرة التجديد الروحيّ أو **الأبوكاتاستاسيس**، التي تتفرّد بها الطائفة الغنوصيّة؛ ولكن أيضًا لأنّها، بتأمّلاتها الأدبيّة، تربطها بالتقاليد المصريّة القديمة وأعمال الآباء القدّيسين والمؤلّفين القدماء[١٠٤].

النصّ:

«... آلاف السنين في الجنّة تمرّ عليهم في عالمهم. إنّها حياة روحيّة **تُسمى عنقاء (فينيس)**[١٠٥]. هذه تموت وتقوم كعلامة على

---

(101) TILL, *op. cit.*, 74 s.

(102) *Die Koptisch-Gnostiscbe Schrift ohne Titel aus Codex II von Nag Hammadi*, (in Koptischen Museum zu Alt-Kairo), ed. Alex. Böhlig und Pahor Labib, Berlin 1962.

(103) N° V: *Aegypten als Symob des Paradieses*, pap. 169, 35-171, 2. BÖHLIG-PAHOR, *op. cit.*, 95-97.

(104) KOLPAKTCHY, (*Faraonica*) *Livre des Morts*, cap. 17, pp. 73-79. OVIDIO, *Metamorphoseon*, liber 15, vv. 392-407, ed. Patavii 1815, 419; S.CLEMENT, I *Cor.* 25; *PG.* 1, 161; TERTULLIANO, *De nesurrectione carnis*, 13; *CCL.* II, 936 (cura Borleffs J. G. Ph.); EUSEBIO, *Vita Constantini*, 4, 72; *PG.* 20, 1228; S. CIRILLO GERUS., *Catech.* 18, 8; *PG.* 33, 1026; LATTANZIO, De Ave Phoenice, in *CSEL.* 27/1, pp. 135-147; S. AMBROGIO, *Hexaëmeron*, 5, 23; *CSEL. 32/1*,p. 197.

(١٠٥) النصّ:

برهم[١٠٦]. لأنّ آدم وذرّيّته قد فعلوا الظلم حتّى نهاية الدهر **(إيون)**. هناك ثلاثة رجال وأجيالهم حتّى نهاية العالم: **أرواح إيون، والنفسانيّون والأرضيّون**. هؤلاء الثلاثة تُقابلهم ثلاثة عنقاوات **(فينيس) في الجنّة. الأولى خالدة**. والثانية تتضمّن **ألف سنة**. ومكتوب عن الثالثة في **السِفر المقدّس** أنّها **ستُؤكَل**. أيضًا هناك ثلاثة **معموديّات**: الأولى **معموديّة الروح**، والثانية **معموديّة النار**، والثالثة **معموديّة الماء**. بالطريقة التي تُظهر بها العنقاء ذاتها كشاهد[١٠٧] للملاك، كذلك أيضًا الزواحف[١٠٨] المائيّة في مصر تُصبح شاهدًا لذاك الذي ينزل في المعموديّة بأنّه إنسان حقيقيّ.

في مصر يوجد عِجلين لهما مكانة سرّيّة، هما الشمس والقمر[١٠٩]، ذلك لأنّهما شاهدين للصباؤوت: وهما سلّما العالم للحكمة. ومنذ يوم أن شكل **ⲛ̀ⲧⲁⲥⲧⲁⲙⲓⲟ** الشمس والقمر، خَتَمَ سماءه إلى أوان الدهر **(إيون)** . لكنّ البذرة التي ولدتها العنقاء، ليست إنسانًا. لكن كان مكتوبًا عليها: **ⲛ̀ⲧⲁⲩϫⲏⲟⲩ** «البارّ **سوف يتغيّر مثل العنقاء**». وفي المشهد الأوّل تظهر العنقاء حيّة وبعد ذلك تموت، ثمّ تقوم من جديد: ذلك لأنّها آية ذاك

«ⲉⲧⲙⲟⲩⲧⲉ ⲉⲣⲟϥ ϫⲉ ⲫⲟⲛⲓⲝ».

(١٠٦) النصّ: «ⲙ̀ⲏⲟⲩϩⲁⲏ».

(١٠٧) النصّ: «ϩⲱⲥ ⲙⲛⲧⲣⲉ».

(١٠٨) النصّ: «ϩⲩⲇⲣⲁ»، ويحتمل أن تكون «ϩⲩⲇⲣⲓⲁ»، بمعنى قارورة أو جرّة.

(١٠٩) هما أبيس ومنفيس، الأوّل الذي يجسّد أوزيريس يتمثّل في هيئة القمر، والثاني يتمثّل في هيئة الشمس الإلهيّة.

الدهر الذي سيظهر في النهاية. هذه العلامات سوف تظهر في مصر فقط، فلن تكون هذه العلامات في أية منطقة أخرى سواها، حيث أنها تُشبه جنّة الله[١١٠].

١٢ - حكمة الإيمان Pistis Sophia:

هذا الكتاب أيضًا ينتمي للطائفة الغنوصية[١١١]. النصّ القبطيّ مكتوب بالصعيديّة القديمة، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث. لكنّه على أرجح احتمال هو ترجمة لنصّ يونانيّ سابق له. مخطوط المتحف البريطانيّ (Add. 5114) قام الباحث شميدت Schmidt بنشره باللغة القبطيّة وباللغة الألمانيّة في طبعة منفصلة[١١٢]. هذا العمل هو نتاج أربعة كتب قام الباحث بتقسيمها في النسخة الألمانيّة إلى ١٤٨ فصلًا. المضمون، كعادة المذهب الغنوصيّ، يتركّز على مشكلة الخير والشرّ، ويقوم على طريقة العرض من خلال السؤال والجواب. الرسُل ومريم المجدليّة وسالومي وشخصيّات كتابيّة أخرى يطرحون الأسئلة ويسوع المسيح يُجيب عليها.

---

(110) BÖHLIG-PAHOR, *op. cit.*, 95-97.

وفقًا لتقليد مصريّ قديم، آدم، الإنسان الأوّل، ظهر في الأشمونين بمصر؛ مثلما يعتقد تقليد قبطيّ بأنّ المسيح سيولد في هيراكليوبوليس الكبرى في مصر أيضًا. راجع:

GIAMBERARDINI G., *Adamo e Cristo furono egiziani?*, in *La Voce del Nilo*, 20 (Cairo 1961), 177-181.

(١١١) العنوان الأصليّ:

«ϯΠΙCΤΙC CΟΦΙΑ Є ̀ΤΠΙCΤΗ CΟΦΙΑ».

(112) SCHMIDT C., *Pistis Sophia* (testo copto), in *Optica II*, Hanniae 1925. ID., *Pistis Sophia* (trad. tedesca), Leipzig 1925.

نحن نتّبع هذه النسخة. لكن في عام ١٩٦٢ ظهرت الطبعة الثالثة من الترجمة الألمانيّة للباحث W. TILL.

[illegible] هناك تدخّل لملَكَيْن لإخراج الروح من [illegible] موضوع إسكاتولوجيّ، [illegible] الروح ثلاثة أيام في مكان الوفاة، وامتحان النفس بشأن معرفة الجسد [illegible] الأخرويّات في مصر القديمة، دينونة فوريّة نسبيّة، ومفهوم الأسماء [illegible]، وخلاص نهاية العالم للآخرين.

[illegible] امتحان الأسماء.

[illegible] التلاميذ ليسوع: "أظهر لنا سرّ نور أبيك"... فقال لهم [illegible] سرًّا مماثلًا لهذا السرّ الذي تسألون عنه والذي [illegible] إلى نور الأنوار، إلى مواضِع الحقّ والخير، [illegible] جميع القدّيسين... كما أنّه لم يُعطَ اسمًا مشابهًا [illegible] كلّ اسم، كلّ نور وكلّ قوّة. من يعرف الآن ذلك [illegible] من جسد المادّة، لن يواجِه أيّة نيران، ولا [illegible] ولا سلاطين من مجال المصير[١١٣]، ولا [illegible] ملائكة، ولا القوى التي يُمكن أن [illegible] التي تعرف ذلك الاسم. بل على النقيض من [illegible] هذا العالم ونَطَقَت هذا الاسم عند النار [illegible] وتراجع الظُلمات إلى الخلف. وإن نَطَقَت [illegible] والمُستقبلين *paralîmptis*[١١٥] الذين

«тесфаıра ѝелıарıенн».

«ѝнетешкатехе».

خارج الظلمات، وحُكّامَهم، وسلاطينهم، وقوّاتهم: هؤلاء جميعهم سيهلكون(١١٦)، وستحترِق نيرانهم(١١٧)، وسيصرخون: "قُدّوس، قُدّوس أنت، أنت قُدّوس جميع القدّيسين". وإذا نَطَقَت بهذا الاسم أمام مُستَقبِلي *paralîmptis* الأفعال الشرّيرة وسلاطينهم وجميع قوّاتهم والإلهة باربيلو **Barbîlô**(١١٨) ذاتها، والإله الخفيّ(١١٩)، والآلهة الثلاثة المُثلَّثة القوى(١٢٠)؛ فضلًا عن أنه إذا نُطِق هذا الاسم في كلّ موضع، يسقط الجميع البعض فوق البعض الآخر، وينحلّون ويتلاشون قائلين: «أيا نور جميع الأنوار، أيها الساكن في النور اللامحدود(١٢١)، اذكرنا نحن أيضًا، وطَهِّرنا»(١٢٢).

عدد ٣٨٠ وما يليه: الملكان اللذان يرافقان خروج النفس، وانتظار الأيام الثلاثة، البينونة والتطهّر.

(١١٦) النص: «ⲡⲁⲣⲁⲗⲏⲙⲡⲧⲏⲥ».

(١١٧) النص: «ⲥⲉⲛⲁⲧⲁⲕⲟ».

(١١٨) النص: «ⲛⲉⲩϣⲁϩ ⲙⲟⲩϩ».

(١١٩) النص: «ⲃⲁⲣⲃⲏⲗⲱ».

(١٢٠) النص: «ⲡⲁϩⲟⲣⲁⲧⲟⲥ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲧⲉ».

(١٢١) النص: «ⲡ̀ϣⲟⲙⲛ̀ⲧ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲧⲉ ⲛ̀ⲧⲣⲓⲇⲩⲛⲁⲙⲓⲥ».

«ϩⲛ̀ ⲛⲓⲁⲡⲉⲣⲁⲛⲧⲟⲛ ⲟⲩⲟⲉⲓⲛ».

(122) SCHMIDT, *op. cit.*, copto 372 s., trad. 276 s.
للمقارنة مع علم الأخرويّات للمصريّ القديم، راجع الفصل الأوّل من هذا الكتاب، الفقرة ٩.

فقالت مريم: "يا سيدي، الإنسان الدائم النميمة(١٢٣) عند خروجه من الجسد، كم ستكون فترة سجنه، أو ما هي عقوبته؟". قال المخلّص: "الإنسان النمّام باستمرار، فور أن يُكمل وقته في [illegible] خروجه من الجسد، يأتي من خلفه(١٢٤) أبيوت ***Abîut*** وخارمون ***Charmôn***، ومُستقبلي أرِئيل، ويستخرجون نفسه من الجسد ويقضون ثلاثة أيام يجعلونها تتجوّل فيها ويُعلّمونها بشأن مخلوقات العالم. وبعد ذلك يجعلونها تهبط في الجحيم أمنتي أمام [illegible] يُعاقبها بويلاتِه(١٢٥) طوّال أحد عشر شهرًا و واحد و [illegible] يومًا.

[illegible] ذلك يقودونها إلى الفوضى أمام يالدابُث ***Ialdabaoth*** [illegible] التسع والأربعين، وكلّ واحد من شياطينه يسقُط عليها [illegible] شهرًا وواحد و عشرين يومًا أخرى يعذّبونها خلالها [illegible] النار، ثمّ يقودونها إلى النهر الناريّ(١٢٦) وبحر النيران [illegible] يُعاقبونها أحد عشر شهرًا وواحد عشرين يومًا [illegible] ذلك يقودونها إلى حضرة عذراء النور، التي تُدين

«ⲉϥϣⲏⲛ».

«ⲛ̀ⲥⲱϥ».

«ϩⲛ̀ ⲛⲉϥⲕⲟⲗⲁⲥⲓⲥ».

«ϩⲛ̀ ⲛ̀ⲉⲓⲉⲣⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲕⲣⲱⲙ».

الأبرار والخطأة، حيث تُدينهم[١٢٧]. وعندما تتجوّل في المنطقة، يسلّمونها إلى **مُستقبليها** ***paralîmptîs*** لكي يدفعوها نحو الإله الدهريّ للمنطقة **إيون**. يقودها القائمون بطقوس المنطقة إلى مياه تجري أسفل المنطقة **فتصير نارًا مُلتهِبَة تلتهم كلّ من يدخلها: حتّى تتطهّر تمامًا**»[١٢٨].

عدد ٣٨٧: فناء الخطأة الأكثر دنسًا. يُجيب يسوع على تساؤلات توما[١٢٩]:

«هذه الخطيئة أبشع من كلّ الخطايا والآثام. هؤلاء الناس يُلقون في الظُلمة الخارجيّة، ولا يمكنهم العودة من جديد إلى المنطقة: **بل سيهلكون ويتلاشون في الظلمات الخارجيّة**»[١٣٠]، في منطقة لا رحمة

(١٢٧) النصّ:

«ϣⲁⲩϥⲓⲧⲥ̀ ⲛ̀ⲧⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲙ̀ⲡⲟⲛⲟⲉⲓⲛ ⲧⲁⲓ́ ⲉϣⲁⲥⲕⲣⲓⲛⲉ ⲛ̀ⲛ̀ⲇⲓⲕⲁⲓⲟⲥ ⲙⲛ̀ ⲛ̀ⲣⲉϥⲣ̀ⲛⲟⲃⲉ ⲛ̀ⲥⲕⲣⲓⲛⲉ ⲙ̀ⲙⲟⲥ».

(١٢٨) النصّ:

«ⲁⲩⲱ ⲛ̀ⲧⲉ ⲗⲓⲧⲟⲩⲣⲅⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲥⲫⲁⲓⲣⲁ ϫⲓⲧⲥ ⲉⲃⲟⲗ ⲉⲧⲙⲟⲟϩ ⲉϥϩⲁⲡⲉⲥⲏⲧ ⲛ̀ⲧⲉⲥⲫⲁⲓⲣⲁ ⲛ̀ⲫⲣ-ⲟⲩⲕⲣⲱⲙ ⲉϥⲃⲣ̀ⲃⲣ̀ ⲛ̀ϥⲟⲩⲱⲙ ⲉϩⲟⲩⲛ ⲛ̄ⲥⲱⲥ ϣⲁⲛ̀ⲧϥⲕⲁⲑⲁⲣⲓⲍⲉ ⲙ̀ⲙⲟⲥ ⲧⲟⲛⲱ».

المرجع:

SCHMIDT, *op. cit.*, copto 375 s., trad. 278 s.

في الصفحات التالية، الأسئلة تكون بإصرار والإجابات جاهزة دائمًا. يتكرّر دائمًا البقاء لمدة ٣ أيام، ودائمًا خطّ السير في الأماكن السُفليّة المختلفة، ودائمًا العرض أمام الديّان، والتطهير دائمًا. كما تتنوّع مدّة العقوبة: ٣ سنوات و٩ أشهر للقتلة؛ **واللصوص** ٣ أشهر، ٨ أيام، ساعتين؛ **المتكبّرين** ٢٠ شهرًا؛ **الشهوانيّين المعاندين** ١١ شهرًا؛ **اللوّاطيّن** ١١ عامًا. وفي النصّ نشير إلى عقاب الآخرين.

(١٢٩) توما يسأل بشأن مصير طائفة من البشر تخلط السائل المنوي للرجل مع دماء طمث المرأة مع حساء العدس ويأكلّونه ويقولون: «نؤمن بعيسى ويعقوب».

(١٣٠) النصّ:

«ⲁⲗⲗⲁ ⲉⲩⲛⲁⲁⲛϩⲁⲗⲓⲥⲕⲉ ⲙ̀ⲙⲟⲟⲩ ⲛ̀ⲥⲉⲧⲁⲕⲟⲟⲩ ϩⲙ̀ ⲛ̀ⲕⲁⲕⲉ ⲉⲧϩⲓⲃⲟⲗ».

فيها ولا نور، بل البكاء وصريف الأسنان. وكلّ النفوس التي تُلقى في الظلمة الخارجيّة لن تعود من جديد: **بل ستفنى وتتحلّل**»[١٣١].

عدد ٣٨٧: الموت وحالة الصالحين فيما بعد. هنا يوحنّا هو الذي يسأل عن مصير أولئك الذين لم يرتكبوا خطيئة أبدًا، بل مارسوا الفضائل دائمًا: **إلّا أنّهم لم يتفهّموا الأسرار تمامًا**. فيُجيب يسوع:

«عندما يكتمل وقت هؤلاء الناس في المنطقة، يأتي **مُستقبِلي بينشوش**، وهو أحد المُثلّثي القوّة، خلف نفوسهم ويقودها إلى الفرح والسعادة ويفعلون (ذلك) لمدّة ثلاثة أيّام. وبعد ذلك يتجوّلون في الأنحاء المحيطة معها، وببهجة وفرح يُعلّمونها بشأن مخلوقات العالم. ثُمّ يجعلوها تهبط في الجحيم ويعلّموها بشأن مختلف أنواع العقوبات. لكنّها لن تُعاقب بتلك (العقوبات)، بل تتعلّم بشأنها فقط، والدخان المتصاعد من لهيب نيران العقوبات يلمسها بالكاد فقط. بعد ذلك يرفعونها إلى الطريق الأوسط، حيث يعلّموها بشأن عقوبات طريق الوسط، وبالكاد يلمسها دخّان اللهيب. بعد ذلك يقودونها إلى **عذراء النور، التي تُدينها وتضعها في الأسفل عند الصباؤوت الصغير**[١٣٢]، الصالح، الذي في المركز:

(١٣١) النصّ: «ⲁⲗⲗⲁ ϣⲁⲩⲧⲁⲕⲟ ⲛ̀ⲥⲉⲃⲱⲗ ⲉⲃⲟⲗ». SCHMIDT, *op. cit.*, copto 381 s., trad. 283 s.

(١٣٢) النصّ: «ϩⲁⲧⲛ̄ ⲡ̀ⲕⲟⲩⲓ̈ ⲛ̀ⲥⲁⲃⲁⲱⲑ».

و(ذلك) حتّى تتحوّل المنطقة". وبعد تقلّبات مختلفة، تصِل إلى "وِجهَة عذراء النور، **وترِث النور الأبديّ**"»(١٣٣).

عدد ٣٨٩: التمييز النهائيّ بين الصالحين والطالحين.

«جميع النفوس التي تسلك في كلّ ساعة طريق آلهة المنطقة، التي أتت بها إلى العالم، **تُصبح بارّة وصالحة: ولهذا تجد** أسرار النور... أمّا جميع النفوس التي تتبع في كلّ ساعة مخلوقات المنطقة، فتُصبح **شرّيرة وشَرِسة: ولا تجد أسرار النور**»(١٣٤).

١٣- رؤيا بطرس:

تاريخ **رؤيا بطرس** لا يتجاوز القرن الرابع، والبعض يزعم بأنّه يرجع إلى القرن الثاني. لكنّ النصّ غير كامل، ومُتّفق على أنّه مكتوب في مصر(١٣٥)، فعلى الأقلّ لا شكّ في أنّه شائع فيها، والرقعة اليونانيّة التي عُثر عليها في أخميم تُبرهن على ذلك(١٣٦). سنتّبع هنا الصيغة التي نشرها چيمس(١٣٧).

ص ٥٠٨: وصف الفردوس. سأل بطرس الربّ:

---

(١٣٣) النصّ:

«ⲛ̀ⲥⲕⲗⲏⲣⲟⲛⲟⲙⲓ ⲙ̀ⲡⲟⲩⲟⲉⲓⲛ ⲛϣⲁⲉⲛⲉϩ». SCHMIDT, *op. cit.*, copto 381 s., trad. 283s.

(134) SCHMIDT, *op. cit.*, copto 384 s., trad. 285 s.

(١٣٥) المرجع:

AMANN E., *Apocryphes du Nouv. Test.*, in *Dictionnaire de la Bible*, Suppl. I, 525.

هذا المرجع يدعم ذلك ويُرجع تاريخه إلى النصف الأوّل من القرن الأوّل.

(١٣٦) رقعة أخميم اكتشفها بوريان Bouriant عام ١٨٨٦، ونُشِرت في مذكرات البعثة الأثريّة الفرنسيّة في القاهرة، ٩ (١٨٩٢)، ٩١-١٤٧.

Mémoires publiés par les Membres de la Mission Archéolggiqne Française du Caire, 9 (1892), 91-147.

(137) JAMES, *Apocryphal*, pp. 505-524: *Apocalypse of Peter*.

«أين يكون جميع الأبرار؟ ما هي نوعيّة العالم الذي هم فيه ويتألّقون بهذا المجد؟ فأظهر الربّ لي منطقة هائلة تمتدّ إلى أبعد من هذا العالم، ساطعة بأنوار باهرة. الهواء في هذا المكان تضيئه أشعة الشمس، والأرض مزدهرة بنباتات لا تذبُل، وممتلئة بأنواع النباتات المُعمِّرة، التي لا تفسد وتثمر ثمارًا مباركة. والازدهار قويّ لدرجة أنّ العبير يُعبّقنا بكلّيتنا».

ص ٥٠٩: جهنّم وبحيرة النار. على الجانب المقابل للفردوس، عاين بطرس موضِع العِقاب المحفوظ للمرذولين.

«إنّه موضِع العقاب. أولئك الذين كانوا يُعاقبون والملائكة الذين يعاقبونهم كانوا يرتدون ثيابًا قاتِمة، تتّفق مع جوّ المنطقة. كان هناك البعض منهم مُعَلَّقًا من اللسان: أولئك هم الذين جدفوا على طريق البرّ. وكانت أسفلهم النار التي تُعذّبهم. كانت هناك **بحيرة كبيرة مليئة بالأوحال المشتعلة**، يرقُد فيها بعض الناس الذين انحرفوا عن الاستقامة: وكان الملائكة الزبانيّة(١٣٨) يقومون بتعذيبهم. كان هناك أيضًا آخرين: نساء قد عُلِّقْنَ من شَعرِهِنَّ فوق هذا الأوحال المغليّة، إنّهنّ أولئك اللائي كُنَّ يُهيّئن زينتهنّ من أجل الزنا. والرجال شركائهنّ في الزنا كانوا مُعلَّقين من أقدامهم، ورؤوسهم مغمورة في الوحل. وكانوا يقولون: "لم نكن نعتقد أنّ نهايتنا ستكون هنا في هذا المكان"».

يلي ذلك وصف لأنواع أخرى من العقاب، وفقًا لفئات مختلفة من الخطأة.

---

(١٣٨) الزبانيّة في المعجم الوسيط هم ملائكة العذاب (المحرّر).

ص ٥١٤: الدينونة الأخيرة والعقاب الأبديّ. قال المسيح لبطرس:

«سأجلس على عرش مجدي، إلى يمين أبي السماويّ. وسوف يضع تاجًا على رأسي، وعندما ترى الأمم هذا، ستنوح: كلّ أمةٍ على حدة. ثمّ يأمرهم بدخول **نهر النار**: وستوضع أعمال كلّ واحدٍ أمامهم... **أمّا المختارين** الذين فعلوا الخير، فسيأتون إليّ ولن يروا الموت من جرّاء النار التي تلتهم. لكن **الطالحين**، والخطأة والمنافقين سيظلّون في أعماق **الظُلُمات** التي بلا نهاية. عقابهم سيكون النار، وسيُبيّن الملائكة خطاياهم ويُعِدّون لهم موضع **عقابهم الأبديّ**».

ص ٥٢٠: الأبوكاتاستاسيس أو خلاص نهاية العالم. هذا هو النقيض من الخاتمة السابقة.

«"أنت (يقول الربّ لبطرس) ينبغي عليكَ ألا تُخبِر الخطأة بما تسمعه، لأنّهم قد يُكثِروا من تجاوزاتهم ويرتكبوا الخطايا". فبكى بطرس عِدّة ساعات، لكنّه تَعزّى أخيرًا بهذا التأكيد من جانب الربّ: "سيُعطي أبي **للجميع** الحياة والمجد والملكوت الذي لا يزول. لقد أتيت بسبب الذين آمنوا بي؛ وكذلك أيضًا بسبب الذين آمنوا بي، بكلمتهم، سأتحنّن على البشر"».

١٤- رؤيا بولس:

إنّ سفر رؤيا بولس مثير لاهتمامنا بنحوٍ خاصّ بسبب مضمونه الأُخرويّ الذي يخدم غرضنا. تمّ تأليفه باللغة اليونانيّة نحو نهاية القرن الرابع[139]، وقد وصفه القدّيس أغسطين بأنّه ليس سوى مجموعة من الروايات[140]. إلّا أنّه سريعًا ما تُرجِم إلى اللاتينيّة والسريانيّة والأثيوبيّة والقبطيّة وكان له تأثير كبير في كلّ مكان. وقد ألمح إليه دانتي[141]، بل أنّه في حدّ ذاته يظهر فيه تقارب وثيق مع **الكوميديا الإلهيّة**.

النسخة القبطيّة هي الأوسع انتشارًا من النصوص الأخرى. المخطوط، المحفوظ حاليًا في المتحف البريطانيّ (Orient. N. 7022)، مصدره أديرة إدفو وإسنا في صعيد مصر، وقد اشتراه بدج Budge مع ١٢ آخرين، بين عاميّ ١٩٠٧ و١٩٠٨. هذا المخطوط يعود تاريخه إلى القرن العاشر أو الحادي عشر.

بَيد أنّ حقيقة كون النصّ القبطيّ هو الأوسع انتشارًا من النصوص الأخرى، ليس دليلًا على الأصالة الكاملة[142]، إنّما هو نسخة جديدة مستوحاة من التقاليد المصريّة. الباحث بدج الذي نشر هذه النسخة باللغة القبطيّة مع ترجمة باللغة

(139) «لا شكّ في أنّ سفر الرؤيا (بولس) هذا قد ظهر في السنوات الأخيرة من القرن الرابع»، المرجع: JAMES, *Apocryphal*, 525.

(140) S. AUGUSTINUS, *In Iohan., tract.* 98, 9; *CCL*. 36, 581. «Vani quidam *Apocalypsim Pauli*, quam sana non recipit Ecclesia, nescio quibus *fabulis plenam*, stultissima praesumptione finxerunt, dicentes: etc.».

(141) «وسيذهب هناك الإناء المختار هو أيضًا»، الجحيم، الأنشودة الثانية، ٢٨.

(142) «النسخة القبطيّة -التي لم تنشَر إلّا مؤخّرًا- فيها استمراريّة مُطوّلة: أعتقد أنّ جزءًا منها أصليّ، ولكنّ الباقي لا يمكن أن يكون أصليًّا». المرجع: JAMES, *Apocryphal*, 526.

الإنجليزيّة[143]، أشار إلى العديد من العناصر المصريّة القديمة فيها، التي يُمكن بسهولة التحقق منها في كتاب الموتى، وكتاب الأبواب وكتاب طوات[144].

إنّ مسألة رؤيا نهاية العالم تتلخّص أساسًا في كونها زيارة قام بها بولس إلى السماء والجحيم. والسفر يُقدّم وصفًا مُفصّلًا لكلا الموضعين، مع عرض لمُختلف درجات المجد ومُختلف أنواع العقوبات. من حيث المجال العقائديّ السائد في السفر، المثير للاهتمام هو ملاحظة الدينونة المزدوجة للنفوس، وفترة تنقضي في المَطهَر، والمصير النهائيّ في السماء أو ربّما في الجحيم. نقول رُبّما لأنه يبدو أنّ نظريّة خلاص الجميع في نهاية العالم (الأبوكاتاستاسيس) متداخلة في المسألة. بعد ذلك، تضخيم الموضوع، الذي يتضمّن التقاليد المصريّة القديمة، بما يتيح التعرّف على وجود الـ«كا»، والملائكة التي تُعاقب الروح عند خروجه من الجسد، والوحوش المختلفة أثناء مسار الرحلة في العالم السُفليّ، والنهر الناريّ، واختبار الأبواب، واليوم السابع بعد الموت، والخمسين يومًا من الحريّة التي تُمنح للنفوس في الفترة التي تبدأ من عيد الفصح إلى عيد العنصرة. هذه المجموعة كلّها سنذكُر فقط تلك النصوص التي تناسب طرحنا.

ص ١٠٤٣: النفس بعد خروجها من الجسد، يُخضع الملاك لاختبار.

(143) BUDGE E. A. W., *Miscellaneous coptic Texts in the Dialect of Upper Egypt*; pp. 534-574, *The Apocalypse of Paul* (copto); pp.1043-1084 trad. inglese, London 1915.

(144) «إنّ وصف موضع المُدانين في رؤيا بولس، وأماكن النار، وقوى الظلمة بأشكالها المتوحّشة، والشوكات، والسيوف، والرماح والسكاكين الناريّة، وبحيرات المياه المغليّة، وما إلى ذلك، كلّها مأخوذة من كتاب الموتى وأعمال مماثلة، منها مثلًا كتاب الأبواب وكتاب طوات». المرجع:
BUDGE, *Miscellaneous*, XXII.

«إنّ كلّ أفعالِك الشرّيرة التي فعلتيها نهارًا وليلًا، أيّتها النفس البائسة، قد حملتها أنا إلى حضرة الله: ليس رغبة (منّي)، ولكن بإرادة من الله الذي أمرني قائلًا: "لا تكُفّ عن تقديم خدماتك لهم؛ لعلّهم يتغيّرون ويتوبون". وها إنّني اليوم أجعل ذاتي غريبًا بالنسبة لكِ. هلُمّي نذهب إلى **دينونة الحقّ**. فيخرج روحها منها قائلًا: "أنتِ، أيّتها النفس البائسة، التي لم تدعِني أستريح خلال الوقت القصير الذي قضيته ساكنًا فيكِ.. كانت فيكِ نفحة نسمة حياة الله. هلُمّي **إلى حضرة الديّان الحقّ**، فلن أصفح عنكِ أبدًا. اليوم قد صرت غريبًا عنكِ، وأنتِ أيضًا غريبة عنّي". هكذا **روح النفس**[145] يجرحها، وملاكه يضربها. وما إن تنهض تجذبها القوّات نحو السماء، و (يُزيدونها) معاناة فوق أخرى. حينئذٍ يتبدّى لها خمولها وخباثتها وروح الخطف الساكن فيها».

ص ١٠٤٤: النفس تُقابل في مسار رحلتها قوّات العالم السفليّ التي تتّخذ هيئة وحوش مفترسة.

«أمّا قوّات الظلام، فبعضها له وجه **أسد**، وتحمِل دروعًا ناريّة، وبأيديهم سيوف لكي يقتلوا. والبعض له وجه **ثور**، وأيديهم مثل أيدي البشر، وعلى رؤوسهم قرون ناريّة، ويحملون رماحًا لكي يطعنوا بها نفوس الخطأة. وبعض آخر له وجه **دُبّ**، وعيونهم تُنفث نارًا في أربعة جهات؛ تبدو الوحشيّة على وجوههم، وفي أيديهم **مِديٌ**

(145) رُبّما يكون الـ«كا». وسيتجلّى هذا بوضوح أكثر لاحقًا، حين التمييز بين **روح النفس والملاك**. وقد سبق الحديث عن الـ«كا» في الفصل الأوّل، فقرة ١١.

كبيرة من الحديد[١٤٦] مثل سكّين الجزار، يقفون متأهّبين لطرد النفوس الآثمة قبل خروجها من الجسد ولكي يُنزِلوا بها أشدّ المعاناة أثناء سكرات الموت. البعض أيضًا له وجه **حيّة**، تنفث دخانًا من فمها، مع نيران ولهيب. والبعض (له وجه) **الغربان**، وبأيديهم أسلحة تُشبه المِنشار لكي يُعذبوا النفوس بها. البعض أيضًا له وجه **أفعى سامّة**، ويحملون حِرابًا مثل حِراب صيّادي السمك، متأهّبين لغرسها في النفوس (الخطأة) لتعذيبها بقسوة لا شفقة فيها. وفريق آخر له وجه **الحمير**، عليهم سروج سوداء، وبأيديهم مِديٍّ نارية يطعنون بها نفوس الخطأة بوحشيّة غاضبة. وبعض لهم وجه **التمساح** وفي أيديهم **سكاكين** كبيرة يقطعون بها أوصال النفوس (الخطأة). وبعض آخر لهم وجه **الحيوانات البرّيّة**: تخرج من أفواهها ألسنتها الناريّة وأسنانها من الحديد. هؤلاء الواقفون هناك يقبضون على النفوس ويمضغونها بأفواههم ويبتلعونها على الفور: وبعد ذلك يتقيّأونها..[١٤٧]. وبعض آخر يمضغونها: ومنهم من يُعطي لآخرين، بدوره، تلك (النفوس) التي مضغوها، (لأنّهم) بلا شفقة تجاه نفوس الخطأة. بعد ذلك تقترب قوّات الظلام من النفس وتقول لها: "إلى أين تنوين الذهاب؟ أتريدين الذهاب إلى السماء؟ توقّفي هنا، لكي

[١٤٦] في علم الأخرويّات للمصريّ القديم، **حُرّاس الأبواب** يكونوا مسلحين بالسكاكين. ويمكن أن نضع بين التقليدين النصّ الكتابيّ: «وأقامَ (الله) شَرقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الكَروبِيّن وشُعلَةَ سَيْفٍ متقلِّبٍ» (تك٣: ٢٤).

[١٤٧] نصّ مشوّه ولا يُمكن قراءته.

تتمكّن من رؤية ما فيكِ. فإن لم تفعلي ذلك، لن يُرافقكِ أيّ قدّيس مُعِين"".

الصفحات ١٠٤٥-١٠٤٧: النفس بمرافقة مَلَكَيْن تخضع لدينونة الله بعد سبعة أيام من الوفاة. وتنفيذ فوريّ للحُكم.

"وأنا (بولس) سمعتُ صوتًا من فوق يقول: "اجلِبوا هنا تلك النفس البائسة، لكي تعرف أنّ الله الذي أغضبته موجود". وفور دخول النفس السماء، سمعتُ الملائكة ورؤساء الملائكة الذين كانوا عشراتٍ وألوفٍ وعشرات الألوف يقولون: "أيّتها النفس، لا تفتخري بالأعمال التي قُمتِ بها في العالم". وعلى الفور انغلق فمّ النفس، فلم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة أمام الله. فقال ملاكها: "أيّها الملائكة رفاقي، نوحوا معي لأنّ النفس التي أسكُن فيها لن تجد راحة". فأجاب الملائكة قائلين: "ابتعدي عنّا، ابتعدي عنّا، لأنّه منذ أن رأيناكِ انتشرت بيننا **رائحة نَتِنَة**[١٤٨]". ثمّ أبعدوا النفس، لكي يُتيحوا لها أن تسجُد لله الذي خلقها على صورته وكمثاله. فأشار ملاكها قائلًا: "يا ربّ، أيّها الإله القدير، أنا ملاك هذه النفس؛ حملتُ أعمالها الاثنين (بنوعيها الاثنين) ووضعتها أمامك: تلك التي تنتمي للنهار وتلك التي تنتمي لليل. **فاحُكم عليها وفقًا لأحكامِك**"[١٤٩]. حينئذٍ قال **روح النفس**: "أنا هو الروح، نَسمة الحياة التي سَكَنَت معها. **فاحُكم عليها وفقًا**

[١٤٨] مسألة عفونة النفس الخاطئة منتشرة في رؤيا الأنبا مقّار، وسنتكلّم عن هذا في الفصل الثالث.

[١٤٩] النصّ:

«ⲕⲣⲓⲛⲉ ⲙ̀ⲙⲟⲥ ⲕⲁⲧⲁ ⲛⲉⲥϩⲁⲡ».

لأحكامِك". فجاء صوت الله قائلًا للنفس: "أين أعمالك الصالحة التي كان ينبغي عليك أن تفعليها؟ هل سبق لي أن ابتعدتُ عن الطالحين أنفسهم ليوم واحد؟ ثُمّ، ألم يتكلّم ابني عن الأبرار وجميع الذين اخترتهم؟". انخرَسَت النفس ولم تجد كلمة واحدة لتقولها. فجاء صوت الله قائلًا: "**لا محاباة للناس أمام الله، والحكم على الحقيقة سيكون ما سيكون**"(١٥٠). **من فعل ما هو حقّ، سيُعامل بالحقّ؛ ومن استعمل الرحمة، سوف يُعامل بالرحمة**". وستوضع النفس في أيدي **أفتيملوكوس**(١٥١). وهذا سيطرحها بعُنف في الظلمات السحيقة: (في) الساحة التي فيها البكاء وصريف الأسنان إلى يوم الدينونة العظيمة(١٥٢). حينئذٍ سمعتُ صوت الملائكة ورؤساء الملائكة يقولون: "**إنّك عادِل، يا ربّ، واسمك هو الحقّ**". بعد ذلك نظرتُ أنا، بولس، فرأيت نفسًا أخرى أُخرِجَت من الجسد، **يُمسِك بها مَلَكَيْن**. كانت تبكي وتصرخ قائلة: "إرحمني، أيّها الديّان: **ω πκριτнс**. هذا هو اليوم السابع مُذ سُلِّمتُ لهذين

---

(١٥٠) النصّ:

«ογcαн шше ne ϣαqϣωne».

(١٥١) أفتيملوكوس *Aftemeluchos*، هو الملاك الذي يرأس تنفيذ العقوبات. الاسم قبطيّ ويُكتب بطريقتين: **αqτεмεʌoγχoc**، و**αqτιмεʌoγχoc**، وفي النصّ اليونانيّ: τεμελοχος. المرجع:

TISCHENDORF C. (de), *Apocalypsae apocryphae*, Leipzig 1866, 58.

وفي النسخة اللاتينيّة: *Tartaruchus*، المرجع:

JAMES M. R., *Apocrypha Anecdota* (Texts and Siudies, II, 3), Cambridge 1893, 19.

فيما يتعلّق بالاسم *Tartaruchus*، المرجع:

KROPP A. M., *Ausge* wählte *Koptische Zaubertexte*, t. 3, Bruxelles 1930, 14.63.87.

(١٥٢) النصّ:

«ϣα ǹεϩooγ ǹτnoб nκpicύc».

المَلَكَيْن: ولستُ أعلم إلى أين يريدان أن يأخُذاني". فأجاب **الديّان** قائلًا: "ما الذي فعلتيه في العالم؟ بالتأكيد كانت أعمالك بلا رحمة، ولذلك وقعتِ في أيدي أولئك الذين ليس لديهم رحمة. أنتِ لم تفعلي الصواب، لذلك لن تُعاملي بالصواب عند حاجتك إليه. فاعترفي بالخطايا التي ارتكبتها في العالم". فأجابت النفس قائلة: "إنّني لم أرتكب خطايا، يا ربّ". وفور أن قالت: "إنّني لم أرتكب خطايا"، قال لها **الديّان**: "هل تعتقدين أنّ هذا الموضع مثل العالم، حيث يرتكب الخطيئة كلّ إنسان، ويُخفيها عن جاره؟ عندما يُحضِرُون (النفوس) أمام الله، تصير خطايا كلّ إنسان وكذلك أعماله الصالحة ظاهرة". في هذه اللحظة بقيَ فمّ النفس مُغلقًا، ولم تستطع النُطق بكلمة واحدة. وسمعتُ **الديّان الحقّ** يقول: "أيا ملاك هذه النفس، هلُمّ في الوسط". عندئذٍ وقف الملاك في الوسط وفي يده قائمة الاتّهام بخطاياها (النفس) وقال: "يا سيّدي، ها هي في يدي الخطايا التي ارتكبتها هذه النفس منذ صباها. أتُريد، يا سيّدي، أن أُعدِّدَ هذه الخطايا منذ كان لها من العمر عشر سنوات؟". فقال **الديّان** لملاك النفس: "أيّها الملاك، إنّني لا أسعى لمعرفة الخطايا التي ارتكبتها منذ عمر عشر سنوات أو خمس عشرة سنة. بل، أسألك فقط عن الخطايا التي ارتكبتها أثناء هذه السنة، تلك السنة التي ماتت فيها. إنّني أُقسِم بذاتي، وبملائكتي وبالآخرين، إن كانت النفس قد تابت أثناء هذه السنة التي ماتت فيها، سأنسى جميع الخطايا التي ارتكبتها فيما مضى"».

«حينئذٍ دعا الله **أورئيل و سورئيل** وقال لهما: "أريد منكما أن تجلبا تلك النفوس في الوسط ههنا". فساقوها إليه على الفور. فنظرت إليهم النفس وتعرَّفت عليهم. وقال **الله** الديّان للنفس[153]: "أتعرفين هؤلاء (النفوس) الذين سيقوا إليَّ؟". ثمّ قال الله للنفس: "ما الذي فعلتيه لهم؟". فقالت النفس: "لم يمضِ عام على اغتيالي هذه النفس وإراقةِ دمائها على الأرض. وهذه النفس الأخرى قد اغتلتها بالفحشاء. وبالعنف أخذتُ كلّ ما أهديتها وكافأتها بالعديد من الشرور، كجزاء على كلّ الأعمال الصالحة التي فعلتها بي". فأجاب **الديّان قائلًا**: "إذا ارتكب إنسان عُنفًا تجاه إنسان آخر فمات هذا الإنسان، فلينتظر ساهرًا حتّى يصل ذاك الذي ارتُكب العنف ضدّه: **وحينئذٍ تُحضَر** هاتين الاثنتين **(النفسين) أمام الديّان الحقّ: لكي ينال كلّ واحد بحسب أعماله**[154]"».

«حينئذٍ سمعت صوتًا يقول: "سلّموا هذه النفس إلى يد حاكم أمنتي ودعوها تتعذّب حتّى يوم الدينونة الكُبرى"[155]. وسمعت

[153] النصّ:

«ⲡⲉϫⲉ ⲡ̀ⲛⲟⲩⲧⲉ ⲡⲉⲕⲣⲓⲧⲏⲥ».

[154] النصّ:

«ⲛ̀ⲥⲉⲧⲁϩⲟⲟⲩ ⲉⲣⲁⲧⲟⲩ ⲙ̀ⲡⲙ̀ⲧⲟ ⲉⲃⲟⲗ ⲙ̀ⲡⲕⲣⲓⲧⲏⲥ ⲙ̀ⲙⲉ Ⲑ ⲛ̀ⲧⲉ ⲟⲩⲁ ϫⲓ ⲕⲁⲧⲁ ⲛⲉϥϩⲃⲏⲩⲉ».

[155] النصّ:

«ϣⲁ ⲡⲉϩⲟⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲛⲟϭ ⲛ̀ⲕⲣⲓⲥⲓⲥ».

هنا نجد تمييزًا واضحًا بين الدينونة الخاصّة والدينونة الأخيرة، وكذلك ليس هناك شكّ في العقاب الفوريّ في الجحيم.

عشرات وعشرات الألوف من الملائكة كانت تُسبِّح وتُمجِّد الله، قائلين: "**إنّك عادل، أيها الربّ، وأحكامك حقّ**"».

ص ١٠٤٨ وما يليها: **وصف للفردوس**. إنّه الموضِع المحفوظ للأبرار. كلّ شيء هناك ساطع بالضياء وبديع. وقد دخله بولس من **أبواب مختلفة**، كلّها من الذهب[156]. وقد ظهر في أحد هذه الأبواب، **حَنوك، كاتب العدل**[157]. ومركِب سمائيّ، **مُجهَّز** بثلاثة آلاف ملاك، من أجل الوصول للملكوت المسيح. وهناك تجري **أربعة أنهار**، النيل[158]، الفرات، دِجلة و فيشون. هذه الأنهار تُشكل أربعة مناطق: الغرب حيث يجري العسل، والجنوب حيث يجري اللبن، والشرق حيث يجري الخمر، والشّمال حيث يجري الزيت. النباتات فريدة النوع، فالنخلة مثلًا فيها عشرة آلاف غصن، وكلّ غصن فيه عشرة آلاف عنقود، وكلّ عنقود فيه عشرة آلاف من البلح. والأعشاب العطريّة تملأ الجو بالعبير الفوّاح، وضياء الشمس يجعل الجوّ أكثر سطوعًا من بريق الفضّة سبعة أضعاف. هذا هو موضع السعادة الذي التقى فيه بولس بيسوع والعذراء، حَنوك وإبراهيم والآباء، وإشعياء والأنبياء، وموسى،

[156] النصّ: «ⲁⲓⲛⲁⲩ ⲉ̀ⲧⲏⲧⲗⲱⲛ ⲉⲧⲙ̀ⲙⲁⲩ ⲉⲩⲛⲟⲩⲃ ⲧⲏⲣⲥ ⲧⲉ».

[157] النصّ: «ⲛⲁⲓ ⲡⲉ ⲉⲛⲱⲭ ⲡⲉⲅⲣⲁⲙⲙⲁⲧⲉⲩⲥ ⲛ̀ⲧⲇⲓⲕⲁⲓⲟⲥⲩⲛⲏ».

[158] النيل: وردَ اسمه في النصّ «ⲅⲉⲱⲛ» (غيون) كما في النصوص القديمة بما فيها النصوص الكتابيّة. المرجع: HEBBELYLINCK A., *Les mystères des lettres grecques* (testo copto e traduz. francese) Louvain 1902, 57, nota 5.

هذا بشأن مسئوليّة ريفلاوت عن قوله بشأن نصّ مماثل: إنّه من بين أربعة أنهار «لم يُذكر اسم النيل»، ويستنتج من ذلك أنّ هذا دليل على أنّ السِفر لم يُكتب في مصر، لكن غاب عنه أنّ «ⲅⲉⲱⲛ» (غيون) هو النيل.

والأبرياء الذين قتلهم هيرودس. أيضًا رأى داود الذي يُرنِّم للمسيح بقيثارته في السماء السابِعة. وجميع الملائكة يرنمون ويُنشِدون **هليلويا** بقوّة تزلزل أُسّس المدينة السمائيّة.

ص ١٠٥٠ وما يليها: جهنّم والمُدانون.

«كانت هناك هاوية مليئة **بالتنانين**، وهاوية مليئة بالثلوج، وهاوية مليئة **بالقُطران والكبريت** الذي يغلي مثل (الماء في) مِرجَل مُلتهِب؛ ومنه تتصاعد أجزاء من القطران والكبريت ترتفع (في الجو) ثلاثين ذراعًا. كانت هناك أيضًا هاوية مليئة بالديدان (أو الحيّات) شديدة النتانة. وأيضًا هاوية مملوءة **بسائل رهيب للغاية**، وهاوية مملوءة بالجمر المُتَّقِد. وأيضًا هاوية أخرى يتصاعد منها دخّان يبلغ عنان السماء. وهناك هاوية تستقرّ فيها ملائكة الموت. وأنا بولس نظرت فرأيت **نهرًا ناريًا عظيمًا** تتحرّك أمواج كثيرة على سطحه. وكان مغمورًا فيه رجال ونساء: البعض كان مغمورًا حتّى الركبتين؛ والبعض كان مغمورًا حتّى الصدر؛ وبعض آخر حتّى الشفتين؛ وبعض كانوا مغمورين فيه حتّى شعر رؤوسهم. فقُلت للملاك: "مَن هؤلاء المغمورين في أنهار النيران هذه؟". أجاب الملاك: "هؤلاء هم الذين لم يعرفوا أن يحكموا ذواتهم أبدًا، وأولئك الذين لم يقدّموا أبدًا كأس ماء بارد، وأولئك الذين لم يلتزموا تمامًا بالصالحين، والذين لم يلتزموا تمامًا بالخطأة: فقد دمروا بأنفسهم حياتهم على الأرض"».

ثمّ أخذ الملاك بولس وأراه مناطق متداخِلَة، وشرح له أسباب تنوّع فئات الخطأة. ص ١٠٦٠: فبكى بولس عندما شاهد عقوبات كثيرة، لكن **الملاك** قال له: «لماذا تبكي، يا بولس؟ أأنت أكثر تحنّنًا من الله؟ الله يعلم أنّه ستكون هناك دينونة ولهذا السبب سمح لكلّ إنسان أن يفعل ما يريد على الأرض». «فانتابني ألم شديد، و(ذرفت) دموع. فقال لي الملاك: «لماذا تبكي، يا بولس، قبل أن تُشاهد الدينونة الكُبرى؟..». وبعد ذلك قاده لكي يرى عذابات أثقل بسبعة أضعاف من تلك المذكورة.

ص ١٠٦٨- ١٠٧٠: النفوس المتألّمة تنال تخفيفًا بشفاعة القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة والمُختارين.

«والذين يُعانون من العقوبات رفعوا أصواتهم من جديد وبكوا. تنهّدوا من جديد حسبما أمرهم ميخائيل وقالوا: "ارحمنا، يا بن الله الحيّ". وصرخ بولس أيضًا قائلًا: "يا سيّدي، يسوع المسيح، أشفق على الذين خلقتهم". بعد ذلك، سجد ميخائيل ومعه عشرة آلاف ملاك أمام الله قائلين: "أشفِق على صورتك! تحنّن على أبناء آدم!". ثمّ نظرتُ فرأيت السماء ترتجف كشجرة في مهبّ الريح. وحين سجودهم أمام عرش الله، رأيتُ **الأربعة وعشرين شيخًا والأربعة حيوانات** يسجدون. كما رأيت المذبح وحجاب الهيكل ساجدين أيضًا، وسمعتُ صوتًا يقول: "لماذا تتوسّلون إليّ أنتم وملائكتي الخُدّام؟". وصوتًا (تكلّمَ) قائلًا: "نحن نتوسّل من أجل البشريّة، ونتوقّع الصلاح والتحنّن المرغوب". فرأيت السماوات تنفتح وابن الله يخرج من السماوات وعلى رأسه إكليل. وفور أن

شاهده المتألّمون، صرخوا وقالوا: "يا بن الله الحيّ. لقد منحت الراحة لسكّان السماء وللذين على الأرض: فامنحها لنا نحن أيضًا، لأننا شعرنا براحة منذ أن رأيناك". وعلى الفور جاء بين المتألّمين صوت ابن الله قائلًا: "ما هي الأعمال الصالحة التي فعلتموها على الأرض، لكي أمنحكم الراحة؟ لقد سفكوا دمائي من أجلكم، ولكنّكم لم تتوبوا؛ وضعوا إكليلًا من الشوك على رأسي، وأنتم لم تتوبوا؛ اليدان التي جبلتكم ثقبتها المسامير من أجلكم، ولكنّكم لم تتوبوا. طلبتُ قليلًا من الماء، فقدّموا لي مرارةً وخلًّا[١٥٩]. سُمِّرْتُ على الصليب، وأنتم لم تتوبوا. طعنوا جنبي اليمين من أجلكم، لكنّكم لم تتوبوا. جميع أنبيائي ورجالي الأبرار قُتِلوا من أجلكم، لكنّكم لم تتوبوا. في كلّ هذه الأمور منحتكم التوبة، لكنّكم لم تتوبوا. مع ذلك، حُبًا لميخائيل ولحبيبي بولس، لا أريد أن أردّكم خائبين. وحيث أنهما (ميخائيل وبولس) قد قدّموا تقدمات من أجلكم ومن أجل إخوتكم؛ ولأنّه هناك من بينهم من نفّذ وصاياي؛ فبدافع من صلاحي؛ ولأنّني قُمت من بين الأموات؛ **سأمنحكم الراحة في يوم الربّ (الأحد) في كلّ أسبوع، وطوال الخمسين يومًا التي تلي (يوم) القيامة[١٦٠]"**.

---

(١٥٩) النصّ: «ⲁⲩⲉⲓⲛⲉ ⲛⲁⲓ ⲛ̀ⲟⲩⲥⲓϣⲉ ⲙⲛ̀ ⲟⲩϩⲙⲝ».

(١٦٠) الاعتقاد في الراحة طوال خمسين يومًا، المذكورة هنا، هو من ضمن الليتورجيّة القبطيّة، بالإضافة إلى وجوده ضمن القناعات الشعبيّة.

١٥- نياحة مريم العذراء:

بالإضافة إلى رؤيا مريم العذراء[١٦١]، هناك كتابات منحولة مختلفة، خاصّة تلك المنسوبة ليوحنّا الرسول[١٦٢]، اهتمّت بالعذراء مريم وبنهاية العالم. لسنا بصدد ذكرها كلّها هنا في هذا المقطع، حيث إنّه سبق لنا ذلك في موضع آخر[١٦٣].

سنقتصر هنا على ذكر نصّين، نعتقد أنّهما أكثر تعبيرًا فيما يتعلّق بموضوعنا العامّ.

١) **أجزاء باللهجة الصعيديّة من سيرة مريم.** تتضمّنها المخطوطة البورجيّة (Ms. Borgiano CXX). النصّ القبطيّ المصحوب بترجمة إلى الإنجليزيّة نشره

---

(١٦١) المرجع: *Apocalypsis seu Visio Mariae Virginis*, ed. CHAÎNE M., in *CSCO*. n. 39, pp. 51-80 testo etiopico, e n. 40, pp. 43-68 traduzione latina.

وقد تمّت ترجمة النصّ من الحبشيّة إلى العربيّة، ومن العربيّة إلى اليونانيّة. النصّ اليونانيّ لرؤيا مريم العذراء نشره جيمس: JAMES M. R., *Apocrypha Anecdota*, in *Texts and Studies*, II, 3, Cambridge 1893, 109-126.

السياق يُحاكي رؤيا بولس، ولهذا السبب سنتغاضى عن ذِكره.

(١٦٢) من بين النسخ الأكثر اكتمالًا: *Líber de transítu Virginis Mariae*, ed. CHAÎNE M., in *CSCO*. n. 39, pp. 21-49 testo etiopico, e n. 40, pp. 17-42 trad. francesce.

هناك أيضًا نسخة عربيّة من المرجع المنحول نشرها إنجر: ENGER. M., *Ioannis Apostoli de transitu Beatae Mariae Virginis*, Elberfeld 1954;

ونسخة أخرى باللغة السريانيّة: ed. WRIGHT W., *Contributions to the apocryphal literature of the New Testament*, in *Journal of sacred Literature*, ser. 4, 6-7 (1865) Genn.-Febbr.;

وأخرى باليونانيّة: ed. TISCHENDORF C., *Apocalipsae Apocryphae*, Leipzig 1866.

(163) GIAMBERARDINI G., *La teología assunzionistica nella Chiesa Egiziana*, Gerusalemme 1951, 9-22.

روبنسون(١٦٤). المحتوى الأُخرويّ المريميّ مصريّ بحت. الوحوش، التنّين، الأبواب التي ينبغي اجتيازها، نهر النيران: هذه كلّها عناصر مصريّة. بالإضافة إلى ذلك، المَطهَر حيث يُجرَّب الصدّيقين والخطأة، والفردوس الحقيقيّ الذي يتمّ بلوغه مباشرة.

ص ٣٩-٤١. العذراء تحُثّ الرسل على الصلاة حين احتضارها، ثمّ تلتفت نحو الشرق قائلة:

«"الآن، يا ربّي وإلهي، قد حانت الساعة التي تأتي فيها إليّ، وترحمني، وتزيل من أمامي أحجار العثرة هذه، وكلّ هذه الوجوه المختلفة. اجعل هؤلاء الذين عن يسارك يسقطون أمامي، وأولئك الذين عن يمينك ينهضون بفرح. لتُخجِل قوى الظلام اليوم، لأنها لم تجد فيّ شيئًا منها. افتح لي أبواب البِرّ لكي أدخل وأظهر أمام وجه إلهي. اجعل التنّين يختفي من أمامي حين يراني آتية بحماس نحوك، أنت الإله الحقّ وحدك. لتكن أنهار النار، حيث يُمتحن الفريقين، أي الأبرار والخطأة، هادئة إلى حين عبوري لها(١٦٥): لأنّك أنت إلهي وسيّدي، أنت أبو الجميع وابنك الوحيد يسوع المسيح، الجوهر الواحد معك ومع روحك القدّوس، فلَكَ به المجد معه (المسيح) إلى دهر الدهور: آمين".

(164) ROBINSON K, *Coptic Apocryphal Gospels*: pp. 1-41, *Sahidic Fragments of the Life of the Virgin*, (*Texts and Studies* IV, 2), Cambridge 1896.

(١٦٥) النصّ:
«ⲙⲁⲣⲉ ⲡⲓⲉⲣⲟ ⲛ̀ⲕⲱϩⲧ ϩⲁⲓ̈ ⲉⲧⲟⲩⲇⲟⲕⲓⲙⲁⲍⲉ ⲙ̀ⲡⲙⲉⲣⲟⲥ ⲥⲛⲁⲩ ⲛ̀ϩⲏⲧϥ ⲛ̀ⲇⲓⲕⲁⲓⲟⲥ ⲙⲛ ⲛ̀ⲣⲉϥⲣ̀ⲛⲟⲃⲉ ⲙⲁⲣⲉϥⲥⲧⲭⲁⲍⲉ ⲙ̀ⲙⲟϥ ϣⲁⲛϯⲡⲁⲣⲁⲅⲉ ⲙ̀ⲙⲟϥ».

عندما قالت العذراء القدّيسة: "**آمين**"، دخلت بثياب الكتّان والعبير، وأدارت وجهها جهة الشرق، ورشمت ذاتها باسم الآب والابن والروح القدس، ورقدت. على الفور تقدّم الربّ منها، ممتطيًا مركبة الكروبين، تتقدّمه الملائكة. جاء وبقي إلى جوارها وقال لها: "لا تخافي من الموت، يا أمّي، لأنّ الحياة كلّها معكِ. إنّه لحقٌّ أن تُشاهديه بعينيكِ فقط: لأنّه لو لم آمره (أي الموت)، لَمَا أمكن أن يأتيكِ".

هكذا أمر الملك قائلًا: "هلُمّي، يا مَن أتيتِ من وديعة الجنوب، من الموضع الخفيّ". فور أن رأته العذراء، قفزت نفسها بين ذراعيّ ابنه. فقام هذا **بتزيينها بزينة المواضع السمائيّة**..»(١٦٦).

٢) **نياحة مريم في رواية إفوديوس.** النصّ المكتوب باللغة القبطيّة البحيريّ، الذي يحويه المخطوط الفاتيكانيّ (Ms. Vat. LXII, 5)، قام بنشره لاجارد Lagarde(١٦٧). وقام روبنسون Robinsons بترجمته إلى الإنجليزيّة(١٦٨). تقول المقدّمة إنّ الرواية «لقداسة البابا الجزيل التبجيل والإكرام إيشوديوس، رئيس أساقفة المدينة العظمى روما»(١٦٩). لكنّ الباحث ماي Mai صحّح النصّ:

(١٦٦) النصّ: «ⲁϥⲥⲕⲉⲡⲁⲍⲉ ⲙ̀ⲙⲟⲥ ϧⲉⲛ ⲛⲉⲛⲧⲏⲙⲁ ⲛ̀ⲛⲉⲛⲟⲩⲣⲁⲛⲓⲟⲛ».

(167) LAGARDE P., *Aegyptiaca*, pp. 38-63, *De dormitione Mariae*, Gottingae 1883.

(168) ROBINSON, *Apocryphal*, 44-67, *The falling asleep of Mary*.

(١٦٩) النصّ:
«ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲟⲩⲟϩ ⲉⲧ ⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ ⲕⲁⲧⲁ ⲥⲙⲟⲧ ⲛⲓⲃⲉⲛ ⲁⲃⲃⲁ ⲉⲩⲭⲟⲇⲓⲟⲥ ⲡⲁⲣⲭⲓⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲛⲓϣϯ ⲙ̀ⲡⲟⲗⲓⲥ ⲣⲱⲙⲏ».

«الإيڤوديوس أوّل رئيس لأساقفة أنطاكية»[170]. محتوى الوثيقة كما سنرى يندرج تماما في إطار التقليد القبطيّ.

عدد ١١: الذين يوجّهون الاتّهام في أمتني بمختلف أشكالهم. نهر النار. اختبار **الأبرار والخطأة.**

«أتوسّل إليك، يا بنيَّ الحبيب، أن تُبعِد من أمامي جبروت الموت وقوّات الظلام. دع ملائكة النور يأتون إليَّ. وليبقَ ساكنًا بلا حركة الدود الذي لا يموت. ولتجعل الظلمة الأبديّة تصير نورًا. دَع **الذين يوجّهون الاتّهام في الهاوية (أمنتي)**[171] يُغلقون أفواههم أمامي. اجعل **تنّين الهاوية يُغلق** فمه حين يراني آتية إليك. يا بُنيَّ الحبيب، أعطِ أمرًا بأن يبتعد **زبانية الهاوية** من أمامي، فلا يُرعِبوا نفسي. ولتتحطّم أمامي أحجار العثرة التي تترصّد الذين يسلكون هذه الدروب. لا تسمح بأن يراني المنتقمون **بمختلف أشكالهم. نهر** النار، الذي تتدافع أمواجه أمامك مثل أمواج البحر، **حيث يُختبر الفريقين، أي الأبرار والخطأة**[172]، دَعه لا يحرق نفسي حين أعبُرُ فوقه. دعني أكون مستحقّة لعبادتك بوجه لا يعرف الخزي: لأنَّ لكَ القوّة والمجد إلى دهر الدهور. آمين»[173].

---

(170) "S. P. N. Euchodii Magnae urbis Romae archiepiscopi (imo Evodii antiochenae archiespiscopi primi) homilia de domina omnium nostrorum Sancta Maria". MAI A., *Scriptorum Veterum nova collectio*, tom. V: *Codices Coptici Bibliothecae Vaticanae*, Romae 1831, 158.

(171) النصّ: «ⲛⲓⲕⲁⲧⲏⲅⲟⲣⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲁⲙⲉⲛϯ».

(172) راجع الجزء الصعيديّ، السابق ذكره في العدد السابق.

(173) LAGARDE, *op. cit.*, 53 s.; ROBINSON, *op. cit.*, 58.

عدد ١٢: مجد الفردوس.

«قال ربّنا يسوع المسيح لأمّه بصوته العذب: "اطمئني يا أمي. سأُبعِد كلّ هذه الأمور عنكِ، لأنّه لا شأن لها بكِ. لكن مواضع الراحة التي في السماء، والأمور الطيّبة التي أورشليم السمائيّة كلّها مُعدَّة لكِ، لكي **تستريحي فيها إلى الأبد**[174]. ها هي زخارف العلاء السمائيّة وسعف النخيل المزدهر مهيّأة، لكي يُغلَّف بها جسدك. ونفسَكِ المباركة سآخذها معي في العلاء، في السماوات، **وسأهبها لأبي**[175]. فأنت بلا مقارنةٍ، أفضل من جميع الهبات، أنتِ يا من ولدتّيني.."».

«.. حينما رأت العذراء القدّيسة الموت بعينيها، **صعدت نفسها من جسدها متوجّهةً إلى حضن ابنها الحبيب**[176]، في ذلك الموضع الذي كان جالسًا فيه، لأنَّ الله الكلمة كان جالسًا معنا (نحن الرسل) في الموضع الذي كُنّا فيه. كان يملأ السماء والأرض. وعندما حصل على نفس أمه العذراء – البيضاء كالثلج – حيّاها ولفَّها بزينة الكتّان النقيّ وسلّمها إلى ميخائيل، رئيس الملائكة القدّيس. فأخذها هذا على جناحيه النورانيّين إلى أن يُهيَّأ موضع لجسدها المقدّس. وكان جميع الرسل يبكون. وبينما كانت سالومي تبكي على

---

(174) النصّ: «ⲉⲑⲣⲉ ⲙ̀ⲧⲟⲛ ⲙ̀ⲙⲟ ⲛ̀ⲑⲏⲛⲟⲩ ϣⲁ ⲉⲛⲉϩ».

(175) النصّ: «ⲛ̀ⲧⲁⲧⲉⲓⲥ ⲛ̀ⲇⲱⲣⲟⲛ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲉⲧ ⲛ̀ⲁⲅⲁⲑⲟⲥ».

(176) راجع الموضع المماثل في الجزء الصعيديّ، السابق ذكره في العدد السابق.

فراق العذراء، قال ربّنا: "إنّ مريم، أمّي العذراء، لم تمُت بل هي حيّة. فموت أمّي ليس موتًا، بل حياة أبديّة"»(١٧٧).

١٦ - نياحة القدّيس يوسف:

النصّ المكتوب باللغة القبطيّة البحيريّ عن نياحة القدّيس يوسف هو جزء من المخطوط الفاتيكانيّ (Ms. Vat. LXVI-11) من ص ٢٦٩أ إلى ص ٢٨٧أ. والمخطوط ممهور في نهايته بتاريخ ٧٨٣ للشهداء الذي يقابله ١٠٦٧ م. وقد اهتمّ لاجارد بالنسخة القبطيّة الأصليّة في كتابه (**مصريّات** *Aegyptiaca*)(١٧٨)، في حين أنّ روبنسون قام بترجمته إلى الإنجليزيّة(١٧٩). سمات الكتابات المنحولة تتجلّى في السرد في كافّة الصفحات.

عدد ١٣: مسار رحلة النفس ونار المَطهَر. القدّيس يوسف يدعو:

«الآن، دَع يا ربّ، ملاكك يبقى بجوار نفسي وجسدي: إلى حين أن ينفصلا بلا صعوبة. لا تسمح بأن يتّقد وجه الملاك الذي عهدتَ بي إليه منذ يوم كوّنتني إلى اليوم، غضبًا عليّ في المسيرة المتّجهة إليك(١٨٠)، بل يكون في سلام معي. لا تسمح لأولئك ذوي

(١٧٧) النصّ: «ⲫⲙⲟⲩ ⲅⲁⲣ ⲛ̀ⲧⲁⲙⲁⲩ ⲛ̀ⲟⲩⲙⲟⲩ ⲁⲛ ⲡⲉ, ⲁⲗⲗⲁ ⲟⲩⲱⲛϧ ⲛⲉϣⲉ ⲉⲛⲉϩ». LAGARDE, *op. cit.*, 54 s.; ROBINSON, *op. cit.*, 59.
وهناك نصّ مماثل عن نياحة القدّيس يوسف سنراه في النقطة التالية.

(178) LAGARDE P., *Aegyptiaca*: pp. 1-37, *De morte Josephi*, Gottingae 1883.

(179) ROBINSON, *Apocryphal*: pp. 129-159, *Boharic account of the Death of Joseph with Sahidic Fragments* (*Texts and Studies*, IV, 2), Cambridge 1883.

(١٨٠) النصّ: «ϧⲉⲛ ⲛⲓⲙⲱⲓⲧ ⲙ̀ⲙⲟϣⲓ ⲉⲓⲛⲏⲟⲩ ϩⲁⲣⲟⲕ».

الوجوه المُختلِفة، بأن يُزعجوني في مسيرتي بينما آتٍ إليك. لا تسمح لأولئك، الموجودين عند الأبواب(١٨١) بأن يُثقِلوا على نفسي، ولا يجعلوني أخجل أمام عرش دينونتك الرهيبة(١٨٢). لا تسمح بأن تثور ضدّي أمواج نهر النار، حيث تتطهّر جميع النفوس قبل أن ترى مجد ألوهيّتك: أيّها الإله الذي يُدين الجميع بالحقّ والعدل(١٨٣). الآن، يا سيّدي، لتكُن رحمتك التعزية لي..»(١٨٤).

عدد ٢١: قوّات الظلام. يتكلّم يسوع فيقول:

«نظرت نحو الجنوب فرأيت الموت. أتي إلى البيت وخلفه أمنتي فهو أداته. والشرّير (جاء)، الشيطان، وخلفه الكثير من مساعديه المكتسين بالنيران، بأعداد لا تُحصى، ينفثون الدخّان والكبريت من أفواههم. نظر يوسف أبي ورأى أولئك الذين جاءوا ليأخذوه، أولئك الممتلئين ضراوة ضدّه: وكم هي وجوههم مُتلظّية تجاه جميع النفوس التي تخرج من الجسد، خاصّة تجاه الخطأة الذين يجدون فيهم القليل من أنفسهم. فبكى الشيخ الطيّب عندما رآهم ومعهم

(١٨١) النصّ: «ⲛⲏ ⲉⲧ ϩⲓϫⲉⲛ ⲛⲓⲡⲩⲗⲏ».
مسألة حرّاس الأبواب في العالم الآخر هي موضوع واسع الانتشار في الكتابات المصريّة القديمة.

(١٨٢) النصّ: «ϧⲉⲛ ⲛⲉⲕⲃⲏⲙⲁ ⲉⲧ ⲟⲓ ⲛ̀ϩⲟϯ».

(١٨٣) النصّ: «ⲙ̀ⲡⲉⲛⲑⲣⲟⲩ ⲉⲣ ⲑⲏⲣⲓⲟⲛ ⲉϧⲟⲧⲛ ⲉⲣⲟⲓ ⲛ̀ϫⲉ ⲛⲓϩⲱⲓⲙⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲫⲁⲣⲟ ⲛ̀ⲭⲣⲱⲙ, ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲉ ϣⲁⲣⲉ ⲯⲩⲭⲏ ⲛⲓⲃⲉⲛ ⲉⲣ ⲕⲁⲑⲁⲣⲓⲍⲓⲛ ⲛ̀ϧⲏⲧϥ, ⲙ̀ⲡⲁⲧⲟⲩ ⲛⲁⲩ ⲉⲡⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲧⲉⲕⲙⲉⲑⲛⲟⲩⲧ : ⲱ ⲫⲛⲟⲩϯ ⲉⲧ ϯϩⲁⲡ ⲉⲡⲓⲟⲩⲁⲓ ⲡⲓⲟⲩⲁⲓ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ ⲛⲉⲙ ⲟⲩⲇⲓⲕⲉⲟⲥⲓⲛⲏ».

(184) LAGARDE, *op. cit.*, 8 s.; ROBINSON, *op. cit.*, 134.

الموت. حينئذٍ اضطربت نفس يوسف أبي بتأوّهٍ شديد، وهي تبحث عن مفرٍّ ينقذها منهم. فما أن سمِعتُ تأوّهات يوسف أبي (حيث إنّه رأى قوّات لم يرها أبدًا من قبل)، نهضتُ على الفور وانتهرت الشيطان وجميع الذين كانوا معه. فرحلوا جميعًا بخزيٍ واضطراب شديد.. عندما رأى الموت أنّني قد أبعدتُ قوّات الظلام وطردتها، خاف لأنّه لم يعُد لديه سلطان عليه. فقُمت سريعًا ورفعت صلاة إلى أبي الممتلئ بالرحمة».

عدد ٢٢: صلاة يسوع. مهمّة الملَكَين ميخائيل وجبرائيل. الدينونة.

«يا أبتِ، أبا المراحم كلّها، أبا الحقّ، العين التي ترى والأذن التي تسمع، أصغِ لابنِكَ الحبيب. أتوسّل إليك من أجل صنيعة يديك، يوسف أبي، لكي تُرسل له جوقة عظيمة من الملائكة، ميخائيل خادم الحقّ، وجبرائيل حامل رسالة النور، كي يرافقوا نفس يوسف أبي طوال عبورها دهور الظلام السبعة. فهكذا لن تعبُر المسالك الضيّقة المخيفة: حيث إنّ رؤية قوّتها وسلطانها مخيفة جدًّا. ونهر النار ثائر مثل أمواج البحر. لتكُن أنت ممتلئًا بالرحمة تجاه نفس يوسف أبي، حين تأتي في يديك كلّيّة القداسة: لأنّ هذه هي الساعة التي تحتاج فيها للرحمة. أقول لكم، يا إخوتي المبجّلين والرسُل المباركين، إنّ كلّ إنسان مولود في العالم وعرف الخير والشرّ **وأمضى وقته كلّه مُدقّقًا ببصره**[185]، يحتاج لرحمة أبي في ساعة الموت، في

(185) النصّ:
«ⲉ ⲁϥⲉⲣ ⲡⲉϥⲥⲛⲟⲩ ⲧⲏⲣϥ ⲉϥⲁϣⲓ ⲛ̀ⲥⲁ ⲛⲓⲃⲟⲩϩⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲉϥⲃⲁⲗ».

عبور الطريق، عند عرش الدينونة الرهيبة، وفي إعداده للدفاع[186]. أمّا أنا فسأُبعد الخطر عن جسد أبي يوسف، الشيخ البارّ[187].

العددان ٢٣-٢٤: مجد الفردوس.

«حين أسلم روحه، ألقيت أنا (يسوع) التحيّة. وأخذت نفسه ووضعتها فوق طنافس[188] ثمينة. ... فأمرت الملائكة ميخائيل وجبرائيل أن يسهرا على نفسه ليحموها من القوّات التي كانت فوق الطريق. وكانت الملائكة تُنشد أمامها إلى حين تسليمها لأبي الصالح[189].. إنّ موت يوسف أبي **ليس موتًا بل حياة أبديّة**[190]. لقد نال يوسف أبي بركات عظيمة: لأنّه منذ لحظة خروج نفسه من الجسد، ابتعد عنه كلّ تعبٍ. وقد مضت نفسه إلى **الملكوت مدى الأبديّة**[191].. مضت إلى مواضع الراحة لدى أبي **الذي في السماوات، تلك المواضع التي لن تفنى أبدًا**[192]».

(186) النصّ:
«ⲁϥϣⲁⲛⲓ ⲉ̀ϯⲟⲩⲛⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫⲙⲟⲩ ⲛⲉⲙ ϯϫⲓⲛⲥⲓⲛⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲙⲱⲓⲧ ⲙ̀ⲙⲟϣⲓ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲃⲏⲙⲁ ⲉⲧ ⲟⲓ ⲛ̀ϩⲟϯ ⲛⲉⲙ ⲡⲓϫⲓⲛⲉⲣ ⲁⲡⲟⲗⲟⲅⲓⲥⲑⲉ».

(187) LAGARDE, *op. cit*, 25-27; R0BINSON, *op. cit.*, 140 s.

(188) الطنافس هي جمع لكلمة الطُّنْفُسَة، وهي في معجم لسان العرب تعني البساط (المحرّر).

(189) النصّ:
«ϣⲁⲧⲟⲩⲧⲏⲓⲥ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲱⲧ ⲛ̀ⲁⲅⲁⲑⲟⲥ».

(190) راجع النصّ المقابل بشأن نياحة العذراء في المقطع السابق.

(191) النصّ:
«ⲁϥϣⲉ ⲛⲁϥ ⲉϯⲙⲉⲧⲟⲩⲣⲟ ϣⲁ ⲉⲛⲉϩ».

(192) النصّ:
«ⲛⲏⲉⲧⲉ ⲙ̀ⲡⲁⲩⲧⲁⲕⲟ ϣⲁ ⲉⲛⲉϩ»; LAGARDE, *op. cit.*, 27-29; ROBINSON, *op. cit.*, 41.

عدد ٢٦: المَطهَر: الذين يكرّمون القدّيس يوسف لن يهلكوا.

«عندما يُغادرون الجسد، سأقطع أنا (يسوع) رباطات خطاياهم
لكي لا يطولهم أيّ عذاب، ما عدا ضرورة الموت ونهر النار الموضوع
بجوار أبي، الذي يُطهِّر جميع النفوس»(١٩٣).

١٧- رسالة بطرس إلى إكلّيمنضس:

هذا المرجع المنحول يُعرف أيضًا باسم قوانين إكلّيمنضس التي أملاها بطرس(١٩٤). وقد نُسِخَت في مصر بعد الفتح العربيّ(١٩٥)، من نصوص يونانيّة. ذكرها ڤانسلِب ولكن بإزدراء: «لأنّها مليئة باللامعقول، لم أرغب في وضعها هنا»(١٩٦). على الرغم من ذلك كان لها تأثيرها في المحافظة على التقليد المصريّ. المرجع، المترجم إلى الألمانيّة نشره ريدل Riedel(١٩٧)، كما أنّ المخطوطات العربيّة كثيرة جدًّا(١٩٨). سنتبع هنا نسخة باريس(١٩٩).

ما يخصّنا في موضوع دراستنا هذه هو فقرتين، فيهما تأكيد على جدوى الصلاة من أجل الموتى، وتحديد لأيّام هذه الصلاة عينها، وكذلك الاعتقاد بأنّ دينونة النفوس تكون في اليوم الأربعين.

---

(١٩٣) النصّ: «ⲡⲛⲁⲣⲟ ⲛ̀ⲭⲣⲱⲙⲉⲧ ϫⲏ ⲙ̀ⲡⲉⲙ̀ⲑⲟ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲉⲧ, ⲫⲁⲓⲉⲧ ⲉⲣ ⲕⲁⲧⲁⲣⲓⲍⲓⲛ ⲛ̀ⲯⲏⲭⲏ ⲛⲓⲃⲉⲛ». LAGARDE, *op. cit.*, 31; ROBINSON, *op. cit.*, 143.

(194) NAU F., *Canons des Apôtres*, in *DTC*. II, 1626.

(195) «Canones Clementis, Mahumedanis jam in Aegypto regnantibus, composite». FUNK X., *Didascalia et Constitutiones Apostolorum*, I, Pederbornae 1905, nota 3.

(196) VANSLEB, *Histoire*, 259.

(197) RIEDEL W., *Kirchenrechtsquellen*, 169 s.

(198) GRAF G., *Geschichte der Christlischen Arabischen Literature* (*Studi e Testi* 118), Città del Vaticano 1944, 394 s.

(199) Paris, Bibl. Nat., *Ms. Ar.*, n. 251, ff. 90v-93r.

تذكار ودينونة:

«اذكر الموتى في اليوم التالت والتاسع والاتني عشر والتلتين والأربعين والستين(٢٠٠) واعلم يا بنيّ أنّ يوم الأربعين من نياحة الميّت تقف نفس المتعمّد الخاطي بين يدي السيّد المسيح وتجازى بأعمالها وتعتقل على قدرِ أفعالها»(٢٠١).

جدوى الصلاة من أجل الموتى:

«اذكروا موتاكم بالقدّاسات في كلّ حين فإنّه نافع لهم جدًّا وهو يقرّبهم من السيّد المسيح»(٢٠٢).

١٨- الدساتير الرسوليّة:

هذه المجموعة تعتبر أهمّ مجموعة من بين مجموعات الكتابات المسيحيّة العتيقة ذات الخصائص الكنسيّة - الليتورجيّة، ونسختها اليونانيّة بعنوان:

Διαταγαß τωυ άγίων άποσλων.

واللاتينيّة بعنوان:

---

(٢٠٠) المرجع: RIEDEL, *op.,cit.*, par. 17, p. 169.
يتكلّم فيه ريدل عن التذكارات السنويّة أيضًا: (*und alle Jahre*). ترجمة ريدل في حدّ ذاتها مشابهة جدًّا للتقليد القبطيّ وأقرب إليه، لكنّه لم يُشِر للنصّ العربيّ، ولذلك لا يُعتبر نصّه موثوقًا. النصّ الذي ذكرناه فيه «ستّين» فربّما تكون المسألة تتعلّق بالتنقيط، أي «سنين» بدلًا من «ستّين» (نقطة واحدة فوق النبرة الأولى بدلًا من نقطتين). أيضًا، أشار أبو البركات إلى رسالة إكلّيمنضس فكتب «ستّين» (٦٠) في المرجع: «شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة»، وهو مخطوط ڤاتيكانيّ باللغة العربيّة: [*Ms. Vat. Ar.*N. 623 (sec. 16°), f. 168.].

(201) Ms. cit., f.91r.

(202) *Ms. cit.*, f.91v- 92r.

«*Canones Ecclessiastici Apostolorum*».

الكتاب الثامن يذكر أيضًا القواعد والرسوم المتعلّقة بالموتى. ومصدر هذا الكتاب هو التقليد الرسوليّ، παρδοσις ποστολιχή Ά، لهيبوليتوس الروماني الذي انتقل إلى المصريّين تحت عنوان دستور الكنيسة المصريّة. النُسخ المتداولة بين الأقباط هي باللغات: الصعيديّ والبحيريّ واللغة العربيّة والحبشيّة[203].

الكتاب الثامن، ٤٢ (L. VIII, 42): أيام الصلاة والصدقة تذكارًا للموتى.

«وفي ما يتعلّق بالموتى، فيُحتفَل باليوم الثالث بمزامير وقراءات وصلوات، لذلك الذي قام في اليوم الثالث. وكذلك في اليوم التاسع، من أجل المتبقّين والموتى. وأيضا في اليوم الأربعين، وفق التقليد القديم: فهكذا بكى الشعب على موسى. وأخيرًا في الذكرى السنويّة، تُقام ذكراه. وليُعطَ من ماله للفقراء لذكراه».

«Quod spectat ad mortuos, celebrator *dies trtius* in psalmis, lec-tionibus et precibus ob eum qui tertia die resurrexit; item *dies nonus* in recorda-tionem superstitum et defunctorum; atque etiam *dies quadragesimus* juxta veterem typum: Mosem enim ita luxit popolus[204]; denique *anniversaries dies* pro memoria ipsius. Ex bonis vero eiusdem detur pauperibus ad illius commemorationem»[205].

(٢٠٣) فيما يتعلّق بالنصّ، راجع:

FUNK, op. cit., II, 97-119; BOTTE B., *La Tradition Apostolique de Saine Hippolyte*, (in *Liturgie Wissenschaftliche Quellen und Forschungen*, h. 39), Münter W., 1963.

للدراسة النقديّة، راجع:

SCHWARTZ E., *Ueber die pseudoapostolischen Kirchenordnungen*, Strasbourg 1910; CONNOLLY R. H., *The so-called Egyptian Church Order and derived Documents*, (*Texts and Studies*, VIII, 4), Cambridge 1916. ALTANER B., *Patrologia*, Torino 1940, 28 s. — BOTTE, *op. cit.*, IX-XLIV.

(204) *Deuter.*, 34, 8:

الكتاب الثامن، ٤٣ (L. VIII, 43): الصلاة من أجل راحة النفوس يُستثنى منها الأثمة.

«هذا ما نقوله عن المؤمنين. أمّا بالنسبة إلى غير المؤمنين، فحتّى لو أعطيت خيرات العالم بأسره للفقراء، لن تُفيده في شيء. فمَن كان الله عدوه في حياته، كان بلا شكّ عدوه في مماته أيضًا».

«Haec autem *de piis dicimus*. Nam *de impiis, licet omnia mundi bona pauperibus dederis, nihil iuvabis eum*[206]. Cui enim superstiti inimicum erat Numen, manifestum est quod etiam defuncto sit infensum»[207].

الكتاب الثامن، ٤٤ (L. VIII, 44): تقدمة المأكولات من أجل الموتى.

«وإذا دُعيتم في ذكرى الموتى، فكلّوا باعتدال وبمخافة الله، لكي تستطيعوا أن تُصلّوا أيضا من أجل أولئك الذين انتقلوا من هذه الحياة».

«In mortuorum vero memoriis invitati, cum moderation ac Dei metu epulamini, *ut possitis etiam deprecari pro iis, qui e vita migrarunt*»[208].

«فبكى بنو إسرائيلَ على موسى.. ثلاثينَ يومًا» (تث ٣٤: ٨). وكذلك أيضًا في قوانين الرسوليّة المذكورة في المقطع التالي.

(205) FUNK, *op. cit.*, 553 s.

(٢٠٦) النصّ: «ταῦτα δὲ περὶ εὐσεϐῶν λέγομεν. Περὶ γὰρ ἀσεϐῶν ἐὰν τὰ τοῦ κόσμου δῷς πένησιν, οὐδὲν ὀνήσεις αὐτόν».

(207) FUNK, *op. cit.*, 555.

(208) «ὡς δυνάμενοι καὶ πρεσϐεύειν ὑπὲρ τῶν μεταστάντων». FUNK, *op. cit.*, 554-555.

١٩ - قوانين الرسل:

إنّها مجموعة من القوانين المعروفة في مصر باللغة اليونانيّة والقبطيّة والعربيّة. نقرأ في المصادر اليونانيّة: العشرون قانونًا وفقًا **للترتيب الرسوليّ**، الكتاب الثامن من **الدساتير الرسوليّة والخمس والثمانون قانونًا** اليونانيّة. وقد تمّ ترتيبها بما يتّفق مع الكنيسة المصريّة ونسخها باللغة القبطيّة والعربيّة. النصّ القبطيّ نشره لاجارد: ٧١ قانونًا بعنوان **القوانين الرسوليّة** *Canones Apostolorum*(٢٠٩)، و٧٨ قانونًا أخرى بعنوان **القوانين الكنسيّة** *Canones Ecclesiastici*(٢١٠). وقام هورنر Horner بترجمتها إلى الإنجليزيّة(٢١١). النسخة العربيّة، مع ترجمة باللغة الفرنسيّة أعدّها بريه Périer لمنشورات **باترولوجيا الآباء الشرقيّين** *Patrologia orientalis* بالعنوان المشترك **قوانين الرسل** *Canons des Apôtres* ولكن قسّمها في كتابين: الأوّل يتضمّن **٧١ قانونًا كنسيًّا**، والثاني **٥٦ قانونًا رسوليًّا**(٢١٢).

القانون ٦١: حول موضع الدفن(٢١٣).

«لا يكلّف أحدٌ من الناس شططًا في دفن الناس في المدافن.
الفعل لكلّ الفقراء، بل تدفع أجرة الأجير له الذي يحفر، والحارس

---

(209) LAGARDE P., *Aegyptiaca*, Gottingae 1883, 209-238.
(210) LAGARDE, *op. cit.*, 239-291.
(211) HORNER G., *The Statutes of the Apostles or Canones Ecclesiastici*, London 1904.
(212) PÉRIER J.-PÉRIER A., *Les 127 Canons des Apótres*, *PO*. 8, 573-693. ومصحوب بترجمة جيّدة.

(213) LAGARDE, *op. cit.*, 263, *Can. Eccl.* 61: «ⲉⲧⲃⲉ ⲙⲙⲁ ⲛ̀ⲧⲱⲙⲥ». —PÉRIER, *op. cit.*,616, *can. 46*: لأجل المدافن.
FUNK, op. cit., II, 116, can. XXXI: De Coemeteriis.

الذي في ذلك الموضع الذي يهتم به فيعولهم الأسقف فيما يُدفع للبيع»(٢١٤).

القانون ٧٦(٢١٥)**: أيّام تذكارات الموتى. الصدقة من أجل أولئك الذين ماتوا في حال النعمة. المأكولات الجنائزيّة**(٢١٦).

«يصنعون الثالث للذين رقدوا، بمزامير وصلوات، لأجل الذي انبعث (أي قام) في اليوم الثالث(٢١٧). ويصنعون السابع تذكارًا للأحياء والأموات. ويصنعون أيضًا تمام الشهر، كالمثال الأوّل(٢١٨): هكذا حَزِن الشعب على موسى(٢١٩). ويصنعون أيضًا تمام السنة مثال تذكارهم. وتدفعون للفقراء من قنايا الذي مات تذكارًا له. هذا نقوله لأجل خُدّام الله وحدهم. أمّا المنافق فإذا دفعت كلّ شيء في العالم عنه للفقراء، **فإنّه لا ينفعه**(٢٢٠). لأنّ الذي كان الله عدوّه في

---

(215) LAGARDE, *op. cit.*, 285, *Can. Eccl.* 76. PÉRIER, *op. cit.*, 653 s., *Can.* 69. النسخة العربيّة فيها تبسيط للجزء الثاني من القوانين.
(216) كما هو الحال في: *Constit. Apost.*, VIII, 42-44, السابق ذكرها، الجزء ٢٨.
(217) النصّ القبطي: «ⲉⲧⲃⲉ ⲡⲉⲛⲧ ⲁϥⲧⲱⲟⲩⲛ ⲉⲃⲟⲗϧⲛ ⲛⲉⲧⲙⲟⲟⲩⲧ ⲙ̀ⲛⲛⲥⲁ ϣⲟⲙⲛⲧ ⲛ̀ϩⲟⲟⲩ».
(218) النصّ: «ⲙ̀ⲡⲧⲩⲡⲟⲥ ⲛ̀ⲁⲣⲭⲁⲓⲟⲛ».
(219) *Deuter.*, 34, 8.
(220) النصّ القبطيّ: «ⲛϥⲛⲁⲱⲫⲉⲗⲉⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲟⲩ ⲗⲁⲁⲩ». LAGARDE, *op., cit.*, 285.
النصّ العربيّ: PÉRIER, *op. cit.*, 653.
النص اليونانيّ:

العالم، الأمر ظاهر أنّه يبقى عدوًّا له إذا خرج من العالم... وإذا دُعيتم يومًا (إلى الولائم الجنائزيّة)، فكلّوا بترتيب وخوف من الله، أنّه يمكنكم أنّ تصلّوا على الذين انتقلوا من هذا العالم»(٢٢١).

«οὐδεν ὀνήσεις αὐτόν». FUNK, *op. cit.*, 554.

(٢٢١) النصّ القبطيّ: «ϩωс εοτεн бωм ⲙ̀мωтⲛ̀ επρεсвεтε ϩаⲛ εⲛт атпоотнот». LAGARDE, *op. cit.*, 285.

النصّ العربيّ: «εвоⲗ ϩⲙ̀ πει κοсмοс».

PÉRIER, *PO*. 8, 654.

النصّ اليونانيّ: «ὡς δυνάμενοι καὶ πρεσβεύειν ὑπὲρ τῶν μεταστάντων». FUNK, *op. cit.*, 554.

الفصل الثالث

سيَر القدّيسين

إنّ الكتابات التي تتكلّم عن آخِرة الإنسان لا تشهد تغييرًا ملحوظًا حين الانتقال من الكتابات المنحولة إلى سير القدّيسين الأقباط. ففي الحقيقة المسألة المعروضة في النوعيّة الأولى بإسهاب نوعيّ، تتكرّر بنفس التضخيم الأسطوريّ في حالات محدّدة في أدب القدّيسين. حيث إنّه موجود فيه بنفس المنوال، وإن لم يكن بنفس القدر، تأثير المصادر عينها، سواء تلك الأصليّة المنقولة من خلال التقاليد الشفهيّة للشعب المصريّ القديم، أو تلك الأجنبيّة المنقولة عن الكتابات المنحولة. ونقطة التلاقي الوحيدة فيما بينهما هي المجهود المبذول في توفيقهما مع المقتضيات المحليّة. لكلّ هذه الأسباب نعتقد أنّه ليس من الضروريّ التوسّع فيما سبق لنا كتابته في مقدّمة الفصل الثاني أو تعديله في سياق موضوعنا الحالي.

كدليل على ما سبق تأكيده، تكفي مراجعة سريعة لسنكسار الكنيسة الإسكندريّة، حيث تتابع روايات سير القدّيسين بترتيب يوميّ بشكل رائع. لكن السنكسار وحده موجز جدًّا في إلقاء ضوء حقيقيّ على التفاصيل التي تخصّ موضوعنا، ولذلك ينبغي اللجوء إلى مصادر موسّعة، وهي عديدة جدًّا في هذا الشأن.

سيكون كافيًا لغايتنا المحدّدة ذات الخاصّيّة التوضيحيّة أن نستعرض مختارات روائيّة. لذا سنختارها من جميع المصادر، المخطوطات أو المطبوعات، القبطيّة أو

العربيّة، طالما تضمّنت التأثير المصريّ. في بعض الحالات لا يكون القدّيس صانع المعجزات من أصل قبطيّ، لكن مع ذلك تكون سيرته المترجمة إلى اللغة المحليّة قد أحدثت نفس التأثير في روح الأقباط. في كلّ الأحوال، في سبيل تحرّي الدقّة سنعرض في كلّ مرّة المعلومات التي يتطلّبها العرض النقديّ.

١ - سُلطة القدّيس ميخائيل:

إنّها مدائح لميخائيل رئيس الملائكة، منسوبة للبطريرك الإسكندريّ ثيؤدوسيوس، وردت مكتوبة باللغة القبطيّة. وقد قام بدج[1] بنشر هذا المخطوط المحفوظ في المتحف البريطانيّ برقم ٧٠٢١، مع ترجمة باللغة الإنجليزيّة. المخطوط مُذيَّل بتاريخه وجهته: شهر أبيب عام ٧٠٣ للشهداء (٩٨٧م)، كتبه كاتب دير القدّيس ميخائيل القريب من إدفو. يتكرّر فيه مفهوم **نهر النار**، وسيطرة القدّيس ميخائيل على الشيطان، وإدانة هذا الأخير **حتّى الدينونة الأخيرة**. وهذا التحديد الزمنيّ يُمكن تفسيره بتأثير نظريّة **الأبوكاتاستاسيس** أو الخلاص العامّ في نهاية العالم.

ص ٨٩٩:

«ميخائيل رئيس الملائكة لم يُعاين فحسب هذا الجوهر (الشيطان) الذي صار على الأرض، بل تسلّم من الربّ القوّة الكافية كي ينزل ويتسلّط عليه ويُخضِعه. فقيّده بالسلاسل بحيث لا يكون له فكاك منها. وهو لم يُقيده على الأرض فحسب، بل كما هو

[1] BUDGE E. H. Wallis, *Encomium of Theodosius Archbishop of Alexandria on Saint Michael the Archangel*, in Miscellaneous, 891-947.

مكتوب، أغرقه في **بحيرة النار** الحارقة بلهيب النار والكبريت. وسيكون حبيسًا هناك حتّى **يوم الدينونة الكُبرى**. لأنّه لو تُرِكَ على الأرض، لَمَا استطاع مخلوق أن يُفلت من حيله ومكائده. لكنّني أعتقد أنّه حين قيل إنّه طُرِح في **بحيرة النار**، في **الهاوية** وفي **الظلمات**، (قد قيل ذلك) لكي تعلموا الحقيقة. ففي الواقع، مكتوب أولئك الذين في السماء، والذين على الأرض، والذين تحت الأرض. وأقول لكم إنّه من ذلك الحين حتّى اليوم يلقى عقابه في **بحيرة النار**».

٢ - أعجوبة رئيس الملائكة ميخائيل:

هذا المرجع أيضًا يتكلّم عن القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة، وهو منسوب للأنبا تيموثاوس بطريرك الإسكندريّة. النصّ باللغة القبطيّة ومحفوظ حاليًا في المتحف البريطانيّ (Ms. Or., n. 7029). الناسخ كتب في خاتمة الوثيقة أنّه بعد أن انتهى من كتابتها «في ٢٠ أبيب عام ٧٠٨ للشهداء (٩٩٢م)»، قام بإهدائها لدير الأنبا هارون الكائن في جبل إدفو. عام ١٩١٥ قام بدج بنشرها مصحوبة بترجمة إلى الإنجليزيّة[2].

أعجوبة القدّيس ميخائيل تتحقّق **بالتحرير شبه الكامل** للنفوس المحكوم عليها بالجحيم. الشاهد على هذا الحدث، الذي ينُمّ عن تطبيق نظريّة الخلاص النهائيّ للجميع.

[2] BUDGE E. H. Wallis, *Discourse on Saint Michael Ihe Archangel by Thimothy, Archbishop of Alexandria*, in *Miscellaneous*, 1021-1032.

الصفحات ١٠٢٢-١٠٢٤. يوحنّا ومعه ملاك يقوده.

«(وصلا) إلى **بحيرة** رهيبة للغاية، وكانت تقع في وسط **بحيرات أخرى**. كان عمقها واتّساعها أكبر بكثير من كافّة البحيرات (الأخرى). وسمِعتُ (يقول يوحنّا) هناك الضجيج العظيم الذي يُشبه عجيج المياه الكثيرة. فسألتُ الملاك الذي كان سائرًا معي: "يا سيّدي، ماذا تعني هذه الهاوية التي أراها، التي يتصاعد من وسطها مثل هذا اللهيب الناريّ العظيم الشديد التوهّج؟". فهذا اللهيب يرتفع إلى مسافة ٣٠٠ غَلوَة. ورأيت **أُسودًا ناريّة** أفزعتني، وتنانين **من النار، وحيّات وعقارب، والدُبّ الناريّ، والدود** الذي لا يموت الذي يلتوّي حول نفسه، **والثعابين والأفاعي السامّة** المُرعِبَة. وكان هناك دولاب للتعذيب، وآلاف وربوات من الصواعق الحارِقة تنطلق وتسقط في هاوية الجير الحيّ[3] المُتلظّي بالنيران.

وقال لي هذا الملاك: "يا يوحنّا، حبيب **الله**، إنّ هذه العقوبة التي تراها هي أفظع من جميع العقوبات. الويل لجميع الخطأة الذين سيُطرحون في هذا العذاب، لأنّه شديد للغاية.. وسأُحدِّثك عنه. الدولاب الناريّ الذي رأيته يُنزِل الخطأة الذين فوق إلى أسفل، ويُغرِقهم فيه طوال ٣٠٠ يوم. ولا يُمكن لإنسان البقاء في جهته السفليّة (من الدولاب)؛ (ثُمّ) يدور بهم لأعلى من جديد كالعجلة في العام الثالث[4]. وأولئك الذين يجب أن يُعاقبوا يكونوا مُقيّدين

---

(3) النصّ: «ϣⲁ ⲡⲉϫⲁⲱⲥ ⲛ̀ⲛⲧⲁⲣⲧⲁⲣⲟⲥ».

(4) النصّ: «ϩⲛ̀ ⲧⲙⲉϩ ϣⲟⲙⲧⲉ ⲛ̀ⲣⲟⲙⲡⲓ».

فيه، وسبيلهم يقود إلى قاع هذه الهاوية". بكيتُ طويلًا بسبب هلاك الخطأة. فقال لي الملاك: "لا تبكِ، يا يوحنّا، حبيب **الله**، لأنّك اليوم سترى معجزةً عظيمة، يصنعها ميخائيل رئيس الملائكة، وستعاين قدرته العظيمة".

في أثناء حديثي معه، أتى ميخائيل رئيس الملائكة من السماء، جالسًا على مركبة الكروبين. وكانت الملائكة تُنشِدُ أمامه. وكان يتبعه جميع الأبرار والآباء والأنبياء: وكانوا (جميعًا) **محاطين** ببهاء عظيم ومجد باهر. وكانوا..[5] في أيديهم أغصان النباتات العَطِرَة. وكانوا يسيرون أمامه، يرقصون وينشدون مديحه. ولما أتى توقّف عند أولئك الذين يُقاسون (العقوبات) فخمدت النيران على الفور، وجميع الوحوش المفترسة التي كانت فيها...[6] اختفت.

سريعًا ما خَفَضَ ميخائيل رئيس الملائكة جناحه الأيمن في البحيرة **واغترف جمهرة من النفوس**، وكان عددها لا يُحصى لأنّهم كانوا منتشرين من ذراع رئيس الملائكة الحنون حتّى طرف جناحه. **قام بإخراجهم من بحيرة العذابات**، ووضعهم على الأرض فملأ بهم **١٢ مرجًا**. ثمّ غمس ميخائيل رئيس الملائكة جناحه **مرّة أخرى** في البحيرة وأخذ به عددًا من النفوس يفوق المرّة السابقة، **وأخرجهم**. حينئذٍ الكاروبيم والسيرافيم وجميع الأبرار الذين خرجوا وتبعوه سجدوا أمامه و تضرّعوا إليه أن يغترف

---

(5) النصّ غير مقروء.

(6) النصّ غير مقروء.

(بجناحه) للمرّة الثالثة. فوافق ميخائيل، الممتلئ شفقة، واقتاد عددًا كبيرًا من النفوس التي أعتقها من العذاب الذي بلا نهاية. وعلى الفور، الملائكة وجميع الأبرار الذين خرجوا مع ميخائيل (أخذوهم واقتادوهم) في أورشليم (السمائيّة). فقام ميخائيل بتقديمهم إلى الآب الصالح، فسجدت له جميع النفوس».

ص ١٠٢٦. الصفحة تروي مرّة أخرى أعجوبة القدّيس ميخائيل الثلاثيّة، وتضيف إليها عدد النفوس الناجية، وتقول إنّهم من ثلاثة فئات: المسيحيّين والأمم واليهود:

«ارتفع العدد إلى مئتيّ ضِعف عشرة آلاف، وإلى تسعة أضعاف عشرة آلاف، ونصف العشرة آلاف، و٨٧٠ (أي ٢٠٩٥٨٧٠ نفسًا). فوجّه ربّنا يسوع المسيح صوته إلى النفوس المُعذَّبة، كي يمكن أن ينالوا الراحة: سواء المسيحيّين، الأمم، أو اليهود».

ص ١٠٢٧. فترة مهمّة القدّيس ميخائيل الرحيمة.

«منذ وقت قيامة مخلّصنا حتّى هذا اليوم: وفيما بعد لن يتوقّف عن القيام بذلك في اليوم الثاني عشر من شهر بؤونة(٧) وحتّى نهاية هذا العالم».

٣- الشيوخ والحيوانات (أو الكائنات) التي في سفر الرؤيا:

تحتفل الكنيسة القبطيّة في الرابع والعشرين من شهر هاتور بتذكار الأربعة والعشرين شيخًا المذكورين في سفر الرؤيا(٨)، وفي اليوم الثامن من الشهر نفسه تحتفل

(٧) بؤونة في النصّ: (ⲡⲁⲱⲛⲉ)، فعيد القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة يقع في اليوم الثاني عشر من هذا الشهر.

بتذكار الحيوانات (أو الكائنات) الأربعة المذكورين في سفر الرؤيا(٩) أيضًا. أهمّيّة هذين التذكارين هي لكونهما ينتميان للتعليم العقائديّ الخاصّ بدخول الأبرار الفردوس الحقيقيّ، قبل الدينونة العامّة. فضلًا عن أنّ الحيوانات الأربعة التي يتكرّر تصويرها كثيرًا في الفن القبطيّ المقدّس، يمكن مقاربتها بسهولة مع التقاليد المصريّة القديمة(١٠).

٨ هاتور: «في هذا اليوم تذكار الأربعة حيوانات الغير متجسّدين الذين هُم حاملين مركبة الله»(١١).

٢٤ هاتور: «في هذا اليوم تذكار الأربعة والعشرين قسّيسًا غير المتجسّدين الجالسين حول العرش»(١٢).

(٨) راجع سفر الرؤيا ٤:٤؛ ١٠:٤؛ ٨:٥؛ ١٦:١١؛ ٤:١٩.

(٩) رؤيا ٦:٤ وما يليه؛ ٨:٥ : ١٤:٥.

(١٠) وصفها في رؤ ٧:٤ : «فالحيُّ الأوّلُ أشبهُ بالأسد، والحيُّ الثّاني أشبهُ بِالعِجْل، والحيُّ الثّالِثُ لَه وَجهٌ كوَجهِ الإنسان، والحيُّ الرّابعُ أشبهُ بالعُقابِ الطّائِر». حزقيال أيضًا يؤكّد التقليد العبرانيّ بلا شكّ، راجع: LECLERCQ H., *Evangélistes (Symbole des)*, in *DACL*. V, 845-854. حيث يقول إنّها ترمز للإنجيلين الأربعة. لكن الرموز الأربعة لم تكن غائبة في التقليد المصريّ القديم. أبناء حورس الأربعة، المعتقد في كونهم أربعة حُرّاس من الجانّ يحرسون القبر/ وكانوا يصوّرونهم على جوانب التابوت الأربعة بنفس الهيئة، حتّى وإن لم يكن ذلك بنفس التصوير دائمًا. أميست له هيئة إنسان؛ خِب حسنويف بهيئة النسر؛ أوعا موتف بهيئة الأسد؛ حابي بهيئة العِجل. المراجع: DORESSE J., *Des Hiéroglyphes à la Croix*, Istanbul 1960, 44. PIANKOFF A., *Deux Saints à tête de chien*, in *BSAC*. 12 (1949), 57-61.

(١١) السنكسار القبطيّ: اليوم الثامن من شهر هاتور.

(١٢) السنكسار القبطيّ: اليوم الرابع والعشرين من هاتور.

٤ - رؤيتان عاينهما القدّيس الأنبا أنطونيوس الكبير:

لقد عاين رؤيتين، وقد رواهما القدّيس أثناسيوس في سيرة القدّيس الأنبا **أنطونيوس**. إحداهما على مستوى عامّ، تُعالج التساؤلات التي جرت بين الأنبا أنطونيوس وبعض المحاورين بشأن **حالة النفس** بعد الموت. أمّا الأخرى، فهي شخصيّة بكاملها، تتعلّق بنفس الأنبا أنطونيوس شخصيًّا. أجوبة التساؤلات في كلّتيهما تقوم على المبدأ المشترك: هناك **مكافأة** للصالحين وعقوبة للطالحين. التنفيذ تتدخّل فيه الأرواح: **الملائكة من أجل الدفاع والشياطين للإدانة**. هؤلاء الأخيرين **يتقافزون في الجوّ**، ويقومون بوظيفة **الزبانية** الذين ينفّذون العقوبة على النفس. هذه الأقوال تعكس صورة تقليد مصريّ أصيل.

١ - حالة النفس بعد الموت:

«**صار أسلوبه هكذا مع بعض الذين يدخلون إليه** من أجل حياة نفوسهم، **وبعد ذلك في الليل نادى عليه صوت من العُلى قائلًا: يا أنطوني قُم واخرج وانظر. وفي الحال خرج** (لأنّه كان يُدرك ضرورة الطاعة ومجازاتها) **فرأى شيء بعيد جدًّا** (طويل) **مُخيف وغير معروف** (مألوف) **وتطلّع إليه ثانية وشاهد كائنات تصعد وكأنّها مُجنّحة، في حين أنّه كان باسطًا يديه**. وكان يمنع البعض من الصعود، والبعض الآخر يتجاوزه صاعدًا إلى السموات دون انزعاج **وكان ذلك الطويل القامة يصرّ على أسنانه هكذا ويتهلّل إذ رآهم أخفقوا وسقطوا. وفي الحال جاء صوت إلى أنطونيوس قائلًا: افهم ما رأيته، وفتح له بصيرته، وأدرك** أن هذا عبور أرواح شرّيرة، وأنّ

ذلك الطويل هو العدوّ **الذي يحسد المؤمنين** والذي أصبح مسئولًا **عن الذين منعهم من الصعود**: لكنّه لم يقدر أن يلقي القبض على الذين تجاوزوه، لأنّهم لم يثقوا به. **ولمّا شاهد هذه الرؤيا حسبها مذكّرًا له ليجاهد أكثر فأكثر من أجل التقدّم الروحيّ**»[13].

«Habita cum quibusdam se adeuntibus disputatione de *animarum statu atque loco post mortem* : insequente nocte compellat quis eum desuper, aiens : Antoni, surge, egredere, atque vide. Egressus igitur (norat quippe quibus obsequendum esset), sublatisque oculis vidit procerum (μαχρόν) quemdam deformem ac terribilem, stantem, atque nubes attingentem, et quosdam ceu alatos ascendere, illumque manum extendere, *atque alios quidem impediri ab illo, alios superius volare*, et ubi pertransierant, absque cura et periculo *sursum ferri*. Quorum causa procerus ille dentibus stridebat: de collapsis autem laetabatur. Statimque Antonius vocem audivit: intellige quod vidisti. Et aperta ipsi mente, cogitabat *animarum id esse transitum*, et stantem illum *procerum esse inimicum*, qui credentibus invideret, *sibique obnoxios apprehenderet*, transituque arceret : *eosque, qui non sibi morem gerent, retinere non posset*, utpote supergressos. Haec cum vidisset, quasi commonefactus, id magis magisque contendebat, ut quotidie ad ea quae ante se essent progrederetur».

٢. خلاف الملائكة الصالحين والشياطين الزبانية بشأن نفس أنطونيوس:

«فمرّة أراد أن يأكلّ، فنهض للصلاة في الساعة التاسعة، فشعر بأنّه يُخطف عقليًا. والغريب في الأمر أنّه كان ينظر إلى نفسه كأنّه

---

(١٣) بولين تدري أسعد، سيرة حياة القدّيس أنطونيوس أبّ الرهبان كما كتبها البابا أثناسيوس الرسوليّ (٢٠١٢)، ٦٦، ص ١٣٠.

S. ATHANASIUS, *Vita S. Antonii*, 66; PG. 26, 936 s.

واقف خارجها، وكان يشعر بأنّ هناك من يقوده في الفضاء. لكنّ جماعة من الأشرار وقفت في الفضاء وأرادت أن تعترض طريقه. غير أنّ الذين كانوا يسيرونه في الفضاء حاربوهم، فطلب الأشرار أن يعرفوا ما إذا كان مسئولًا أمامهم أم لا. ولمّا أرادوا محاسبته على أعماله من يوم ولادته لم يسمحوا لهم قائلين: "كلّ شرّ فعله من يوم ولادته محاه الربّ(١٤). فليسمح لكم التحدّث عمّا فعله من اليوم الذي صار فيه ناسكًا وأعطى وعدًا للربّ. وبما أنّهم وجّهوا الاتّهام دون إثبات صارت طريقه خالية من العوائق"» (١٥).

«Cum aliquando comesturus esset, ubi oraturus surrexisset circa nonam horam, sese mente abripi sensit, quodque prorsus stupendum est, cum staret, sese vidit tamquam extra se positum, et per *aerem a quibusdam abductum*. Exinde terribiles tetrosque nonnullos vidit *in aere stantes qui transitum eius intercludere volebant*. Obsistentibus iis *qui illum adducebant* postulare illi *num obnoxius ipsis esset*. Cumque rationes ab eius nativitate exponerent, id *Antonii duces* prohibuere, aiebantque : culpas eius omnes a nativitate delevit Dominus[1] : ex quo autem monachus effectus est, et sese Deo consecravit, *liceat rationes ducere*. Cum igitur accusassent, nec probare possent, *libera illi* nec minime interclusa *via fuit*».

(١٤) بمقتضى التكريس الرهبانيّ، تُعتبر بمثابة معموديّة بغرض المغفرة.

(١٥) بولين تدري أسعد، سيرة حياة القدّيس أنطونيوس أبّ الرهبان كما كتبها البابا أثناسيوس الرسوليّ (٢٠١٢)، ٦٥، ص ١٢٧.

S. ATHANASIUS, *Vita S. Antonii*, 65; PG. 26, 937 s.

٥- رؤيا القدّيس الأنبا باخوميوس:

الأنبا باخوميوس هو أبو الرهبان، ولقد سُردت سيرته في العديد من الكتب التي تشكّل مكتبة ثريّة عن حياته، ومع ذلك مازالت تضاف إليها الكتب حتّى وقتنا هذا(١٦).

إنّ رؤيا المصير الأخير للصالحين والطالحين موجودة في سيرته. وهناك نصّ يشكّل جزءًا منها، باللغة القبطيّة الصعيديّ، قام بنشره أميلينوه Amélineau(١٧). النصّ الكامل الذي وصلنا في مخطوط مكتوب باللغة القبطيّة البحيريّ يرجع تاريخه للقرن التاسع وهو الذي نتناوله هنا وقد اعتنى بنشره ليفور(١٨).

القصّة تدور في إطار تاريخ دير طومسون الكائن في صعيد مصر شمال قرية فابو(١٩)، كان باخوميوس قد وصل هناك حين كان أحد الأخوة الموعوظين على

(١٦) للنصوص باللغة القبطيّة الصعيديّ، راجع: LEFORT L. Th., *S. Pachomii Vitae sahidice scriptae*, in CSCO. nn. 99-100.

وللنصوص باللغة القبطيّة البحيريّ، راجع: LEFORT L, Th., *S. Pachomii Vita boharice scripta*, in CSCO. n. 89.

وللنصوص باللغة اليونانيّة، راجع: HALKIN P., *S. Pachomii Vitae graecae* (Hagiogr. Bolland.), Bruxellis 1932.

وباللغة العربيّة: من كتاب حياة الشركة الباخومية ـ دير الأنبا باخوميوس حاجر أدفو ـ تعريب القمص أشعياء ميخائيل.

(17) AMÉLINEAU E., *op. cit.*, 548-552.

(18) LEFORT L. Th., *Les Vies Coptes de Saint Pachôme* (Bibliothque du Muséon, vol. 16), Louvain 1943, 141-145.

(١٩) فابو، حاليًا هي قرية فاو حيث نشأت حياة الشركة الباخوميّة ومازالت أطلال الدير القديم القليلة باقية هناك. راجع: GIAMBERARDINI G., *Le Suero copto Ortodosse*, in *La Voce del Nilo*, 14 (1955), 119.

وشك الموت، فأخبره بذلك الإيغومانس المسئول عن المكان. حينئذٍ ظهر لهما ملاك في غرفة المائدة فانتهز باخوميوس الفرصة لكي يعرف مصير النفوس.

١. مصير الصالحين:

«وفيما هم يتحاورون وقبل أن يُسْلِمَ الأخُ روحه إذ بأعين باخوميوس وتادرس تنفتح ويريان الملائكة وقد جاءت لتحمل الأخ (المريض) إلى فوق، ويُعمّدونه سرًّا قبل أن يُغادر الجسد.

لفرط فضيلة آبا باخوميوس أن أعلن الله له رؤيا فى طريقة افتقاد ملائكة النور للأرواح الصالحة. فكشف له أن الأخ الذى يموت إن كان صالحًا، يأتى **ثلاثة ملائكة** من نور ذوى رتبة روحيّة تتناسب مع قامة الأخ الروحيّة، لتأخذه إلى موضع النياح. وإن كانت قامته أقلّ تأتي ملائكة من ذوى الرتب الأقلّ. وقد رتّب الله أن يكون الأمر هكذا حتّى تفارق الروح جسدها فى هدوء واطمئنان كاملين. ولا تتعامل الملائكة مع أرواح البشر كما يتعامل سلاطين الأرض الذين يأخذون بالوجوه ويتأثرون بالغنى والمجد الباطل، ويعاملون أولئك الفقراء والمحتقرين بحسب حالتهم من الفقر والحقارة، ولكنّ **العدالة الإلهيّة قضت بأن يكون الحكم فى جميع الأحوال بحسب ما تمّمه الشخص من وصايا إلهيّة وما أنجزه من أعمال صالحة.**

وأولئك الملائكة يطيعون بعضهم بعضًا، فالملاك الذى فى درجة أقلّ يطيع ذاك الذى فى درجة أعلى. وفى اللحظات الأخيرة للإنسان يقف أحد الملائكة بجوار رأسه، وآخر عند قدميه فى

مواجهة الشخص حيث يدهنه بزيت مقدّس، بينما يبسط الملاك الثالث ثوبًا روحيًّا واسعًا ليستقبل فيه تلك الروح بكرامة عظيمة. وتكون تلك الروح ذات جمال ونقاء فائقين. وبعد أن تخرج الروح وتُلَفّ فى هذا الثوب الروحيّ، يُمسك أحد الملائكة طرفَي الجزء العلويّ من الثوب ويمسك الآخر الطرفين السفليّين أما الثالث فيقوم بالترتيل أمام تلك الروح بلغة لا يعرفها أحد قط. وحتّى آبا باخوميوس لم يسمع منها إلا الكلمة الأخيرة التى كان الملائكة يردّدونها وهي "**هللويا**" ثمّ يصعدون بالروح ناحية المشرق ويتقدّمون بها عبر الهواء بحركة انسيابيّة، مثل الماء المنساب، ويرتفعون بها إلى أعلى **حتّى أنّ الروح فى تلك الحالة تستطيع أن ترى المسكونة بأجمعها وجميع الخليقة فتعطى المجد لله خالق كلّ تلك الخليقة**. وبعد ذلك **يعيّنون لتلك الروح المكان الذى خصّصه الله لها لكى تستريح فيه**. علاوة على أنّها تريها أماكن العذاب التى تخلّصت منها عن طريق بر وصلاح ربّنا يسوع المسيح. وإذا كانت هذه الروح قد تتلمذت على يدّ أحد القدّيسين، يأخذونها الملائكة إلى رجل الله الذى عَلّمَ تلك الروح مخافة الربّ وقادها فى طريق الوصايا الإلهيّة، فيأخذ بدوره هذه الروح ويقدّمها كتقدمة طاهرة عند أقدام الربّ، ثمّ يبارك الله ويقول: "**أبارك الربّ إلهي وأسبّحه فى جميع قدّيسيه**". وبعد ذلك تقود الملائكة تلك الروح **إلى مكان الراحة المعيّن لها من قبل الله**»

وفقًا لمقدار أعمالها.(حين وقوفها أمام الله)[٢٠]، قد تكون هذه الروح قريبة من الربّ أو بعيدة عنه، وفقًا لأعمالها الصالحة على الأرض. وفي الواقع، كلّ من استحَقّ الحياة الأبديّة، دون شكٍّ يُرنّم ويبارك الربّ أيضًا قبل الدخول إلى مكان الراحة الذي أعدّه الله له. (والذين يُبارِكون)[٢١]،هم الذين حين يرون الله، يُباركونه من أجل نقاوة قلوبهم قائلين: "طوبى لأنقياء القلب لأنّهم يعاينون الله"[٢٢]. **أمّا من يحيا بإهمال فإنه لن يستحقّ أن يعاين مجد الله** لأنّ قلبه ليس نقيًا أمامه. ولكن **من كان يستحقّ الحياة، فإنه يرى جسد ابن الله**، أي طبيعته البشريّة المتَّحدة بلاهوته بلا افتراق.

كذلك أيضًا يحضر القدّيسون بترتيب من الله لمقابلة الموتى الذين أتمّوا مرضاة الله والترحيب بهم، وفقًا للنصيب العادل الذي يستحقّه كلّ فردٍ منهم. كما أنّهم يسيرون أمام البعض منهم حتّى **باب الحياة**، ويعانقوهم. وبعض آخر يسيرون أمامهم عن بُعد بحسب استحقاقهم. وآخرين **يدعونهم يقتربون** قبل أن ينهضوا ويعانقوهم. وهناك أيضًا بعض آخر لا يستحقّ ولا حتّى معانقة القدّيسين: هؤلاء **سيرثون الحياة فحسب** وفقًا لقدرِ تدنّيهم. عند خروجهم للقائهم، يحمل الصالحون أكاليلًا أكثر إشراقًا من تلك التي نالوها من ذاك الذي يمضون أمامه، في المعركة التي فاز فيها على الأرض حين كان يصارع الشيطان. **ويستثنى من ذلك** "إكّليل

---

[٢٠] تعديل وفقًا للنسخة الصعيديّ.

[٢١] تعديل وفقًا للنسخة الصعيديّ.

[٢٢] متّ ٥: ٨.

البرّ الذي سيناله من **الدَّيّانُ العادِلُ في ذلِكَ اليَوم**"، كما قال القدّيس بولس[٢٣]. وحينما تقترب أرواح الأبرار **من باب الحياة**، يضع الربّ فى فمها كلمات داود النبى فتقول: "افتحوا لى أبواب البرّ لكى أدخل وأمجّد الربّ"[٢٤]. فيجيب **الملاك الواقف على باب الحياة** قائلًا: "هذا هو باب الربّ والصدّيقون يدخلون فيه"[٢٥]. وإذ كانت تلك الأرواح من تلاميذ رجال الله القدّيسين فإنّ الملائكة المصاحبة لهم تهتف قائلة: "افتحوا الأبواب لتدخل الأمّة البارّة الحافظة الأمانة. ذو الرأي الممكن تحفظه سالمًا لأنّه عليك متوكّل"، كما هو مكتوب في سفر أشعياء»[٢٦].

٢. مصير الطالحين:

«الرؤيا العظيمة، قد رآها آبا باخوميوس فى دير طومسون (Thmûshon – طبانسين Ⲧⲁⲃⲉⲛⲛⲏⲥⲓ)[٢٧] بمناسبة انتقال ذلك الأخ الموعوظ، الذي نال المعموديّة سريًا قبل موته. فبعد رؤية كيفيّة عبور الأرواح البارّة، سأل آبا باخوميوس الملاك عن كيفية عبور أرواح الخطأة وكيف تترك أجسادها. فقال له الملاك: "سيُرضيك الربّ بكلّ شيء. متى كان الإنسان شرّيرًا أثناء حياته

---

[٢٣] ٢ تيم ٤: ٨.

[٢٤] مز ١١٧: ١٩.

[٢٥] مز ١١٧: ٢٠.

[٢٦] أش ٢٦: ٢-٣. راجع: LEFORT, *op. cit.*, 141-144.

[٢٧] ربما يكون دير طومسون هو تحريف لكلمة طبانسين Ⲧⲁⲃⲉⲛⲛⲏⲥⲓ، وهو أوّل دير أسّسه القديس باخوميوس حوالي عام ٣١٨م بالقرب من باقو أو بابو (جنوب قصر الصياد) (المُحرّر).

على الأرض، فإنّه عند موته، **يحضر مَلَكين بلا رحمة**، ليأخذا نفسه ويقف أحدهما عند رأسه والآخر عند قدميه. ويبدآن فى ضرب **هذا الإنسان** وإثارة رعبه حتّى تخرج روحه البائسة. ثمّ يضعان شيئًا **مثل السِنّارة** فى فمه **ويجرّان تلك الروح من الجسد** التى فى حال خروجها تكون مظلمة جدًّا وقاتمة. بعد ذلك **يربطونها فى ذيل روح جوّاد**، لكونها هي روح أيضًا: وهكذا **يجرّونها** إلى أماكن الظلام والعذاب أو إلى أعماق الهاوية حسب ما اقترفته من أعمال شرّيرة".

فى الواقع هناك بعض من رجال الله القدّيسين الذين يسمح الله بعذابهم فى مرضهم الأخير فيجرّبهم ويمتحنهم فى أواخر أيّامهم حتّى يتنقوا من كلّ شائبة ويصيرون أكثر نقاوة وطهارة أمام الله. وكذلك من جهة أولئك الأبرار الذين جازوا الآلام الكثيرة قبل موتهم مثل اسطفانوس وكلّ الشهداء وأيضا أيّوب، وداود وكثير من القدّيسين الذين تحمّلوا العذابات والضيقات من أجل الحياة الحقيقيّة. وإذا كان هناك كثير من الخطاة قد ماتوا دون أن يتألّموا أو يعانوا من ضيق فى هذا العالم، فهذا إنّما لأجل الضيق والعذاب الذى ينتظرهم هناك كما هو مكتوب: "أنّ الشرّير محفوظ ليوم الشرّ"(٢٨). لذلك يقول الجامعة بشأن تلك النوعيّة من الناس: أنّ "حادثة واحدة للصدّيق وللشرّير وللصالح وللطاهر وللنجس.

(٢٨) أم ١٦: ٤.

للذابح والذى لا يذبح. كالصالح الخاطئ"(٢٩). وفى الحقيقة أنّ ربّ المجد ذاته قد تألّم بل وعلّق بين لصّين واحد عن اليمين والآخر عن اليسار(٣٠).

تلك الأمور جميعها قد كشفها الله لآبا باخوميوس فى دير طومسون إذ قد فرح جدًّا حين **رأى الأخ الموعوظ قد دخل إلى أماكن الراحة مع القدّيسين**"(٣١).

٦- رؤيا القدّيس الأنبا مقار:

رؤيا الأنبا مقار بشأن مصير الأموات وصلتنا في ثلاثة نُسخ على الأقلّ: اليونانيّة، السريانيّة والعربيّة(٣٢). النصّ اليونانيّ نشره الباحث الفرنسيّ مين Migne(٣٣)، والنصّ السيريانيّ نشره الباحث لانسخوت(٣٤)، أمّا النسخة العربيّة فقد ظهرت في مرجع

(٢٩) جا ٩: ٢.

(٣٠) راجع: مت ٢٧: ٣٨.

(31) LEFORT, *op. cit.*, 144 s.

(32) GRAF G., *Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur* (*Studi e Testi* 118), Città del Vaticano 1944, 395.

(٣٣) PG. 34, 385-392 المخطوط باللغة اليونانيّة موجود حاليًا في مكتبة جامعة ليبزج (n. 13, ff. 182 ss). ويرجع تاريخه إلى القرن ١٥ على حدّ ما ذكره جارتاوزن: GARDTHAUSEN V., *Katalog der griechischen Handschriften der Universitäts-Bibliothek zu Leipzig*, Leipzig 1898, 12. بالنسبة لتقليد مخطوطات النصّ، راجع: BARDENHEWER O., *Geschichte der altkirchlichen Literatur*, t. 3, Fribourg Br., 1912, 91.

(34) LANTSCHOOT (VAN) A., *Révélation de Macaire ... sur le sort de l'âme après la mort*, in Le *Muséon*, 63 (1950), 159-189. حيث استخدم ثلاثة مخطوطات: Vat syr. 96, ff. 113^{v}-117^{v}, sec. 14^{o}; Brit. Mus. Add. 17.269; Vat. syr. 490, ff. 130^{v}-135^{v}, a. 1712.

مُختصر عن صهيون بعنوان: أقوال الملاك الحارس للأنبا مقّار[٣٥]. معلوم لدينا وجود مخطوطات مختلفة باللغة العربيّة في القاهرة: في المتحف القبطيّ، رقم ٢٣٠/٥، بعنوان رسالة أنبا مقّار التي سمعها من ملاك الربّ[٣٦]؛ محفوظات بطريركيّة الأقباط، رقم ٢٩٣/٨، بعنوان ميمر أنبا مقّار تلميذ أنبا مقّار الإسكندريّ عن النفس عند انتقالها مدّة الأربعين يومًا بعد موتها[٣٧]؛ محفوظات كنيسة أبو سرجة[٣٨]؛ محفوظات كنيسة العذراء بحارة زويلة، برقم ١٧[٣٩]. بيد أنّنا ننشر هنا النصّ الذي لم يسبق نشره، الموجود في المخطوط الأخير (ff. 225, 11. 12-13)، ١٦× ٢١ سم، عام ١٤٢٩ ش، الموافق ١٤٢٩ م، و ١١٢٥ هلاليّة (هجريّة). رؤيا الأنبا مقّار موجودة في الصفحات ١١٥ظ-١٢٢و، أمّا الصفحات ١١٩ظ-١١٩و فهي خالية. المخطوط عنوانه العامّ: «ميمر» (موعظة).

---

[٣٥] صهيون، ٤٩ (القاهرة ١٩٤٣)، ١٨٦-١٨٧، ٢١٣-٢١٤، ٢٤٧-٢٤٨.

[٣٦] رسالة أنبا مقّار التي سمعها من ملاك الربّ، القاهرة، المتحف القبطيّ، مخطوط: (Ms. 230/5, ff. 145, 11. 12) ١٤ × ١٩ سم، ١٤٧٣ ش، ١٧٥٧ م.

[٣٧] ميمر أنبا مقّار تلميذ أنبا مقّار الإسكندريّ عن النفس عند انتقالها مدّة الأربعين يومًا بعد موتها، القاهرة، محفوظات بطريركيّة الأقباط، رقم (٢٩٣/٨/أ(ff. 207, II. 14) 15×20 سم، ١٣٩٥ ش، ١٦٧٩ م.

[٣٨] كنيسة أبو سرجة في مصر القديمة، مخطوط (lit. 38, ff. 182r-186r, sez. V.)، فصل في أيّام القرابين عن الموتى المتنيّحين في اليوم الثالث والسابع ويوم الأربعين بسلام الربّ آمين. خبر: القسّ أنبا مقّار تلميذ القسّ أنبا مقّار الإسكندريّ. النصّ الصريح: «وهذا لمّا قالوه الملايكه لأنبا مقاره وأعطوه السلام وانصرفوا وغابوا عنا ولم نراهم فمضينا نحن إلى حال سبيلنا ونحن نسبح الله وربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد». وأيضًا في نفس المكان يمكن مراجعة المخطوط:
(Ms. theol. 3, ff 233r-270v, AM. 1457 [AD. 1741], cap. 6°)
«عن الموت، رحيل النفس، القيامة، ونهاية العالم».

[٣٩] الكتابة على واجهة المبنى: «وقف كنيسة السيدة العذراء القبطيّة الأثريّة بحارة زويلة بمصر».

فيما يتعلّق بالمحتوى، **الرؤيا** تتضمّن العناصر التالية: وظيفة الملائكة وقت الوفاة؛ وإقامة الروح في منزل العائلة لمدة ثلاثة أيام؛ وإحياء ذكرى المتوفّى في اليوم الثالث والسابع واليوم الأربعين؛ زيارة الفردوس لمدّة ستة أيّام وجهنّم لمدة ثلاثين يومًا؛ الدينونة الخاصّة في اليوم الأربعين؛ الدينونة الأخيرة التي تؤكّد حُكم الدينونة الخاصّة؛ والمصير المختلف للمسيحيّين عن الوثنيّين المتصلّبين.

الاختلافات بين النصّ العربيّ والنصّين الآخرين، السريانيّ واليونانيّ، مهمّة بالتأكيد. ففي العربيّ صاحب **الرؤيا** هو الأنبا مقّار الإسكندريّ، أمّا في السريانيّ فهو الأنبا مقّار الكبير أو المصريّ. أيضًا في العربيّ، تلميذ الأنبا مقّار هو الراوي، وفي السريانيّ هو صاحب المديحة. كما أنّ النصّ العربيّ يستخدم أسلوبًا موجزًا، والسريانيّ أسلوبه تحليليّ أكثر، من حيث الأجزاء التي تكون أحيانًا خاصّة بصاحب الرؤيا وأحيانًا أخرى تخصّ الراوي. النصّ العربيّ يذكر تذكار اليوم السابع، أمّا السريانيّ فيذكر اليوم التاسع. علاوة على ذلك، النصّ السريانيّ فيه إضافة اليوم الثلاثين، لكنّها إضافة أُضيفت لاحقًا. وهناك نقاط هامّة أخرى سنذكرها في الحواشي.

النصّ:

بسم الله الخالق الحي الناطق له المجد.

نبتدئ بشرح ما تناله النفس عند انتقالها من هذا العالم فى مدة أربعين يوم بسلام من الرب.

أخبر القس أنبا مقاره تلميذ القديس أنبا مقاره القس السكندري عن معلمه قال قد كنا فى البرية أنا ومعلمى نسير جميعاً

وكان معلمى يمشى قدامى وأنا تابعاً له فأبصرت ملاكين ملتحقين به أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فوجد أبى قدامه حيوان ميت وقد نتن جداً فلما استنشق معلمى رايحة الحيوان وجيفته غطا أنفه بعباته لاجل رايحة نتن الحيوان ففعل الملاكان مثله[٤٠] فقال لهما المعلم وأنتم أيضاً تشموا نتن هذا العالم مثلنا فقالا له لا / ولكن حين رأيناك فعلت ذلك صنعنا مثلك[٤١] حتى لا ندينك فقال لهما فما تشموا قط رايحة شى البتة فقالا له ما نشم شى من رايحة هذا العالم ولكنا نشم رايحة أنفس نتن الخطاة كما شميت أنت الآن رايحة نتن هذا الحيوان الميت فتعجب الشيخ وقال لهما أطلب إليكما أن تعلماني بهدا النتن الذى لأنفس الخطاة هل فى حياة هذا العالم تحسوا به أو بعد موتهم وإن كنت قد وجدت نعمة عندكما فأخبرونى كيف تنزعوا أنفس الناس من الأجساد الدين[٤٢] يؤمنون بالرب والغير مؤمنين.

فقالا له الملاكين / اسمع يا مقاره مختار الله أمّا النفس الخاطية فان نتن رايحة أعمالها تظهر وهى بعد في الجسد وبعد الموت أيضاً أضعاف ذلك لأن أعمالها تظهر منها ويعلوها ظلمة وسواد فيظهر الأمر بهدا أن تلك النفس غير صالحة وأيضاً أن الرسل الدين[٤٣]

---

[٤٠] مثله. هناك كلمات أخرى كثيرة بها أخطاء في التنقيط سوف نقوم بتصحيح ذلك في الحالات الوحيدة التي يمكن أن تسبّب سوء الفهم.

[٤١] مثلنا.

[٤٢] الذين.

[٤٣] الذين.

يأخذونها يكونوا عنته وغير رحومين وكدلك أيضاً النفس الصالحة يظهر صلاحها وهي بعد فى الجسد يعلوها ضيا ونوراً عظيماً فيظهر الأمر أن تلك النفس صالحة والرسل الدين[٤٤] يأخذونها يكونوا أخيار رحومين.

فقال لهما أنبا مقاره يا ساداتى أطلب / إليكما أن تعرفانى بهدا أيضاً وقد وضعوا معلمين الكنيسة للمؤمنين أن يقدموا لله قرابين في البيعة عن المتنيّحين في يوم التالت[٤٥] والسابع ويوم الأربعين فلأي سبب يفعلون ذلك وأى منفعة للنفس التى قد انتقلت من هدا العالم بهده القرابين

فقالا الملايكة اسمع يا مقاره الكريم عند الله إن الله لم يجعل شيا باطلا ولا يكون بغير منفعة بل برحمته وتحننه وضع للبشر وصايا فى الكتب تعينهم على القرب منه لأنه فى اليوم التالت إذا قدم قربان عن النفس التى قد انتقلت من هذا العالم تجد لأجله / راحة وعزا لأنها تكون متعوبة بالحزن والأسف على الخطايا التى صنعتها وهى في الجسد فيعلمها الملاك الدى قبضها أنه قد قدم عنها قربان وصلاة وصدقة فى كنيسة الله فتعزا النفس بهدا ويصير لها به رجا برحمة الله لأن النفس تكون مع الملايكة تلك اليومين ويدهبوا بها حيث تريد على الأرض فإن كانت محبة للجسد فهي تذهب مرة إلى الموضع الذي فيه افترقت من جسدها

---

[٤٤] الذين.

[٤٥] الثالث.

ومرة تمضى إلى القبر الدى دفن فيه الجسد وتكون في تلك اليومين تطلب حيث كان عشها ومستقرها كمثل الطير الدى يطلب وكره / وكذلك النفس الصالحة التى كانت محبة للفضيلة تذهب إلى المواضع التى كانت لها عادة أن تعمل الخير والبر فيهم وتتعاهدهم وفى اليوم التالت يأمر الرب المسيح الإله الذى قام من الأموات في اليوم التالت أن ترفع تلك النفس إلى السما فيقدموها فتسجد قدام الإله فلدلك هو جيّد أن يصنع عنها قربان وصلاة وصدقة في اليوم التالت الدى فيه تقف أمام الرب الإله وبعد أن تسجد النفس لله يأمر أن تذهب بها ويورونها ساير المواضع الفرحة التى للقديسين الذين / عنده فى الفردوس.

وهدا جميعه تشاهده النفس فى ستة أيام من حين خروجها من الجسد فتتعجب حينيذ[٤٦] من نظر دلك وتسبح الرب الإله الدى أنعم عليها وأوراها هده المواضع والمنازل الحسنة وتنسا[٤٧] الحزن الدى كان نالها من مفارقة الجسد ويتجدد لها حزن آخر وندامة في ذاتها التى كانت منشغلة بأمور الدنيا حتى فاتتها متل هذه المنازل الحسنة وتخاف ليلا ينالها عقوبة بسبب خطاياها لأن النفس إذا نظرت / وشاهدت أبرار الله وقديسيه ونياحهم الدى نالوه عنده حينذا تبدا تحزن وتكتيب[٤٨] وتلوم داتها قايلة ويلى كيف

(٤٦) حينئذٍ.

(٤٧) تنسى.

(٤٨) تكتئب.

خدعت فى ذلك العالم[٤٩] / بشهوات الدنيا ولداتها[٥٠] ويلى كيف غفلت وضيعت أيام حياتى باللهو فى أمور العالم البطال وخوفى أن أجد عند الرب ما يألمنى مجازاة عن أعمالى القبيحة ليتنى صنعت أعمالا حسنة حتى كنت أستوجب بها مثل هذه الأفراح. الويل لى أنا الشقيه ماذا انتفعت بما بنيت من المنازل وما غرست من الكروم والبساتين أي منفعة لى الآن من الدهب والفضة الدى اقتنيت قد تركته لغيرى وجيت إلى ها هنا خايبة من الصلايح عريانة من / الخير ملتحفة[٥١] بآتامى[٥٢] وخطاياى الويل لى لأني كنت أحب السبح الباطل وأهوى الفخفخة العالمية وخوفي أن تنالنى المسكنة والخزى والفضيحة إلى الأبد. الويل لى لأنه ليس أحداً يعيننى أنا الشقية كنت مشغوفة مشغولة بأمور زايلة وتركت عنى ما يوول[٥٣] بى إلى الحياة الدايمة ما أعرف ماذا صادف من أحكام الرب علىّ.

ومن بعد أن تبصر فرح الصديقين وحسن منازل الفردوس وبعد بستة أيام يقدموها أيضاً تسجد لله في اليوم السابع. فهو أيضاً جيداً أن يصنع عنها فى الكنيسة قربان / وصلاة وصدقة تذكار عن

(٤٩) العالم.

(٥٠) ولذّاتها.

(٥١) ملتحفة.

(٥٢) بآثامي.

(٥٣) يؤول.

نفس الميّت الدى قد انتقل عن هدا العالم فى اليوم السابع لأجل قيامه أمام الرب فى دلك اليوم.

ومن بعد السجدة التانية يخرج الأمر من الرب الإله سيد الكل أن تحدر النفس إلى الجحيم وتشاهد أصناف العذاب والظلمة التى فيها أنفس الخطاة المسجونة هناك وما هم فيه من الحزن والنوح والتنهد والبكا الشديد موضع الندامة وصرير الأسنان وفى متل هذا العذاب وأصنافه تدور النفس تلتين يوماً بفرع[٥٤] ورعدة خايفة من داتها ليلا يقضى عليها بحكم القاضى / العادل إلى متل دلك الموضع الصعب.

وفى تمام أربعين يوماً يصعدوها لتسجد لله أيضاً حينذا يخرج الحكم من الحاكم العدل الدى ليس عنده محاباة ولا أخذ الوجوه أن يذهب بها إلى الموضع الذى تستحقّه

ولاجل ذلك هو جيد أن يصنع فى البيعة ترحيم وصدقة تذكار عن الميت الدى انتقل من هذه الدنيا فى يوم الأربعين لاجل قيام النفس أيضاً فى ذلك اليوم أمام الربّ الإله وفيه تبتت فى الموضع الذى تستحقه كأعمالها إلى يوم البعت وقيامة الأجساد فتتجد[٥٥] فى ذلك اليوم بجسدها وتدوم فيما قد أهلت له إلى أبد الدهور بغير زوال

---

[٥٤] بفزع.

[٥٥] فتتجدّد.

وهده الاشيا إنما تصنع مع الأنفس الذى أخذت المعمودية وأما من ليس فيه رشم المعمودية فليس ينال شياً من ذلك لكن الملايكة تاخذ النفس المنافقة / ويسوقونها بالضرب والانتهار فيصعدونها إلى السما الأولى ويقولون لها أيتها النفس المخالفة اعرفى الآن من هوا[٥٦] سيدك الرب مالك كل شى الدى لم تريدى تعرفيه وأنتى فى حياة الدنيا فاعرفيه الآن فادا بلغوا إلى السما الأولى يورونها من بعيد ويسمعونها تسبيح الملايكة وروسا الملايكة ويقولون لها اسجدى لمن أغضبته بأعمالك الردية واعلمى الآن أن يسوع المسيح هوا[٥٧] ابن الله الحى وهوا[٤] الدى يأمر يدهب بك إلى حيث منازل المخالفين متلك لترتى[٥٨] النار مع الشياطين وأراكنتهم الدين كنتى[٥٩] تسجدين لهم في حياتك وظننتى أنهم آلهة.

وهدا ما قالوه الملايكة الأطهار إلى معلمى أنبا مقاره القس / الطوبانى وأعطوه السلام وانصرفوا صاعدين إلى السما وغابوا عنا ولم نراهما بعد ومضينا نحن إلى حال سبيلنا ونحن نسبح ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ابن الله الحى الأزلى الدى ينبغى له المجد والإكرام والتسبح والسجود والعز والسلطان والهيبة والعظمة والوقار مع أبيه الصالح الرحوم والروح القدس الحى المحي التالوت

---

[٥٦] هو.

[٥٧] هو.

[٥٨] لترثي.

[٥٩] الذين كنتِ.

المقدس المساوى فى الجوهر الإله الواحد الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين وأبد الآبدين بقولنا أجمعين آمين كيرياليصون.

٧- حوار الأنبا مقّار مع جمجمة شخص وثنيّ:

القدّيس الأنبا مقّار الكبير، أو المصريّ هو صاحب هذا الحوار، والمُحاور الآخر هو جمجمة كاهن وثنيّ من قدماء المصريّين. المناقشة تدور حول عقوبات المُدانين، **جدوى الصلاة لأجل راحة الأموات، والجزاء المُختلف** للمعمّدين والذين لم يعرفوا المسيحيّة.

الرواية وصلتنا في نسخة باللغة القبطيّة البحيريّ، قام بنشرها الباحث أميلينو(٦٠) مع ترجمة للفرنسيّة؛ ونسخة باللغة القبطيّة الصعيديّ نشرها لانسخوت(٦١)، ونسخة باللغة اليونانيّة نشرها مين(٦٢)؛ وترجمة باللغة اللاتينيّة نشرها الباحثون البولنديست(٦٣)، وهي التي سنعرض لها هنا. المهمّ بالنسبة لنا هو المفهوم الواضح في الحاشية:

«لأنه كان كعادته يصلّي من أجل الموتى، ويودّ أن يعرف، إن كان ذلك يفيدهم وينالون به التعزية».

(60) AMÉLINEAU E., *Histoire des monastères de la Basse-Egypte*, in *Annales du Musée Guimet*, 25 (Paris 1894), 225-227.
(61) LANTSCHOOT (VAN) A., *Révélations ... sur le sort de l'âme après la mort*, in *Le Muséon*, 63 (1950), 188 s.
(62) PC. 34, 257-260; 65, 279-280.
(63) Bollandisti, *Acta Sanctorum*, Jan. II, Parisiis (1863-1866), 293.

مترجم من اليونانيّة.

«Quia faciebat pro consuetudine sua pro defunctis preces, scireque desiderabat, nunquid illis prodessent, et an consolatio inde proveniret»[64].

القدّيس توما ينفي ذلك(٦٥) ولكنّ التقليد القبطيّ يؤيّده.

النصّ:

«قال الأنبا مكاريوس، إنّه فيما كنت ذات يوم أمشي في الخلوة، شاهدت جمجمة ميت على الأرض. ولما علمت أنّها غصن نخلة، تكلّمت الجمجمة. فقلتُ لها: "من أنت؟" فأجابتني: "أنا كنت كاهن أصنام وأوثان، كانوا في هذا المكان. أمّا أنت فالأنبا مكاريوس، وفيك روح الله القدوس. كلّما ترحّمت على الذين في العذاب، صلِّ من أجلهم لينالوا بعض التعزية" فقال الشيخ: "وما هذه التعزية، وهذا العذاب" فقال له: "النار بمقدار ما بين السماء والأرض، ونحن فيها من القدمَين حتّى الرأس، تشملنا من كلّ ناحية؛ ولا يمكن أن ينظر الواحد إلى وجه الآخر. بل وجه كلّ واحد ثابت على ظهر الآخر. ولذلك، فعندما تصلّي من أجلنا، يرى بعضنا جزئيًّا وجه الآخر. هذه هي التعزية". ثمّ قال الشيخ باكيًا: "الويل لذلك اليوم الذي وُلد فيه الإنسان!" وقال له الشيخ القديس: "هل هناك عذاب أسوأ من هذا" فأجابت الجمجمة: "أسوأ عذاب هو من تحتنا". فسأل الشيخ: "ومن هناك؟" فأجابت الجمجمة: "نحن، لأننا لا نعرف الله... أما الذين عرفوا الله وأنكروه، ولم يعملوا

(64) Bollandisti, *ib.*, 293 s., nota a.
(65) «.. confessus est oratione Macarii se et alios juvari ... sed e contra : suffragia damnatis in inferno non valent». S. TOMMASO, In *4 sent.*, d. 45, q. 2, a. 2, q. 1, ad 4.

مشيئته، فهؤلاء من تحتنا". ثمّ أخذ الشيخ تلك الجمجمة ودفنها في الأرض».

«Dixit Abbas Macarius quod ambulans aliquando in eremo, inveni cranium mortui in terra jacens: et cum illud movissem virga palmea, locutum est mihi cranium; et dixi ipsi: Tu quis es? respondit mihi : Ego fui sacerdos idolorum et gentilium, qui isto loco morabantur. Tu vero es Abbas Macarius, qui habes Spiritum Sanctum Dei[66] Quacumque hora misertus eorum qui sunt in tormentis, oraveris pro eis, paululum solatii accipiunt. Dixit ei senex: Quale est istud solatium, et quae tormenta? Dixit ei: Quantum distat coelum a terra, tantus est ignis, in cuius medio tamus a pedibus ad caput, undique perfusi, nec licet cuiquam faciem alterius intueri. Sed facies cuiusque ad tergum alterius adhaeret. Cum ergo oras pro nobis, ex parte videmus faciem mutuam. Hoc est solatium. Et flens senex dixit: Vae diei, in qua natus et homo! Dicit ei sanctus senex: Estne aliud peius supplicium? Respondit Cranium: Maius supplicium est subtus nos. Dicit ei senex: Quinam isthic sunt? Dicit ei Cranium: Nos, ut qui Dei cognitionem non habuimus...[67], hi vero qui cognoverunt Deum et negaverunt eum, nec fecerunt voluntatum eius, hi sunt subtus nos. Et sumens senex Cranium istud, defodit illud in terra»[68].

---

[٦٦] النصّ اليوناني: «πνευματοφόρος»؛ النصّ القبطيّ: «ⲡⲉⲛⲛⲁⲧⲟⲫⲟⲣⲟⲥ».

[٦٧] نصّ غير مقروء.

(68) Bollandisti, *op. cit.*, 293.

٨- موعظة ورؤيا الأنبا شنوده:

الاسم شنوده[٦٩] **الأتريبيّ** يتكرّر كثيرًا في التاريخ والأدب القبطيّ. وقد لقّبه معاصره القدّيس كيرلس الإسكندريّ، بألقاب **النبيّ و القدّيس و رئيس المتوحّدين**[٧٠]، وقد قام بأعمال كثيرة وكتب كتابات عديدة. سنقتصر هنا على اختيار بعض المقاطع التي تكفي لتوضيح فكرة **الدينونة الإلهيّة والجزاء** بحسب الأعمال، **والصلاة من أجل راحة النفوس** في أيّام محدّدة.

موعظة:

«على كلّ واحد أن يقف في محكمة المسيح، وكلّ واحد يتلقّى ما يستوجب جسده حسب أفعاله، إما خيرًا أو شرًّا، لكي نؤدّي كلّ أعمالنا بما يرضي الله، وننجو من العذاب الشديد اللامتناهي، ومن الانتقام الرهيب، ونرث ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر ببال إنسان، ما أعدّه الله للذين يحبّونه».

«Necesse et unumquemque pro *tribunali Christi* stare singulosque corporibus suis debita accipere secundum ea, quae fecerint *sive bene sive male*[71], ut omnibus in rebus notris id, quod Deo placet, agamus *insidiasque et magnas poenas infinitasque et vindictas terribiles*

---

[٦٩] الاسم الشائع الاستخدام هو «شنودة»، لكنّ الاسم مصريّ قديم: «*rj-ntrš*» ومعناه: «ابن الله». بيد أنّه يُكتب بأشكال مختلفة في اللغة القبطيّة وفقًا للهجات: البحيريّ «ϣⲉⲛⲟⲩϯ»؛ الفيوميّ «ϣⲁⲛⲟⲩϯ»؛ الصعيديّ «ϣⲉⲛⲟⲩⲧⲉ». أمّا في اللاتينيّة فيُكتب «*Sinuthius*»، وفي اليونانيّة «Σινουδιος».

(70) «ⲡⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲁⲡⲁ ϣⲉⲛⲟⲩϯ ⲡⲁⲣⲭⲏⲙⲁⲛⲇⲣⲓⲧⲏⲥ».
Cod. Vat. Copt. 66, E. 216v. — ZOEGA G., *Catalogus codicum coptorum manuscriptorum qui in museo Borgiano Velitris adservantur*, Romae 1810, 28.
وسنرى لاحقًا في النصوص التالية أنّ ألقاب الاحترام والتبجيل نفسها تتكرّر كثيرًا في سيرة الأنبا شنودة.

[٧١] ٢كور ٥: ١٠.

effugiamus, et hereditate *accipiamus ea, quae oculus non vidit, auris non audivit*, in cor hominis non ascenderunt, quae quidem praeparavit Deus iis, qui diligunt eum»[72].

رؤيا:

«أقول لكم: لقد عرضوا عليّ ذات يوم كاهنًا، كان جسده يأكل نفسه. فأمسك به ملائكة بلا رحمة، تختلف وجوههم بعضها عن بعض، رهيبون، يتقيّؤون من أفواههم دخانا من نار. أقول لكم: كان بينهم من له رأسان، يصرفون (للنفس) بأسنانهم. ولما خرجَت من الجسد، شاهدت [...] [إنسانًا] من نار، مربوطًا من يديه ورجليه في رقبتها. فربطوها بذيل أحدهم، وألقوها من ناحية الغرب. لم يذهبوا بها قط إلى الذي خلقها لتسجد له، بل ألقوا بها في أعماق الجحيم، فاستولى عليها ملوك الظلام. وأعترف لكم: كما الجثّة التي من عادة الطيور والوحوش أن تنقضّ عليها، هكذا شاهدت الجوّ بأسره حافلًا بوجوه الأرواح، تهجم على تلك النفس. فسألت لماذا يفعلون ذلك بهذه النفس، التي كانت تقوم بخدمة عظيمة في الكنيسة؟ فقالوا: هذا هو الكاهن الذي كنت تراه يستهلك مع أصحابه أموال الكنيسة، وقد أهمل ونسي على الإطلاق حكم الله. مثل هؤلاء الناس عُدّوا جميعًا بين الذين صنعوا شرورًا كثيرة.

كذلك ذات يوم هتفوا بي: "أنظر وشاهد هذه النفس، التي ستُخرج من جسدها". فنظرت ورأيت واحدًا من جماعتنا [....] وآخر خلفه يمسك بيده سيفًا محدّدًا، غمسه في صدره. وبعد أن

(٧٢) ١ كور ٢: ٩.

WIESMANN H., *Sinuthi archirmandritae vita et opera omnia, IV*, in *CSCO*. 108, 77 s.

غمسه، تقيّأ من فمه. والذين كانوا حوله، ظنّوه مجنونًا. وأخذوا يطعنونه بالحديدة. فبقي في تلك الحالة يومَين. وبعد ذلك خرج من الجسد، ولسانه بطول شبرَين، وسهم من النار خارج من أنفه. وقيل إنه يلهث من أنفه. والذين يمشون خلفه، لا يسمحون له قط أن يقول "إرحموني". ولما خرج لهيب نار من فمه قالوا: "من عادته أن يخرج لبن من فمه". ورأيتهم يجرّونه على الأرض كأنه كلب. ثمّ قرأوا نصّ حكمه، فيما كان ملاكه يؤنّبه على ما ارتكب من سرقات ونجاسة. ثمّ رأيت لهيب نار خرج، وسار خلف تلك النفس [....] نحو الأسفل، إلى مكان سحيق عميق، عمقه وحرارته عظيمان. [....] والفضيلة تتجوّل وتدور وتسأل: "لمن هذه النفس؟" فقيل لي: "إنها نفس من أتباع ميليتيوس" [....] ثمّ سمعت هذا الحكم: "أطردوهم إلى الظلمة البرّانية، حيث البكاء وصريف الأسنان"».

«Dico vobis: Quodam die ostensus mihi est presbyter, cuius anima e corpore edebatur; quem *angeli comprehenderunt immisericordes, diferentes inter se vultibus, terribiles, fumos ex oribus evomentes igneos.* Dico vobis: Erant quidam inter eos *bicipites*, dentibus ei (animae) infrementes. Postquam autem e corpore educta est, vidi [...] igneum in collo eius, manibus pedibusque colligatis. Ad caudam alicuius [...] eam alligaverunt[73], et in occidentis regiones eam ccëgerunt. Omnino non induxerunt eam ad illum, qui eam procreaverat, adorandum, sed *in profundum locorum infernorum eam deiecerunt* et principes tenebrarum ea potiti sunt.

(٧٣) في رؤيا بستاوس يقول المتوفّى: «ربطوني في ذيل فرس».

Profiteor vobis: sicut cadaver, in quod aves ac ferae solent irruere, ita universum conspexi aëra diversorum vultibus spirituum plenum illamque animam incessentium. Quae cur huic animae facerent, quaesivi, quae hoc magno ecclesiae munere fungebatur. Hic, inquiunt, presbyter, quem bona ecclesiae cum scortis consumere videbas, *iudicium Dei esse prorsus oblivioni dedit*. Huiusmodi homines numerati sunt cuncti inter eos, qui mala patraverunt plurima.

Praeterea quodam die inclamatus sum: 'Aspice et vide hanc animam, quae quidem *e corpore educetur*'. Aspexi et vidi aliquem e notris [...] post eum, qui gladium [*acu*]*tum* manu sua tenebat; quem in pectus hominis infixit. Cum autem eum infixisset, homo ia[cta]tiones ore edidit. Qui circa eum erant, mente eum alienatum esse existimaverunt; ferro eum vincire constituerunt. Illa in condicione dies transegit duos. Posthac e corpore eductus est(74), cum lingua eius duobus fere palmis ex ore eius exserta esset et hamus igneus e naribus eius promineret. *Naribus* eum consuevisse dixerunt anhelare. Qui post eum incesserunt, ei omnino non concedebant ut diceret: 'Miseremini mei'. Cum flamma ignea ex ore eius prodiret, dixerunt: '*lactationes consuevit ore suo emittere*'. Vidi eos ipsum humo inhaerentem canis instar auferentes. *Chirographum eius recitaverunt*, cum angelus eius furta ei exprobraret et pollutiones, quae commiserat... Vidi autem [flammam] igneam. Egressa et illam animam [secuta] est [...] deorsum, *in locum profund*[issi]*mum*, cuius profunditas et calor magna erant [...]. Virtus circumit [. . . .], querit: 'Quae est haece anima'? Dictum est mihi: 'Haece [anima] est meletiana quaedam' [...]. *Hanc audivi*

(٧٤) بمعنى مات.

sententiam: 'Eicite eos in tenebras exteras, ibi erit fletus et stridor dentium'»(75).

أيضًا، يخبرنا الأنبا شنوده أنّهم في ديره كانوا يتناقلون ممارسة تذكار الموتى في أوقات مختلفة بعد الوفاة(٧٦).

٩- انخطاف الأنبا متاؤس:

إنه موضوع مثير للاهتمام عن الأنبا متاؤس الفاخوريّ الذي يقع ديره في صحراء إسنا. من المرجّح، أنّه عاش في النصف الأوّل من القرن السادس؛ بالتأكيد بعد الأنبا شنوده الذي تنيّح في السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن الخامس، وهو الذي ظهر له من السماء أثناء الانخطاف الروحيّ. قام بنشر سيرته، التي كتبها سيرابيون، الباحث أميلينوه بالنصّ القبطيّ مع ترجمة باللغة الفرنسيّة(٧٧). القصّة التي تتحدّث عنها تُبيّن تقاليد الأبواب، الدينونة الفوريّة والجزاء المُعَدّ.

النصّ:

«قال لنا الأنبا متاؤس: أثناء الاجتماع وبعد انتهائي من الصلاة، جلست على المقعد الصغير حيث أقوم بالعمل اليدويّ. حينئذٍ

(٧٥) مت ٢٢: ١٣.

WIESMANN, *op. cit.*, *CSCO*. 108, 120-122.

(76) LEIPOLU J., *Sinuthi archimnandritae vita et opera omnia*, IV, *CSCO*. 73: 66 النص؛ ١٠٨: ٣٩ وما يليه الترجمة. راجع الفصل ٦، النقطة ٧ من هذه الدراسة. – فيما يتعلّق باليوم الثالث: كانوا يراعونه أيضًا في دير الأنبا باخوميوس، ففي أثناء حياة هذا القدّيس دار الحديث عن البروسفورا، *Prosfora*، التي احتفلوا بها من أجل راحة نفس الأنبا تادرس، بعد ثلاثة أيام من نياحته. «ⲟⲩⲟϩ ⲉⲧⲁⲩϭⲓ ⲛ̀ϯⲡⲣⲟⲥⲫⲟⲣⲁ ⲙⲛⲧ ⲉⲛⲁⲡⲁ ⲑⲉⲟⲇⲱⲣⲟⲥ: Et postquam oblationem *dici tertii* abbatis Theodorii obtulerunt». LEFORT L. Th., *S. Pachomii vita boharicae scripta*, *CSCO*. 89, 213; 107, 137.

(77) AMÉLINEAU E., *Monuments pour servir à l'histoire de l'Egypte chrétienne*, t., 4, 2, in *MMAFC*. Paris 1895, 707-736.

حدث لي انخطاف بالروح فوجدت نفسي بجوار اثنين من الرهبان، وكانا متألّقين بمجدٍ مثير للإعجاب. قالا لي: "انهض وأسرع كي يمكنك أن تلتقي بآباء الإسكيم، الأنبا أنطونيوس، الأنبا باخوميوس، الأنبا تادرس، وأبينا الأنبا موسى، وأيضًا المتنبئ الشيخ الأنبا شنوده". فقُلتُ لهما: "أين هم آبائي القدّيسين؟". قالا لي: "إنّهم في ضاحية تنتمي للأنبا شنوده رئيس المتوحّدين". فمشيتُ معهما، وأثناء سيري معهما رأيت كوكبة من الرهبان خارج بوابة الدير، فأتوا جميعًا وسلّموا عليّ، وقالوا: "مرحبًا بقدومك إلينا ها أنت أتيت لتنضمّ إلى جماعتنا كي ترافقنا **إلى أورشليم السمائيّة**". ثمّ رأيتُ بابًا كبيرًا وحصنًا بديعًا فقُلت: "إنّ السور وباب المدخل مرصّعين بالذهب والجواهر الكريمة من جميع الألوان". وعندما بلَغتُ إلى الباب سمعت صوتًا يقول: "افتحوا باب المدخل لكي يدخل متاؤس، وليُصغي الشيوخ لكلّمته، لأنّهم هُم الذين أُرسِلوا إليه". ثمّ دخلت وقد امتلأتُ بخوفٍ شديد ورعدةٍ عظيمةٍ فرأيت ساحةً عظيمة لدرجة أنّني قُلت في نفسي: "قد يبلغ طولها ميل أو اثنين". كانت هناك عروش كثيرة، موزّعة على الجانبين، وجمهرة عظيمة من **الرهبان جالسين عليها وهم منيرون جدًّا**. فقلت للذين يسيرون معي: "من هم هؤلاء الجالسين على عروشهم؟". قالوا لي: "جميع الذين تراهم هم آباء العالم، رؤساء الأساقفة، والكهنة والأساقفة، باختصار جميع الآباء الرهبان وأبناؤهم في الأسكيم. كلّ منهم

يجلس في المقدّمة **لكي يُسأل عن أبنائه في الإسكيم وجميع الذين أتوا إلى ديره. فكلّ منهم يُقدّم حسابًا عن خاصّته**[78]. أمّا أنت، فانظر إلى هؤلاء الأربعة الجالسين على عروشهم، حتّى تعرفهم". وأشار لي بإصبعه إلى كلّ واحد منهم قائلًا: "هذا أنطونيوس، وهذا باخوميوس، وهذا تادرس مع بترونيوس، وهذا الأنبا شنوده أبّ جبل أتريب، وهذا مكاريوس أبّ جبل شيهيت. هؤلاء هم آباء هذه الجمهرة من الرهبان". فتسمّرت في مكاني متأثّرًا، ثمّ سجدت بوجهي نحو الأرض إكرامًا لهم. فقال لي أحد الواقفين وكان بهيئة كاتب وبيده ريشة الكتابة: "يا متاؤس، قم مسرعًا وامضِ إلي ديرك، واحضِر كتبك واجلس، **لكي تُقدّم حسابًا عنه**: فلهذه الغاية ستُسأل أنت وأبنائك، أي الرهبان الذين في الدير. حيٌّ هو الله! **سوف تُسأل عن نفسك وعن أبناءك الرهبان، حتّى عن الوصايا وعن الصلوات والأصوام**[79] التي تخطّاها أبنائك الرهبان بدون عذر مرضيّ، والأهمّ من كلّ شيء هو مايتعلّق بخدمة البوّابة، أي توزيع الصدقة. **كلّ هذا ستُسأل عنه في اليوم السابع من هذا الشهر**[80]. كان ذلك هو اليوم الثالث (من الشهر). ثمّ أفِقتُ، وبينما كنت أتفكّر.. أتيتُم أنتم إليّ. لذلك الآن، يا أبنائي الأحباء، أُقرِئكم

---

[78] النصّ: «ⲉⲩϯ ⲗⲟⲅⲟⲥ ϩⲁ ⲛⲉⲩϣⲏⲣⲉ ⲛ̀ⲥⲭⲏⲙⲁ ⲙⲛ̀ ⲛⲉⲧⲉϣⲁⲩⲛⲧⲟⲩ ⲉⲡⲉϥⲧⲟⲡⲟⲥ ⲉϥϯ ⲗⲟⲅⲟⲥ ϩⲁⲣⲟⲟⲩ».

[79] النصّ: «ϣⲁ ϩⲣⲁⲓ ⲉⲩⲉⲛⲧⲟⲗⲏ ⲛ̀ⲟⲩⲱⲧ ⲙⲛ̀ ⲟⲩⲥⲟⲡ ⲛ̀ϣⲗⲏⲗ ⲙⲛ̀ ⲟⲏⲛⲏⲥⲧⲓⲁ..».

(80) «ⲛⲁⲓ ⲅⲁⲣ ⲥⲉⲛⲁⲁⲡⲁⲓⲧⲉⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲕ ⲙ̀ⲙⲟⲟⲩ ⲛ̀ⲥⲟⲩ ⲥⲁϣϥ̀ ⲙ̀ⲡⲉⲓⲉⲃⲟⲧ».

المعنى: في نفس يوم الوفاة المتوقّع في السابع من الشهر. إنّه اعتقاد واضح في الدينونة الخاصّة.

سلام الربّ، لأنّه وفقًا لما رأيته لم يبقَ لي في هذا العالم سوى ثلاثة أيّام[٨١]».

١٠ - حوار القدّيس الأنبا بسنتاؤس مع مومياء:

هناك تشابه معيّن يربط القصّة التالية مع الأسطورة السابقة. الأنبا بسنتاؤس الذي أُتيحت له فرصة الحديث مع مومياء بشأن مصير الأموات، كان أوّلًا راهبًا في دير فيامون[٨٢] وبعد ذلك، ربّما من عام ٥٩٨م صار أسقفًا لمدينة قفط[٨٣]. عام ٦١٥م، عقِب احتلال جيش كسرى لأرض مصر، اختلى في جبل جيمي، ودخل مقبرة وأمر تلميذه يوحنّا بأن يزوره مرّة واحدة في الأسبوع كي يزوّده بما يلزمه. في هذا القبر وجد مومياء فنقلها عند الباب حيث دار الحديث معها.

القصّة وصلت إلينا باللغة القبطيّة الصعيديّ والبحيريّ وأيضًا باللغة العربيّة. النسخة الصعيديّ نشرها الباحث بدج[٨٤] مع ترجمة باللغة الإنجليزيّة، والنسخة

[٨١] AMÉLINEAU, *op. cit.*, 732-735.

[٨٢] دير فيامون (أبو فام) موقعه جنوب وادي الملكات في الأقصر وقد اكتشفت أطلاله مؤخّرًا جمعيّة الآثار القبطيّة بالقاهرة. وقد قام مختلف المتخصّصين تحت قيادة ش. بشتلي بوصف الموجودات الثمينة التي عُثر عليها في المكان في ثلاثة مجلّدات. وقد ظهر مؤخّرًا المجلّد الثالث بعنوان: "وصف للنباتات والحيوانات والكيماويّات": *Identifications Botaniques, Zoologiques et Chimiques*, par TÄCKOLM V., EL-DUWEINI A. K., GREISS E. A. M., ISKANDAR Z., Le Caire 1961.

[٨٣] مدينة قفط حاليًا هي مركز بمحافظة قنا يبعد ٢٥ كم جنوب مدينة قنا، وقد كانت قديمًا أسقفيّة عظيمة ومركز تجاريّ كبير.

[٨٤] BUDGE A. E. W., *Coptic Apocrypha*, London 1913, testo 75-127, trad. 258-391. والمخطوط محفوظ في المتحف البريطانيّ، Or. 7024, AM. 701 (AD. 985).

البحيريّ نشرها الباحث أميلينو[٨٥] مصحوبة بترجمة فرنسيّة. أمّا النصّ العربيّ فقد أورده الباحث أوليري[٨٦] في "**باترولوجيا الآباء الشرقيّين**"، وهذا هو النصّ الذي سنعتمده هنا.

النصّ:

«في اليوم المحدّد للزوّادة ذهب التلميذ يوحنّا إلى المقبرة فسمع من خلف الباب الحوار: "اصنع معي إحسانًا، أيّها الشيخ الطوباويّ، وصلِّ إلى الربّ من أجلي لكي يُعتقني من العذابات التي أكابدها والتي تتوالى باستمرار فقد أنهكت تمامًا". فظننت أنّ معه شخصًا قد أتى إليه لكي يعترف عنده. حينئذٍ جلست صامتًا في الظلام بينما كان أبي يتحاور مع المومياء التي، على ما أتذكّر، كانت بالقرب من الباب وكانت تتحاور معه. وقد وجّه (بسنتاؤس) كلامًا كثيرًا للمومياء ثمّ قال: "من أين أنت؟"، فأجابته: "أنا من المدينة المعروفة باسم أرمنت"[٨٧]. قال أبي: "من كان والدك؟"، فأجابته: "كان اسمه أغريكلّاوس وأمّي تُدعى إسطاسيا". فقال أبي: "وأيّ إله كانا يعبدانه؟". أجابه المتوفّى: "كانا يعبدان وثنًا يعيش في الماء واسمه بوسيدون". حينئذٍ قال له أبي: "وأنت قبل موتك، ألم تسمع عن

[85] AMÉLINEAU E., *Un évêque de Keft au VII° siècle*, in *Mémoires présenté et lus à l'Institut d'Egypte*, 2 (1889), 261-332, trad. 333-423. Presenta il Cod. Vat. 66, f. 124-158.

[86] O'LEARY (De Lacy), *The arabic Life of S. Pisentius*, in *PO*. 22, 317-488. حيث عرض الباحث مخطوطتين محفوظتين في المكتبة الوطنيّة في باريس، أرقامها: Ar. 4785 e Ar. 4794.

[٨٧] مدينة أرمنت تقع جنوب الأقصر، وهي المدينة القديمة هرمونتيس التي اشتهرت قديمًا بالعملة المعدنيّة المنقوش عليها الاسم وبمدرسة الكتابة، كما كانت المدينة المقدّسة للإله "مونت" الذي برأس صقر.

المخلِّص الذي أتى إلى العالم؟". فقال له المتوفَّى: "يا أبتِ، أبواي كانا وثنيّين، فنشأتُ أنا أيضًا على عقيدتهم واتّبعتُ ممارساتهما. الويل لي، يا أبتِ! آه لو لم يُنجباني! أو كان رحم أُمّي هو قبري، وانقطعت أحشاء أمّي إلى الأبد! سأروي لك ما حدث لي، يا أبتِ القدّيس الطوباويّ: حينما أشرفت على الموت، يا أبتِ، كان سادة عالم الظلمات هم أوّل من ظهر أمامي، وقالوا لي: "**أين أعمالك التي قُمت بها؟ وأين السيّئات التي فعلتها؟**" عسى أن يأتيك أبو أصيدان(٨٨) الذي كنت خادمه، الذي وثقت فيه، والذي توكّلت عليه وقُلت: إنك الإله! فليأتِ ويُنقِذك من العذابات التي ستحدث لك وتُهاجِمَك". هكذا خاطبوني، وكانت في أيديهم خُطّافات حديدية مسنّنة مثل تلك التي تُعلّق فيها الذبائح، فغرسوها في أعضائي الداخليّة وبين أضلاعي وصرّوا عليّ بأسنانهم. وبعد قليل جعلوني أُبصر بعيون الجسد، فرأيت متوفيًا مُعلّقًا في الجوّ بمختلف الأشكال والهيئات. وبعد ذلك استخرجوا روحي من جسدي، و**ملائكة الغضب** المُكلّفين بهذه المُهمّة، ربطوني بلا رحمة في ذيل فَرَس أسود حالِك السواد، وساقوه نحو الغرب. يا ويل الخطأة أمثالي! كم هي قاسية عذاباتهم! وكم هي عنيفة عقوباتهم! آه، لو لم أرتكِب خطايا! يا ليتني لم أولد في هذا العالم. لقد أسلموني، يا سيّدي، يا أبتِ، لزبانية ذو عنف وقسوة شديدة بلا أدنى رحمة، قد أعَدّوا عذابات من مختلف الأنواع، وكلّ منها بشكل مختلف.

(٨٨) بوسيدون.

بعد ذلك، كان في طريقي الكثير من الوحوش المفترسة، يا لأطيافها العديدة! ولمّا طرحوني في الظلمات البرّانيّة، رأيتُ هاوية عميقة، يبلغ عمقها أربعة آلاف ذراع، وكانت مليئة **بالزواحِف** السامّة، كان بعضها له سبعة رؤوس،ولها أذناب مثل العقارِب. والبعض منها كانت لها أنياب خارج أفواهها مثل الخنزير البرّيّ ويبلغ طول هذه الأنياب نصف ذراع، وهي أدوات التعذيب التي يستخدمونها. كما رأيتُ هناك **أفاعي** خفيّة ذات وجهين، كلّ منهما يُشبه وجه العِرسة، وأنيابها حادّة كأنياب اللبوءة. ورأيت هناك ديدانًا كبيرة رهيبة المنظر؛ طولها مائة ذراع، وسمكها خمسون ذراعًا، وأفواهها مثل أفواه التماسيح، وأسنانها كالمنشار البتّار. أخذوني وطرحوني أمام الوحوش المُرعِبة التي لا تتوقّف أبدًا، بل تلتهم باستمرار. أحاطت به أفواه الوحوش كلّها، وعندما يمتلئ فمّ الوحش، تملأ الوحوش كلّها أفواهها في نفس الوقت. إنّ ألم لدغات أذناب العقارب لا تُعدّ شيئًا مقارنة بأنياب الوحوش، لأنّ ألم لدغة العقرب لا يزيد عن يوم أو اثنين، لكنّ ألم هذه لا يزول، لا يقِلّ ولا يتوقّف أبدًا".

أجاب أبي وقال للمومياء: "ألَم يُعطوك راحة منذ يوم وفاتِك وحتّى الآن، ولا اعتدلوا في هذا العذاب ولو لساعة واحدة؟".

فقالت المومياء: "بلى، يا أبتِ، إنّهم بلا شكّ يُشفقون على جميع المعذَّبين، **ويمنحوهم راحة في ليلة الأحد، لأنّها قيامة المسيح**؛ لذا يعطونهم راحة من الجحيم من الساعة التاسعة يوم السبت حتّى نهاية يوم الأحد ثمّ يعودون للعذاب من جديد. ولما أقمتُ سنينًا

كثيرة في هذا العذاب أخذوني أنا أيضًا وطرحوني في العذاب المتسيّ: حيث لا يُفتقد إلى الأبد(٨٩). لكن حين صلّيت من أجلي، أمر الربّ أولئك المكلّفين بتعذيبي فكفّوا عنّي وأزالوا دخان النار من فمّي، لكي أستطيع أن أتكلّم معك بفمّي وبوشيج قلبي.

والآن، يا أبتِ، ها قد رويتُ لك عن تلك العذابات التي كابدتها. لذا أستحلفك بمحبّة الله، أن تُصلّي من أجلي لكي يرحمني، لأنّني قد أُنهِكتُ زيادة عن الحدّ وأخشى بشدّة أن يطرحوني من جديد في ذلك العذاب". فأجابها أبي قائلًا: "الربّ الرحوم الشفوق سيتصرّف معك برحمة بحسب عظمة رحمته: وهكذا يمكنك أن تستريح، مثلما أنت الآن، حتّى يوم القيامة العامّة حين يقوم الأموات فتقوم أنت مع الآخرين"(٩٠).

١١ - نياحة الأنبا صموئيل:

الراهب الأنبا صموئيل عاش في القرن السابع في دير القلامون الكائن في صحراء الفيّوم. كما أنّ سيرته وديره شهيران في التاريخ القبطيّ الأرثوذوكسيّ(٩١). تحتفل الليتورجيا بتذكاره في اليوم الثامن من شهر كيهك. هذا الموضوع الذي

(٨٩) هذا النصّ مُبهم في النسخة العربيّة. لكنّ النسخة المكتوبة بالقبطيّة البحيريّ أكثر وضوحًا: "يُشفقون على أولئك المعذّبين في يوميّ السبت والأحد. وحين ينتهي يوم الأحد يطرحوننا من جديد في العذابات التي نستحقّها، كي ننسى السنين التي قضيناها في العالم. وعندما ننسى هذا العذاب يطرحوننا في عذاب آخر أكثر إيلامًا".

(90) O'LEARY, *PO*. 423-428.

(91) GIAMBERARDENI G., *Il Convento dell'Anbâ Samû'il e i miracoli della Vergine*, in *La Voce del Nilo*, 17 (Cairo 1956), 140-155.

تناوله الذي يروي عن نياحته وعن جزاءه الفوريّ في الفردوس، نشره الباحث أميلينو(٩٢) باللغة القبطيّة مع ترجمة بالفرنسيّة.

رؤيا فردوس القدّيسين:

"السلام لك، أيها المعترف بكافّة العقائد الأرثوذكسيّة! السلام لك، يا مَن رفعت الخباء مثل إبراهيم الذي استضاف الله وقدّيسيه! طوباك يا صموئيل لأنّك بذلت نفسك من أجل إخوتك. يا مَنْ تمّمت تعليم الإنجيل القائل: "لَيسَ لأحَدٍ حُبٌّ أعظمُ مِن أن يَبذِلَ نَفسَه في سَبيلِ أحِبَّائِه"(٩٣). الربّ معك. وبعد ثمانية أيّام يفتقدك الربّ وينجّيك من سائر أتعابك، ويأخذك إلى الملكوت السماويّ وترث مع جميع القدّيسين ويمنحك جميع الخيرات التي لم ترَها عين ولا سمعت بها أُذن ولم تخطر على قلب بشر، (أي) ما أعدّه الله للذين يحبّون اسمه القدّوس المبارك(٩٤): ثمّ تسكن في مواضع السُكنى في أورشليم السمائيّة، ذلك الموضع الذي هرب منه الألم والبكاء والأنين. ثِق، يا صموئيل، لأنّ موتك لن يكون موتًا، حيث أنك أعطيت مجدًا لله ولأمّه العذراء، لذلك سيعطيك مجدًا هو أيضًا، فيرسل أمامك القدّيسين الذين اقتديت بنهج حياتهم، أي: باسيليوس، وإغريغوريوس، وسويريوس(٩٥)، أنطونيوس

(92) AMÉLINEAU, *op. cit.*, 784-789.

(٩٣) يو ١٥: ١٣.

(٩٤) ١ كور ٢: ٩.

(٩٥) سويريوس الأنطاكيّ، معلّم لاهوت الطبيعة الواحدة. الأقباط الأرثوذكس يُكرّمون الأنبا صموئيل باعتباره المدافع البطل عن بدعة الطبيعة الواحدة.

ومكاريوس وباخوميوس والأنبا شنوده المتنبّئ رئيس المتوحّدين، وجميع الذين صرت مثلهم". ولما قال الملاك هذا انصرف عنه»(٩٦).

الأرواح المؤذية:

حثّ الأنبا صموئيل رهبانه قبل نياحته على فعل الخير قائلًا:

«صدّقوني يا أولادي إنّ فيكم أكثر من ستّين أخًا حافظين جميع وصايا الربّ. قد أكملوا بشجاعة وغلبوا جميع قوّات العدوّ، **وداسوا إبليس وجنوده ومالكي ظلمة الهواء**(٩٧) وأرواح الشرّ التي **تحت السماء**، قد أطفأوا سهام الشرّير، وخَلَصوا من خبثه لكونهم قوّموا الطهارة وتركوا أعماله المؤدّية للهلاك»(٩٨).

١٢ – رؤيا مرقس الترمقيّ:

الأنبا مرقس، الراهب الذي عاش في جبل الترمق أو الترمقا(٩٩)، أخبره ملَكان عن مصير النفوس. وفقًا لما ورد في سير القدّيسين، الراهب سيرابيون هو الذي قام بدفنه بعد نياحته، وهو الذي روى سيرته وما كُشِف له(١٠٠).

الرؤيا وردت في النسخة السريانيّة (Ms. Vat. syr., n. 96, ff. 118v-121r). وقد قام لانسخوت(١٠١) بنشرها مصحوبة بترجمة للغة الفرنسيّة، وهي النسخة التي سنعتمدها هنا.

(٩٦) AMÉLINEAU, *op. cit.*, 784 s.

(٩٧) إنّه تعبير يستخدمه الغنوصيّون: «ⲛⲉⲕⲟⲥⲙⲟⲕⲣⲁⲧⲱⲣ ⲙ̀ⲡⲕⲁⲕⲉ».

(٩٨) AMÉLINEAU, *op. cit.*, 789.

(٩٩) يُلقَّب في اللغة العربيّة بلقب الترمقيّ: الأنبا مرقس الترمقيّ.

(١٠٠) AMÉLINEAU E., *Contes et romans de l'Egypte chrétienne*, t. 2, Paris 1888, 55.

النصّ:

«في يومٍ ما طرأ على فكري شأن نفوس البشر: نفوس الأبرار ونفوس الخطأة، الوثنيّين والجاحدين، وجميع نفوس البشر الذين لم يؤمنوا بالمسيح، ولم يتعمّدوا باسمه، ولم يؤمنوا بقيامته ولم يشتركوا في أسراره ويسجدوا لصليبه. فأردتُ أن أعرف بأيّة طريقة تسوقها الملائكة بعد خروجها من الأجساد؟ ؛ وفي أيّ موضع تسكّن نفوس الأبرار والذين آمنوا؟ ، وأين تكون نفوس الأشرار وغير المؤمنين؟. هل ذهب الذين آمنوا إلى الملكوت، والأشرار إلى عقوبات جهنّم؟ لمّا كانت تراودني هذه الفكرة كنت أنهضُ وأُصلّي لله من المساء حتّى الصباح. كنت أتضرّع إليه في كلّ ليلة بشأن هذه المسألة، كي يكشفها لي.

وحدث أن أرسل إليّ في الساعة التاسعة من الليل ملَكَين نورانيّين. كان ضيائهما يسطع في كافّة أرجاء المغارة، وعبير ثيابهما العَطِرَة يُعبقّها. اقتربا منّي وسلّما عليّ قائلين: "السلام لك، يا مرقس حبيب المسيح".

فقلت لهما: "أتيتما بالسلام، ياخُدّام النور، المسيح. إلى أين تذهبان، يا رسوليّ السلام وخادميّ المسيح الملك؟".

توجد في القاهرة مخطوطتين شهيرتين عن حياة الأنبا مرقس، بعنوان "سيرة أنبا مرقس الترمقيّ" -في مخطوطات البطريركيّة القبطيّة برقم ٤٤٣/ ٤ (بدون تاريخ)؛ وفي مخطوطات المتحف القبطيّ برقم ١١٣/ ٤، ١٤٣١ للشهداء (١٧١٥ م). للتوسع بشأن المخطوطتين، راجع: GRAF, *op. cit.*, vol. 1, 356.

(١٠١) LANTSCHOOT (VAN) A., Révélations... de Marc de Tarznaqā sur le sort de l'âme aprés la mort, in Le Muséon, 63 (1950), 181-187.

أجاباني قائلين: "لقد أرسلنا سيّدنا إليك بشأن سؤالك: بأيّة طريقة تؤخذ نفوس البشر، نفوس الأبرار ونفوس الخطأة، ونفوس المؤمنين وغير المؤمنين؟".

حينئذٍ رفعتُ مجدًا لله وقُلت: "المجد لك، يا إلهي ملك المجد فإنك تستجيب سريعًا لصلاة الذين يُحبّونك وتُجيب على تساؤلاتهم. والآن، أخبراني يا بنيّ النور، وفقًا لكلمة ربّنا كيف تُساق نفوس البشر؟، وإلى أين تذهب عند مغادرتها الجسد؟".

فكانت إجابتهما: "استمع، يا خادم الله، للطريقة التي تُساق بها نفوس الصدّيقين الذين يعترفون بالمسيح، ويتناولون جسده ودمه، الموسومين بوسم المعموديّة. النفس التي لم تُدنّسها الخطايا وتستحقّ الراحة، تصحبها الملائكة بعذوبة وسلام. فترى الخليقة المنظورة كلّها، بكلّ أقاصيها، **خلال ثلاثة أيّام**، وتكون متهلّلة في الجوّ.

وما أن يُقام **طقس الثالث** (اليوم)، تُرفَعُ إلى السماء **أمام عرش المسيح**، حيث تسجد له الملائكة وتسجد النفس أيضًا معهم.

حينئذٍ تسمع صوتًا (يقول): "خذوا هذه النفس ودعوها تري جميع مواضع عذاب الخطأة ولترجع بعد ستّة أيّام". فتقودها الملائكة بحسب أمر الله وتدعها تعاين جميع مواضع العذاب، وجميع المهاوي (التي فيها) عبيد الأثِم، حتّى الظلمات البرّانيّة. ترى الأشرار واقفين في العذابات وكذلك الذين لم يؤمنوا بالمسيح، فترتعد وينتابها خوف عظيم. لكنّ الملائكة تقول لها: "إنّك مباركة أيّتها النفس التي آمنت بالمسيح!". فتتشدّد حينئذٍ، وتبتهج وتتهلّل لأنّها أفلتت من مثل هذه العذابات. ولديها الثقة في رحمة الربّ.

وما أن يتمّ **طقس اليوم التاسع**، تقف **أمام محكمة المسيح**.

حينئذٍ يصدُر أمر الله: "**فلتمضي النفس إلى موضع الراحة**".

أمّا نفس الخاطئ، التي تدنّست بخطايا العالم بخضوعها للشياطين، فتقودها الملائكة لتقف **أمام محكمة المسيح**. وهناك تسجد الملائكة وتسجد النفس معهم أيضًا. ثمّ يصدر أمر من الله فيسوقها الملائكة لكي تعاين فردوس السعادة، ومواضع القدّيسين، وبستان النور، وملكوت السماوات وكذلك أرض الأحياء المحفوظة للذين يمارسون الفضائل. ثمّ تقول الملائكة: "الويل لكِ أيّتها النفس، يامن حُرِمتِ من هذه الخيرات بخضوعك للخطيئة!". فما أن تسمع النفس هذه الكلمات، يتلاشى رجاء حياتها، وتنوح قائلة: "الويل لي! لقد أغراني العالم بشهواته وإغراءاته! يا ويحي! فقد حُرِمتُ من هذه الخيرات! يا ويلتي! أين هي الثروات والممتلكات، والقرابة والعائلة التي راحت مثل الظلال ومثل الأحلام؟". حينئذٍ تسوق الملائكة هذه النفس فتبقى واقفة **أمام محكمة المسيح**. ثمّ يصدر أمر من الله: "**فلتمضِ هذه النفس التي لم تكُفّ عن أعمالها (الشرّيرة) إلى موضع العذاب، لتلقى ما تستحقّه أعمالها: حتّى يوم الجزاء**"[١٠٢].

فقلتُ لهما: "لماذا تُساق النفوس هكذا إلى اليمين وإلى اليسار؟".

(١٠٢) "حتّى يوم الجزاء"، أي حتّى **الدينونة الأخيرة**. بعض الوثائق تقول بأنّه في الدينونة الأخيرة سيجري التذكير بعقوبة الدينونة الخاصّة لكي يحدث الخلاص العامّ. لكن وفقًا لوثائق أخرى، العقوبة ستبقى دون تغيير، وسوف يتمّ الإعلان عنها رسميًّا وتمديدها للجسد.

أجابا: "لكي لا يقول الخطأة أنّه ليس هناك فرح للقدّيسين. لذا يتمّ فصلهم وفقًا لقول الكتاب. فيعاين الصدّيقون ويعرفون هذه العقوبات المُعدَّة للخطأة، فيُصدِّقوا أنّ الأمور التي أعلنها الأنبياء والرُسل بإرشاد الروح القدس إنّما هي عدل وحقّ".

حينئذٍ قُلت لهما: "أخبراني: بالنسبة لنفوس الوثنيّين وغير المؤمنين، الذين لم يعرفوا الله: ماذا سيحدث لها بعد انفصالها عن الأجساد وخروجها من العالم؟".

فقالا لي: "طبقًا لأمر الله، ستُرسل ملائكة ذوي سلطان ليأخذوا أنفسهم بلا رحمة. فيتركوهم في الظلمات البرّانيّة، حيث البكاء وصريف الأسنان[١٠٣]. وهنا يتحقّق قول الروح القدس على لسان النبيّ: "ليؤخذ المنافق بعيدًا لكي لا يرى جلال الربّ"[١٠٤]. وأيضًا كما تكلّم الروح القدس بشأن الصدّيقين على لسان داود النبي: "عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ"[١٠٥]. وأيضًا: "الأَبْرَارُ يَرِثُونَ الأَرض ويَسكُنونَها لِلأَبَد"[١٠٦]".

وسلّما عليّ بعد تلك الأقوال، ثمّ تركاني منطلقين إلى السماء، أمّا أنا فبعد سماعي لتلك الأمور من المَلَكَين، رفعتُ مجدًا لله من أجل عنايته الجليلة»[١٠٧].

---

(١٠٣) متّ ٢٢: ١٣.

(١٠٤) أش ٢٦: ١٠. (بحسب الترجمة السبعينيّة).

(١٠٥) مز ١١٦: ١٥.

(١٠٦) مز ٣٦: ٢٩.

(107) LANTSCHOOT, *art. cit.*, 185-187.

١٣- الأقوال الحكيمة لراهب شيخ:

إنّ العبارات القصيرة والروحانيّة البارعة، شائعة في الأدب الآبائيّ باسم الأقوال المأثورة، وقد كان لها تأثيرًا ملحوظًا في مسألة البنيان الروحي"[١٠٨]. الموضوع الذي نحن بصدد عرضه الآن هو أقوال لأحد الرهبان الذي شاخ في حياة النُسك، قصد بها توضيح أنّ المصير الأبديّ للنفوس تضمنه الأعمال أكثر من ذيوع الصيت. النصّ القبطيّ قام بنشره الباحث زويجا Zoega[١٠٩]، في حين أنّ الباحث لانسخوت[١١٠] هو الذي نشر ترجمته باللغة الفرنسيّة.

النصّ: «سأل راهب أحد الشيوخ: "**هل الاسم هو الذي يُخلّص أم العمل؟**". فأجابه الشيخ: "عرفتُ راهبًا كان يُكثر الصلاة، وذات يوم فكّر في نفسه: "أريد أن أرى نفس الصدّيق ونفس الخاطئ حين خروجها من الجسد". ولم يشأ الله أن يُغفل رغبته. فبينما كان جالسًا في قلّايته، أقبَل عليه ذئب، وأمسكه من ملابسه وراح يجذبه، فتبعه الراهب. ولما اقترب من المدينة تركه الذئب فجلس بالقرب من أحد الأديرة. وكان هناك ناسك عظيم **ذائع الصيت**، وكان مريضًا ينتظر دنو أجله. نظر الراهب فأبصر شموعًا عديدة قد أُعِدَّت، وكانت المدينة كلّها تنوح قائلة: "إنّه هو يا إلهنا، الذي

---

(108) GIAMBERARDINI G., *S. Antonio Ábate: Astro del deserto*, Cairo 1957, 112-116. يلي ذلك النصّ تعليق سيرابيون الذي يقول فيه إنّه سمع هذه القصّة من فمّ الأنبا مرقس فرفع مجدًا للمسيح الإله.

(109) ZOEGA G., *Catalogus codicum, coptorum etc.*, Romae 1810, 334 s.

(110) LANTSCHOOT (VAN) A., *Révélations ... sur le sort de l'âme après la mort*, in *Le Muséon*, 63 (1950), 160 s.

يعطينا الخبز والماء وقد نَجّت مدينتنا بفضله. فإن حدث له شيء
كلّنا سنموت معه". لكن كانت ساعته قد أتت، وإذ نَظَرَ الراهب
رأى **أمير أمنتي**[111] آتيًا وبيده **شوكة ناريّة ذات ثلاثة أسنان**، وسَمِع
صوتًا يقول: "حيث أنّ هذه النفس لم تُعطيني ساعة واحدة من
الراحة، فلذلك لن أدعها تستريح. انتزعوها من الجسد". على الفور
انغرزت الشوكة الناريّة في قلبه، فتعذّب وانتُزِعَت نفسه.

بعد ذلك، دخل الراهب إلى المدينة، فوجد هناك رجلًا غريبًا ممدّدًا على الأرض، مريضًا لا يعبأ به أحد. جلس الراهب بجواره طوّال النهار، وحين استغرق الرجل في النوم، شاهد الراهب المَلَكَين ميخائيل وجبرائيل يريدان أخذ نفسه. كان أحدهما جالس عن يمينه والآخر عن يساره، وظلّا طويلًا يتوسّلان للنفس أن تغادر الجسد لكنّها لم تكن تريد الخروج. فقال ميخائيل لجبرائيل: "هيّا، خُذ هذه النفس". قال جبرائيل: "لقد قال الله: "لا تُعذّباها كي تنتزعاها بالقوّة". ولذلك لا يمكنني أخذها بالعنف". فصرخ ميخائيل قائلًا: "ماذا تريد، يا الله، أن نفعله مع هذه النفس التي ترفض الخروج؟". حينئذٍ أتاه صوت يقول: "**سأُرسِل داود بقيثارته وكذلك جميع مرنّمي أورشليم (السمائيّة)** كيما تخرج حين تسمع ترنيمهم". فنزلوا كلّهم سريعًا وأحاطوا بالنفس

(111) «ⲡⲧⲁⲣⲧⲁⲣⲟⲩⲭⲟⲥ ⲛ̀ⲁⲙⲛ̀ⲧⲉ» هو الملاك الذي يترأس تنفيذ العقوبات. وسبق لنا تناول هذا الموضوع في الفصل الثاني، البند ١٤، في سياق **رؤيا القدّيس بولس**.

مُنشِدين لها. عندئذٍ خرجت النفس، وجلست على يدّ ميخائيل،
فحملها الاثنان بفرح".

١٤- أعمال الشهداء:

تفاخر الكنيسة القبطيّة بأنّه سفكت على أرضها دماء عشرات الآلاف من الشهداء[112]، لدرجة أنّها أدرجت تقويمًا مرتبطًا **بعصر الشهداء**، بدايته هي جلوس دقلديانوس على عرش الإمبراطوريّة حوالي عام ٢٤٨م، وأطلقت عليه تحديدًا اسم **تقويم الشهداء**[113]. وقد قام الباحث إيفرناه **Hyvernat**[114] وكذلك أيضًا الباحث بالستري **Balestri**[115]، أو الاثنين معًا[116]، بنشر جزء كبير من أعمال الشهداء، باللغة القبطيّة مع ترجمة لها.

سنشير إلى بضعة نصوص تفيد موضوعنا من هذه الأعمال، تلك التي يظهر فيها الاعتقاد في حضور الملائكة الأخيار والملائكة الأشرار حين ساعة الموت، والجزاء الفوريّ، ودخول **الفردوس الحقيقيّ**، واللقاء مع الثالوث الأقدس.

(112) GIAMBERARDINI G., *Sei stele del Convento dei Martiri a Esnâ*, in *Aegyptiaca Christiana*, n. 1, Cairo 1957, 242 s.
(113) GIAMBERARDINI G., *Il calendario Egiziano e le Feste della Vergine*, in *La Voce del Nilo*, 13 (Cairo 1954), 18-24.
(114) HYVERNAT H., *Les actes des martyrs de l'Egypte tirés des Mss. Coptes de la Bibliothque Vat. et du Musée Borgia* (Testo copto e traduzione francese), vol. 1, Paris 1886. — ID., *Acta Martyrum*, in *CSCO*. no. 86 (coptice) e 125 (latine).
(115) BALESTRI G., *Il martirio di S. Laica evangelista* (testo copto e traduzione italiana), in *Bessarione*, 9 (1905), 128-141. — ID., *Il martirio di Apa Serapione di Panefôsi* (Testo copto e traduzione italiana), in *Bessarione*, 9 (1905), 179-192. ID., *Il martirio di S. Teodoro l'orientale e dei suoi compagni Leonzio l'Arabo e Panegiris il Persiano*, in *Bessarione*, 10 (1906), 151-168.
(116) BALESTRI G.-HYVERNAT H., *Acta Martyrum* (coptice et latine), in *CSCO*. nn. 43 (coptice) e 44 (latine).

١ – القدّيس لاكارون. في الفردوس الحقيقيّ بعد الموت مباشرة:

«أرجوك يا ربّ، لا تجعل جسدي يفنى في التراب، بل احفظه سالمًا، ليتمّ الاستشهاد عليه... لا تدع، يا ربّ، أيّ زوبعة وأيّ وحش يدخل مكاني. عسى ألّا يدنو من هذا المكان، حيث يوضع جسدي، لا نجاسة الزنى، ولا روح شرّيرة».

«[الأنبا لاكارون] أكمل اعترافه الصالح يوم ١٤ من شهر بؤونه. فظهر نور عظيم في ذلك المكان. فاحت منه رائحة عطرة، بسبب جمهور الملائكة، الذين جاؤوا يطلبون نفس الأنبا لاكارون. أمّا المخلّص فنقلها معه إلى السماء، مع الملائكة القديسين، الذين كانوا يتبعونه. ثمّ استقبلته جماعة القديسين بأسرها، وعانقته، إلى أن صحبته إلى مدينة ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح».

«Domine mi, rogo te ne sinas corpus meum in terra corrumpi, sed sanum serva illud, ut aedificetur martyrium super illud... Domine mi, ne sinas procellam ullam nec feras in topos meum ingredi. Immunditia adulterii, et impurus spiritus non appropinquent ad locum, ubi corpus meum ponetur».

«[Apa Lacaron] bonam confessionem suam absolvit die 14 mensis Paôni. Facta est lux magna in loco illo. Totus locus suavem odorem effudit *ob angelorum multitudinem*, qui venerunt quaerere animam beati Apa Lacaronis. *Salvator autem animam eius ad coelos secum tulit* [117] *cum angelis suis beatis*, qui sequebantur eum. Omnium beatorum chorus obviam ivit ei, amplexatus est

(117) «πιcωτηρ Δε αϥϭι ⲛ̀τεϥψτχη ενιφηοτι νεμαϥ».

eum donec tulit eum in civitatem Domini, Dei et Salvatoris nostri Jesu Christi»[118].

٢ – القدّيس الأنبا تادرس المَشْرِقيّ:

«[يوم ١٢ طوبه] عند الفجر، جاء المسيح إلى تادرس ورئيس الملائكة ميخائيل إلى يمينه، وجبرائيل إلى يساره».

«[Die 12 Tuba], hora lucis Christus venit ad Theodorum, Archangelis Michaële ad dexteram, Gabriele ad sinistram stantibus»[119].

٣ – القدّيس أباتيل (Apatîl). ملائكة الظلام. المجد الأبديّ:

«أتوسّل إليك يا ربّ، أن تصحبني ملائكة سلامك، كي لا تظلمني قوّات الظلام، التي في الهواء، فإنّها مسرعة للشرّ، وتريد القطيعة بيني وبينك».

«Deprecor te, Domine... *Angeli, de tuis*, pacifici, comitentur me, ne vim afferant mihi tenebrarum *potestates*[120], *quae in aëre sunt*, quae ad nequitiam festinant, et cupiunt infestare *iter meum ad te*»[121].

فاستجاب الله لصلاته:

«فجاءه صوت من السماء يقول: "هلمّ الآن، يا شهيد المسيح المغبوط، أيها القديس أباتيل، واسترح مع جميع القديسين، الذين

(118) «ϣατοτολϥ εϦοτн ετπολιc ⲙ̀πενϬ̀c οнοϩ πεννοττ οτοϩ πενcωτηρ ⲓⲏⲥ ⲡ̀ⲭⲥ». BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 23.
(119) BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 45.
(120) «ΝΙΔτναμιc ⲛ̀τε ⲡ̀χακι». BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 70.
(121) «εθοτωϣ εϬιλοτω ⲙ̀πaμωιτ ⲛ̀ⲓ̀ ϩαροκ». BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 70.

ستنال معهم كلّ خير، لراحتكم إلى الأبد، بلا نهاية في السماوات».

«Vox de coelo ad eum facta est, dicens : 'Veni nunc, o beate Christi martyr, S. Apatil, requiesce cum beatis omnibus, cum quibus *aeterna bona recipies*, ad requiem vestram in saeculis, *quibus non est finis*, in coelestibus»[122].

٤ - القدّيس إيموس. الإكليل بعد الموت مباشرة:

«فاستقبل الربّ تلك النفس السعيدة، وقدّم لها رداء القديس ميخائيل رئيس الملائكة، ومضى بها إلى فوق، إلى السماء، وجعل على رأسها إكليلًا بمجد لا يوصف في ملكوته».

«Dominus beatam illius animam accepit, tradidit eam stolae beati archangeli Michaëlis; et duxit eam secum sursum ad coelos, el coronam capiti eius imposuit cum gloria ineffabili in regno suo»[123].

٥ - القدّيس تاوضروس المحارب. الجزاء بعد الموت مباشرة:

«عدد كبير من القديسين الحاضرين، شاهدوا نفس القديس تاوضروس ترتفع إلى العلا، نحو السماء، إلى مقرّ راحة الصدّيقين مع جميع القديسين... ونال إكليل لا يفسد ولا يزول في ملكوت السماوات. ونال السباق، ومكافأة الكفاح الجديرة، والمراكز السماوية، التي من فوق، وخيَم السعادة والفرح المضيء».

«Quam plurimi beatorum adstantium viderunt animam S. Theodori sursum in coelum elatam, *in locum requiei justorum cum omnibus sanctis*... (Et ipse)

(122) BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 71.
(123) BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 97.

immarcescibilem atque incorruptibilem ad ptus (est) coronam in regno coelorum. Assequutus est bravia, et electa certaminis proemia, et *mansiones coelestes, quae in excelso sunt, atque tabernacula lucida laetitiae et exultationis*»[124].

٦ - القدّيس أبانوب الراهب. ملاك النور، سلطان الظلمة، نهر النيران:

«يا ربّي يسوع المسيح، بن الله الحيّ... أرسل ملاك نورك، رئيس الملائكة ميخائيل ليقودني».

«يا ربّي يسوع المسيح، الذي قبلت من أجله كلّ هذه العذابات، من أجل هذه الساعة. لتهرب عني أبالسة الجحيم، والوجوه المختلفة التي لا أعرفها، فإنها تُقلق نفسي. وليتوقّف نهر النار، السيل الصاعد، ليتوقّف أمامي إلى أن أعبره. ولتهرب قوى الشرّ بأسرها، القوى التي تعاقب جميع الخطأة. وليتّخذ ملائكتك، ملائكة النور، ليتّخذوا نفسي... وأنهى جهاده في ٢٤ من شهر أبيب، ونال إكليلًا لا يذوي في ملكوت ربّنا يسوع المسيح».

«Domine mi, Jesu christe, Fili Dei vivi... mitte mihi *angelum tuum lucis*[125] ut stet mecum et roboret me ad superandos cruciatus... Mitte mihi Michaëlem archangelum ut ducat me»[126].

«Domine mi, Jesu Christe, pro quo omnes istos cruciatus suscepi propter hanc horam. Fugiant a me *tortores Amenti, et facies variae*, quas ego non

(124) BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 112.
(125) «ⲡⲓⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ».
(126) BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 125.

cognosco, quae perturbant animam[127]. *Flumen ignis,* fluctus elevans, quiescat coram me *donec transeam illud*[128]. Fugiant *potestates malae omnes*, quae catigant peccatores omnes. *Angeli tui lucis*[129]. *Obtineant animam meam*... Et absolvit agonem suum die 24 mensis epîp, *immarcescibilem accepit coronam in regno Domini nostri Jesu Christi*»[130].

٧- القدّيس أبولي. المَلَكان الصالحان والمجد السمائيّ:

«[وفي الأوّل من مسرى] قال له المخلّص: "تشجّع يا أنبا أبولي، أنا معك، إلى أن تتمّ استشهادك، وتأتي إليّ، لأكافئك على عذابك...". فاتّخذ ميخائيل وجبرائيل نفسه، والمخلّص احتضنها، وذهب بها إلى فوق، إلى السماء».

«[Die 1 Mesori] Salvator ait ei: 'Confortare, Apa Apoli, ego tecum sum, donec martyrium tuum absolvas, ac venias ad me ut rependam tibi pro cruciatibus tuis... *Michaël atque Gabriel acceperunt animam eius, et Salvator amplexatus est eam, sursum ad coelos in gloria tulit eam*'»[131].

٨- القدّيس جرجس. فردوس الثالوث الأقدس:

«[وفي ٢٣ من برمهات] ظهر له ربّنا يسوع المسيح يقول: "تعال الآن إلى فوق، إلى السماء، واسترح في مسكنك، الذي أعددته لك

(127) «Ⲡⲓⲇⲓⲙⲱⲣⲓⲥⲧⲏⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲁⲙⲉⲛϯ ⲛⲉⲙ ⲛⲓϩⲟ ⲉⲧϣⲉⲃⲓⲏⲟⲩⲧ ⲉⲧⲥⲱⲟⲩⲛ ⲙ̀ⲙⲱⲟⲩ ⲁⲛ ⲛⲁⲓ ⲉⲧϣⲑⲟⲣⲧⲉⲣ ⲛ̀ϯⲯⲩⲭⲏ».

(128) «ⲙⲁⲣⲉ ⲡⲓⲁⲣⲟ ⲛ̀ⲭⲣⲱⲙ ⲉⲧϩⲓϫⲟⲗ ϩⲉⲣⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲙ̀ⲑⲟ ϣⲁϯⲉⲣϫⲓⲛⲓⲟⲣ ⲙ̀ⲙⲟϥ».

(129) «ⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲛⲟⲩⲱⲓⲛⲓ».

(130) BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 147.

(131) BALESTRI-HYVERNAT, *op. cit.*, 151.

وحدك، ورنّم في ملكوت أبي الذي في السماوات...". واتّخذ يسوع المسيح نفسه القديسة، واحتضنها».

«[Die 23 Pharmuthi] apparuit et Dominus Noter Jesus Christus dicens: 'Veni jam nunc sursum ad coelum et requiescas tibi in habitaculo, quod paravi tibi in *regno Patris mei* qui est in Coelis... Christus Jesus accepit beatam eius animam, amplexatus est eam, *tulit eam secum sursum ad coelos, et dedit eam donum Patri suo bono, et Spiritui Sancto*'»[132].

٩- القدّيس أوسابيوس. إنقاذ نفسٍ من العقاب:

«توسّل القدّيس أوسابيوس بحرارة إلى الله من أجل هذه الغاية. فأرسل الله الرحوم ملاكه كي يُعلن لسلطان الظلمة في وسط لهيب العذاب: "هذه النفس لن تتسلّمها، فقد جعل الله خادمه الأمين أوسابيوس شفيعًا لها"»[١٣٣].

(132) HYVERNAT H., *Acta Martyrum*, in *CSCO*. 125, 201 s.

(133) «Cette âme ne vous a pas été livrée, Dieu en a fait présent Eusèbe son honnête serviteur». AMÉLINEAU E., *Contes el Romans de l'Egypte Chrétienne*, vol. 1, Paris 1888, 64.

الفصل الرابع

الكتابات اليدويّة

لا يمكن إغفال المساهمة التي يمكن أن تقدّمها الكتابات الجنائزيّة إلى المعتقد الخاصّ بمصير الموتى. فكافّة هذه الكتابات تنقل إلينا صيغًا واضحة تعبّر عن اعتقاد الناس في وقت معيّن. وقد كان لفن الكتابة المصريّة المسيحيّة شهرته، خاصّة من القرن الرابع إلى القرن التاسع، ووفقًا للعيّنات الموجودة، أفضل المدارس التي تميّزت هي مدارس الفيّوم وأخميم وأرمنت وإسنا والنوبة(١).

في معظم الحالات، نجد صيغًا قصيرة تعبّر عن الرغبة في الراحة والسلام للمتوفّى. والصياغة التي تُعبّر عن هذه الرغبة تقتصر على جمل تُخاطب الأحياء العابرين، أو طلبات متتالية موجّهة إلى سكّان السماء، لكي يصلّي كلاهما بحسب حالته وبقدر إمكانه من أجل راحة نفوس الموتى لكي تنال هذه النفوس السعادة الأبديّة.

إنّ الصيغة الثنائيّة التي تشتمل على دعوة الأحياء على الأرض والطلبات الموجّهة إلى سكّان السماء، كانت مألوفة لدى المصريّ القديم، فالمجموعة الأولى تحدّث عنها

---

(1) LEFEBVRE G., *Recueil des Inscriptions Grecques-Chrétiennes d'Egypte*, Le Caire 1907, XXIV-XXVIIL — MALLON A., *Copte* (*Epigraphie*), in *DACL*., VOl. 3, 2830-2841. — MONNERET DE VILLARD U., *Le iscrizioni del cimitero di Sakinya* (*Nubia*), Cairo 1933.
— TOGO MINA, *Inscriptions coptes et grecques de Nubie*, Le Caire 1942.
— CRAMER M., *Koptische Inschrjften in Keiser-Friedrieh-Museum zu Berlin*, Le Caire 1949. — GIAMBERARDINI G., *Sei stele del Convento dei Martiri a Esnâ*, in *Aegyptiaca Christiana*, n. 1, Cairo 1957, 241-249.

الباحث جارنوه Garnot[٢] في أحد كتبه ضمن سياق الحديث عن الأسرات من الرابعة إلى السادسة:

«إنّ كلّ مَنْ يصِل إلى هنا سيكون خليلًا لأنوبيس إذا ما تضرّع من أجلي، وستُردّ إليه المعاملة بالمثل. وعلى النقيض من ذلك، كلّ مَنْ يصِل إلى هنا، ليرتكب بعض الشرّ، ليرتكب بعض الخُبث في هذا الموضِع، ليمحو الكتابات التي هنا: فليعلم بأنّني سأُحاكم معه على ما يفعله أمام الديّان العظيم، ربّ المحاكمة، في الموضع الذي سيدين فيه.. أنا، المُخلِص للإله رع، المؤمن بالإله العظيم، من بين الذين يُحبّون الخير ويرتعِدون من الشرّ. فإرادة الإله هي فعل كلّ ما هو حقّ»[٣].

«أيّها الأحياء الذين لا تزالون على الأرض، يا مَنْ تعبّرون عند هذه المقبرة، قدّموا من أجلي سكيبًا، لأنّني كنت كاتمًا للأسرار. قدّموا تقدمة ممّا لكم من أجلي، لأنّني كنتُ صديقًا للناس. إنّني لم أُعاقب أبدًا أمام حاكم، ولم آخذ أبدًا ما لغيري بالقوّة، حيث أنّني كنتُ أُرضي الجميع»[٤].

«أيّها الأحياء الذين لا تزالون على الأرض، يا مَنْ تعبرون عند هذه المقبرة، أترغبون في نوال حظوة لدى رع فيضعكم في صفوف المؤمنين بالإله العظيم؟ عليكم إذن أن تُعطوا: ألف رغيف من الخبز، وألف كوب من الجِعة إلى "نخبو" الأمين، واحذروا أن تُحطّموا

(2) GARNOT J. S. F., *L'appel aux vivants*, Le Caire 1938.
(3) GARNOT, *op. cit.*, 13.
(4) GARNOT, *op. cit.*, 25.

شيئًا في هذه المقبرة، حيث أنّني روح مُسلَّح. فليعلّم من يجرؤ على تحطيم شيء في هذه المقبرة، أنّني سأُحاكم معه أمام الإله العظيم. أنا هو الذي قُلت ما هو طيّب، وكرّرت ما هو طيّب، ولم أنطِق بسوء البتّة شيئًا عن أيّ إنسان»[٥].

كذلك أيضًا هناك الكثير من أشكال الطِلبات في العقيدة المصريّة القديمة، وسنشير إلى نصّ من **كتاب الموتى**، ف ١٤١-١٤٢[٦]. في بداية النصّ رسم لهيئة المتوفّى، يليه مقدّمة للتعريف بالمضمون والغاية من النصّ وبعد ذلك النصّ. المتوفّى يُصلّي أمام مذبح التقدمات ويدعو أوزيريس. **المقدّمة تنُصّ**: «يتلو الشخص هذا الفصل من أجل أبيه وأمّه في أعياد أمنتي (العالم الآخر). فبهذا يمكنه أن يكون مقبولًا بكمال لدى رع ولدى الآلهة، وبه سيكون معهم. ويجب أن يُتلى في اليوم التاسع من العيد». ثمّ يلي ذلك **النصّ** الذي يتكوّن من ١٢٤ دعاءً:

«١. إلى أوزيريس حاكم أمنتي[٧].

٢. إلى رع حور أختي (رع حارما خيس).

٣. إلى نو (أبي الإلهة).

٤. إلى ماعتّ.

٥. إلى زورق رع.

٦. إلى آتوم.

٧. إلى جماعة الآلهة الكبرى.

(5) GARNOT, *op. cit.*, 51.

(٦) برديّة نو، المتحف البريطانيّ، N. 10.477, f. 15 ، وقد استخدم المؤلف كمرجع:
BUDGE E. A. W., *The Book of the dead* (recensione tebana), London 1953, 428 ss.

(٧) هناك إضافة في المرجع الصاوي (صاو): «سيّد مقاطعات أبيدوس الأربعة».

٨. إلى جماعة الآلهة الصغرى.

٩. إلى حورس[8]، سيّد تاج أوريت (الأبيض).

١٠. إلى شو[9].

١١. إلى تفنوت.

١٢. إلى جِب.

١٣. إلى نوت[10].

١٤. إلى إيزيس[11].

١٥. إلى نفتيس.

١٦. إلى زمن كاس نبت- إر- تشر.

١٧. إلى الذي يحتدم في السماء الذي رفع الإله.

١٨. إلى أوخرت الساكن في موضعه.

١٩. إلى مدينة محت-خبيتت، صاحو الإله.

٢٠. إلى الإلهة المحبوبة جدًّا، ذات الشعر الأحمر.

٢١. إلى الإلهة مالِكة الحياة، ذات الشعر المُنسدِل.

٢٢. إلى الإلهة ذات الاسم القدير في أعماله.

٢٣. إلى الثور، ذَكَرة البقرة الإلهة.

٢٤. إلى السلطان الطيّب الذي يقود الدفّة الطيّبة التي للسماء الشماليّة.

---

[8] حورس: ابن أوزيريس وإيزيس.

[9] شو: إله الهواء، أو الإله الهواء.

[10] نوت: إلهة السماء، أو الإلهة السماء.

[11] إيزيس: زوجة أوزيريس وأُمّ حورس.

٢٥. إلى الطوّاف، الذي يقود الأرضين، إلى الدفة الطيّبة للسماء الغربيّة.

٢٦. إلى إله النور، الساكن في معبد الكائنات الأشمو[12]، الدفة الطيّبة للسماء الشرقيّة.

٢٧. إلى الساكن في معبد الحُمر، الدفة الطيّبة للسماء الجنوبيّة.

٢٨. إلى إمستي. ٢٩. إلى حابي. ٣٠. إلى داومو تف. ٣١. إلى قبح سنوف[13].

٣٢. إلى معبد الجنوب. ٣٣. إلى معبد الشمال. ٣٤. إلى زورق سِكتِ (الليل).

٣٥. إلى زورق أتِت (النهار). ٣٦. إلى تحوت[14]. ٣٧. إلى آلهة الجنوب.

٣٨. إلى آلهة الشمال. ٣٩. إلى آلهة الغرب. ٤٠. إلى آلهة الشرق. إلخ[15].

انتقلت هذه العادة إلى شواهد القبور القبطيّة، حيث يتمثّل المتوفَّى في جميعها تقريبًا بهيئة المُبتهِل[16]، كما هو الحال في الآثار المصريّة القديمة. هذه الشواهد الحجريّة

---

[12] أشمو (*Ashemu*) : الآلهة ذات الأشكال الماديّة.

[13] أبناء حورس هم إمستي، حابي، داومو تف، قبح سنوف. وفي المرجع الصاوي ورد ذكر "أبناء حورس الأربعة" معًا في دعاء واحد.

[14] تحوت: كاتِب الآلهة. وقد ورد في المرجع الصاوي: «تحوت، ثور ماعت؛ تحوت القاضي المرافق للآلهة؛ تحوت الذي يقود الآلهة».

[15] المرجع: BUDGE, *op. cit.*, 428-431، يلي ذلك ٨٤ دعاءً آخر موجّه إلى الآلهة فرادى أو ذوي السلطان الذين قد يساعدوا النفس في الصعوبات التي تواجهها في رحلة ما وراء القبر.

التي توضع على القبور، والتي يكون فيها فجوات أحيانًا، تشير إلى فكرة تقدمة الزيت والبخور. كما تتضمّن نقوشها ملامح واضحة للغاية تبيّن الاقتباس ممّا يماثلها لدى المصريّ القديم، مثلما يُلاحظ في الإضافات الزخرفيّة مثل مشاهد الزهور، والسُّلّم الصاعِد إلى الفردوس، والطاووس الذي يروي عطشه، والحمامة التي تحمل غصن الزيتون، والنِسر المُنتصِر. وجميعها مشاهد تُعبِّر عن فكرة الراحة والسلام، القيامة والانتصار في السماء. المفهوم الجديد عن العالم الآخر، الذي أتت به المسيحيّة، فتح آفاقًا أكثر اتّساعًا وضَمَنَ الغاية السعيدة، الغاية الحقيقيّة:

ЄN ϨIPHNH TOY ANAΠAYCAMЄNOY ЄN KYPIW.

فلضمان الحصول على السلام وراحة الرقاد في الربّ، يدعو الناس الإله الحقّ، الآب والابن والروح القدس؛ والقدّيسين، والأحياء. والنصوص المكتوبة على شواهد القبور المسيحيّة تُعبِّر بوضوح شديد عن هذه المفاهيم.

كما أنّ القيمة اللاهوتيّة للكتابات لابُد من أنّها مأخوذة من المجموع ككلّ. حيث أنها تدعو لمعاونة المتوفَّى لكي يجد في شخص الملاك **مرشِدًا طيبًا،** لكي يتقدّم مطمئنًا **في رحلته الصعبة،** لكي **ينال المغفرة** ويجد رأفة **في الدينونة الإلهيّة،** ولكي يستريح في **حضن إبراهيم، في سلام الله، في كورة الأحياء،** تحت **شجرة الحياة،** في الملكوت **الأبديّ، في فردوس الآب، برفقة الأبرار والقدّيسين.** هذه التعبيرات، المقتبسة من الكتاب المقدّس في الوقت نفسه، تشهد بالإيمان، وتتكامل معًا في إشارة إلى عقيدة صحيحة عن الأخرويّات. النفس تمضي على الفور إلى الدينونة الإلهيّة، ويمكن

(16) GIAMBERARDINI G., *La preghiera nella Chiesaa Copta*, in *Collectanea 8*, Cairo 1963, 57-77.

الصلاة من أجل راحتها في كلّ وقت. إلّا إنّها في اللحظة الأولى نفسها، تكون في المكان المُعَدّ لها، قد تدخل الفردوس الحقيقيّ، الفردوس الأبديّ، ملكوت الثالوث الأقدس.

١- الطِلبات:

توجّه الطلبات إلى الثالوث الأقدس، مريم العذراء، الملائكة والقدّيسين. الدعاءات يمكن أن تكون من أجل أكثر من متوفًّى واحد، فقد تكون من أجل اثنين، ولكن في غالبيّة الأحيان من أجل واحد فقط. غاية تلك الدعاءات هي استمداد المعونة من أجل راحة نفوس الراقدين، وسنشير إلى ثلاثة أمثلة.

١) شاهد قبر من الحجر الجيريّ موجود في متحف برلين، مأخوذ من مكان مجهول في مصر:

«أيّها الآب، والابن، والروح القدس. يا أبانا ميخائيل. يا أبانا جبرائيل. يا أُمّنا مريم. يا أبانا آدم. يا أُمّنا حواء (زوي). يا آبائنا البطاركة. يا آبائنا الأنبياء. يا آبائنا الرسل. يا آبائنا الشهداء. آبا فيكتور. آبا جورجيوس. آبا فيبامون. آبا مينا:

اذكروا أبانا آبا أنوب الشطانوفي[17] المتوفَّى في ٤ برموده[18]».

٢) شاهد قبر مأخوذ من بويط أو أبيدوس في صعيد مصر، وهو لأكثر من متوفًّى.

(١٧) شطانوف، ϢЄTNOYϤЄ، تتبع محافظة المنوفيّة الواقعة في الدلتا. المرجع الذي استند المؤلف إليه:
AMÉLINEAU E., *La géographie de l'Egypte à l'époque copte*, Paris 1893, 424..

(18) CRAMER M., *op. cit.*, 25. CRAMER M., *op. cit.*, 25

«أيها الرسل. المُدبِّرين[19]. آبائنا الشهداء. آبا فيكتور. آبا فيبامون. آبا مينا. آبا جورجيوس. آبا كيرياكوس. آبا فيلوثاؤس. آبا سرجيوس وإخوته. آبا ميلتونس وأخوته من تيروتنشونس[20]. آبا آبائنا، الرجال العظماء. آبا أبولونيوس. آبا آنوب. آبا فيس. آبا باترموت. آبا أبيرو. آبا مون. آبا ودامون. آبا مكاريوس وأبنائه. آبا موسى وإخوته. آبا أرميا. آبا أخنوخ. ياجميع القدّيسين:

اذكروا أبانا الحبيب يوسف بطشوش من تيروتنشونس الذي استراح في ٢١ مسرى، بسلام آمين: دعاء... يا إلهنا الصالح، اذكر أبي يوسف، وابنه؛ أبي آبا أبولونيوس، وأخي إسحق، وجميع أبنائه؛ وأخي الراهب فيكتور، وأخي يوحنّا، وأبي آبا فيبامون[21]، آبا كير. أذكر آبا **فيكتور وآبا دور: ⲁⲱⲣⲉ**»[22].

٣) نصّ مكتوب على شاهد نشره الباحث بينيني[23].

قد يكون الباحث قد تسرّع في اعتبارها «شهادة قيّمة لا يمكن تكذيبها»[24] بشأن المَطهَر. مع ذلك، الجدير بالاعتبار فيما كتبه هو ما يتعلّق بشأن القدّيسين الذين يكثر تكرار طلب شفاعتهم[25].

(19) المقصود بالمدبّرين: الذين يدبّرون شئون الكنيسة، راجع: GIAMBERARDINI G., *Preghiera*, 67.

(20) تيروتنشونس، ⲧⲉⲣⲱⲧ ⲛ̀ϣⲟⲟⲛⲥ، هي حاليًا ديروط الشريف التابعة لمركز ديروط بمحافظة أسيوط.

(21) «ⲡⲁⲓⲱⲧ ⲡⲁⲡⲁ ⲫⲏⲃⲁⲙⲱⲛ».

(22) HALL H. R., *Coptic and Greek Texts of tbe Christian period from ostraca, stelae, etc., in British Museum*, London 1905, 143 s. — MALLON, *art. cit.*, 2862 s.

(23) BENIGNI, *Litaniae*, 110.

(24) BENIGNI, *Litaniae*, 117.

(25) BENIGNI, *Litaniae*, 116-119.

«أيها الآب. الابن. الروح القدس. آبا أرميا. آبا أخنوخ. أمّا[26] سيبيللا[27]. يا قدّيسة مريم. يا جميع القدّيسين، كلّ واحد باسمه[28]. **اذكروا أخانا جرجس**»[29].

٢- حماية الملائكة:

من سياق الفصول السابقة تتّضح مدى حيويّة الإيمان بتَدَخُّل الملائكة في أحداث الإنسان الأخيرة. وهذا الموضوع موجود أيضًا في الفنّ الجنائزيّ، فهو يُكثر من تصوير ميخائيل وجبرائيل، باعتبارهما ذوي سلطان قدير على قهر الأرواح الشرّيرة وقيادة النفس إلى حضرة الله.

١) تصوير المَلَكَيْن على شاهد القبر:

تكلّمنا فيما سبق عن هذا الأمر[30]. شاهد القبر هذا هو شاهد من الحجر قياسه ٣١× ٣٣ سم، تمّ اكتشافه في هويس اللاهون، بالفيّوم ونُقِل إلى المتحف القبطيّ بالقاهرة. الشاهد الحجريّ عليه رسم **مَلَكَين مجنَّحين** يجاوران المتوفَّى.

وفقًا لما أبرزه بينيني، دائمًا ما يُذكَر القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة لأنّه هو "الذي يقود إلى المحاكمة الإلهيّة"؛ والأمّ سيبيللا لأنّها هي "التي تنبّأت بيوم نهاية العالم"؛ والقدّيس جاورجيوس لأنّه "بطل قصة التنّين". باختصار، القدّيسون الذين يتكرّر ذكر أسمائهم في الدعاء هم الذين لهم صِلة بتاريخ الخطيئة والموت.

(26) **أمّا أو الأمّ:** ⲁⲙⲁ وⲁⲙⲙⲁ، مثل كلمة ⲙⲁⲩ (الأمّ)، هو لقب شرقيّ وللتبجيل يُطلق على رئيسة الدير، وكثيرًا ما يُطلق على الراهبات عمومًا. المرجع: LECLERQ H., *Ama* (nelle iscrizioni copte, greche e latine), *DACL.*, 1306-1323.

(27) بشأن شخصية سيبيللا راجع الفصل الأوّل، الفقرة ٩: **الدينونة الإلهيّة**.

(28) «ⲛⲉⲧⲟⲩⲁⲃ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲕⲁⲧⲁ ⲛⲉϥⲣⲁⲛ».

(29) BENIGNI, *Litaniae*, 110.

(30) راجع: GIAMBERARDINI G., *Preghiera*, 66 s.

التقليد المصريّ القديم تنتشر فيه تصويرات ليست ببعيدة الشبه كثيرًا عن هذا، حسبما يمكن ملاحظته في المتحف المصريّ بالقاهرة، في القاعة ٤٣، خزانة العرض الزجاجيّة ٢، حيث نجد رسمًا لثلاثة من الجانّ المجنّحين يحرسون إمرأة متوفيّة(٣١).

في حالتنا هذه النقوش تتيح التعرُّف على هوية المتوفَّى، فاسمه إيليّا، ووظيفته مُدبّر الكنيسة(٣٢). ودعاء يطلب شفاعة العذراء من أجله.

«يا ربّ، ارحم إيليّا، المُدبّر. بشفاعة سيّدتنا، أمّ الله، قد تمّ هذا العمل راحة لنفس خادمه ومدبِّره»(٣٣).

٢) القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة في مقابر البجوات:

هذه المقابر تقع في واحة الخارجة، وقد كانت أصلًا جبّانة للمصريّين القدماء ثمّ اتّخذها المسيحيّون في القرون الأولى لانتشار المسيحيّة في مصر. كما أنّ أقدم الوثائق الخطّيّة القديمة التي توثّق الوجود المسيحيّ في الواحات يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثالث(٣٤). وقد قام الباحث فخري(٣٥) بدراسة هذا المُجمّع الأثريّ، وذكر في دراسته أنّ أقدم اللوحات الجداريّة التي تصوّر موضوعات أخرويّة من الكتاب المقدّس لا يتجاوز تاريخها القرن الرابع. من بين الرسومات يبدو القدّيس ميخائيل

(٣١) هذه المجموعة نشرها الباحث ميلن: MILNE J. G., *Greek Inscriptions*, in *Catalogue Général des Antiquités Egyptiennes du Musée du Caire*, Oxford 1905, 58, n. 9303.

(٣٢) فيما يتعلّق بمُدبِّر الكنيسة، راجع: GIAMBERARDINI, *Preghiera*, 67.

(33) GIAMBERARDINI, *Preghiera*, 67.

(34) WESSELY C., *Les plus anciens monuments du Christianisme*, in *PO*. 4, 100-209.

(35) FAKHRY A., *The Necropolis al-Bagawât in Kharga Oasis*, Cairo 1951.

رئيس الملائكة، وقد تكلّم عنها دبلر Dubler(٣٦) في كتاب نشره عام ١٩٦٣. الرسم يصوّر القدّيس وبيده **ميزان العدالة كي يقوم بوزن الأعمال الحسنة والأعمال السيّئة** التي قام بها البشر في محفل الدينونة الإلهيّة: على غِرار أنوبيس في الرسومات الجنائزيّة المصريّة القديمة. كما أنّ الدافع العتيق للغاية في اختيار مثل هذا المكان الصحراويّ البعيد عن وادي النيل(٣٧) موقعًا للمدافن، لا يزال سائدًا حتّى أيامنا هذه. **ميخائيل هو الملاك ذو السلطان القدير للغاية الذي يُشيع الأمل «يوم الدينونة الرهيبة»**، ونصوص المخطوطات، خاصّة الليتورجيّة تبيّن هذا المعتقد الواثِق بمنتهى الوضوح:

٣) القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة في حارة زويلة:

إنّها أيقونة مُعبّرة للغاية، وفي أعلاها على جانبيّ كلّا الجناحين، على يمين ويسار رأس الملاك، عبارة:

«ⲟ ⲁ[ⲣⲭⲏ] ⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲙⲓⲭⲁⲏⲗ ⲟ»، «يا رئيس الملائكة ميخائيل».

صدر الأيقونة بكامله يحتلّه الملاك في وضع ينمّ عن سُلطانه بجناحيه المبسوطَين. وبيده اليمني السيف ذي الحدّين واليدّ اليسرى تمسك بمِعْلَق الميزان. تحت قدميه ترقد امرأة تحتضِرَ، وتبدو ثيابها كالأكفان، بينما تخرج نفسها من فمِها بهيئة طفلة

(36) DUBLER C. E., *Altägyptische Miszellen in Islam*, in *Asiatische Studien*, 16 (1963), 106 ss.

(٣٧) واحة الخارجة كانت منذ القِدَم وظلّت حتّى وقت قريب مُعتَبَرة كمنفى، وقد أُبعِد نسطور إليها. يسكنها حاليًا المسلمون وحدهم، لكنّ الكثير منهم يوجد اسم مسيحي في الجيل الثالث أو الرابع من سلالة أنسابهم. مثل أحد العاملين لدينا: سليمان إبراهيم محمد ميخائيل. بالتالي، لم يتحوّل آخِر المسيحيّين هناك إلى الإسلام إلّا منذ زمن قريب، وبلا شك كان السبب نقصان الخدمة الدينيّة.

صغيرة. مهمّة الملاك هي استقبال النفس وحمايتها والسهر عليها ومرافقتها إلى حضرة الله. الأيقونة مصنوعة من الخشب وقياسها ٤١ × ٧١ سم، وهي موجودة في كنيسة العذراء بحارة زويلة التي يخدمها الأقباط الأرثوذكس، وليس عليها تاريخ[٣٨].

٣- الإبحار فيما وراء القبر:

هناك لوح يشبه ما يوضع فوق المذبح، مصنوع من الرخام الأبيض، محفوظ في متحف القاهرة عليه كتابة طويلة منقوشة باللغة القبطيّة. قام بنشر المعلومات عنه الباحث كروم Crum[٣٩]، وعليه التاريخ ٥٠٢ للشهداء، ٧٨٦ ميلاديّة. الكتابة هي عبارة عن رثاء لوفاة المدعو قُزما، الذي كان يشغل وظيفة المُحَصِّل. طريقة وصف رحلة نفسه، **كإبحارٍ عسير وطويل**، تحمِل الذهن إلى التفكير مباشرة في مركِب الشمس الموجودة في الأخرويّات المصريّة القديمة.

«آهٍ، يا له من فِراق! كم أنتِ طويلة أيّتها الرحلة إلى الخارج![٤٠]
أيّها الإبحار العسير فيه بلوغ الميناء! البحر هائل الاتّساع، وأمواجه وحشيّة، أمّا زورقي فصغير جدًّا: أعني شباب جسدي وصِغَرِ سنّي!

---

[٣٨] في الكنيسة نفسها هناك أيقونة أخرى للقدّيس ميخائيل، قريبة الشبه بالأولى لكنّها أحدث منها عليها التاريخ ١١٧٢ ش، الذي يقابله ١٤٥٦ ميلاديّة.

[٣٩] CRUM W. E., *Coptic Monuments* (Catalogue général des antiquités égyptiennes du Musée du Caire), Cairo 1901, tav. LV, 8706. راجع أيضًا: MALLON, *op. cit.*, 2867-2869.

[٤٠] النصّ: «ⲱ ϭⲓⲛⲃⲱⲕ ⲉⲛϣⲉⲙⲙⲟ».

ألا مِنْ نبيّ قدّيس ينظُمُ مرثاةً، فيساندني في هذه المهمّة! أليس هناك من يعرف أن يبكي مع الباكين[٤١]، فلينضمّ إلينا! إن كان هناك من يشعر بالفِراق، فليقترب منّا!
مَن يصُبُّ ماء على رأسي، وفيضًا من الدموع في عيناي[٤٢]، كي أنوح على جُرح قلبي من جرّاء فقدانِكَ يا **قُزما المُحَصِّل**[٤٣]، الطيب، المعسول الكلام، الراقد في هذا القبر! أنت، أيّها الحكيم، ذي النسل المعروف، يا من كنت مزدهرًا كالزهرة، التي يفوح عبيرها في البيت الذي كان يتهلّل بحُسنِ خِصالِك!
سريعًا ما أصابته الضربة فجأة بأمرِ الله! وبرحمة الله رحل دون عناء. حياته القصيرة ذبلت فجأة، كالعشب الذي ييبس وتسقط زهرته![٤٤]. فترك ألمًا عظيمًا لإخوته. **قد مضى إلى قدميّ الله، بوسم الإيمان المسيحيّ**[٤٥].
يا كلّ مَنْ يَمُرّ بجوار قبره، صلّي من أجله، لعلّه ينال رحمة المسيح[٤٦]».

---

[٤١] راجع: رو ١٢: ١٥.

[٤٢] راجع أر ٩: ١.

[٤٣] «ⲕⲟⲥⲙⲁ ⲛ̀ⲍⲧⲥⲟⲥ». قد تتداخل هذه الوظيفة ضمن وظيفة المُدبِّر، تلك الوظيفة الهامّة في القرون الأولى للكنيسة، راجع: GIAMBERARDINI, *Preghiera*, 67. كما نستخلص من النصّ أيضًا أنّ عُمر المتوفّى ليس صغيرًا كما تفترض العبارات الأولى.

[٤٤] راجع: ١بط ١: ٢٤.

[٤٥] النصّ: «ⲁϥⲃⲱⲕ ⲉⲣⲁⲧϥ ⲉ̀ⲛⲛⲟⲩⲧⲉ ϩⲛ̀ ⲧⲉⲥⲫⲣⲁⲅⲓⲥ ⲛⲧⲙⲛⲧⲭⲣⲓⲥⲧⲓⲁⲛⲟⲥ».

[٤٦] النصّ: «ⲉⲧⲣⲉϥⲙⲁⲧⲉ ⲙ̀ⲡⲛⲁ ⲙ̀ⲡⲉⲭ̅ⲥ̅».

رَقَد اليوم، ٧ فامنوث[47]، البرج التاسع، ٥٠٢ من عصر دقلديانوس» (٧٨٢ م).

٤ – الدينونة الإلهيّة:

أوّل مرفأ للإبحار الغامض هو محكمة الله. هناك يكون الميزان بين الفضائل والرذائل. النفسُ قَلِقَة وتطلب مساعدة الطيّبين إمّا مباشرة أو بواسطة أهلها. تأمَل في مغفرة الخطايا والرأفة في الدينونة.

١) الكتابة على قبر كاللينكوس:

«أيّها الآب والابن والروح القدس. ياقدّيسة مريم. أيا رئيسيّ الملائكة ميخائيل وجبرائيل. آبا أرميا. آبا أخنوخ. آبا نيسنو(ⲚⲈⲤⲚⲎⲨ). أمّا سيبيللا. يا جميع القدّيسين الذين فعلوا مشيئة الله: **تضرّعوا** إلى الربّ من أجل نفس أخينا المنتقل كاللينكوس، الكاتِب، كي يلقى رحمة غزيرة في **المواضع الموجود فيها**[48]، على غِرار نفس اللصّ اليمين ونفس لعازر. رَقَدَ في ١٩ أبيب[49]، البرج ١٤، فى العام ٤٧٣ من عصر دقلديانوس» (٧٥٧م)[50].

(٤٧) فامنوث Φαμενώθ، هو الاسم اليونانيّ للشهر القبطيّ برمهات (المُحرِّر).

(٤٨) النصّ: «ϩⲛ ⲛⲉⲙ ⲧⲟⲡⲟⲥ ⲉϥⲛ̀ϩⲏⲧⲟⲩ» المواضع: حيث يكون الرجاء والصفح ودخول الفردوس.

(٤٩) الكتابة غير واضحة، لكن قد تكون ٢٩ أيضًا.

(٥٠) MALLON, *art. cit., 2845*. التاريخ غير مؤكّد بالتحديد، لكن يتراوح بين ٤٧١ و ٤٧٩ للشهداء، أي ٧٥٥-٧٦٣ م.

٢) الكتابة على قبر أخنوخ:

«يا إله الأرواح وربّ جميع الأجساد، الرؤوف الرحيم، الطويل الأناة والعظيم الصلاح، لتكن رحمتك عظيمة[51] لنفس طيّب الذِكر أخنوخ، الكاتِب، ابن طيّب الذِكر فينامون، الكاتب، الذي رقد في هذا اليوم... [52]٢٣ أبيب، البرج ..، عام ١٧١ (هجريّ)، العام ٥ لدقلديانوس ... **ليرحمه الربّ ويمنحه الراحة. فليذكره كلّ مَنْ يقرأ** هذه الكتابة (ⲚⲒⲤϨⲀⲒ)، **لكي يذكره الله أيضًا في دينونته الرهيبة.** إلى الأبد. آمين. آمين. الألِف والياء: يسوع المسيح. أخنوخ ابن نيشترو»[53].

٣) الكتابة على قبر جرجس ومريم:

«... امنح الراحة يا إلهنا، لنفسيهما (جرجس ومريم) في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب. عاملهما برحمتك، **لأنّهما مرتبكان أمام دينونتك الرهيبة**[54]. **ولتُدخِلهما ملكوتك السمائيّ، مع قدّيسيك.** آمين يكون. آمين يكون»[55].

(٥١) النصّ: «ⲁⲣⲓⲟⲩⲛⲟϭ ⲉⲛⲛⲁ ⲙⲉⲛ ⲧⲉ ⲯⲩⲭⲏ ⲙ̀ⲡⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲥ ⲉⲛⲱⲭ».

(٥٢) هناك علامتين لا يمكن التعرّف عليهما.

(٥٣) راجع: MALLON, *art. cit.*, 2846.

(٥٤) النصّ: «ⲛⲩⲣⲟⲩⲛⲁ ⲛⲙⲉⲩ ⲁⲩϭⲟϯⲛ̀ⲧⲁⲗⲉⲃⲱⲣⲟⲥ ϩⲙ̀ ⲡⲉⲕ ⲉⲏⲙⲁ ⲉⲧϩⲁϩⲟⲧⲉ».

(55) TOGO MINA, *op. cit.*, n. 90.

٥- في حضن إبراهيم:

الراحة في حضن إبراهيم أو في أحضان الآباء الثلاثة الكبار إبراهيم وإسحق ويعقوب، هو تعبير مألوف للغاية في الكتابات القبطية مأخوذ من الكتاب المقدّس. إنّها عبارة تُعبّر عن مفهومٍ عامٍّ، ألّا وهو الوجود ضمن عائلة الله. وسياق هذا المفهوم يتضمّن بالتحديد مغفرة الخطايا، والانضمام إلى شجرة الحياة وسلام الله ودخول الملكوت الأبديّ.

١) قيمة الصلاة من أجل راحة النفوس:

«... عام ٤٧١ من عصر دقلديانوس (٧٥٥م). ليتغمّد الله برحمته نفسَه ويضعها في **أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب** في يوم دينونته الحقّة[٥٦]. آمين يكون. آمين يكون. فليُصلِّ من أجلها كلّ مَنْ يقرأ هذه السطور»[٥٧].

٢) في مغفرة الخطايا:

«**إيلين**... ليجعل الله نفسها تستريح بسلام، **ويغفر لها خطاياها**[٥٨]، ويجعلها في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب»[٥٩].

٣) في ظلّ شجرة الحياة:

«**بتروسنتا**... نفس تعيسة، مسكينة وخاطئة بَلَغَت السماء! ليتغمّدها الله برحمته **في ملكوت السماوات**، في أحضان إبراهيم

(56) «ϥⲛⲟϫⲥ ϩⲛ ⲕⲟⲩⲛϥ ⲛ̀ⲁⲃⲣⲁϩⲁⲙ ⲙⲛ̀ ⲓⲥⲁⲕ ⲙⲛ̀ ⲓⲁⲕⲱⲃ ⲑ ϩⲛ ⲡⲉϩⲟⲟⲩ ⲛ̄ⲡϩⲁⲡ ⲙ̀ⲙⲉ».

(57) TOGO MINA, *op. cit.*, n. 80.

(58) «ϥⲭⲱ ⲉⲃⲟⲗ ⲛⲛⲉⲥⲛⲟⲃⲉ».

(59) TOGO MINA, *op. cit.*, n. 313;n. 314.

وإسحق ويعقوب، أولئك **المستحِقّين لشجرة الحياة**[٦٠]. فقد جعلهم (الله) كلّهم قدّيسين»[٦١].

٤) في ملكوت الله:

«**سوسَنة**... امنحها يا إلهنا، الراحة في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب، **في ملكوتِك**[٦٢]. آمين يكون»[٦٣].

٦- في محفل الصدّيقين:

عبارة: في **حضن إبراهيم تصير** أفضل تحديدًا عند إضافة مفهوم الموضِع والأحياء الذين فيه. إنّه موضع السعادة حيث **رفقة الصدّيقين والقدّيسين**، كورة الأحياء، الموضِع الذي يُحقّق تطلّعات النفس المسيحيّة.

١) مسكن الصدّيقين:

«**الكاهن مينا**... ليمنح الربّ راحة لنفسه **في مسكِن الصدّيقين**. يسوع المسيح، الألِف والياء. يسوع المسيح. آمين»[٦٤].

٢) رِفقَة القدّيسين:

«**أليصابات**... امنحها يا الله، الراحة في ملكوتك في رِفقة القدّيسين»[٦٥].

(60) «ⲉϥⲁϫⲟⲩ ⲙ̀ⲡϣⲏⲛ ⲙ̀ⲡⲱⲛϩ».

(61) TOGO MINA, *op. cit.*, n. 220.

(62) «ϩⲛ ⲧⲉⲕⲙⲛⲧⲉⲣⲟ · ⲁⲙⲏⲛ · ⲉϥⲉϣⲱⲡⲉ».

(63) TOGO MINA, *op. cit.*, n. 49. فيما يتعلّق بالمفهوم عينه، راجع أيضًا: نفس المرجع: nn. 26, 28, 46, 55, 58, 262, 266, 283, 317, 318, 319.

(64) TOGO MINA, *op. cit.*, n. 89.

(65) «ⲡⲛⲟⲩⲧⲉ ⲉⲕⲉϯⲟⲛⲁϥ ϩⲛ ⲧⲉⲕⲙⲛ̄ⲧⲉⲣⲟ ⲙⲛ̀ ⲛ[ⲉⲕ]ⲟⲩⲁⲁⲃ». TOGO MINA, *op. cit.*, n. 51.

٣) كورة الأحياء:

«**إسرائيل**... ليتغَمَّدَ الله نفسه برحمته، ويجعلها في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب، **وليمنحه الراحة في كورة الأحياء**»(٦٦).

تعزيتنا»(٦٧).

٧- في ملكوت الله:

الفردوس الحقيقيّ الذي يتمتّع فيه القدّيسين بالفعل وإلى الأبد، هو ملكوت الله حيث يعاينون الثالوث الأقدس ويتمتّعون به. هذا مفهوم تُعبّر عنه النقوش على شواهد القبور القبطيّة، ورغم كونها نقوشًا وجيزة إلّا إنّها تُعبّر عن الكثير حيث أنّه فيها تصعيد في المفهوم ينتقل **من الموت إلى الدينونة**، وإلى الإفلات من العقاب **الأبديّ**، والعِتق **من العقوبات الزمنيّة** بتأثير **صلوات الترحيم**، ثمّ دخول ملكوت **الله الأبدي**.

١) ملكوت السماوات:

«إنّ جسدي يرقد اليوم في هذا المكان، لكنّ نفسي وجسدي سيكونان عند الربّ في يوم القيامة.. فليكُن مُستحِقًّا بأن يكون في عِداد القدّيسين **في ملكوت السماوات**»(٦٨).

٢) الفردوس الإلهيّ:

«أيّها الربّ الإله القدير، هَبْ لنفسه الراحة : **وأَدخِلها فردوسك. اسمح لها أن تأكلّ من شجرة الحياة**»(٦٩).

(66) «ϥϯ ⲛ̀ⲧⲟⲛ ⲛⲁϥ ϩⲛ̀ ⲧⲉⲭⲱⲣⲁ ⲛ̀ⲛⲉⲧⲛϩ: ⲧⲉⲛⲁⲡⲟⲗⲗⲩⲥⲓⲥ».

(67) TOGO MINA, *op. cit.*, n. 59.

(68) CRAMER, *op.*, *cit.*, 22.

٣) الملكوت الذي وَعَد به الآب:

«**مريم**... تَغَمَّدها يا الله، برحمتك **في ملكوتك**. ولتفرح بسماع نداءك الذي يقول: "تعالوا إليَّ، يا مُباركي أبي، **رِثوا المُلْكَ المُعَدّ لكم منذ إنشاء العالم**: في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب. آمين يكون"»(٧٠).

٤) الملكوت الأبديّ:

«**الأُمّ الطوبانيّة أماديو محبّة الله**... أيّها الإله، مُحِبّ البشر والرحيم تجاه الصالحين، بما أنّ رحمتك وغفرانك غزيرة لجميع الذين غادروا الحياة : اذكر خادمتك، ولا تعامِلها بحسب خطاياها التي ارتكبتها بل تَغَمَّدها برحمتك وأعطِها الراحة في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب: **في ملكوتك الدائم إلى الأبد**. آمين»(٧١).

(69) «ⲛ̀ⲥ̀ϫⲓⲧⲥ ⲉϩⲟⲩ ⲉⲛⲉⲕⲡⲁⲣⲁⲇⲓⲥⲟⲥ ⲛ̀ⲥ̀ⲧ̀ⲙⲙⲟⲥ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲙ̀ ⲡϣⲏⲛ ⲙ̀ⲡⲱⲛϩ». TOGO MINA, *op. cit.*, n. 308.

(70) TOGO MINA, *op. cit.*, n. 91. راجع أيضًا ٣١٥ و ٣١٨ من نفس المرجع.

(71) «ϩⲛ̀ ⲡⲉⲕⲙⲛⲧⲉⲣⲟ ⲉⲧⲙⲏⲛ ⲉⲃⲟⲗ ϣⲁ ⲛⲉⲟⲛ · ϩⲁⲙⲏⲛ». TOGO MINA, *op. cit.*, n. 69.

الفصل الخامس

الليتورچيا

طقوس الأموات في الليتورچيا القبطيّة حيّة ومنتشرة، كما أنّها فيما يتعلّق ببحثنا تنطوي على قيمة خاصّة للغاية لأنّها تكشف صوت الكنيسة الأصيل، سواء كان صوت المُعلِّم أو المُتعلِّم[1]. مع ذلك، لتجنّب سوء الفهم، سنشير إلى مسألتين هامّتين. أوّلًا، نلاحظ أنّ السلطة في الكنسيّة القبطيّة ليست مركزيّة تمامًا في شخص البطريرك. فهي في الواقع، تعترِف باستقلاليّة كبيرة للأساقفة، وتمنح بعض الحرّيّة للذين يقومون بكتابة الكتب الطقسيّة. بالتالي من السهل أن نستنتج من هذه الملاحظة أنّ الحِسّ الشعبيّ، وفقًا للملامح الخاصّة بمختلف المناطق، متغَلغِل في النصوص الطقسيّة وممتزج بها، على الأقلّ في النصوص الاختياريّة منها، كما هو الحال في الكتابات الأخرى. أمّا المسألة الثانية فتأتي من الأولى: فبما أنَّ الحِسّ الشعبيّ غارِقٌ بعمق في التقاليد المنحولة، فلا عَجَب إذن إذا ما ذكرنا أنّه لا يوجد ترسيم واضح فيما بين الفصول السابقة والفصل الحالي. كما أنَّ هناك انعكاس للكتابات المنحولة في الكتب الطقسيّة ولكن في نطاق ضيّق، وبناء على هذا سنتابع توثيقنا للموضوع.

---

[1] فيما يتعلّق بالمضمون العقائديّ الموجود في الليتورچيا المقدّسة، راجع:

GIAMBERARDINI G., *Il valore teologico della liturgia assunzionistica*, in *Atti del Congresso Nazionale Mariano dei Frati Minori d'Italia*, Roma 1948, 511 s.

سنقوم بسرد قائمة للنصوص المأخوذة من الكتب الطقسيّة وفقًا للتنسيق التالي: صلوات من أجل **المنازعين**، من أجل **الأموات**، **التجنيز**، **التذكارات**. ستوسّع أيضًا في عرض تذكار الموتى في **الأيّام المختلفة** «**لتذكارات الأموات**»، وتختلف أوقات **زيارة المدافن** على مدار السنة **والاحتفالات المختلفة** في الدورة الطقسيّة.

١ - صلوات من أجل المنازعين:

هذا هو طقس السرّ المقدّس الخاصّ بالمرضى والذي تمارسه الكنيسة القبطيّة بشكل مُعقَّد مهيب. ويُعرف الطقس باسم «**القنديل**»[2]، بنفس مدلول الاسم. سنتّبع نسخة القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ[3] وسنشير في الحواشي إلى الاختلافات في النسخ الأخرى[4].

ترتيب مراسم البداية كالتالي: تكون المراسم في الكنيسة إذا ما سمحت حالة المريض؛ فإن لم تسمح تجرى المراسم في المنزل؛ أن يحضرها سبعة من الكهنة[5]؛ أن يتاح للمريض الاعتراف بخطاياه على يدّ أحد الكهنة[6]؛ أن يتمّ إعداد قنديل مملوء

---

[2] عنوان الكتاب: صلاة مسحة المرضى المقدّسة المعروفة بصلاة القنديل.

[3] تاوضروس، **الصلوات الطقسيّة**، ٩٢-١٢١.

[4] المراجع التي فحصناها: غبريال، **الجناز**، بني مزار ١٩٢٨ - الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، تحقيق الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكانيّ (الدراسات المسيحيّة الشرقيّة - المصريّة)، القاهرة ١٩٦٢، ٣٤٤-٣٤٧ - الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ١٣٨-٢٣١. DENZINGER. H., *Ritus Orientalium*, vol. 2 (Reimpres. fotomeccanica), Austria 1961, 483-506. — RENAUDOT E., *Perpétuité de la foy de l'Eglise*, Paris 1713. — VANSLEB, *Histoire*, 212-216

[5] هذا أيضًا يرتبط بحدود الممكن والمتاح، فقد يكون عددهم أكثر أو أقلّ، لكن في العادة يكون العدد أقلّ.

[6] تاوضروس، **الصلوات الطقسيّة**، ٩٢؛ الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٢٣١.

بزيت فلسطينيّ[7] به سبعة فتائل؛ أن يكون هناك كتاب الصلوات السبع أو الأواشي؛ أن يشترك في الصلاة مع الكهنة الأهل والمؤمنين؛ أن يوضع القنديل أمام أيقونة للعذراء مع الصليب وكتاب الأناجيل.

تبدأ الصلاة الطقسيّة بعد تهيئة تلك اللوازم، فيجب تلاوة الصلوات السبع أو الأواشي بالترتيب، حيث أنّ لكلّ منها غاية محدّدة: الأولى من أجل **المرضى**؛ الثانية من أجل **المسافرين**؛ والثالثة من أجل **الثمار**[8]؛ الرابعة من أجل **الملك**؛ والخامسة من أجل **الراقدين**؛ والسادسة من أجل **القرابين**؛ والسابعة من أجل **الموعوظين**. يتّضح ممّا سبق أنّ الصلاة الأولى وحدها هي المختصّة بسرّ مسحة المرضى، أمّا الصلوات الأخرى فكلّها طقسيّة. يقوم **كلّ كاهن من السبعة** بتلاوة إحدى الصلوات ويبدأها بإشعال **فتيل من السبعة فتائل** التي في القنديل. وبعد الصلاة الأخيرة يُدهن المريض بالزيت.

ترتيب الصلاة الأولى:

يقوم أوّل كاهن بإشعال الفتيل الأوّل ثمّ يقول وهو متّجه نحو الشرق: **ارحمنا يا الله**[9]. ثمّ يقول بالترتيب: أبانا الذي؛ صلاة الشكر[10]؛ المزمور ٥٠: **ارحمني يا الله**؛ أوشية المرضى. بعدها يقول الشمّاس: **اطلبوا عن ..**[11]. فيجاوبه الشعب: **إيليسون**.

---

[7] الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٣٤٥.

[8] يطلق عليها أوشية الرياح، وفقًا لكتاب الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٣٤٦؛ وكتاب الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ١٧٧ وما بعدها. ذلك لأنّ الصلاة تتغيّر وفقًا لفصول السنة.

[9] «ⲉⲗⲉⲓⲥⲟⲛ ⲏⲙⲁⲥ».

[10] «ⲙⲁⲣⲉⲛϣⲉⲡ ϩⲙⲟⲧ».

[11] «ⲧⲱⲃϩ ⲉϫⲉⲛ...».

ثمّ يواصل الكاهن الصلاة فيرسم علامة الصليب ويبدأ الصلاة على الزيت. قراءة الكاثوليكيّون من رسالة القدّيس يعقوب ٥: ١-٢٠[12]. قدّوس: ⲁⲅⲓⲟⲥ. المجد للآب.. أوشية الإنجيل يليها الإنجيل يو ٥: ١-١٨[13]. الأواشي الثلاثة: السلامة، الآباء[14]، الجماعة. قانون الإيمان تليه صلاة وطِلبات[15]. ثمّ ختام الصلاة. بعد ذلك تستمرّ الصلوات الستّة الأخرى على نفس المنوال، لكن تتغيّر القراءات. وتختتم المراسم **بدهن المريض بالزيت** على النحو التالي: تسبحة الملائكة؛ أبانا والأمانة (قانون الإيمان)؛ ٤١ مرّة كيرياليسون؛ التحاليل الثلاثة؛ البركة[16]؛ **ثمّ المسحة بالزيت المبارك**. فيُمسح بالزيت: المريض، أي «صاحب القنديل»، ويمسح الكهنة بعضهم بعضًا، والمؤمنين الحاضرين[17].

يولّي المريض وجهه نحو الشرق، ويقف أكبر الكهنة سنًّا مقابل سريره ويقوم بتلاوة الصلوات؛ ويقف الستّة الآخرين ثلاثة عن يمين السرير وثلاثة عن يسار

---

[12] الشاهد الكتابيّ عن سرّ مسحة المرضى. وينبغي قراءة يع ٥: ١-٢٠ **باللغة القبطيّة**، لكن أهمّ جزء فيه يُقرأ باللغة العربيّة لمنفعة الشعب. راجع: الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٣٤٥؛ الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ١٥٢-١٥٤.

[13] يقرأه الكاهن الخديم "بالقبطيّة ثمّ يُفسّره كاهن آخر بالعربيّة"، الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٣٤٤.

[14] **البابا أي البطريرك**، حيث أنّ البابا والبطريرك عند الأرثوذكس هما شخص واحد، راجع: GIAMBERARDINI G., *Il Primato di S. Pietro e del Papa nella Chiesa Copta*, Cairo 1960, 61-63.

[15] راجع: الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ١٥٩-١٦٨؛ الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٣٤٤.

[16] راجع معنى الـ ٤١ **كيرياليسون** في الحاشية الخاصّة بها في الفقرة التالية.

[17] مسحة الحاضرين غير المرضي تكون على سبيل بركة السرّ المقدّس، وقد ورد سبب آخر في المرجع التالي: DENZINGER, *Ritus* Orientalium, vol. 2, 506, nota 2, «ne spiritus malignus ad eorum quendam transeat». "لطرد الأرواح الشرّيرة في ساعة الموت": وهو سبب متوافق مع الروح القبطيّ.

السرير»[18] ويُرفع الصليب وكتاب الأناجيل فوق رأس المريض. يلي ذلك «تحليل الابن»[19]، وإذا سمح الوقت تتلى صلوات أخرى ويُقام طواف حول المذبح[20]. بعد الانتهاء من المراسم والصلوات السابقة، «يبتدئ الكاهن بدهن صاحب القنديل والكهنة يدهنوا بعضهم بعض بعد تقبيل كلّ واحد منهم رفيقه قبل دهنه ويدهنوا باقي الشعب»[21]. يجب أن يقوم الكهنة السبعة بدهن المريض بالزيت، وإذا ظلّ قيد الحياة[22]، يجب تكرار المسحة بالزيت لمدّة سبعة أيام[23].

من السياق العامّ لصلوات **المسحة** العديدة للغاية، نستخلص أنّ التأثير المأمول لدى الأقباط هو **مغفرة الخطايا**، وبالتالي **الشفاء من المرض**، أمّا مفعولها في الميتة الصالحة فيمكن القول بإنّه خارج الموضوع. ففي الواقع، لا ينبغي بالضرورة أن تكون حالة المريض خطيرة لكي تتطلّب نوال السرّ المقدّس. حقًّا إنّ **الصلاة الخامسة** هي من أجل **الأموات**، بيد أنّ المسألة ليست مسألة المريض المشرف على الموت، بل تتعلّق بأولئك الذين سبقوا فرقدوا الذين يتمّ ذِكرهم في مثل هذه الظروف. ولن نشير إلى النصوص هنا لأنّه بما أنّها مأخوذة من **كتاب القدّاس**، فسيأتي ذكرها في

---

[18] هذا ما ذكره أيضًا الباحث فانسلِب: VANSLEB, *Histoire*, 214.

[19] راجع: الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٢١٤.

[20] هذا في حالة الاحتفال بالمراسم في الكنيسة، وأثناء الطواف ترتل ذوكصولوجيّة من ذوكصولوجيّات الصوم الأربعينيّ.

[21] الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٣٤٧.

[22] وفقًا للطقس القبطيّ ينبغي لممارسة هذا السرّ المقدّس أن يكون المريض مشرفًا على الموت.

[23] القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة**، ١٢١؛ VANSLEB, *Histoire*, 214.

الفقرة الخاصّة **برفع البخور**. في النصوص الأخرى، الموضوع المقصود في الصلاة باستمرار هو سلامة النفس والجسد من أجل أن تكون حياة المسيحيّ مستقيمة. فعلى سبيل المثال يُقال في **الصلاة الخامسة:** «أنت إله صالح محبّ للبشر، طهّرنا من جميع خطايانا، أرشدنا وساعدنا لكي نسير في طريق الحياة الأبديّة لا طريق الموت الأبديّ. نعم، يا ربّ، **اغفر لعبدك (فلان)... جميع خطاياه واملأ فمه بتسبيحك، وامدد يديه لتنفيذ وصاياك، وهيّئ قدميه لطريق السلامة، وبقدرتك قوّم أعضائه وأفكاره**»[٢٤].

في الصلاة الأولى، الخاصّة **بالمرضى**، يتأمّل النصّ الختاميّ أيضًا في مصير النفس في العالم الآخر، لكن بشكل افتراضيّ: إن لم يكن ممكنًا أن يشفى، فليُفلِت من حيل الروح الشرّير وينجو.

النصّ:

«السيّد الربّ يسوع المسيح ملك الدهور المُخرِج كلّ الموجودات من قبل كونها التي تُرى والتي لا تُرى. الذي جاء بإرادتِه وحدهِ وكثرة رحمتِه وتنازل بالتدبير لكي يُخلّصنا من موت الخطية وغلبة المضادّ. السريع الإحسان المتأنّي في العقاب المخيف مرارًا كثيرة من أجل الخيرات العتيدة[٢٥].

اذكر يارب مراحمك ولا تمِل عنّا وجه تحننك: نحن المستدعيّون بصلاحك. بل استمع تضرّعنا ومسكنة طلبتنا نحن عبيدك الخطاة،

(٢٤) القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة**، ١٠٧.

(٢٥) إلى هنا في النصّ العربيّ، نلاحظ أنّ الصيغة بضمير الغائب، لكن فيما بعد ستكون بضمير المخاطب.

وامنح الشفا لعبدك فلان الذي التجأ تحت ستر كنفك الذي لتحننك لأنك محبّ للبشر. واغفر له ما عليه وما منعه في ساير عمره. واترك له آثامه التي صنعها: بإرادته وبغير إرادتِه، إن كان من حركاته وحده أو من قبل آخر غريب. إن كان بالضمير أو بالفعل من أجل الذين أرضوك.

كما تركت أيّها السيّد للغريم القناطير التي عليه: اغفر لعبدك هذا خطاياه وسامحه بآثامه كلّها. وكما طهّرتَ الأبرص بكلّمتك ونزعت البرص من جسدهِ بإرادتك، هكذا انزع المرض من جسد عبدك هذا وقدّسهُ. يا مَنْ أقام ابن الأرملة وابنة الرئيس من الموت لمّا أمرهما بالقيام، وأقام لعازر من بعد أربعة أيام من الجحيم بسلطان لاهوته، أقم عبدك هذا من موت الخطيّة.

وإذا أمرت بإقامته زمانًا آخر، فامنحه مساعدة وعونًا ليرضيك في كلّ حياته. **وإن أمرت أن تأخذ نفسه فليكن هذا بيدّ ملائكة نورانيّين يخلّصونه من شياطين الظلمة. انقله إلى فردوس الفرح ليكون مع جميع القدّيسين:** بدمّك الذي سُفك من أجل خلاصنا، الذي به اشتريتنا لأنّه رجائنا نحن عبيدك، بشفاعة العذراء والدة الإله وسؤال جميع القدّيسين. لأنّ المجد والكرامة والسجود يليق بالآب والابن والروح القدس. الآن وكلّ أوان وإلى الأبد. آمين»[٢٦].

(٢٦) القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة**، ١٠٠.

٢- تجنيز الأطفال الذكور:(27)

ترتيب الطقس:

يتلو الكاهن صلاة الشكر(28). صلوات رفع البخور. المزمور ٥٠: ارحمني يا الله. مز ٢٦:٩-١٠-١٢؛ ٦٤:٥؛ ١١٤:٤-٦. البركة. مطانية(29). صلاة المغفرة. المجد **للآب**. الرسالة ١تس ٤:١٣-١٨. **قدّوس: ⲁⲅⲓⲟⲥ**. أوشية الإنجيل. أعداد مختارة من مز ٢٦ ومز ١١٤.

الإنجيل: لو ٧:١١-١٧. الأواشي الثلاث: السلامة، الآباء، الجماعة. الأمانة (قانون الإيمان). **الصلاة**، التي سنشير إليها فيما بعد. يتلو الشعب صلاة الأبانا. تحليل الابن. ٤١ مرّة كيرياليسون(30). ثمّ **صلاة القبر**، الذي سنتناوله في فقرة أخرى.

الصلاة:

«أيّها الإله الحقّ كلمة الآب الضابط الكلّ. سيّد الكلّ غير المُدرَك. الكائن في حضن أبيه الإله الواحد. سيّدنا ومخلصنا، محبّ

(27) صلوات الجنازة في الطقس القبطيّ تختلف وفقًا لشخص المتوفَّى: الأطفال الذكور، البنات، الرجال الكبار، النساء، الرهبان .. إلخ. راجع: الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٣١٧-٥٢٤؛ القمص حنّا غبريال، **التجنيز**، ٧-١٣٣؛ القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة**، ١٣٠- ١٦٤. بالإضافة لذلك هناك فئات أخرى من الناس، **فالذين يرقدون أثناء أسبوع الآلام لهم نظام آخر للتجنيز**. وفي الواقع، لليس هناك تغيير سوى في القراءات. الطوخي، نفس المرجع، ٥٢٥-٥٤٨؛ تاوضروس، نفس المرجع، ١٨٠ وما بعدها.

(28) «ϣⲁⲣⲉⲛϣⲉⲡ ϩⲙⲟⲧ...».

(29) أي سجود.

(30) الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسي**: ورد في صفحة ٣٥٩ بشأن العدد ٤١: "هذا له أصله، ألا وهو أنّ المسيح تلقّى صفعة واحدة عند رئيس الكهنة وجُلِدَ ٤٠ جَلدَة. وقد شهد بولس بأنّه هو تلقّى ٤٠ جلدة. لهذا يقولون ٤١ مرّة كيرياليسون في كلّ صلاة".

البشر، صانع الإحسان معنا في كلّ حين. أنت العالم بخفايا البشر المعروفة لديهم والغير المعروفة. فلذلك نسأل ونطلب منك يا محبّ البشر لكي من قِبَل تحنّنك ومسامحتك وراحتك تقبَّل إليك هذه الوديعة(31) التي لعبدك فلان. هذا الذي لم يكمل عمره على الأرض، ولم يتملأ بالخيرات ولم يأخذ ولم يُعطِ. لكن بغير خطيّة من اللبن غير المغشوش والبهاء الغير المضمحل والبتوليّة الغير الدنسة. ونحن نسأل أن تنيّحه وتتحنّن على طفوليّته. لأنك إن أخذت بالآثام يا ربّ ليس أحد يتزكّى أمامك حتّى ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض. لأنك أنت الذي أنعمت على الأطفال من فمك الصالح. آمرًا من أجل الأطفال قائلًا: "انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنّي أقول لكم إنّ ملائكتهم في السموات كلّ حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات"(32). **فإن كان قد صارت لهم هذه النعمة العظيمة من السماء أحسب عبدك (فلان) في عدد الأطفال الذين تقدّموه. المجتمعين في مواضع النياح التي لملكوتك الذين هم المائة والأربعة وأربعون ألفًا(33). ألبِسه معهم الحلّة النقيّة والبهاء الغير المضمحل في مظالّ النور حيث اخترت لمن يرضيك.**

(31) الكلمة القبطيّة التي تعني "وديعة": «ⲟⲩⲛⲁⲣⲁⲑⲏⲕⲏ».

(32) متّ ١٨: ١٠

(33) هو عدد الأطفال القدّيسين الأبرياء الذين يذكرهم السنكسار القبطيّ في يوم ٣ طوبة، فيقول: "في هذا اليوم قتلوا الأطفال القدّيسين الشهداء الأبرار المائة أربعة وأربعين ألفًا".

نسجد لك أيّها الربّ يسوع المسيح فاحص طبيعتنا. خالق القلوب وعارف ما فيها. المخفيّ والظاهر بعلمٍ. من أجل عبديك أبيه وأمه الذي بلغ إليك تفاقم حزنهما وكثرة بكاءهما ونحيبهما. أنت أيّها الصالح محبّ البشر مضيت إلى مدينة نايين وأقمت ابن الأرملة لها حيًّا بغير فساد. هؤلاء الأُخر يا ربّ أقم لهما زرعًا آخر عِوَضَه. لكي يفرحا عِوَضًا عن حزنهما. لأنّك أنت الذي نزعت الحزن عنّا يا يسوع المسيح إلهنا. لأنّ لك المجد مع أبيك الصالح والروح القدس إلى الأبد وإلى أبد الأبد وإلى الدهور الآتية. آمين»[٣٤].

٣- تجنيز البنات:

ترتيب الطقس:

يتكرّر الترتيب مثل الفقرة السابقة لكن مع تغيير القراءات. صلاة الشكر. رفع البخور، مع صيغة الصلاة الخاصّة به. المزامير: ٣٣:٦و١٢؛ ٦١:١-٢؛ ٧٠:٥-٦؛ ٨٨:٤٨-١٩؛ ١١٨:٧٣-٧٦. البركة. مطانية. صلاة المغفرة. **المجد للآب**. الرسالة **١كور ١٥:٥٠-٥٨. قدّوس: ⲁⲅⲓⲟⲥ** . أوشية الإنجيل. مزمور ٣٨:١٢-١٣. الإنجيل: **متّى ٩:١٨-٢٦**. طرح الإنجيل. **الأمانة. الصلاة التالية. الأبانا**. تحليل الابن. ٤١ مرّة كيرياليسون. صلاة القبر.

(٣٤) القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسية**، ١٤٧ وما بعدها.

الصلاة:
«مخلّصنا الصالح صانع الخيرات محبّ البشر الصالح مخلّص الدهور من جهة اعترافنا باسمك القدّوس المملوء مجدًا وخشية. استمع طلبتنا واقبل إليك صلواتنا ببرِّك وحصّنا بعدلك ولا تصنع الحكم مع عبيدك لأنّه لا يتزكّ أمامك كلّ حيّ. نسجد لك ونخضع لك نشكرك ننطق بمجدك: نعترف بظهورك بالجسد والموت الذي قبلته من أجلنا لكي تُبطل عنّا شوكة الموت.

وأعطيتنا عربون الخلاص الذي بقيامتك عندما انبعثت من بين الأموات. وأشرت لنا بنشور القيامة الأخيرة هذه التي تأتي فيها في ظهورك الثاني عند انقضاء هذا الدهر وتدين الأحياء والأموات **وتُجازي كلّ أحد كنحو أعماله إن كان خيرًا وإن كان شرًّا. في الوقت الذي تظهر فيه أعمال البشر الخفيّة بإعلان في طرفة عين وهم** عراة مفكّكين العنق أمام مجدك القدّوس يا الله يا كلمة الآب[٣٥].

نسألك يا مُحِبّ البشر ومحبّ خليقته من أجل عبدتك هذه الفتاة الشابّة العذراء هذه التي خرجت من الجسد مثل سائر آبائها **وأتت إليك يا الله الحقيقيّ. فليكُن دخولها إليك مضيئًا مثل مصباح غير منطفئ. احسبها مع العذارى صاحباتها اللواتي سبقنها إلى وليمتك الواسِعَة في فرح أصفيائك الذي لا يوصف للذين أرضوك.** ثمّ أقمها مرة أخرى كمواعيدك الحقيقيّة والغير الكاذبة في قيامة القدّيسين **لتنال نصيبًا وميراثًا في ملكوت**

(٣٥) إلى هنا الصلاة موجّهة إلى الابن، لكن فيما بعد ستتوجّه إلى الآب.

مسيحك، ربّنا. لأنّ لك المجد مع ابنك الوحيد والروح القدس المحيي المساوي لك: الآن وكلّ أوان، وإلى دهر الدهور. آمين»[٣٦].

٤ - تجنيز الرجال الكبار:

ترتيب الطقس:

صلاة الشكر. صلاة رفع البخور. المجد للآب. أبانا الذي. المزامير ٥٠: ارحمني **يا الله**؛ ١٣٨: ٧-١٠؛ ١١٨: ١٧٥؛ ١١٤: ٣-٦. البركة. مطانية. صلاة المغفرة. المجد **للآب**. الرسالة ١كور ١٥: ١-٢٣. **قدّوس**: ⲁⲅⲓⲟⲥ. أوشية الإنجيل. مزمور ٦٤: ٤. الإنجيل، يو ٥: ١٩-٢٩. ثمّ الصلوات التالية:

صلاة مرتلة (أبصالية واطس) تُقال باللحن الحزين[٣٧].

«هذه النفس التي اجتمعنا بسببها، **ينيّحها المسيح بسلام في أورشليم السمائيّة، في كورة الأحياء**[٣٨]. لأنّه ترأف وطلب الحيوان الضال[٣٩] **ليُخلّصه** وأوصانا بذلك. كصالحٍ ومحبّ البشر ارحمنا كعظيم رحمتك. لأنّه مبارك الآب والابن والروح القدس، الثالوث المتكامل. نسجد له ونمجده»[٤٠].

ثمّ يقول الكاهن هذه الأبصاليّة بلحن آدام.

---

[٣٦] القمص صموئيل تاوضروس السرياني، **الصلوات الطقسية**، ١٥٢ وما بعدها.

[٣٧] لمعرفة المزيد عن الألحان المختلفة في الطقس القبطيّ، راجع:

GIAMBERARDINI, *Preghiera*, 8.

(38) «ϧⲉⲛ ⲧ̀ⲭⲱⲣⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲏⲉⲧⲱⲛϧ».

(39) «ⲡⲓⲍⲱⲟⲛ ⲉⲧⲁϥⲥⲱⲣⲉⲙ».

[٤٠] القمص صموئيل تاوضروس السرياني، **الصلوات الطقسية**، ١٣٥.

«هذه النفس التي اجتمعنا بسببها يا ربّ نيّحها في ملكوت السموات. افتح لها يا ربّ أبواب السماء واقبلها إليك كعظيم رحمتك. افتح لها باب البرّ لكي تدخل وتتنعم هناك. افتح لها يا ربّ باب الفردوس كما فتحته لذلك اللصّ. افتح لها يا ربّ باب الملكوت لتشارك جميع القدّيسين. افتح لها يا ربّ أبواب الراحة لترتّل مع كافّة الملائكة. ولتستحقّ أن تنظر النعيم ولتُدخلها ملائكة النور إلى الحياة. ولتتكئ في حضن آبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب إسرائيل.

اغفر لها خطاياها التي سبقت فصنعتها بمعرفة وبغير معرفة معًا. لأنّك أنت يا ربّ تعرف ضعف ونقص البشريّة. وبرحمتك عزّ كلّ الذين خلفتهم. وأهل بيتها ألهمهم صبرًا وعوّضهم أجرًا صالحًا سمائيًا بشفاعة سيّدتنا مرتمريم[٤١] وجميع صفوف السمائيّين. لتكُن رحمتك ومعونتك مع شعبك وأعطِهم برودة. وثبّتنا في إيمانك الأرثوذكسي. كن ناصرًا لنا نحن المؤمنين. نسجد لك أيّها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلّصتنا»[٤٢]

يلي هذا الثلاثة أواشيّ الصغار: السلامة، الآباء، الجماعة. الأمانة. ثمّ الصلاة التالية التي يليها الدفن كما تجري العادة.

---

[٤١] مرتمريم هو اسم السيّدة العذراء: يتكوّن من المصدر مُرّة بصيغة المؤنّث التي تعني البارّة، **القدّيسة** + مريم. وهذا هو الاسم الشائع في الكتابات القبطيّة.

[٤٢] القمص صموئيل تاوضروس السرياني، **الصلوات الطقسية**، ١٣٥ وما بعدها.

«الله الأبديّ عارف الخفايا قبل كونها، العالِم بكلّ شيء الذي أخرج الكلّ إلى الوجود ممّا لم يكن الذي بيده سلطان الحياة والموت. الذي ينزل إلى أبواب الجحيم ويُصعِد.

خِلقتَك للإنسان هي بسرِّكَ العجيب يا مَلِكنا وكذلك انحلال خلائقك الزمنيّين وقيامتهم الأبديّة. أنت الذي نعترف لك بالشكر على كلّ حال على دخولنا إلى العالم وعلى طُرُق خروجنا الكائنة بالرجاء الذي للقيامة. ونبارك ظهور مسيحك والبنوة التي أعطيتها لنا به لمّا تنازل إلى أوجاعنا وأقامنا معه إلى عدم الأوجاع.

اقبل أيّها السيّد هذه الوديعة الطاهرة التي هي نفس عبدك (فلان) واحفظها في النياح إلى القيامة وظهور مسيحك في أحضان آبائنا القدّيسين ابراهيم وإسحق ويعقوب. الموضع الذي هرب منه وجع القلب والكآبة والتنهّد. وإن كان عمل شيئًا من الخطايا إليك مثل البشر اغفر له وسامِحه. ولتُزِل عنه سائر عقوباته لأنّك لم تخلق الإنسان للهلاك بل للحياة. نيّحه في ذلك المكان ونحن أيضًا الذين ههنا ارحمنا واجعلنا مستحقّين أن نعبد بغير اشتغال. حزانى القلوب عزِّهم والباقون بعده أعِنْهم. الأيتام منه عُلْهم والذين حضروا وشاركوهم في الحزن ارحمهم وباركهم وأعطهم أجرًا سمائيًا في الدهور الآتية وإلى أبد الأبد، لأنك أنت إله رحيم ورؤوف وأنت الذي نرسل لك إلى فوق المجد والإكرام

والسجود أيها الآب والابن والروح القدس الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهور آمين»[٤٣].

٥- تجنيز النساء:[٤٤]

ترتيب الطقس: صلاة الشكر. صلاة رفع البخور. **المجد للآب.** المزامير ٥٠؛ ١٠٢: ١-٤؛ ١٧:١٣-١٨؛ ١١٨: ١٠٩-١١٠. البركة. مطانية. صلاة المغفرة. **المجد للآب.** الرسالة ١كور ١٥: ٣٩-٤٩. **قدّوس: ⲁⲅⲓⲟⲥ.** أوشية الإنجيل. مزمور ١١٤: ٧-٨. الإنجيل مت ٦: ٢٦-١٣. طرح الإنجيل. الأبصاليّة التي سنشير إليها في الفقرة التالية. الأواشيّ الثلاث الصِغار. ثمّ الصلاة التالية:

الصلاة:

«.. نعترف لك بتسابيح الشكر على جميع أعمالك. وهذا الضلع (أي المرأة) المأخوذ من الإنسان الذي سبق أن ألقى المعصية على جنسنا لكنّك سبقت وغفرت له خطاياه بابنك الوحيد الذي صار في بطن أمٍّ عذراء ومحا لعنة الانطراح للحكم وجدّد طبيعتنا مرّة أخرى.

---

(٤٣) القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة**، ١٣٦ وما بعدها.

(٤٤) القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة**، ١٣٩. في الصفحات ١٥٤-١٥٧ بيّن الناسِخ ترتيب طقس تجنيز النساء اللواتي يمُتن إذا ولِدنَ. ليس هناك تغيير في الصلوات ولا الترتيب، فالذي يتغيّر فقط هو النصوص الكتابيّة ولذلك سنهمل ذكره. هنالك ملحوظة هامّة أشار إليها الباحث فانسلِب أنّ هؤلاء النساء لا ينقلوهنّ إلى الكنيسة باعتبارهن نجسات.

نخضع لك بوجوهنا لأجل عبدتك (فلانة) هذه التي تنيّحت ورجعت إلى الأرض موضعها الخاصّ وعادت روحها إليك. نسألك يا محبّ البشر المتحنّن كلّ حين، ارحمها ونيّحها. سامحها واغفر لها **كثرة خطاياها وتجاوز عنها لأنّك لم تخلق الإنسان للشرور بل للخيرات. فهي الآن أيضًا قائمة أمام منبر مسيحك فليكن لها نياحًا وراحة وبرودة وفرح.**

والذين خلفّتهم عزّهم والذين صاروا أيتامًا عُلْهُم والقيام معنا المشاركين في الحزن باركهم **وأعطهم أجرًا سمائيًا ونصيبًا صالحًا في ملكوتك لأنّ الكلّ يأتون إليك.** وديعة عبدتك يا ربّ نيّحها لأنّك أنت الواحد الوحيد الحقيقيّ مع ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا والروح القدس المحيي المساوي معك الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهور آمين»[٤٥].

٦- تجنيز الرهبان:

ترتيب الطقس:

صلاة الشكر. صلاة رفع البخور ثمّ القِطَع من المزامير: ١٢:٣٣-١٦؛ ١١٨: ١٢١-١٢٨؛ ٥٤:٤-٦. البركة. المجد للآب. الرسالة رو ٢:٨-١١؛ ٢ كور ٤: ١٠-١٨؛ ٥: ١-٢. **قدّوس: ⲁⲅⲓⲟⲥ.** أوشية الإنجيل. المزامير ٩:٦-١١؛ ٥٥: ٨-٩. الإنجيل، **لو ٢٠: ٢٧-٣٨؛** يو ١٧: ١-١٢. الأواشيّ الثلاث الصغار: السلامة الآباء والجماعة. الأمانة. الصلاة التالية.

(٤٥) القمص صموئيل تاوضروس السرياني، **الصلوات الطقسية**، ١٤٢ وما بعدها.

الصلاة:

«الله الذي بلا بداية ولا نهاية الصالح في طبيعته غير المستحيل وغير المدرك... نسأل ونطلب إليك يا محبّ البشر لا تصنع معنا كخطايانا ولا تُجازنا كآثامنا بل كُن غافرًا لنا ولكلّ شعبك كصالح ومحبّ البشر الرؤوف.

اذكر أيضًا يا ربّ جميع آبائنا وإخوتنا الذين سبق رقادهم في الإيمان ولا سيّما يا ربّ عبدك المجاهد خادمك الراهب (فلان)، هذا الذي خلع الجسد مثل سائر الناس **وأتى إليك أيها** الربّ إله الأحياء.

اذكر يارب شدائده وتجاربه ومحاربات الشهوة التي قَبِلها ولا ترفض شيئًا منها **لأنّه لا يوجد عمل من الأعمال بغير أجر أمامك.** وإن كان قد سقط في شيء من الخطايا فأنت أيّها الصالح ومحبّ البشر قد أمرت بأن يغفر الناس للناس أيضًا، فكم بالحريّ أنت أيّها الربّ الغافر.

ليكن دخوله إليك مُرضيًا بوجه غير مخزيّ إذ تقول له : "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين وأنا أريحكم".

وهذا التمجيد الذي نرسله إليك يارب ليكن مثل بخور مقبول أمامك في كلّ حين **ونسالك أن تنيّح نفسه في كورة الأحياء في موضع النور حيث مسكن سائر الفرحين. لأنّ عندك ينبوع الحياة والرحمة ومحبّة البشر.**

ويليق بك المجد أيّها الآب والابن والروح القدس المحيي الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهور. آمين»(46).

٧- تجنيز الراهبات:

ترتيب الطقس:

صلاة الشكر. صلاة رفع البخور ثمّ القِطَع من المزامير: ١٢:٢-٥؛ ١١٨:١٦١-١٦٨؛ ١٥:٧-١١. البركة. المجد للآب. الرسالة ٢ كور ٥:١١-١٧. قدّوس: **ⲁⲅⲓⲟⲥ**. أوشية الإنجيل. المزمور ١١٦:١-٢. الإنجيل، لو ٣٨:-٤٢. الأواشيّ الثلاث الصغار. **الأمانة**. الصلاة التالية:

الصلاة:

«إله الأرواح وربّ الأجساد الذي بمشورته الخفيّة اتّحدت النفس بالجسد وأيضًا كإرادتك الصالحة أكملت جبلّتك التي خلقتها: ورددت التراب إلى التراب. **والروح دعوته إليك وحسبته** في المنازل المقدّسة(47). أيّها السيّد الربّ الرحيم اقبل إليك هذه **الوديعة الطاهرة التي هي نفس عبدتك الراهبة (فلانة) التي أتت إليك** يا إله الأنفس والأجساد والأرواح وكلّ شيء خلقته، ما يُرى وما لا يُرى. اذكر يا ربّ التجاءها إليك والأتعاب التي كابدتها من أجل رجاء الخلاص الذي طلبته إلى قيامة الحياة **ونياح السلامة**.

(46) القمص حنّا غبريال، **التجنيز**، ١٢٦-١٣٠. هذه النسخة ليست دقيقة دائمًا في تحديد الشواهد الكتابيّة، لذا قمنا بتعديلها في سياق موضوعنا. كما أنّ نسخة القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة** لم تُشر إلى طقس تجنيز الرهبان والراهبات والأساقفة.

(47) «ⲡⲓⲡ̀ⲛ ⲇⲉ ⲁⲕⲑⲱϩⲉⲙ ⲙ̀ⲙⲟϥ ϩⲁⲣⲟⲕ ⲟⲩⲟϩ ⲁⲕⲱⲡ ⲙ̀ⲙⲟϥ ⲛⲉⲙ ⲛⲓⲙⲟⲛⲏ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ».

الزلّات والتي برأي الضعف البشريّ **اغفرها لها إذ أنّك صالح** ورحيم لكلّ أحد. وإذا أنقذتها بنعمتك **فلتجد راحة في حضن إبراهيم وإسحق ويعقوب في نور الأحياء في كورة النياح والراحة الموضع الذي هرب منه ألم القلب والكآبة والتنهد**(48). تفضل أيضًا أن تكون سلوى وعزاء لحزانى القلوب. لأنّك أنت الذي عزّيتنا في جميع شدائدنا. وأعطيتنا اقتناء المجد عوضًا من روح الحزن. انزع عنّا كلّ حزن من قبل رجاء الخيرات العتيدة. **والذي أخذته**(49) **إلى ذلك الموضع نيّحه**. ونحن أيضًا الذين ههنا ارحمنا واحفظنا من كلّ شرّ. من قِبَل ابنك الوحيد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح»(50).

٨- تجنيز الشمامسة:

ترتيب الطقس:

صلاة الشكر. صلاة رفع البخور وبعدها القطع من المزامير: ٦٥:١٦-٢٠؛ ١١٨:١١٠-١١٣؛ ١٣٤:١٣-١٤ و١٩-٢١. الرسالة ١ كور ١٥:٣٢-٣٩. قدّوس: **ⲁⲅⲓⲟⲥ**. أوشية الإنجيل. المزامير: ١٩:١-٢؛ ٣٨:١٣-١٥. الإنجيل، يو ١٢:٢٠-٢٧. طرح (مردّات) الإنجيل. الأواشيّ الثلاث الصغار. **الأمانة**. ٤١ مرّة كيرياليسون. الصلاة التالية:

(48) «ⲙⲁⲣⲉⲥϫⲓⲙⲓ ⲛ̀ⲟⲩⲭⲃⲟⲃ ϧⲉⲛ ⲕⲉⲛϥ ⲛ̀ⲁⲃⲣⲁⲁⲙ ⲛⲉⲙ ⲓⲥⲁⲁⲕ ⲛⲉⲙ ⲓⲁⲕⲱⲃ : ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲏⲉⲧⲟⲛϧ : ϧⲉⲛ ⲟⲩⲭⲱⲣⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲟⲩⲙⲁⲛⲉⲙⲧⲟⲛ : ⲛⲉⲙ ϯⲁⲡⲟⲗⲁⲩⲥⲓⲥ ⲉ̀ ⲧⲉ ⲡⲓⲙⲁⲉⲧⲁϥⲫⲱⲧ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲛ̀ϩⲏⲧϥ ⲛ̀ϫⲉ ⲡⲓⲙⲕⲁϩ ⲛ̀ϩⲉⲧ ⲛⲉⲙ ϯⲗⲩⲡⲏ ⲛⲉⲙ ⲧⲓϥⲓⲁϩⲟⲙ».

(49) هكذا ورد النصّ الأصليّ بصيغة المذكّر.

(50) القمص حنّا غبريال، **التجنيز**، ١٣٩-١٤٢.

٩- تجنيز القسوس:[٥٤]

ترتيب الطقس:

صلاة الشكر. صلاة رفع البخور وبعدها القِطَع من المزامير: ١٠٦:٣١-٣٢، ١١٨:١٧-٢٠. الرسالة ٢ كور ٤:١٠-١٨ و ٥:١. قدّوس: ΑΓΙΟC. أوشية الإنجيل. المزمور: ٦٤:٥. الإنجيل، مت ٢٥:١٤-٢٤. طرح (مردّات) الإنجيل. الإبصاليّة التالية بنفس نهج تلك التي للشمامسة[٥٥].

الإبصاليّة:

«اجتمعوا كلّكم يا أصحاب اللغات لنبكي جميعًا بكاءً عظيمًا على أبينا ومعلّمنا ومرشدنا المكرَّم أبينا القمص (القسّ) (فلان). تأمّلوه أيّها العارفين تجدوه ملقى في وسطكم مخاطبًا لكم قائلًا: "أودّعك يا هيكلَ الربّ حيث كنت أقدّم عليك الذبائح لله. أودّعكم يا آبائي المحبين لله، الكهنة المؤتمنين الذين لضابط الكلّ. آبائي القمامصة والقسوس شركائي في خدمة هيكلّ الله. أودّعكم يا آبائي القدّيسين لأنّكم لا ترون وجهي بعد. أودّعكم يا إخوتي الشمامسة شركائي في الخدمة. سلام الربّ يكون معكم ويحفظكم ويصونكم. سلام الربّ يكون معكم حتّى تكملوا مسيحيّتكم. حقًّا أقول لكم يا إخوتي الأحباء أنّكم لا ترون وجهي بعد. اسألوا الربّ عنّي يا آبائي وإخوتي لكي يتحنّن المسيح على

[٥٤] العنوان بالتحديد: تجنيز القمامصة والقسوس.

[٥٥] الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٤٢٤-٤٢٧، يُقدّم تفاصيلًا أوسع للمراسم.

مسكنتي. اطلبوا عنّي ليكون دخولي أمامه بدالّة. اطلبوا لكي يسامحني ويهبني رحمة أمام منبره ويدخلني بسلام إلى مسكن الفرح حيث الأربعة والعشرون قسّيسًا"[٥٦].

امض بسلام يا أبانا إلى حضن آبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب. امض بسلام. السلام معك. الله يعيننا كما أعانك بشفاعة سيّدتنا القدّيسة مرتمريم وكافّة القدّيسين معًا آمين. نسجد لك أيّها المسيح إلهنا مع أبيك الصالح والروح القدس، لأنّك أتيت وخلصتنا»[٥٧].

ترتيب الطقس:

بعد ذلك يتلو الكاهن **الثلاث أواشيّ الصِغار**: السلامة والآباء والجماعة. قانون الإيمان. ثمّ هذه الصلاة:

الصلاة:

«ما أعظم أعمالك يا ربّ. قد صنعت كلّ شيء بحكمة. الأرض مملوءة من خليقتك. أنت الذي وهبت الحياة ودَبّرت الموت وكلّهم أحياء عندك. أي كلّ الذين استحقّوا عظمتك. أنت هو إله الأحياء وأنت الباقي الطوبانيّ بلا انتهاء من أجل معرفتك التي أعلمنا بها يسوع المسيح. نتضرّع إليك ونسألك من أجل آبائنا كلّهم الذين رقدوا ومن أجل التذكار المقدّس الذي لعبدك (فلان)، هذا الذي خرج من الجسد **وأتى إليك** يا إله الكلّ وقد رجع إلى الأرض التي

[٥٦] راجع: رؤ ٤:٤ و١٠؛ ٥:٨-١٤-٢٤؛ ١٩:٤.

[٥٧] القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة** ١٦١ وما بعدها.

أُخِذَ منها. أمّا نفسه فهي وديعة طاهرة طوبانيّة[٥٨]. لتكن له راحة وبرودة ونياحًا. ولتكن له درجة حسنة في مظالّ أصفيائك. ويشارك كلّ الذين سبقوه في نصيب وميراث القدّيسين الفائزين في بيعة الأبكار برتبة الكهنوت. المكان الذي وعدت به الذين أرضوك. ليكن قيامهم أمامك في طهارة وبرّ واستقامة يا إله كلّ الأحياء.

ونحن يارب فإنّه قليل هو زمان غربتنا هنا على الأرض فاحفظنا من كلّ الفخاخ الشرّيرة النجسة الغريبة عن طهرك الحقيقيّ لكي نقترب إلى موضع قدسك ونفوز بغبطة أصفيائك في هذا الدهر وفي الآتي. هذا رجاؤنا نحن عبيدك المؤمنين باسمك القدّوس وابنك الوحيد يسوع المسيح ربّنا والروح القدس. الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهور آمين»[٥٩].

١٠- تجنيز الأساقفة والبطاركة:

إنّ ترتيبات المراسم عديدة وموسّعة، خاصّة في تجنيز البطاركة[٦٠] لذا سنشير إلى الترتيب الذي نسّقه القمص حنّا غبريال الأرثوذكسيّ بما يتّفق مع الأزمنة الحاضرة فيما يتعلّق بتجنيز البطريرك، مع بعض التوجيهات المأخوذة من ترتيب الأنبا غبريال الخامس.

---

[٥٨] القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة**، ١٦٢ وما بعدها. (58) «ⲟⲩⲡⲁⲣⲁⲑⲏⲕⲏ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲟⲩⲟϩ ⲙ̀ⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲛ ⲡⲉ ⲑⲏⲉⲧⲉⲑⲱⲣ ⲙ̀ⲯ».

[٦٠] راجع: الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٣٠٩-٣٧٧. الأنبا مرقس خزام، **كتاب الجنانيز أي صلاة الموتى المؤمنين**، القاهرة ١٩٣٤، ٧٨-١٧٠. الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٤١٥-٤٢٣.

ترتيب الطقس: صلاة رفع البخور. المزامير: ١١٧:١-٥؛ ١١٨:٣٣-٤٠؛ صلاة الشكر. البركة. المجد للآب. الرسالة، عبر ١٣:٧-٢١. المزامير: ٦٠:٥-١٣٨:١١-١٥. الثلاث أواشيّ الصغار. **قانون الإيمان**. ثمّ ٤٦؛ ٩٠:١-٢. الإنجيل، **لو ٢٢:٢٤-٣٠**

الصلاة التالية:

الصلاة: «السيّد الربّ يسوع المسيح خالق كلّ البرايا، الذي من أجل كثرة صلاحك **احتملت** أن تصير رئيس كهنة. الذي زيَّنَ بيعته المقدّسة بالإنعام والأوامر المختلفة هذه التي ابتعتها بدمّك الكريم لإعدادِ شعبك. امنحنا أن نتذكّر بالطهارة والبرّ أن نُقدّم لك تسابيح الشكر على سائر أعمالك. لأنّك أنت عوننا وناصرنا ومخلّصنا ورجائنا وشفائنا وقيامتنا وحياتنا معًا. أنت أيضًا الآن أيّها الصالح المحبّ البشر جعلت طقسًا لسائر مخلوقاتك المرئيين وغير المرئيين، ما في السموات وما على الأرض وما تحت الأرض. لا سيّما يا ربّ بيعتك الجليلة التي وضعتها بيدي حراس وساهرين ورُعاة ليرعوا شعبك ويعظوهم. ويقطعوا بكلمة الحقّ بغير خزي ويعِدّوا لك شعوبًا وأبناء لوليمتك السمائيّة. نسأل ونتضرّع إليك يا محبّ البشر المُحسِن إلينا، أقبل إليك بسلام هذه الوديعة الخالصة والنفس الطوبانيّة التي لأبينا (الأسقف، المطران، أو البطريرك) المُحِبّ الأنبا (فلان). **هذا الذي لجأ إليك** يا الله الحيّ. إذ هو وكيلك الذي كان على بيعتك المقدّسة وبيده كتاب وكالته، **أعطِه**

أجرًا سمائيًا ورُتبة حسنة[٦١] ليكون مُشاركًا للذين سبقوه. الذين هم الرعاة المعلِّمين الذين قطعوا بكلمة الحقّ باستقامة. وأضاءوا على بيعتك بالنور الحقيقيّ الذي لمعرفتك الحقيقيّة. الذين هديتهم إلى ميناء الحياة الأبديّة في الدهور الآتية. نسألك يا ملِكنا عِدْنا معهم ونيّحنا مع قطيعك الطاهر الذين **فازوا بالوقوف من عن يمينك**[٦٢]. واجعلنا أهلًا للصلوات والشفاعات لكي نجاهد بلا ضعف ولا فشل. لكي نخدمك بالمخافة ونجد معهم نعمةً من قِبَلك ونفوز أيضًا بمواعيدك التي لا تُماثَل. أنت مُعطي الخيرات الأبديّة. ويليق بك المجد مع أبيك الصالح والروح القدس إلى الأبد. آمين»[٦٣].

ترتيب الطقس:

لقد وضع الأنبا غبريال الخامس في كتابه **الترتيب الطقسيّ**[٦٤]، قواعدًا موسّعة أكثر.

«إذا كان الأب البطريرك مريض. والأب الأسقف في بلاده[٦٥]. ويبلغ أحدهم الموت. تجتمع إليه الكهنة. والشعب جميعه. والأيتام. والأرامل. ويسلموا عليه. ويتباركوا منه. ويسألوه أن يحاللّهُمَ أولًا. ثم يسرعوا ويرسلوا خلفه الآباء الأساقفة. والكهنة وروسا الديارة

---

[٦١] حرفيًا: "ترتيب حسنة".

[٦٢] «ЄΤΑΤϢΑϢΝΙ ЄΠΙϪΙΝΟϨΙ ЄΡΑΤϤ ϹΑΟΥΙΝΑΜ ⳀⲘⲘⲞⲔ».

[٦٣] القمص حنّا غبريال، التجنيز، ٨٠-٨٤.

[٦٤] الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسيّ، ٤١٥-٤٢٣.

[٦٥] أي في مكان كرسيّه.

والشعب. من البلاد القريبة ليحضروا لوداع أبيهم. وأخذ بركته. وإذا حصل له النياح. **يصنعوا مناحة عظيمة**. كما صنع بنو اسرايل على أبيهم يعقوب[٦٦]. ثم يبتدوا بالصلاة – ١٥١ مزمور[٦٧]. ثم إذا كان باكرًا يحملوا جسده إلى وسط البيعة. ويغسلوا يديه. ورجليه. ويلبسوه جبب الخدمة[٦٨]. ويوشحوه بإسكيمين. ويلبسوه قلنسوتين. وبرنسًا أيضًا. بغير طراز. ويربطوا الصليب الصغير على يده اليمنى بمنديله». يلي ذلك: صلاة باكر. نصّ من إنجيل يوحنّا. الاحتفال بالقدّاس الإلهيّ. وبعد قراءة ٢**تيمو** ٣: ١٠ وما بعده، يُقال: «**اطلبوا من أجل نياح نفس بطريركنا الأنبا (فلان).** لكي تمنح نعمة ربنا يسوع المسيح النياح لنفس أبينا الطوباوي البطريرك الأنبا (فلان) ..»[٦٩].

بعد ترتيل **الطروحات**، «يبتدوا (الأساقفة والقسوس) بعمل التجنيز، وكل الشعب رجال ونسوان قيام بسكوت بهدو. **مبتهلين إلى الله. في نياح نفس أبيهم**». وبعد صلاة الشكر وكيرياليسون «يتقدم الكاهن الكبير. ويرشم الدرج [درج البخور] بالصليب. بيد الأب البطريرك. (الذي هو ماسك الصليب) ويأخذ البخور. ويضعه في كف البطريرك الأيمن. ثم يتناوله من يده. ويضعه في المجمرة. ثم يضع تاني دفعة البخور في

---

[٦٦] تك ٥٠: ١ وما بعده.

[٦٧] وفقًا للنسخة القبطيّة. فيما يتعلّق بالنصّ القبطيّ والنصّ العربيّ، راجع: كتاب زبور داود، روما ١٧٤٤.

[٦٨] ثياب الخدمة الكهنوتيّة.

[٦٩] كتاب خدمة الشمّاس والألحان، ٥٥-٥٦.

يده [يد البطريرك] أيضًا. ويسكبه في يد القس التاني. ويضعه ذلك في المجمرة. وكذلك تفعل كل الكهنة في رفع البخور أيضًا إلى آخرهم»(٧٠).

بعد قراءة بعض الصيغ، يقوموا بقراءة ١٢ نبوءة: تث ٣٢:٣٩-٤٣؛ تك ٧:٢٥-١١، يش ١:٢٣-١٥؛ تث ٣١:١٤-٣٢؛ أيوب ١٤:٧-٣٢؛ ٢ملو ١:١٧-٢٧؛ ٣ملو ٢:١-١٠؛ أم ٨:١٣-٢١؛ يونان ٢:١-١١؛ دا ١٢:١-١٣؛ حز ٣٧:١-١٤؛ أش ٣٨:١-٨. يليها تسعة صيغ. ثمّ يقوم أكبر الكهنة سنًّا بقراءة **تفسير الطرح**، وهو عبارة عن توصيّات متبادلة بين المتوفّ والأحياء(٧١).

التوصيّات:

«أسألكم أنا المسكين الخاطي. أفاوض محبتكم بلسان الحال عن الأب السيد البطريرك أنبا فلان. الملقى أمامكم. قايلا

أنا أبوكم ومعلمكم. فاسمعوا كلكم وصاياي. يا أولادي الأحبا

أنا أبوكم ملقى طريح(٧٢) أمامكم. أخاطبكم بلسان الحال قايلا

أسألكم يا أولادي الأحبا. احفظوا الإيمان بالثالوث المقدس.

أسألكم يا أولادي الأحبا. أن تحبوا بعضكم بعضًا محبة حقيقية.

(٧٠) الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، ٤١٦ وما بعدها.

(٧١) الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، ٤١٧ وما بعدها.

(٧٢) طريحًا.

أسألكم يا أولادي الأحبا. أن تحسنوا لساير الناس الدين يجوا(٧٣) إليكم

أسألكم يا أولادي الأحبا. لا تدعوا العالم يضلكم.

أسألكم يا أولادي الأحبا. لا تتكاسلوا فى خدمة الله.

أسألكم يا أولادي الأحبا. أن تتعبوا فى الصلاة.

أسألكم يا أولادي الأحبا. احفظوا ألسنتكم من النميمة.

أسألكم يا أولادي الأحبا. احفظوا المعمودية التى أعطيت لكم.

أسألكم يا أولادي الأحبا. احفظوا أجسادكم طاهرة للرب.

أسألكم يا أولادي الأحبا. لا تدعوا مصابيحكم البتة تطفى.

أسألكم يا أولادي الأحبا. احفظوا الناموس الذي أعطى لكم(٧٤).

أسألكم يا أولادي الأحبا. أن تجعلوا خوف الله داخلكم.

الله الشاهد على يا أولادي الأحبا. أننى لم أخفي(٧٥) عنكم شى(٧٦) من كلام الله ولم أنم(٧٧) البتة. وليس عندى وجد(٧٨) على

(٧٣) الذين يجيئون.

(٧٤) الذي أُعطيَ لكم.

(٧٥) لم أخفِ.

(٧٦) شيئًا.

(٧٧) ولم أنَم.

(٧٨) تعبير قبطيّ نمطيّ.

أحدٍ[79] منكم. فإن حفظتم ما قلته لكم. ملوك الأرض تخضع
لكم. إن حفظتم ما قلته لكم. وطيتم على راس التنين. إن
حفظتم ما قلته لكم. أكلتم من خيرات الأرض. إن حفظتم ما
قلته لكم. الشاروبيم المضي ينير لكم. إن حفظتم ما قلته لكم
لا تعجروا شيئًا[80] من الخيرات السمائية.

أنا أسألكم يا أولادي الأحبا. أن تسالوا المسيح فى نفسى[81] أن
يعطيها راحة أمامه. ولا يؤاخذني لما سلف مني. من الزلل
والهفوات. أطلب إلى محبتكم. وأتضرع إلى قدسكم. أن تجعلوني
في حل. من قبل كل واحد واحد[82] منكم. وها الآن بعت[83]
منكم. ورحلت عنكم. وما عدت من الآن أرى وجوهكم. وأنا
أسألكم أن تتعبوا فى الصلاة عنى. والدكر[84] في القداسات. أن
يقبلنى سيدى اليه. ويصفح عن جميع ما تقدم مني. أنا أسأل
المسيح. راعى الرعاة الأعظم. أن يقيم لكم راعيًا صالحًا برضاه
يرعاكم. ويسوس أموركم ويسهر عن خلاص نفوسكم.

---

(79) أحد.

(80) لا تخسروا شيئًا.

(81) لأجل نفسي.

(82) التعبير في اللغة القبطيّة يعني كلّ واحد.

(83) بَعِدْتُ عنكم.

(84) الذِكْر.

ونحن نسألك يا أبينا[85] الأب القديس أن تذكرنا نحن أولادك.
الأيتام من أبوتك. أمام المسيح. ونسأله أن يحرسنا من ضربات
العدو الخبيث. ويعطينا عقلًا متيقظًا. لنحفظ أقوالك ووصاياك.
ويعوضك عوض تعبك. معنا بأفضل الجزا. والخلود فى يروشليم
السمايية. مع أبهاتنا[86] البطاركة السالفين (لك). بشفاعة الست
السيدة. البتول الزكية. ومارى مرقس الإنجيلي الرسول. كاروز الديار
المصرية. وكافة الشهدا والقديسين. والدين أرضوا الرب بأعمالهم
الصالحة. آمين»[87].

ترتيب الطقس:

مرد الإنجيل بلحن التجنيز. الأواشيّ الثلاث الصغار. وبعدها يقول الكاهن:
«صلوا من أجل نياح نفس أبينا. البطريرك. أنبا (فلان)..». فيرُدّ الشمّاس قائلًا:
«ليمنحه الراحة فى حضن آبائنا البطاركة..». ثمّ تُتلى الصلاة التي ذكرناها في بداية
هذه الفقرة. «ثم بعد ذلك يتقدم الكهنة ويحملوا الأب البطريرك. على أعناقهم.
ويصعدوا به إلى المدبح. ويدورا به سبع دورات. مقلوبة[88]». وأثناء هذا يرتّلون
الطروحات. «ثم إدا انتهت الدورات. يسندوه[89] على السيرونس[90] ويعطوه

---

(85) يا أبانا.

(86) آبائنا.

(87) الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسيّ، ٤١٩-٤٢١.

(88) ربّما يعني ذلك أن تكون جهة الرأس في المقدّمة.

(89) يسندونه.

(90) السترونس = كرسيّ البطريرك.

البخور[٩١]. ويقبلوا[٩٢] يده». وبعد العديد من المراسم والصلوات الأخرى، ثم يقري المرتبة فوق الكندرة[٩٣] وبعدها يرفع الصليب. ويقولوا[٩٤] يا رب ارحم مائة دفعة. وهم بخوار شديد[٩٥]. ودموع على يتمهم وفراق أبيهم وراعيهم. وبعد ذلك يقبلوه الكهنة وكل الإكليروس. وكل الرجال والنسوان. والعذارى[٩٦] والرهبان. ويحملوه[٩٧] ببكا ونحيب. من جميعهم إلى مكان قبره»[٩٨].

١١ - الدفن:

ترتيب الطقس:

بعد إتمام المراسم في بيت المتوفَّى وفي الكنيسة، يتهيّأ الموكب الجنائزيّ للتوجّه إلى المقابر. قبل الدفن يتلو الكاهن الصلاة التالية المليئة بالذكريات القديمة.

الصلاة:

«أيّها السيّد الربّ الضابط الكلّ أبو ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح نسأل **ونطلب من صلاحك يا مُحبّ البشر عن عبدك (فلان) الذي قد خرج من الجسد.**

---

[٩١] يعطونه البخور = يبخرون أمامه.

[٩٢] يُقَبّلون يده.

[٩٣] تُقرأ المرثيّة أو الصلاة الجنائزيّة عند كرسيّه.

[٩٤] ويقولون مائة مرّة يا ربّ ارحم.

[٩٥] ببكاء ونواح عظيم.

[٩٦] أي الراهبات.

[٩٧] ويحملونه.

[٩٨] الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٤٢١ وما بعدها.

لكي ترسل أمامه ملاك الرحمة. ملاك العدل. ملاك السلامة. ليقدّموه إليك بغير خوف. جميع غلطات لسانه وكلّ زلّاته اتركها له. لتهرُب الخدّام الذين يتكلّمون عنه بالخوف. ولتبطل قوّة المضادّ. وليضمحلّ حنق التنّين. ولتُسَدّ أفواه الأسد ولتتفرّق الأرواح الشرّيرة. ولتنطفئ نار جهنّم وليهدأ الدود الذي لا ينام. ولتُضيء الظلمة المدلهمة. ولتَسِر أمامه ملائكة النور. وليُفتح له باب البرّ. وليكن مُشارِكًا لمصافّ السمائيّين. أدخله فردوس النعيم. أطعمه من شجرة الحياة. أتكئه في حضن آبائنا الأوّلين. إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوتك. أمّا نحن فنطلب عنه ها هنا. وأمّا هو فيذكرنا أمامك. بالنعمة والرأفات ومحبّة البشر التي لابنك الوحيد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح. هذا الذي يليق بك المجد والإكرام. والعزّ والسجود معه مع الروح القدس. الآن وكلّ أوان. آمين»[٩٩].

طقس دفن البطريرك أو الأساقفة:

ترتيب الطقس:

الترتيب الطقسيّ الذي نسّقه الأنبا غبريال الخامس يتضمّن الترتيبات التالية: رفع البخور. مزمور ١٣١. الدعاء «من أجل انحلال الجسد»[١٠٠]. الإنجيل، لو ١١:١٩-١٩. الإبصاليّة: «التراب عاد إلى التراب»[١٠١]. دعاء للعذراء، الملاك

---

(٩٩) القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة**، ١٣٧ وما بعدها.

[١٠٠] راجع: كتاب خدمة الشمّاس، ٢٨٥.

[١٠١] النصّ من: الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٣٧١ وما بعده.

ميخائيل، والقدّيس مرقس الإنجيليّ. الأواشيّ الثلاث الصغار. الأمانة. ثمّ الصلاة التالية:

الصلاة:

«التراب عاد إلى التراب. **والروح صعد إلى الله. والإنسان مضى إلى بيته الدهري.** اذكروا الذي قاله الرب لآدم. يا آدم أنت تراب. والى التراب تعود. يا إله إبراهيم. وإله إسحق. وإله يعقوب. **اصنع رحمة مع نفس عبدك المتنيح** (فلان). يا ميخاييل العظيم في روسا الملايكة. الأخذ نعمة عن جميع النفوس. **خذ نعمة. لنفس عبدك** أبينا أنبا (فلان). ليجد دالة في المنبر المرهوب. أمين كيرياليصون»[١٠٢].

ترتيب الطقس:

يتلوا الكهنة معًا بصوت واحد أوشية الأموات وبعدها ٣ مرات كيرياليسون، ثمّ الصلاة التالية:

«اذكر يا رب عبدك (فلان). رييس الكهنة. كما خدم على مذبحك الطاهر بطهارة وبر واستقامة قلب. نيح يا الله نفسه. في **مواضع نياح الحياة في الفرح الذي لا يتغير. في نصيب القديسين. في الفرح الذي لا يوصف. المملوا[١٠٣] مجدًا. في بيعه الأبكار التى لا توصف الدي[١٠٤] في السموات.** بربنا يسوع المسيح. هذا الذي

[١٠٢] الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، ٤٢٣.

[١٠٣] المملوء.

[١٠٤] التي.

تباركت معه. والروح القدس إلى الأبد. آمين – نجدد السؤال. والتضرع إليك يا يسوع المسيح. راعي الرعاة الأعظم. بشفاعة سيدتنا كلنا. الست الطاهرة مرتمريم. وأبونا[١٠٥] القديس الطاهر. مرقس الإنجيلي. احرسنا بعد راعينا. من الدياب الخاطفة. واهدينا[١٠٦] إلى طريق الخلاص. وقيم[١٠٧] لنا راعيًا صالحًا. وأبًا شفوقًا. رحيمًا. ليرعانا. ويسهر على خلاص نفوسنا. لنجد دالة يوم موقفك المرهوب العادل. بطلبات كل قديسك[١٠٨] آمين»[١٠٩].

ترتيب الطقس:

أبانا الذي. يتلو كبير الكهنة صلاة: «نعم ياسيّد، يا ربّ». تحليل الابن. كيرياليصون ٤١ مرّة. البركة. ثمّ الختام بالنصّ الكتابيّ: «لأَنَّكَ تُرابٌ وإِلى التُّرابِ تعود»[١١٠]، بينما ينثر الكاهن حفنة من التراب فوق التابوت الموضوع في القبر.

١٢ – تذكار الأموات:

ذَكَرنا في الفصل الأوّل، الفقرة ١٠، من بحثنا هذا، أنّ أيام تذكارات الموتى عند الأقباط هي: **اليوم الأوّل، الثالث، السابع، الثلاثين، الأربعين، الستّة أشهر، والذكرى السنويّة**، كما تكلّمنا أيضًا عن المتغيّرات. أمّا في الفقرة الحالية فسوف

[١٠٥] وأبينا.

[١٠٦] واهدنا.

[١٠٧] وأقِم.

[١٠٨] قدّيسيك.

[١٠٩] الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، ٤٢٣.

[١١٠] تك ٣: ١٩.

نبحث عن البرهان الليتورجيّ، حيث نلاحظ على الفور أنّ الليتورجيا ليس فيها تلك المتغيّرات. مع ذلك ليس هناك ثبات في عرض التسلسل المعروف لتلك الأيام التي ذكرناها، ذلك لأنّ هناك تفاوت في جمع هذه الأيام معًا، وفي ترقيمها، وفي ترتيب وتحديد الصلوات الخاصّة بها. الأنبا غبريال الخامس في كتابه الترتيب **الطقسيّ**، اقتصر على ذكر «صلاة القبر وهي رفع الحصير، تذكار اليوم الثالث، والتذكارات الأخرى»[111]. أمّا الأنبا روفائيل الطوخي فقد جمع معًا رفع الحصير والثالث والسابع في ترتيب واحد للمراسم[112]، والأربعين والستّة أشهر والسنويّة في ترتيب آخر للمراسم[113]. أمّا القمص حنّا غبريال فقد اعتمد هذا الترتيب المختلف: مراسم اليوم الثالث واليوم الأربعين والسنوية[114]، ثمّ مراسم فيها تكرار جزئيّ لليوم الثلاثين واليوم الأربعين والستّة أشهر والسنويّة[115]. فضلًا عن ترك حرّيّة كبيرة للكهنة في اختيار الصيغ والصلوات. لذا، بعد حديثنا عن مراسم اليوم الأوّل من التجنيز، سنقوم بتبسيط مراسيم أيام التذكارات بالاقتصار على ما يخصّ بحثنا الحالي.

(111) الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٤٢٨ وما بعدها.

(112) الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٥٠٢-٥١٤.

(113) الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٥١٤-٥٢٤.

(114) القمص حنّا غبريال، **التجنيز**، ١٥٧-١٦٩.

(115) القمص حنّا غبريال، **التجنيز**، ١٧٠-١٨٠.

١. صلاة رفع الحصير:

تكلّمنا في الفقرة الثانية من الفصل الأوّل عن **صرف الروح**، بعد ثلاثة أيام من الوفاة. هذا ما يذكره الأنبا غبريال الخامس: «إن كان هي رفع الحصير. فى اليوم الثالث. يوضع إنا[116] فى وسط البيت. فيه قليل ماء. وقليل ملح. وحزمة ريحان». بعد ذلك، صلاة الشكر؛ رفع البخور؛ كيرياليصون؛ المجد للآب؛ **أبانا الذي**. المزمور ٥٠؛ أوشية المرضى[117]؛ صيغ أخرى؛ **البولس**[118] الذي يُقرأ باللحن الحزين في أيّ وقت من أوقات السنة فيما عدا الخمسين يومًا التالية لعيد القيامة وفي أيام الآحاد على مدار السنة يُقرأ بالصيغة المختصرة. تفسير البولس. **قدّوس**: **ⲁⲅⲓⲟⲥ**. أوشية الإنجيل. المزامير: ٧٧؛ ٣٨؛ ٨٥؛ ٦٧. **الإنجيل، لو** ٧:١٨-٢٣، أو يو ١١:٣٤-٤٥. مردّ الإنجيل بلحن التجنيز. الأواشيّ الثلاث الصغار. **الأمانة**. أوشية الأموات. طلبات. **أبانا الذي**. تحليل الابن. بعد ذلك «يرفعوا الصليب. ويقولوا كرياليصون ٤١ مرة وبعدها اليلويا بلحن التجنيز. ويرش الكاهن أربع أجناب المكان. بالحزمة الريحان بالما مثال الصليب[119]. وكذلك فرش المتنيح وثيابه. ويختم ذلك بقراءة البركة[120]. ويمضوا[121] بسلام الرب. وعلينا رحمته. آمين»[122].

(116) إناء.

(117) من صلاة رفع البخور الموجودة في كتاب القدّاس. وستحدّث عن ذلك في فقرة مستقلّة.

(118) أي القراءة المأخوذة من رسائل القدّيس بولس وهنا يعرض الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٥٠٤-٥٠٩، قراءتين: رو ٥:٦-١٥ و ٢كور ١:١-١٠.

(119) بحزمة الريحان بالماء على مثال الصليب.

(120) ويختم ذلك بقراءة البركة.

(121) ويمضون.

٢. اليوم الثالث واليوم السابع[123]:

المراسم: صلاة الشكر. رفع البخور. المزامير: ٥٠ بأكمله؛ ٦٨:٢-٣-٩؛ ١١٨:٥٧-٦١؛ ٦٨:١٤-١٨. البركة. **المجد للآب**. الرسالة، رو ٥:٦-١٥. مزمور ٣٧:١٢-٢٢-٢٣. الإنجيل، **يو** ١١:٣٨-٤٥. الأواشي الثلاث الصغار. الأمانة. الصلاة التالية:

«نشكرك أيها الرب الإله الضابط الكل أب ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح. أب الرآفة وإله كل عزا الذي عزانا في تواضعنا وتعاهدنا في شدايدنا بلا فتور. لأنك بإرادتك صنعتنا وزينت العالم بنا وبحكم عدل أتيت علينا بحكم الموت من أجل خطايانا لأنا أخطأنا إليك منذ صنعتنا. وخالفنا ناموسك ووصاياك بجسارةٍ وكسلٍ ومشورةٍ وإنا بالحق مستوجبين الموت. لكن أحييتنا بتجسد (أي بتانسٍ) فتاك وحيدك الوحيد الجنس وبموته أبطلت سلطان الموت الذي هو الشيطان وأحييتنا دفعة أخرى. نسألك يامالكنا رب الكل أن تحفظ هذه الوديعة التي لعبدك (فلان) **وامنحه أجرًا سمايًا ونصيبًا صالحًا فى ملكوتك**. وعبيدك الذين خلفهم عولهم وعزيهم لأنك أنت أب الأيتام وقاضي الأرامل. وارفع عنهم وجع القلب والدموع من أعينهم وأعطهم صبرًا وعزآ

الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسي**، ٤٢٨ وما بعدها. راجع أيضًا: الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٥٠٢-٥١٤.

كما هو واضح، التوجيهات الليتورجيّة ينقصها التجانس. هنا ترتيب الأيّام وفقًا لكتاب الأنبا روفائيل الطوخي، **الأسرار المقدّسة**، ٥٠٣-٥١٤. كما أنّ القمص حنّا غبريال، **التجنيز**، قد أغفل اليوم السابع.

كما يرضيك. لأنك أنت حامل خطية العالم بابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا»[124].

٣. اليوم الثلاثون، والأربعون، والستّة أشهر، والسنويّة:

المراسم هي بعينها وبترتيب اليوم الثالث والسابع، لكن مع تغيير القراءات الكتابيّة من العهد الجديد. فالرسالة، **كولو** ١:١٢-٢٢. الإنجيل، **لو** ١٤:٧-١٥. بالإضافة إلى الصلاة التالية:

«التراب عاد إلى التراب والروح رجع إليك يا خالقنا وإلهنا ومعيننا في شدائدنا التى أصابتنا جدًا. يبس الجسد وانحلت القوى الحساسة. اهتدأ القلب. وبطل القتال وصمت الآذان. وغلقت العينان. وبطل نفس الأنف وخرس اللسان. اهتدت اليدين. استراحت الرجلين. وعادت العناصر إلى موضعها **والروح العاقلة حصلت عندك في موضع المجازاة**[125]. بل إن أخذت بالآثام يا رب. يا رب من يقدر يقف أمامك. أنت الرؤوف الرحيم على صنعة يديك تشفق علينا في كل حين كالأب الصالح محب الصلاح لبنيه. المشفق على الذين ولدهم من الصغير إلى الكبير ومن العبد إلى الحر. هؤلاء جميعًا شركاء في جسد ابنك الوحيد يسوع المسيح. لك المجد معه والروح القدس إلى الأبد. آمين.

نخضع برؤوسنا أمام مجدك. ونحني لك أعناق حواسنا بأنساننا الداخلي والخارجي كعبيد لك يا الله الضابط الكل. ونسأل صلاحك

(124) القمص حنّا غبريال، التجنيز، ١٧٨-١٨٠.

(125) «ⲡⲓⲡ̀ⲛⲁ ⲛ̀ⲛⲟⲏ̀ⲡⲟⲛ ⲁⲥϣⲱⲡⲓ ϧⲁⲧⲟⲧⲕ ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲙⲁ ⲛ̀ϯϣⲉⲃⲓⲱ».

المملوء رأفة على هذه الوديعة التي هي نفس عبدك (فلان). الذي هو كمال شهره (أو أربعينه أو ستة أشهره أو سنته) في هذا اليوم[126]. فليكن قيامه أمامك ودخوله إليك بأمرك المعطي الحياة وإرادتك الطوباوية في كل حين. فليكن وقوفه أمامك مستقيمًا وبصلاحك المملوء رحمة مر له بموضع راحة وبرودة ونياح في مساكن القديسين إلى قيامة الصديقين ومجازاة كل العالم. بمشيئتك وإعلان ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. لأن لك المجد معه وللروح القدس. الآن وكل أوان. آمين»[127].

٤. زيارة المدافن:

تكلّمنا في الفصل الأوّل أيضًا، في الفقرة ١١، عن زيارة المدافن، للصلاة من أجل راحة الأموات، في أوقات محدّدة من السنة. هذه الممارسة موجودة أيضًا في الترتيب الطقسيّ، ولكن بدون تحديد لمراسم وصلوات خاصّة. الكاهن لديه الحرّيّة في اختيار إمّا إحدى الصيغ التى أشرنا إليها آنفًا في سياق فقرتنا هذه، أو من صلاة رفع البخور التي سنتكلّم عنها لاحقًا في الفقرة التالية.

١٣- رفع البخور:

إنّها خدمة طقسيّة، تنقسم إلى جزأين: **ترتيب رفع بخور عشيّة وباكر**. وكلاهما بمثابة استعداد لخدمات ليتورجيّة أخرى، ولا سيّما ذبيحة القدّاس الإلهيّ. لذا

---

(126) «ⲉ̀ⲧⲉ ⲡϫⲱⲕ ⲙ̀ⲡⲉϥⲁⲃⲟⲧ ⲡⲉ : ⲓⲉ ⲡⲉϥ ⲙ̄ : (ⲓⲉ ⲡⲉϥ ⲋ̄ ⲛ̀ⲁⲃⲟⲧ : ⲓⲉ ⲡⲉϥⲣⲟⲙⲡⲓ) ⲡⲉ ⲫⲟⲟⲩ».

(127) القمص حنّا غبريال، التجنيز، ١٦٦-١٦٩.

نجدها في الجزء الأوّل من كتاب القدّاس (الخولاجيّ)[128]. المضمون متغيّر، لكن تذكار **الأموات أو أوشية الراقدين**[129] موجودة ما بين **تقدمة البخور وأوشية** المرضى[130].

في كتاب **الترتيب الطقسيّ** للأنبا غبريال الخامس نجد عرضًا موسّعًا للتوجيهات الطقسيّة، فهو يُبيّن أوّلًا كيفيّة استعداد الكاهن: «عندما يكشف الكاهن رأسه يجب عليه أوّلًا أن يستبري أفكاره ألّا يكون عند أحدًا من الشعب (عنده) غيض[131] أو مشاجرة أو حيف ولا يكون الآخر عنده من أحدٍ منهم غيظ ولا شرّ[132]. .. وأمّا الكاهن .. ويصعد إلى الهيكل برجله اليمنى .. وينزل من المدبح برجله اليسار». ثمّ يُضيف العديد من التفاصيل الأخرى، ويختتم الجزء الأوّل أي بخور عشيّة بقوله: «وهذا الترتيب في صلاة عشيّة بطول السنة. وأمّا صلاة باكر. كما شرحنا من غير زيادة. ولا نقصان غير أنّ كلّ يوم مكان صلاة المتنيّحين وهي **ⲉⲧⲁⲩⲉⲛⲕⲟⲧ** في صلاة عشيّة. يقول في صلاة باكر أوشية المرضى»[133].

أمّا الترتيب الوارد في كتاب القدّاس الذي يتبعه الأقباط الأرثوذكس حاليًا، فهو التالي:

---

(128) الأنبا روفائيل الطوخي، **الخولاجيّ**: رفع بخور عشيّة ص ١-٨٤، رفع بخور باكر ص٨٥-١٥٧؛ الخولاجيّ القبطيّ الأرثوذكسيّ، طبع جمعيّة أبناء الكنيسة، القاهرة ١٩٦٠، ص ١-٩٥، وهذا هو الذي ستتبعه هنا.

(129) رفع البخور: أوشية المتقلين الأوشية = ⲱϣ، تعني قراءة، صلاة.

(130) **الخولاجيّ**، ٢٤-٣١.

(131) غيظ.

(132) الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٣٥١.

(133) الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، ٣٥٩.

«**الكاهن. في رفع بخور عشيّة يقول الكاهن هذه الصلاة من أجل الراقدين**: "وأيضًا فلنسأل الله ضابط الكلّ، أبا ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح. نسأل ونطلب من صلاحك يا محبّ البشر، أُذكر يا **ربّ أنفُس عبيدك الذين رقدوا آبائنا وإخوتنا**"[١٣٤].

يقول الشمّاس: "أُطلبوا عن آبائنا وإخوتنا الذين رقدوا، وتنيّحوا في الإيمان بالمسيح منذ البدء. آبائنا القدّيسين رؤساء الأساقفة، وآبائنا الأساقفة، وآبائنا القمامصة، وآبائنا القسوس، وإخوتنا الشمامسة، وآبائنا الرهبان، وآبائنا العلمانيّين، وعن نياح كلّ المسيحيّين، **لكي المسيح إلهنا يُنيّح نفوسهم أجمعين في فردوس النعيم**، ونحن أيضًا يصنع معنا رحمة، ويغفر لنا خطايانا"[١٣٥].

يقول الشعب: "كيرياليسون".

يقول الكاهن: "تفضّل يا ربّ **نيّح نفوسهم جميعًا، في حضن آبائنا القدّيسين إبراهيم وإسحق ويعقوب. عُلهُم في موضع** خُضرة[١٣٦]، **على ماء الراحةِ في فردوس النعيم**. الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهُّد. **في نور قدّيسك**[١٣٧]. أقِمْ أجسادهم في اليوم الذي رسمته. كمواعيدك الحقيقيّة الغير الكاذِبَة. هَبْ لهم خيرات

---

(١٣٤) الخولاجيّ، ٢٥.

(١٣٥) الخولاجيّ، ٢٦.

(١٣٦) النصّ القبطيّ: «ϦЄN OYMA NX̀ⲖOH». يحتمل معنيين موضع خُضرة أو المرعى. والنصّ اليونانيّ وفقًا لسيرابيون، كما سترى لاحقًا يماثل القبطيّ: «ἐν τόποις χλόης»، وهو إشارة إلى النصّ الكتابيّ: "في مراع خضر يربضني". مز ٢٣:٢؛ أش ٤٠:١١؛ حز ١٣:٤٣.

(137) «ϦЄN ⲪOYⲰINI ǸTЄ NHЄΘOYAB».

مواعيدك. ما لم ترَهُ عينٌ، ولم تسمع به أُذُنٌ. ولم يخطر على قلب بشرٍ ما أعددته يا الله لمُحِبّي اسمك القدّوس. **لأنّه لا يكون موتٌ لعبيدك بل هو انتقالٌ**[١٣٨]. وإن كان لحِقَهم توانٍ أو تفريط كبشرٍ. وقد لبسوا جسدًا وسكنوا في هذا العالم. فأنت كصالح ومحبّ البشر **اللهُمّ تفضّل يا ربّ واغفر لهم**. عبيدك المسيحيّين الأرثوذكسيّين الذين في المسكونة كلّها من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى اليمين. كلّ واحدٍ باسمه وكلّ واحدة باسمها. يا ربّ نيّحهم. فإنّه ليس أحدٌ طاهرًا من دنس ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض. فأمّا هُم يا ربّ الذين أخذت نفوسهم **فنيّحهم**[١٣٩] وليستحقّوا ملكوت السموات. وأمّا نحنُ كلّنا فهَب لنا كمالنا المسيحيّ يرضيك أمامك. وأعطِهم وإيّانا نصيبًا وميراثًا مع كافّة قدّيسيك"»[١٤٠].

١٤- «التذكار» في القدّاس:

يوجد في الطقس القبطيّ قدّاس من أجل راحة أنفس الأموات، والقدّاس المعتاد الذي فيه **تذكار الراقدين**. القدّاس الأوّل لا يختلف عن الآخر سوى في القراءات: **رو ٦:٨-١٥؛ ١بط ١:٢٢-٢٥؛ أع ٢:٢٩-٣٥. قدّوس: ⲀⲄⲒⲞⲤ. أوشية**

---

(138) «ϪЄ ÌⲘⲘON ⲘOY ϢOⲠ ǸNЄKЄ̀ⲂⲒⲀⲒK ⲀⲖⲖⲀ OYOYⲰ̀TЄⲂ Є̀ⲂOⲖ ⲠЄ».

(١٣٩) نيّحهم = «ⲘⲀ̀ⲘTON NⲰOY».

(١٤٠) الخولاجيّ، ٢٧-٣٠.

الإنجيل. مزمور ١٠٢: ١٥-١٦. الإنجيل، لو ٦: ٣٥-٤٧. ثمّ الإبصاليّة التي أشرنا إليها آنفًا في الفقرة ٤ من هذا الفصل(١٤١).

الذكرى في القدّاس العادي تشمل ثلاثة فئات من المنتقلين: القدّيسين الذين في السماء؛ البطاركة والأساقفة والرهبان؛ والمنتقلين بصفة عامّة. من الناحية اللاهوتيّة يهمّنا تفحّص الحالتين اللتين تتأمّل فيهما الصلاة القديمة والصلاة الحالية، اللتين بنفس مهابة القدّاس الإلهيّ: ألا وهما حالة النعيم في الفردوس التي يتمتّع بها القدّيسين بالفعل، وحالة انتظار الذين رقدوا في الإيمان، على رجاء الحصول على نعيم الفردوس عينه بفعل هذه الصلاة مع ممارسات الترحيم الأخرى. مفاهيم الدينونة الخاصّة والمَطهَر موجودة فيها ولكن بدون التسمية، ولذا سنشير إلى ترتيب الطقس وإلى النصوص.

١. تذكار أو «مجمع» القدّيسين:

بعد أوشية القرابين الصغيرة، **يقول الكاهن:** «لأنّ هذا يا رب هو أمر ابنك الوحيد، أن نشترك في تذكار قدّيسيك. تَفضَّل يا ربّ أن تذكر جميع القدّيسين الذين أرضوك منذ البدء. آبائنا الأطهار، رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والمُبشِّرين والإنجيليّين والشهداء والمُعترفين وكلّ أرواح الصدّيقين الذين كَمِلوا في الإيمان. وبالأكثر القدّيسة المملوءة مجدًا، العذراء كلّ حين، والِدَة الإله القدّيسة الطاهرة مريم، التي ولدت الله الكلمة بالحقيقة. والقدّيس يوحنّا السابق الصابغ والشهيد. والقدّيس أستفانوس رئيس الشمامسة

(١٤١) القمص حنّا غبريال، التجنيز، ١٨٢-١٩١.

وأوّل الشهداء، وناظر الإله الإنجيليّ مرقس الرسول الطاهر والشهيد...». القائمة طويلة وتمتدّ لتشمل القدّيسين الذين اعتقدوا في الطبيعة الواحدة، مثل ديسقوروس وساويرس؛ وقدّيسي الكنائس الأخرى، مثل باسيليوس وأغريغوريوس الأرمنيّ، والثلاثمائة والثماني عشر المجتمعين في نيقية، وعلى رأسهم قدّيسي الكنيسة القبطيّة، مثل القدّيس أثناسيوس، القدّيس كيرلس، القدّيس أنطونيوس، القدّيس الأنبا بولا المتوحّد، الأنبا باخوم، الأنبا مقار، وآخرين(١٤٢).

يقول الشمّاس: «القارئون فليقولوا أسماء آبائنا القدّيسين البطاركة الذين رقدوا. الربّ يُنيّح نفوسهم أجمعين ويغفر لنا خطايانا»(١٤٣).

يقول الكاهن هذا الترحيم سرًّا: «اُذكر أيضًا يا ربّ كلّ الذين رقدوا وتنيّحوا، في الكهنوت والذين في كلّ طغمة العلمانيّين. تَفضّل يا ربّ **نيّح نُفوسَهُم أجمعين، في حضن آبائنا القدّيسين، إبراهيم وإسحق ويعقوب.** عُلهُم في موضِع خُضرَةٍ، على ماء الراحة، في

(١٤٢) **الخولاجيّ**، ٢٤٧-٢٥٢. نتبع هنا القدّاس الباسيليّ، وهو القدّاس المعتاد في الطقس القبطيّ. "التذكار" الحالي المتّبع في الطقس القبطي لا يتبع نسقًا منظّمًا، بينما نجد في النسخ العتيقة تنسيقًا منطقيًّا أكثر. لذا الدراسة النقديّة قد تُلقي ضوءً على هذه الظاهرة فتُبرز الأجزاء المنسّقة في الكتب الطقسيّة الأولى، وفي هذا الصدد يمكن مراجعة كتاب الأبّ ألفونس عبد الله، **الترتيب الطقسيّ للأنبا غبريال الخامس**، ٩٥-٩٧.

(١٤٣) **الخولاجيّ**، ٢٥٣.

فردوس النعيم. الموضِع الذي هَرَبَ منه الحُزن والكآبةُ والتنهُّد، في نور قدّيسيك»[١٤٤].

٢. «تذكار» الرُتب الكنسيّة:

وفقًا للرُّتبة الكنسيّة للمتنيّح، تُضاف الدرجة: البطريرك أو المطران أو الأسقف بعد ذكر الاسم:

«أُذكر يا ربّ نفس أبينا أنبا (فلان)..». فيُضيف الشمّاس: «اطلبوا من أجل نياح نفس أبينا الطوباوي المكرّم الأنبا (فلان)، لكي **يمنحه الربّ الراحة في حضن آباءنا القدّيسين إبراهيم وإسحق ويعقوب في فردوس النعيم**. ويغفر لنا خطايانا»[١٤٥].

يقول الشعب: «كيرياليسون».

يقول الكاهن: «تفضّل نيّحها مع قدّيسيك. أنعِم بأن تُقيم لنا راعيًا صالحًا ليرعى شعبك بالقداسة والحقّ». ثمّ يضيف هذا الترحيم من قدّاس القدّيس كيرلس: «وهؤلاء وكلّ واحد يا ربّ، الذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكُرهم الذين في فِكر كلّ واحدٍ منّا، والذين ليسوا فينا. الذين رقدوا وتنيّحوا في إيمان المسيح»[١٤٦].

يقول الشمّاس: «أُطلبوا عن آبائنا وإخوتنا الذين رقدوا، وتنيّحوا في الإيمان بالمسيح منذ البدء. آبائنا القدّيسين رؤساء الأساقفة، وآبائنا الأساقفة، وآبائنا القمامصة، وآبائنا القسوس،

---

[١٤٤] الخولاجي، ٢٥٣ وما بعدها.

[١٤٥] الخولاجيّ، ٢٥٤ وما بعدها.

[١٤٦] «ϦEN OϮTOϮBO NEM OϮMEΘMHI»، الخولاجيّ، ٢٥٥ وما بعدها.

وإخوتنا الشمامسة، وآبائنا الرهبان، وآبائنا العلمانيّين، **وعن نياح كلّ المسيحيّين، لكي المسيح إلهنا يُنيّح نفوسهم أجمعين في فردوس النعيم**، ونحن أيضًا يصنع معنا رحمةً، ويغفر لنا خطايانا»[١٤٧].

يقول الكاهن: «تَفَضَّل يا ربّ نيّح نفوسهم أجمعين ... مع جميع قدّيسيك»[١٤٨].

فيقول الشعب: «كيرياليسون».

يقول الشمّاس: «بصلوات وشفاعات ذات كلّ قداسة المُمجَّدة الطاهرة المباركة سيّدتنا والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم. والقدّيس النبيّ السابق المعمّدان الشهيد يوحنّا. والقدّيس إستفانوس رئيس الشمامسة وأوّل الشهداء. والقدّيسين الرسل الممجّدين والأنبياء، والحسنيّ الظَّفر الشهداء وكلّ مصافّ القدّيسين. أنبا (فلان) رئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندريّة وأساقفتنا الأرثوذكسيّين المشكورين ومن أجل الراقدين ونياحتهم وآبائنا القدّيسين. **أوّلًا**: القدّيس مرقس الرسول الإنجيليّ، رئيس الأساقفة والشهداء.. إلخ»[١٤٩].

يستطرد الشمّاس: «العظيم أنبا أنطوني، والبارّ الأنبا بولا، والقدّيسين الثلاثة المقارات، أنبا يحنس القصير، أنبا بيشوي، أنبا بولا أبوانا القدّيسان الروميّان مكسيموس ودوماديوس، أنبا موسى،

---

[١٤٧] الخولاجيّ، ٢٥٧ وما بعدها.

[١٤٨] هي نفس الصلاة الموجودة في رفع البخور، تلك التي أشرنا إليها في ختام الفقرة السابقة.

[١٤٩] تلي ذلك قائمة بجميع آباء كنيسة الإسكندريّة، من القدّيس مرقس حتّى آخر البطاركة الراقدين. الخولاجيّ، ٢٦٠ وما بعده.

أنبا يحنس كاما. أنبا دانيال. أنبا أيسيذورس. أنبا باخوم. أنبا شنوده وأنبا بفنوتيوس. أنبا برسوما. أنبا رويس ..»(١٥٠).

يقول الشعب: «بركاتهم المقدّسة فلتكون معنا. آمين. المجد لك يا ربّ، يا ربّ ارحم، يا ربّ ارحم، يا ربّ باركنا، يا ربّ نيّحهم»(١٥١).

٣. «تذكار» جميع الأموات:

«فأولئك يا ربّ الذين أخذت نفوسهم، نيّحهم في فردوس النعيم، في كورة الأحياء إلى الأبد. في أورشليم السمائيّة، في ذلك الموضع. ونحن أيضًا الغرباء في هذا المكان، احفظنا في إيمانك، وأنعِم لنا بسلامِك إلى التمام»(١٥٢).

يقول الشعب: «كما كان وهو كذلك يكون، من جيل إلى جيل، وإلى سائر دهور الداهرين. آمين»(١٥٣).

يقول الكاهن: «واهدِنا إلى ملكوتك. لكي وبهذا كما أيضًا في كلّ شيء، يَتَمَجَّد ويتبارك ويرتفع اسمُكَ العظيم القدّوس في كلّ شيء كريم ومبارك. مع يسوع المسيح ابنكَ الحبيب، والروح القدس»(١٥٤).

(١٥٠) الخولاجيّ، ٢٦٧ وما بعدها.

(١٥١) الخولاجيّ، ٢٦٨.

(١٥٢) الخولاجيّ، ٢٦٩: «ⲛⲏ ⲙⲉⲛ ⲡ̀ϭⲟⲓⲥ ⲉⲁⲕϭⲓ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲯⲩⲭⲏ : ⲙⲁⲙ̀ⲧⲟⲛ ⲛⲱⲟⲩ : ϧⲉⲛ ⲡⲓⲡⲁⲣⲁⲇⲓⲥⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡ̀ⲟⲩⲛⲟϥ : ϧⲉⲛ ⲡ̀ⲭⲱⲣⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲏⲉⲧⲟⲛϧ ϣⲁ ⲉⲛⲉϩ : ϧⲉⲛ ⲓⲁⲣⲟⲩⲥⲁⲗⲉⲙ ⲛ̀ⲧⲉ ⲧ̀ⲫⲉ : ϧⲉⲛ ⲡⲓⲙⲁ ⲉⲧⲉ ⲙ̀ⲙⲁⲩ...».

(١٥٣) الخولاجيّ، ٢٦٩ وما بعدها.

(١٥٤) الخولاجيّ، ٢٧٠.

١٥- ليتورجيّة سيرابيون:

إنّها وثيقة نسخها سيرابيون (٣٦٢م)، أسقف طمويس التي في الدلتا(١٥٥)، في منتصف القرن الرابع تقريبًا، وعُثِر عليها في مخطوط يرجع تاريخه إلى القرن الحادي عشر في جبل آثوس(١٥٦). النصّ المتعلّق بذِكر الموتى أثناء القدّاس هو نفس النصّ المذكور في الفقرة السابقة المأخوذ من الخولاجيّ القبطيّ المستخدم حاليًا. بالتالي، كتاب ترتيب الأسرار المقدّسة هو شاهد على أصالة وثبات التقليد.

«يا ربّ، يا من له سلطان الحياة والموت، إله الأرواح، ربّ كلّ جسد، يا الله الذي تُميت وتُحيي، الذي تنقل إلى أبواب الجحيم وتعود، الذي تخلق روح الإنسان فيه، وتستقبل أرواح القدّيسين وتُحييها؛ الذي تُغيّر وتُحوّل وتُبدّل خلائقك، كما يليق ويفيد، لأنك أنت وحدك غير الفاسد وغير المتحوّل والأبديّ. نصلّي لك من أجل المتنيّح عبدك هذا أو عبدتك هذه: إحيِ نفسها وروحها في أماكن الرعاية، في مضاجع الراحة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع القديسين. أمّا الجسد فأقمه في اليوم الذي حدّدته، وفق مواعيدك الأكيدة، لتعطيه المواريث المناسبة في مراعيك المقدّسة. لا تذكر

(١٥٥) راجع: GIAMBERARDINI G., *La Consacrazione Eucaristica nella Chiesa Copta*, Cairo 1957, 59-61.

(١٥٦) راجع: ALTANER, *Patrologia*, 188.
وفيما يتعلّق بأصالة الوثيقة واحتمال إعادة ترتيب ممارسات الأسرار المقدّسة فيها، راجع: Botte B., *L'Eucologe de Sérapion est-il authentique?*, in *Oriens Christianus*, 48 (1964), 50-56:

آثامه وخطاياه، وأجعل خروجه مستعدًّا ومباركًا. اشف أحزان الباقين بروح التعزية، واعطنا كلنا نهاية سعيدة، بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والملك في الروح القدس إلى أبد الآبدين، آمين».

«Deus, qui vitae et mortis potestatem habes, Deus spirituum et dominus omnis carnis, Deus, qui mortificas et vivificas, qui deducis ad portas inferorum et reducis, qui creas spiritum hominis in ipso et *suscipis sanctorum anirnas ac recreas*, qui mutas ac transformas et transfiguras creaturas tuas, prout iustum et utile est, cum ipse solus incorruptibilis et immutabilis et aeternus sis: *Oramus te pro dormitione et requie buius servi tui vel buius servae tuae : animam et spiritum eius recrea in locis pascuae, in cubilibus recreationis cum Abraham et Isaac et Jacob et omnibus sanctis tuis*[157]; corpus vero resuscita in die, quam definiisti secundum promissiones tuas haud dubias, ut et hereditates ei convenientes retribuas in sanctis tuis pascuis. *Delictorum euis ac peccatorum ne memineris; exitum eius fac paratum et benedictum esse* ; tristitias superstitum spiritu consolationis sana et nobis omnibus finem bonum dona per unigenitum tuum Jesum Christum, per quem tibi gloria et imperium in Sancto Spiritu in saecula saeculorum, amen»[158].

---

(157) «δεόμεθά σου περὶ τῆς κοιμήσεως καὶ ἀναπαύσεως τοῦ δούλου σου τοῦδε ἢ τῆς δούλης σου τῆσδε. Τὴν ψυχήν, τὸ πνεῦμα αὐτοῦ ἀνάπαυσον ἐν τόποις χλόης, ἐν ταμείοις ἀναπαύσεως μετὰ Ἀβραὰμ καὶ Ἰσαὰκ καὶ Ἰακὼϐ καὶ πάντων τῶν ἁγίων σου».

(158) FUNK F. X., *Didascalia et Constitutiones Apostolorum*, II, Paderbornae 1895 (ristampa anastatica, Torino 1959), 192 s.

١٦- تلميحات للعالم الآخر في الليتورجيا:

إنّ مجموعة الكتب الطقسيّة في الكنيسة القبطيّة تتضمّن تلميحات عديدة للغاية إلى الأموات ومصائرهم المتنوعة، وهذا ما نجده بصفة خاصّة في كتاب السنكسار. ومن وجهة النظر العقائديّة ليس هناك جديد عن الوثائق التي سبقت الإشارة إليها، لذا نعتقد أنّ الإسهاب في هذا الأمر لا داعي له. بالتالي سنذكر ثلاثة نصوص على سبيل المثال والإثبات.

١) ترنيمة مصريّة من القرن ٣-٤، تشهد بوجود الفردوس و أبديّة جهنّم:

«نار جهنّم مُرعِبَة، رهيبة على الدوام[159]، رهيبة للأئمّة. المسيح هو سَنَد القدّيسين، المسيح هو جحيم الآثمين»[160].

٢) إبصاليّة سنويّة: تبيّن قيمة الصلاة من أجل دخول النفوس إلى الفردوس الحقيقي:

«(يا ربّ)، نيّح نفوس المؤمنين الذين رقدوا مع جميع القدّيسين»[161]. وأيضًا: «نيّح، يا الله، نفوس آباءنا الذين رقدوا في فردوس النعيم»[162].

٣) السنكسار: وهو الكتاب الذي يروي سِيَر القدّيسين، حيث يذكر عناصرًا أُخرويّة عديدة ومتنوّعة في سياق سرده لنياحتهم أو تعضيدهم لآخرين في ساعة

---

(159) «Φοϐερὸν εἰς ἀειχρόνιον».

(160) WESSELY C., *Les plus ancient monuments du Christianisme*, in *PO*. 4, 207 testo greco, 209 traduzione francese.

(١٦١) الإبصاليّة السنويّة (للكنيسة القبطيّة)، ترجمة بروجي، القاهرة ١٩٦٢، ص ١١٥.

(١٦٢) المرجع السابق، ص ١٢٠.

نياحهم. النصّ التالي نجده في يوم ٢١ طوبة، تذكار نياحة العذراء، وهو برهان على الاعتقاد في مهاجمة الأرواح الشرّيرة:

«فخافت العذراء من ملايكة العذاب المتفرّقين في الجوّ ومن النار فعرَّفها أن ليس لأحد منهم عليها سلطان»[163].

١٧ - الجناز العامّ يوم أحد السعف:

أثناء أسبوع الآلام لا يُحتفل بالقدّاس الإلهيّ ولا تذكارات الموتى. وإذا ما حدث أن توفّى مسيحيّ في تلك الفترة الزمنيّة تتمّ الصلاة على جثمانه في الكنيسة بصيغة مختصرة[164]. لهذا يقام جنّاز عامّ للأموات عقِب قدّاس أحد السعف.

كتاب الدلال، دلال أسبوع الآلام، يورد في هذا الشأن الدسقوليّة التالية:

«يجتمع الشعب المسيحيّ رجالًا ونساء، كبارًا وصغارًا عبيدًا وإماء في البيعة المقدّسة لحضور **التجنيز العموميّ**، والغرض من تجنيزهم خشية من أن يموت أحد في جمعة البسخة فإنّه لا يجب رفع بخور في هذا الأسبوع. فهذا التجنيز يغني عن تجنيز الأربعة أيّام التي لا يجب رفع البخور فيها. بل إذا توفّى أحد فليحضروا به

[163] السنكسار، يوم ٢١ طوبة، وأيضًا:
Sinassario, 21 Tûbah, ed. Forget, *CSCO*, 48, 223 testo arabo; 78, 360 traduzione latina.

[164] الأنبا روفائيل الطوخيّ، **الأسرار المقدّسة**، ٥٢٥-٥٤٨؛ القمص صموئيل تاوضروس السريانيّ، **الصلوات الطقسيّة**، ١٨٠-١٨١. المراسم محدّدة حسب مختلف فئات الأشخاص، كما سبق وأشرنا في الفقرات ٢-١٠، لكن مع اختلاف القراءات ومنع رفع البخور.

إلى البيعة وتُقرأ عليه الفصول التي تناسب التجنيز من غير رفع بخور في هذا الأسبوع»[165].

أمّا السبب الكتابيّ في هذا الترتيب الطقسيّ، على الأقلّ بالنسبة للأيّام الخمسة الأولى من أسبوع الآلام فهو التالي: موسى أمر الشعب بأن يبتاعوا حملًا بلا عيب في اليوم العاشر من الهلال؛ ويجعلوه عندهم في الثلاثة أيّام التالية؛ ثمّ يأكلونه في اليوم الرابع عشر[166]. وفي المقابل: يوم أحد السعف يوافق اليوم العاشر من الهلال، فتُقام ترتيبات وطقوس روحيّة في ذلك ؛ وفي أيّام الاثنين والثلاثاء والأربعاء تتوقّف الاحتفالات الطقسيّة؛ يوم الخميس يوافق اليوم الرابع عشر من الشهر العبرانيّ، الذي تتمّ فيه الذبيحة بذبح الحمل الذي بلا عيب[167]. وفي هذا الترتيب عينه يندرج الترحيم على الأموات.

الطقس:

مقدّمة البولس باللحن الجنائزيّ: «من أجل قيامة الأموات الذين رقدوا وتنيّحوا في الإيمان بالمسيح **يا ربّ نيّح نفوسهم أجمعين**»[168]. **البولس، ١ كور ١١:١-٣٢. أوشية الإنجيل. مزمور ٦٤:٥. الإنجيل، يو ٥:١٩-٢٩**، عن سلطان الابن في الدينونة بعد القيامة، وختامه: «فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة». بعد ذلك **الأواشيّ الثلاث**: السلامة

[165] **كتاب دلال أسبوع الآلام**، طبعه القمص عطا الله أرسانيوس المحرقي، القاهرة ١٩٥٧، ١٠٤.

[166] خروج ١٢:٣-٦.

[167] **الدلال**، ١٠٥.

[168] **الدلال**، ١٠٥ «ⲡ̀ϭ̅ⲥ ⲙⲁⲉⲙⲧⲟⲛ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲯⲩⲭⲏ ⲧⲏⲣⲟⲩ».

والآباء والجماعة. **الأمانة**. أوشية الراقدين: **NIΨΥΧΗ**. أبانا الذي. رفع الصليب.
ثمّ يقول الكاهن بطريقة البسخة: «يا الله ارحمنا، قرّر لنا رحمة، اصنع معنا رحمة في **ملكوتك**»[169]. فيجاوبه بالتبادل الشعب الواقف في صفّين بقول ١٢ مرّة كيرياليسون. يُختتم الطقس ببركة أسبوع الآلام ورش الماء المبارك[170]. هناك أيضًا ذِكر الأموات في يوم **الجمعة العظيمة**، وهي ممارسة خاصّة[171]، ليست من الليتورجيّة. وستتكلّم في المقالة التالية عن الامتناع عن الصلاة من أجل الموتى يوم سبت النور.

١٨ - صلوات «السجدات الثلاث» في يوم العنصرة:

١. مقدّمة:

«رتَّبَ آباء الكنيسة هذه الصلاة إلى **ثلاثة** طقوس على اسم الثالوث الأقدس»[172]. وقد جرى ترتيب **السجدات**، حسبما ذكر إقلاديوس لبيب، تَذكِرَةً «**بسجود النفوس أمام عرش الجلال الإلهيّ في اليوم الأربعين بعد الوفاة**»[173].

---

(169) «ⲁⲣⲓ ⲟⲩⲛⲁⲓ ⲛⲉⲙⲁⲛ ϧⲉⲛ ⲧⲉⲕⲙⲉⲧⲟⲩⲣⲟ».

(170) **الدلال**، ١١٦. يتمّ مباركة الماء قبل القدّاس ليستخدمه الكاهن بعد القدّاس في إعطاء البركة للشعب قبل أن ينصرفوا. ويُحتفظ بالباقي لاستخدامه في حالة إقامة تجنيز أثناء أسبوع الآلام.

(171) سبق توضيحها في الفقرة ١٢ من الفصل الأوّل، حين الحديث عن العادة في **أرمنت الحيط**.

(172) وفقًا لما ورد في كتاب **اللقان**، ٢١٥، في المقدّمة التي كتبها الأنبا أثناسيوس لطقس السجدة.

(173) كتاب إقلاديوس لبيب، ملاحظات حول كتاب **الدرّة النفيسة** لابن سباع، الذي نشره في القاهرة عام ١٦١٨ش، ١٩٠٢م، الفصل ١٠٩، ص ١٧٢؛ الأنبا أثناسيوس، **اللقان**، ٢٤٢، حاشية ١ - كلاهما يفسّر معنى السجدة بقصّة تاريخيّة، تربطها بأصل رسوليّ. إذ يقولا بأنّ المؤمنين الأوائل كانوا يتلونها إمّا وقوفًا أو سجودًا، لكن حدثت أعجوبة بينما كان الأنبا مكاريوس بطريرك أنطاكيّة يقوم بالصلاة جعلتهم يمارسونها فيما بعد سجودًا. فقد هبّت ريح عنيفة بينما

السجدة تكون في الساعة التاسعة من يوم العنصرة وذلك للأسباب التي سنسوقها لاحقًا، وغايتها الرئيسيّة تظلّ هي الصلاة من أجل راحة نفوس المتنقلين.

اللفظة العربيّة «**سجدة**»[174] قريبة الشبه من لفظة «**سَجْنَة**» ممّا أدّى إلى مجادلات وبلبلة تاريخيّة وعقائديّة. فقد كتب فريد كامل في هذا الصدد: «**صلاة السَّجْدة** يُطلق عليها العامّة **صلاة السَّجْنَة**. هذا التحوير في الألفاظ يرجع إلى الاعتقاد السائد اليوم بأنّ الأرواح تخرج من سجنها وتبقى منطلقة من عقالها من يوم عيد القيامة حتّى عيد الخمسين. فما أن يُشرق صباح ذلك اليوم حتّى يُقبض عليها مجدّدًا وتُعاد إلى غياهب محابسها. ولكي يطمئن الأهل على راحة نفوس أمواتهم يضعون تحت أقدام الكهنة جميع أنواع الفواكه منذ عشيّة ذلك اليوم. فيقوم هؤلاء (الكهنة) بالصلاة من أجل هذه النفوس ويأخذون ما يحتاجونه ممّا يقدّم لهم ويعطون الباقي للفقراء. بالإضافة لذلك، يشطح الناس إلى حدّ الاعتقاد بأنّه **بدون الصدقة**.. سيكون حُرّاس النفوس أكثر قسوة معهم»[175].

كلّ ما يقوله فريد كامل في النصّ المشار إليه، إنّما يفسّر **السبب الواقعيّ** في إلزام الكنيسة القبطيّة بالصلاة من أجل الراقدين في هذا اليوم[176]. لكنّ الخطأ فيما يقوله

كانوا يصلّون وقوفًا ومعهم البطريرك، وكانت الريح تسكن حين سجودهم وتثور حين وقوفهم وتكرّر ذلك ثلاث مرّات. كانت تلك علامة على أنّ الله يريد أن تكون الصلاة كما هي اليوم. وتأكيدًا لذلك يذكر الأنبا أثناسيوس نصّ ١ ملو ١٩: ١١.

(174) سجدة باللغة القبطيّة هي: **ⲍⲓⲛⲟⲩⲱϣⲧ**.

(175) فريد كامل، **إحياء الكنيسة القبطيّة**، القاهرة ١٩١٣، ١٤٩.

(176) راجع أيضًا: VANSLEB, *Histoire*, 148-151، حيث يعرض ترتيب الطقس وفي نفس الوقت يشير إلى السبب عينه.

هو إعطاء مفهوم أنّ المعتقد قائم بتمامه على مجرّد تبادليّة الاسمين: سجنة بدلًا من سجدة. فلم يكُن جهل الشعب ليتجاوز سلطان الكنيسة، وإنّما التشابه في الأسماء هو مسألة لغويّة، حيث أنّ الكنيسة القبطيّة كانت تستخدم اللغة القبطيّة قبل استخدامها للغة العربيّة، وهذا التشابه لا وجود له في اللغة القبطيّة. زِد على ذلك، الاعتقاد في انطلاق الأرواح خلال زمن الخمسين يومًا كان موجودًا من قبل استخدام اللغة العربيّة في الليتورجيّة. وقد تكلّمنا عن ذلك في الفصل الثاني، فقرة ١٤، في سياق الحديث عن النسخة القبطيّة من **رؤيا القدّيس بولس**.

فضلًا عن ذلك، هناك سبب آخر بالإضافة إلى **السبب الواقعيّ**، ألّا وهو السبب **الظرفيّ**، في **ممارسة الثلاث سجدات في نهاية الخمسين**. قد يكون طقس سبت النور في حدّ ذاته هو الأكثر توضيحًا للمسألة، إذ يقول ابن سباع: «فلأنّه بدلًا من عمله **يوم سبت النور الذي لا يجوز فيه شرعًا** (التبخير) لأنّ الربّ كان فيه في القبر، ولأنّ الكاهن عند الصلاة يقول هكذا: "يا الله ضابط الكلّ، تفضَّل نيّح نفوس الذين قُبِضَت نفوسهم". وهذا ما يُقال له ترحيم، فإذا حصل هذا يوم سبت النور، كأنّه يُرَحَّم على نفس المسيح أيضًا، الذي حاشا لنفسه الرحومة - التي اتّحد بها جوهر اللاهوت، ورحمة العالم أجمع - **أن تكون كواحدة من مخلوقاتها**، فيُطلب لها الرحمة. فلهذا السبب لا يجوز ذلك»(١٧٧). كذلك **أيضًا من خلال سياق البسخة** يمكن تفسير السبب في جعل الساعة التاسعة هي **بداية السجدة**. فقد ذكر الأنبا أثناسيوس في مقدّمة **طقس السجدات الثلاث، إنّه** كان من الأصحّ أن تبدأ **في الساعة الثالثة** لأنّه في

(١٧٧) ابن سباع، **الدرّة النفيسة في علوم الكنيسة**، الباب ١٠٩، ١٧٢.

تلك الساعة حلّ الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين. «على ذلك رتّبت الكنيسة عمل السجدة في **الساعة التاسعة** إشارة إلى أنّ يسوع فصحنا الذي ذُبح في مثل هذا الوقت»(١٧٨).

لقد ذُكِرَ أنّ غاية السجدات الثلاث، **هي راحة نفوس المنتقلين**، وذلك يكون من خلال **التقدمات والصلوات**. كتب ابن سباع في هذا الشأن: «يجتمع جميع الشعب في الساعة التاسعة من نهار عيد العنصرة - في الكنيسة - وكلّ واحد معه ما يقدر عليه من الشمع والبخور، مساعدة (تمجيدًا) لاسم الله المسيح، المرفوع إليه هذا البخور - وهذه الصلوات - .. لكي **يُبخّر به تذكارًا على من سلف من الآباء والأقارب الموتى والأحياء ونفسه**. .. يملأون قصريّة جمرًا مُتّقِدًا ويرفع الكاهن البخور في هذه القصريّة.. **عن جميع الأنفس المتنيّحة**. ففي هذه الليلة، **تسجد النفوس** التي خرجت (تحرّرت) أثناء أيام الخمسين، فرحًا بالربّ الذي قام من بين الأموات، **وخلال هذه الأيام الخمسين أطلق جميع الذين كانوا في العذاب**. هذا أيضًا يحدث **في ليلة كلّ أحد** على مدار السنة»(١٧٩).

استندت الكنيسة إلى شواهد من الكتاب المقدّس دعتها لترتيب الصلاة من أجل الأموات. وقد أشار الأنبا أثناسيوس الأسقف الأرثوذكسيّ لأبرشيّة بني سويف إلى نصوص مختلفة: خر٢٠:٦؛ ١ملو١١:١٢-١٣ و٣٢؛ ٢ملو٢:٦؛

(١٧٨) **كتاب اللقان**، ٢١٥.

(١٧٩) ابن سباع، **الدرّة النفيسة في علوم الكنيسة**، الباب ١٠٩؛ مخطوط باريس، f. 199r.

راعوث ٢:٢٠[١٨٠]. وبنحوٍ خاصّ سفر المكابيّين: «وقد تعود المؤمنون أن يُعطوا حسناتهم عن أنفس أمواتهم لتكون تذكارًا بذكر أسمهم ويستمطر لهم الرحمة. وهو أمر غير مُحَرَّم لأنّ الفضائل بقدر ما تكثُر يَعُمّ نفعها وخيرها وقد عُمل هذا الأمر في سفر المكابيّين حيث قدَّم يهوذا المكابيّ ذبائح ورحمة على نفوس الأموات[١٨١] وكان **عمله ممدوحًا**»[١٨٢].

٢. السجدة الأولى:

الساعة التاسعة من يوم الخمسين. يُهيء الكاهن المجمرة، ويملأها بالجمر **المشتعل**، ويضع فيها البخور «**رحمة عن أنفس الأموات**». ثمّ يرتّلون المزمور ١١٦ والمزمور ١٤٨. إبصاليّة العنصرة. ثمّ ثيداكيّة الأحد. الإنجيل، **لو** ٢:٢٩. الثيداكيّة. **إيليسون إيماس**. صلاة الشكر. يضع الكاهن خمسة أيادي بخور في المجمرة ويصلّي بمشاركة الحاضرين:

«**مجدًا** وإكرامًا إكرامًا ومجدًا للثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس. نياحًا وبردًا لأنفس عبيدك الذين رقدوا في الأمانة الأرثوذكسيّة منذ البدء وإلى الآن، **نيّحهم جميعًا في أحضان** آبائنا **القدّيسين إبراهيم وإسحق ويعقوب في فردوس النعيم في أورشليم السمائيّة**. وأعطنا معهم حظًّا ونصيبًا في ضياء قدّيسيك»[١٨٣].

---

[١٨٠] «مُبَارَكٌ هُوَ مِنَ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يَتْرُكِ الْمَعْرُوفَ مَعَ الأَحْيَاءِ وَالْمَوْتَى»(راعوث ٢: ٢٠).

[١٨١] ٢ مك ١٢: ٤٣-٤٦.

[١٨٢] **كتاب اللقان**، ٢١٦.

[١٨٣] **كتاب اللقان**، ٢٢٣.

يلي ذلك صلاة بخور باكر. كيرياليسون. تك ٥:٢٢-٢٣؛ ٦:١-٣. تبخير المذبح ثلاث دفعات، وأربع دفعات في جوانب الكنيسة الأربعة. الرسالة، **١كور** ١٢:٢٨-٣١؛ ١٣:١-١٣. **قدّوس: ⲁⲅⲓⲟⲥ**. أوشية الإنجيل. مزمور ٩٦:٧-٨. الإنجيل، **يو** ١٧:١-٢٦. ترتيل **الطرح** بلحن الآدام. الأربع أواشي: المرضى، المسافرين، أهوية السماء، خلاص هذا الموضع وكلّ مساكن المسيحيّين. يتلو الشمّاس صلاة أخرى. طلبة يقولها الكاهن «بينما يكون الشعب كلّه ساجدًا»[١٨٤].

٣. السجدة الثانية:

بنفس النهج السابق حتّى صلاة: «مجدًا وإكرامًا.. نياحًا وبردًا لأنفس عبيدك..». بعد ذلك: **تث** ٦:١٧-٢٥. يقول الشعب: «نسجد لك أيّها المسيح». يقول الشمّاس: **١كور** ١٣:١٣؛ ١٤:١-١٧. **قدّوس: ⲁⲅⲓⲟⲥ**. مزمور ١١٣:١٧. الإنجيل، **لو** ٢٤:٢٦-٥٣. مزمور ١١:١٢-١٣. **الطرح بلحن واطس**. مردّ الإنجيل. صلوات يتلوها الكاهن بينما يكون الشعب ساجدًا[١٨٥].

٤. السجدة الثالثة:

بنفس النهج المتّبع في السجدتين السابقتين حتّى صلاة البخور. ثمّ المزمور ٥٠. **تث** ١٦:١-١٨. يقول الشعب: «نسجد لك». الرسالة، **١كور** ١٤:١٨-٤٠. ترتيل لحن حلول الروح القدس. **قدّوس: ⲁⲅⲓⲟⲥ**. أوشية الإنجيل. مزمور ٦٥:٢؛ ٧١:٩. الإنجيل، **يو** ٤:١-٢٤. مردّ الإنجيل. الأواشيّ الثلاث الصغار. تبخير نحو

---

[١٨٤] **كتاب اللقان**، ٢٢٢-٢٥٠.

[١٨٥] **كتاب اللقان**، ٢٥١-٢٧٢.

الجهات الأربع. يقول الشعب: «تفضَّل يا ربّ..». قدّوس: ΑΓΙΟϹ. تبخير المذبح والشعب. طقس بخور عشيّة، «من غير زيادة ولا نقص». الذكصولجيّات. الأمانة. يرفع الكاهن الصليب وبه ثلاث شمعات موقدة، ويُبارك به الشعب. يُردّ الشعب: «كيرياليسون». ثمّ يسجد الشعب ويُتابع الصلاة التالية التي يتلوها الكاهن[186]:

«اسمعنا يا ربّ إذ ندعوك وأعطِ نياحًا لأنفُس عبيدك. أولئك الذين سبق رقادهم آبائنا وإخوتنا الجسدانيّين وكلّ الذين سلفوا وتوفّوا في الأمانة المستقيمة الذين نذكرهم والذين لم نذكرهم الآن. لأنّ لك العِزّة وكلّ شيء في يديك. أيّها الربّ الإله تحنّن بمراحمك الكثيرة على عبيدك الأحياء والأموات، يا خالق كلّ الطبائع البشريّة لأنك كوّنتها بما لم تكُن. وأيضًا تحلّها وتنقلها إلى ذلك الموضع. أنت الذي تُعطي كينونة للإنسان فيحيا. وتأتي عليه بالموت بسلطان. الذي جعل على شوكة الموت ضربة لكيلا يجعل له سلطانًا على المؤمنين به والذين يرجون القيامة. .. نضّرع إليك أن تقبل طلبتنا في هذا اليوم المقدّس الذي هو كمال كلّ شيء من أجلنا ومن أجل الذين في الجحيم[187]. **لأنّ لنا عِظَم رجاء من أجل انحلال كلّ الذين في جميع الآلام والذين وضعوا نفوسهم في يديك "عندك"**[188]. اسمعنا نحن عبيدك المذلولين. إذ نطلب إليك أن تُنيّح

(186) كتاب اللقان، ٢٧٣-٢٩٨.

(187) الجحيم ترجمة الكلمة القبطيّة: ⲁⲙⲉⲛϯ، وهو الاسم الدارج الذي للعالم الاخر.

(188) «ⲞⲨⲞⲚⲦⲀⲚ ⲘⲘⲀⲨ ⲚϨⲈⲖⲠⲒⲤ ⲈⲐⲂⲈ ⲪⲈⲰⲖ ⲚⲚⲎⲦⲎⲢⲞⲨ ⲈⲦϢⲰⲠ ϦⲈⲚⲘⲔⲀⲨϨ ⲚⲒⲂⲈⲚ : ⲚⲈⲘ ⲚⲎⲈⲦⲀⲨⲬⲰ ⲚⲚⲞⲨⲮⲨⲬⲎ ϦⲀⲦⲞⲦⲔ». كتاب اللقان، القبطيّ ٢٩٦ وما بعدها، العربيّ ٣٠٠.

أنفس المسيحيّين الأرثوذكسيّين الطالبين إليك من أجلهم. الذين رقدوا والذين جازوا من ههنا إلى هناك، **لكي يتنيّحوا مستريحين في موضع برودة. الموضع الذي هرب منه وجع القلب والكآبة والتنهّد.** ولتكن **نفوسهم في مظالّ النور، اجعلهم مستحقّين للغفران والسلامة.** لأنّه ليس الموتى يباركونك يا ربّ ولا الذين في الجحيم يعترفون لك بإعلان»[189].

(189) كتاب اللقان، ٢٩٦-٣٠٠.

الفصل السادس

اللاهوت

إنّ هدفنا من استعراض شهادة اللاهوتيّين هو استكمال التوثيق القبطيّ فيما يتعلّق بالأخرويّات. وقد قسّمنا سلسلة الوثائق إلى قسمين: الأوّل يمتدّ من بدايات مدرسة الإسكندريّة حتّى انقسام الكنيسة (عام ٤٥١)؛ والثاني يمتدّ من القرن السادس حتّى القرن العشرين.

لن ننهك أنفسنا طويلًا في القسم الأوّل، حيث أنّه يمكن اعتباره ذو مضمون مشترك. فعلًا، في قرونها الأولى، تأمّلت الكنيسة المصريّة في النقائص الشائعة في علم الأخرويّات لدى الكنائس الأخرى؛ كما أنّه من جهة أخرى، توسّع الآباء الإسكندريّون في دراسة هذا الموضوع، وكانت تلك خاصّيّة تميّزوا بها. وقبل كلّ شيء لن نتوقّف عند هذا الجزء لأنّه منفصل إلى حدّ ما عن غاية بحثنا الذي يهدف إلى تفحّص موضوعنا في الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة بشكل مباشر. وإن كنّا نشير إلى بعض الشهادات فذلك لأنّها أساس التقليد المصريّ، ففيها تأكيد على الوثائق التي عرضناها في الفصول السابقة، فضلًا عن كون تلك الوثائق هي ركيزة النقاط العقائديّة الموجودة في المراجع التي سنعرضها هنا.

القسم الثاني هو الأكثر أهمّيّة لنا بشكل مباشر، فهو كما سنلاحظ لاحقًا يحافظ طويلًا على نهج التقليد، ولم تحدث نقطة تحوّل حقيقيّة سوى في أزمنة متأخّرة أقرب إلى زماننا. وسبب تأخير ذلك التحوّل هو الطابع الجدليّ الذي يفضّله الكُتّاب

الأقباط في كتاباتهم، فضلًا عن ملاحظة وجود كارثة حقيقيّة في بعض الحالات. ففي سبيل التميز عن الكنائس الأخرى، تمّ إسدال الصمت على تراث علمائها وكبح الروح التقوي في الليتورجيّة اليوميّة. المسألة دائمًا هي مسألة انحياز. لكن الحكم بشأن الأخرويّات، يتطلب الهدوء والجديّة حين نتحدث عنه، فلا يكون بدافع أحوال طارئة، ولكن مستوحى من مجموع سلسلة التقاليد بكاملها. سنتّبع الأسلوب الزمنيّ في تعديد المؤلّفين.

١ – إكلّيمنضس الإسكندريّ (حوالي ٢١٣):

إنّ حال النفس بعد الموت إمّا الثواب أو العقاب وفقًا للأعمال التي فعلتها، وإكلّيمنضس الإسكندريّ لم يدع مجالًا للشكّ في ذلك[1]. بيد أنّ عدم اليقين في تعليمه العقائديّ يبدأ فور استقصاء مدى تأثير المدرسة الغنوصيّة على فِكره، ومدى حدود تقبلّه لنظريّة الخلاص العامّ في نهاية العالم، الأبوكاتاستاسيس. في الواقع، في كثير من الأحيان، هناك اقتناع بأنّ المَطهَر هو المصير الفوريّ للنفس بمفردها، سواء كانت بارّة أم غير مؤمنة حتّى وإن تفاوتت النسب، ويستمرّ ذلك حتّى التطهير التامّ ونوال الجزاء النهائيّ، وهذا هو الخلاص العامّ. ثمّ أنّ التطهير يبدو أنّه يتمثّل في

---

(1) فيما يتعلق بالتعليم الأُخرويّ لإكلّيمنضس الإسكندريّ، راجع:

ANRICH G., *Clemens end Origenes als Begründer der Lehre vom Fegfeuer*, in *Theologische Abhandlungen. Eine Festgabe für H. J. Holtzmann*, Tubingen 1902, 95-120. — SPAČIL Th., *La dottrina del purgatorio in Clemente Alessandrino ed in Origene*, in *Bessarione*, 35 (1919), 131-145. — ANDRES F., *Die Engel-und Dämonenlehre des Klemens von Alexandrien*, in *Römische Ouartalschrift*, 34 (1926), 13-27, 129-140, 307-329. — VÖLKER W., *Der wahre Gnostiker nach Clemens Alexandrinus*, in *Texte end Untersuchungen zur Ceschichte der altchristlichen Literatur*, 57, Leipzig 1952. — RECHEIS A., *Engel, Tod, und Seelenreise ... Lehre der Alexandrinischen und Kappadokischen Väter*, (Temi e Testi, 4), Roma 1958.

معرفة الله ومعرفة جميع أعماله، الذي تبلغه النفس بخدمة ملائكيّة وبإيقاع تدريجيّ إلى حدّ الكمال. وهذه هي الغنوصيّة. مع ذلك، يبدو أنّ بعض البيانات تُقدّم إكلّيمنضس كمؤيّد لأبديّة عذابات الجحيم. فسيظهر عدم اليقين في حكمه من المراجع التالية، التي نوردها كدليل وبرهان.

١. النفس تحت تأثير الأرواح:

الأرواح منها الصالح ومنها الشرّير. الأولى تحثّ الإنسان على الخير والأخرى تحثّه على الشرّ، وقد جاء المسيح كي يدعم الصالحة ويُبدّد الشرّيرة.

«ومن يرحم أكثر منه [من الربّ]؟ أولئك الذين كاد يهلكهم أسياد هذا العالم ويقضون عليهم، بالإصابات، والخوف، والغش، واللذات المحرّمة! فطبيب جميع هذه الإصابات، إنّما هو يسوع وحده.... فهذا هو الذي أخضع لنا الملائكة والرئاسات والسيادات، لكي يخدمونا، مقابل مكافأة عظيمة».

«Quis illo (Salvatore) maiorem misericordiam impendit, *a mundi scilicet rectoribus tenebrarum* vix non multis vulneribus, terroribus, fraudibus, voluptatibus enecatis atque exctinctis. Horum porro vulnerum medicus solus et Jesus... Hic est qui *angelos, et principatus et potestates, ut nobis ministerio fungantur*, sub magna mercede subjecit»[2].

---

(2) CLEM. ALESS., *Quis dives salvetur*? 29; *PG*. 9, 633-635.

فيما يتعلّق بعِلم الملائكة عند الأقباط، راجع:

MÜLLER C. D. G., *Die Engellehre der Koptischen Kirche*, Wiesbaden 1959.

الخدمة التي تقوم بها الأرواح الصالحة هي حماية البشر وتَرأس أنشطتهم[3]. ووفقًا لمبادئ الغنوصيّة، دورهم هو تثقيف البشر، لكن تلك العناية تنحصر بصفة خاصّة عن الغنوصيّ الكامل:

«الكافر لم يعد يحتاج إلى المساعدة التي نالها على يد الملائكة، بل يريد أن يحمي نفسه بنفسه».

«(gnosticus) non vult amplius opus habere auxilio quod datur per *angelos*, sed a seipso habere praesidium»[4].

التثقيف الذي تقوم به الملائكة يبدأ من هذه الحياة ويستمرّ ويكتمل فيما بعد الموت.

أيضًا أولئك الذين يتهرّبون من خدمة الملائكة سيعانون من فخاخ الشياطين، وسينتظرهم **العقاب لا الثواب**.

«... الذين لا علم لهم بأنّ باب الموت هذا هو بداية الحياة الحقيقيّة. ويرفضون أن يدركوا ما ينال من كرامة، الذين عاشوا في القداسة، ولا العذاب الذي ينتظر من ارتكبوا الظلم والفحشاء».

«.. nescientibus (paganis) hanc mortis januam esse verae vitae principium: et nec *honores* post mortem eorum, qui sancte vixerunt; nec *supplicia* eorum, qui iniuste et libidinose se gesserunt, volunt intelligere »[5].

---

(3) «...diligentem illam vigilemque curam, quae a praesidibus ac tutoribus angelis in nos derivatur, aperiens..». *Stromata* 5,14; *PG*. 9, 136.
(4) *Strom*. 7, 13; *PG*. 9, 513.
(5) *Strom*. 4, 7; *PG*. 8, 1256.

٢. الدينونة والجحيم. النفوس المراوِغة ليس أمامها إلّا التوبة أو الدينونة:

«إن لم يتوبوا، يُدانون».

«Si non fuerunt ducti poenitentia, *judicantur*»[6].

الله الديّان إما أن يستخدم الرحمة أو العدل، وهنا يتجلّى صلاحه غير المحدود.

«فعلى العناية أن تكون سيّدة وصالحة. فكلتاهما بهما قوّة الخلاص. فالأولى تعاقب بالعذاب، بصفتها سيّدة. والأخرى بالإحسان، كمحسنة».

«Oportet autem eam, quae administrat, Providentiam esse et *dominam et bonam. Utraque enim vis procurat salutem*[7]: illa quidem, supplicio castigans, ut domina: haec vero, per beneficientiam commodans, ut benefica»[8].

العبارة : «*utraque procurat salutem*»، وبالتالي أيضًا **عقوبة الإدانة**، تجعلنا نتساءل عمّا إذا كان إكليمنضس يعتقد بأنّ العقاب مسألة **خلاصيّة** بالنسبة للمدانين حيث يكابدونه **بمثابة تطهير**، أم هو بمثابة **تنبيه وموعظة** بالنسبة للآخرين. في الحالة الأولى، ستكون مسألة إنكار لأبديّة الجحيم، ولا يمكن إبعاد الشكّ بسهولة. النصّ التالي يؤكّد على وجود **مَطهَر متزايد** للنفوس، بمثابة تابع **للدينونة الخاصّة** حتّى **الدينونة الأخيرة**[9]، لإظهار **صلاح الديّان العظيم**.

---

(6) *Strom*. 6, 14; *PG*. 9, 333.
(7) «ἀμφοῖν γὰρ ἡ δύναμις οἰκονομεῖ σωτηρίαν».
(8) *Strom*. 1, 27; *PG*. 8, 920. Cf. *Strom*. 7, 2; *PG*. 9, 413.
(٩) الدينونة الأخيرة أو العامّة، التي بخلاف الدينونة الخاصّة، قال عنها إكليمنضس: «παντέλης κρίσις». راجع: *Strom*. 7, 16; *PG*. 9, 416.

«كل ما يتّصف بالفضيلة، يتبدّل إلى أفضل، لأن فيه مبدأ التبدّل، أي اختيار المعرفة التي كانت النفس تملكها. والعقوبات لا بدّ منها، بسبب الديّان الصالح الذي يراقب كلّ شيء: سواء على يد من يصحبه من ملائكة، أو بأحكامه المختلفة؛ أو بمحكمته العادلة على الإطلاق. كلّ ذلك يجبر الذين انتهت معاناتهم، أن يتوبوا».

«Quidquid est virtute praeditum, *mutatur in melius*, habens propriam causam mutationis, electionem cognitionis, quam habebat anima in sua potestate. *Castigationes* autem *necessariae*, *bonitate magni* qui omnia observat *Judicis*: tum *per adjunctos angelos*, tum *per varias praeiudicationes*, tum per *perfectum omni ex parte judicium*, cogunt eos qui plane dedoluerunt, duci *poenitentia*»[10].

من ناحية أخرى، يؤكّد إكليمنضس على وجود الجحيم باعتباره نهرًا ناريًا، والملائكة الزبانية.

«... هؤلاء الناس الذين من نار، يعنون عنده (عند أفلاطون) الملائكة، فهم يقبضون على الأشرار ويعاقبونهم، كقوله: "الذي يجعل من الرياح ملائكته، ومن النار الحارقة خادمته". الأمر الذي يعني أن النفس خالدة. فإنّ من يُعاقب أو يتأدّب، فلا بدّ أنّه حيّ، لأنه يحسّ، حتّى وإن قيل إنّه يتعذّب. فماذا إذن؟ هل أفلاطون أيضًا، له علم بأنهار النار هذه، وأعماق تلك الأرض، التي يسمّيها البرابرة جحيمًا، وسمّاها هو بعبارة شعرية "وطن الموتى"؟ وقد ذكر

(10) «διά τε τῶν προσευχῶν ἀγγέλων, διά τε προκρίσεων ποικίλων, καὶ διὰ τῆς κρίσεως τῆς παντελοῦς». *Strom.* 7, 2; *PG.* 9, 416.

ذلك أيضًا بتسميات أخرى، منها «كركيتوس» و«أخيرونتِس» و«بيريفليجيتون»، وما أشبه ذلك، للدلالة على الأماكن التي يُعذّب فيها الأشرار وأنواع عذابهم».

«... Isti quidem *homines ignei angelos* apud eum (Platonem) significant, qui arreptos sceleratos *puniunt*, iuxta illud: 'Qui facit angelos suos spiritus, et ministros ignem urentem'[11]. Ex quibus immortalem animum esse consequitur. Quod enim *aut punitur, aut eruditur*, id cum sensu praeditum sit, vivat necesse est, *etiam si pati dicatur*. Quid porro? Numquid etiam Plato, et *ignis fluvios*, et illam terrae altitudinem agnovit, quae a barbaris *gehenna* dicitur, quem ipse *tartarum* poetice nominavit: *cocytum*, praeterea, *acherontem*, *pyriphlegethontem*, et similia *poenarum loca generaque*, *quibus hominum mores castigentur*, invexit?»[12].

كذلك أيضًا هناك تأكيد على أبديّة العقاب.

«وهذا خطأ. لأنه أفضل لك أن تُسن إلى الطالحين، بسبب الصالحين؛ كي لا تؤذي الصالحين أيضًا، باستثنائك الطالحين. فعقاب هذا الاستثناء العذاب في النار الأبديّة».

«Cum sit error : melius erit ut et indignis benefacias propter dignos, quam ut dum caves indignos, ne in eos quidem qui bene merentur, incidas... cuius neglectus poena, *aeternum ignis supplicium exsistit*»[13].

(11) مزمور ١٠٤: ٤.

(12) *Strom.* 5, 14; *PG.* 9, 133.

(13) «οὗ τὸ ἐπιτίμιον κόλασις ἔμπυρος αἰώνιος». *Quis dives salvetur?* 33; *PG.* 8, 640.

٣. المَطهَر والفردوس:

على الرغم من التأكيدات السابقة لا يزال الشكّ يفرض سيطرته بشأن أبديّة الجحيم في مواجهة النصوص الصريحة التي تتمثّل كمبادئ. فالمبدأ عند إكليمنضس هو أنّ **العقاب في التعليم الإلهيّ المبدئيّ له غاية التطهير والشفاء**. بمعنى أنّ كلّ العقوبات التي تُنزَل في العالم الآخر ليست إلّا **مَطهَر متواصِل** لتمهيد الدخول في **الفردوس**. النصّ التالي يُشكل تحريضًا للهراطقة على التوبة، مع تهديد بالعقاب: لكنّه عقاب تطهيريّ.

«يا ليت لو أمكن الهراطقة أيضًا إن يتأدّبوا، بما يتعلّمونه من الكتب، ليهتدوا إلى الله القادر على كلّ شيء. وإلّا، فبمثابة الحيّات الخرساء، لا يسمعون نشيد الله، فيُعاقبهم بالضرورة، إذ لا يصغون إلى نصحه الأبويّ، الذي يوجّهه قبل الدينونة، ويتحمّلونه بصبر جميل، إلى أن يخجلوا وينقادوا إلى التوبة. من غير أن يلقوا بأنفسهم، في الدينونة التامّة، بكبائرهم. فهناك تعاليم مبسّطة يسمّونها التأديب؛ وكثيرون من الذين خالفوا، سقطوا وانفصلوا بها عن شعب الله. لكن العناية الإلهيّة تؤدّبنا، كما يؤدّبنا المعلّم والأب. فالله لا يعاقب، لأن العقوبة المقابلة بالشرّ. لكنّه يؤدّب الجماعات والأفراد، لفائدة الذين يُعاقَبون».

«Utinam fleri potuerit, ut hi haeretici, si quae in his traduntur commentariis didicerint, corrigantur et convertantur ad Deum omnipotentem, sin autem tanquam surdi serpentes... non exaudiant canticum, *a Deo certe castigantur*, paternas admonitiones, quae *ante judicium* fiunt patienter sustinentes, donec pudore affecti, *ducantur poenitentia : non autem per immanem*

inobedientiam seipsos injiciant in perfectum iudicium[14]. Sunt enim quaedam partiales disciplinae quas vocant *castigationes*, in quas multi ex nostris qui in delicto fuerunt, ex populo dominico dilabantes incidunt. Verum, sicut a magistro vel patre pueri, ita nos castigamur a Providentia. *Deus autem non punit*, est enim punitio mali redditio: *castigat autem et communiter et privatim ad utilitatem eorum qui puniuntur*»[15].

تطهير النفوس بعد الموت يكون بالأوجاع والتأخير: أوجاع الخطايا المُرتكبة والأعمال الصالحة التي أُهمِلَت؛ والتأخير في بلوغ السعادة الأبديّة. وهذا ينطبق على المؤمنين وغير المؤمنين[16].

«فمن لم يكن، إذن عفيفًا، لم يكن مؤمنًا. لكنه وإن غادر الجسد، فعليه أن يتخلّى عن الرذيلة، ليمكنه أن يبلغ مقرّه. فالمعرفة أعظم من الإيمان. وكذلك أن تخلص وتُعتبَر بعد الخلاص جديرًا بأعظم كرامة، فبعد أن يخلع المؤمن عنه بالتأديب الرذائل الكثيرة، ويعبر إلى العذاب العظيم، وهذا أفضل له من المقرّ الأوّل، حاملاً معه صفات التوبة عن تلك الخطايا التي ارتكبها بعد المعمودية. فعذابه أكبر، لأنه لم ينل بعد، أو على الإطلاق، ما يرى الآخرين يتمتّعون به. ثمّ إنّه يخجل، بسبب ما ارتكبه من خطايا:

(14) «ἀλλὰ μὴ εἰς τὴν παντελῆ φέροντες διὰ τῆς ἀπηνοῦς ἀπειθείας ἐμβάλοιεν κρίσιν!».
(15) *Strom*. 7, 16; *PG*. 9, 541.
(16) «Non solum ergo fidelis, sed etiam gentilis lustissime iudicatur».
الفلسفة والمخلوقات تكفي الوثنيّ لكي يعرف الله ويُحبّه، ولذلك في حالة إهماله لذلك يكون ذلك سببًا عادلًا في إدانته.
Strom. 6, 15; *PG*. 9, 333.

هذه تشكّل أكبر عذاب للمؤمن. فإنّ عدالة الله خير وخيره عادل. فإنّ [الخطأة] رغم نهاية عذابهم بما كفّروا به من عقابه يجب تحمّله عن كلّ ذنب، إلّا إنّهم ما زالوا في أقصى عذابه لأنّهم استحقّوا حظيرة أخرى، وليسوا مع الذين نالوا المجد من أجل عدالتهم».

«Non ergo fuerit aliquis fidelis qui intemperans est: sed *etsi ex carne exierit, necesse est ut vitia deponat, ut possit ad propriam pervenire mansionem:* plus est autem cognoscere, quam credere. Sicut etiam quam salvum esse, maius est postquam salvus factus est, supremo honore dignum esse habitum. Cum ergo per multam disciplinam vitia exuerit fidelis noster, *transit ad maximum supplicium* quod est melius priori mansione, *inferens secum proprietatem poenitentiae eorum peccatorum quae admisit* post baptismum. *Discruciatur ergo adhuc amplius, cum vel nondum, vel ne omnino quidem ea assecquatur, quorum videt alios esse participes.* Praeterea autem pudore afficitur *ob ea quae deliquit:*

quae quidem *sunt fideli maxima supplicia*. Bona est enim Dei iustitia et iusta eius bonitas[17]. Et *licet cessaverint cruciatus* in implendis quas luunt poenis, et expiandis quae admissa sunt ab unoquoque delictis, habent tamen maximum permanentem dolorem, quod cum sint inventi digni alio ovili, non una sint cum iis qui sunt gloria affecti propter iustitiam»[18].

(17) «ἀγαθὴ γὰρ ἡ τοῦ Θεοῦ δικαιοσύνη, καὶ δικαία ἐστὶν ἡ ἀγαθότης αὐτοῦ».
(18) *Strom*. 6, 15; *PG*. 9, 332.

الاستحقاق في الفردوس يتناسب مع نُبْلِ الغاية التي ألهمت الأعمال. بمعنى أنّه إذا ما كان عمل الإنسان بدافع الخشية أو المحبة، الإيمان أو المعرفة. إنّ أسمى جزاء محجوز للغنوصيّ.

«فمع ذكر العمل، يُذكر أيضًا إن أُدّي عن خوف، أم عن محبّة، أم عن إيمان، أم أيضًا عن معرفة. وعليه، فالمكافأة أيضًا تختلف. فالعارف، أُعِدّ له ما لم تره عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر بقلب إنسان. أمّا الذي آمن لا غير، فيعطيه شهادة له مائة ضعف أكثر مما تركه».

«Factum refert: an factum sit per metum, an perfectum per caritatem, et an per fidem, an etiam ex cognition exerceatur, Merito ergo *diversa etiam sunt proemia*[19]. Ei quidem qui *est gnosticus*, parata sunt 'quae nec oculus vidit, nec auris audivit, nec in cor hominis ascenderunt'[20]. Ei autem qui solummodo credidit, concedit suo testimonio 'centum partibus plura'[21], quam ea essent, quae reliquit»[22].

٢- أوريجانوس (حوالي ٢٥٣):

العناصر الأخرويّة وفيرة عند أوريجانوس أكثر منها عند إكلّيمنضس. لكنّ موقفه العقائديّ بشأن العقيدة الفعليّة، ليس أكثر وضوحًا، بل أشار أكثر إلى

(19) «εἰκότως γοῦν καὶ τῶν τούτων διάφορα».
(20) ١ كور ٢: ٩.
(21) مت ١٩: ٢٩؛ مر ١٠: ٢٩ وما بعده.
(22) *Strom*. 4, 18; *PG*. 8, 1321.

نظريّات الغنوصيّة والخلاص العامّ النهائيّ. إنّ آرائه الواسعة، التي كان لها تأثير كبير على المدرسة الإسكندرانيّة، ستظهر أيضًا من خلال مختارات بسيطة من النصوص[٢٣].

١. النفس والأرواح:

إنّ وظيفة ملائكة الله هي أن **يقودوا النفوس** إلى مصيرها الأخير: إمّا الثواب أو **العقاب**، وفقًا لأعمالها.

«الملائكة مستعدّون على الدوام للطاعة، فإنّهم خدام الله، ولهذا وُجدوا، لتحقيق المصير الذي قد أعددتَه لنفسك. فإنك إن كانت سيرتك صالحة، جعلت الربّ حظّك. أمّا إذا استسلمت للفحشاء... فجعلت حظّك مخلّصًا، يذهب بك إلى الخلوة على يد عبد الله الذي خصّه الله بهذه الخدمة. وعليه فاسمه «المستعدّ»، لأنه لا يخشى أحد، لا الغني ولا القادر، ولا الملك، ولا الكاهن».

«Angeli, inquit[24], qui semper parati[25] sunt ad hoc ipsum abducendum. Ministri enim Dei sunt ad hoc ipsum destinati, qui *impleant sortem*, quam tibi ipsi paraveris. Si enim bene vixeris..., *sortem tuam facies Dominum*. Si vero *libitini* servias... *sortem tuam fecisti apopompaei*, ut abducaris in eremum *per manus ministri Dei*, qui in hoc

(٢٣) فيما يتعلّق بأوريجانوس، راجع:

VÖLKER W., Das Vollkommenheitsideal des Origenes, in Beiträge zur histor. Theologie, 7, Tübingen 1931. — BETTENCOURT S. T., *Doctrina ascetica Origenis seu quid docuerit de ratione animae humanae cum doemonibus*, in *Studia anselmiana*, 16, Rom-Vatikan 1945. — BÜRKE G., *Des Origenes Lehre vom Urstand des Menschen*, in Zeitschrft für Katholische Theologie, 72 (Innsbruck 1950), 1-39.

(٢٤) لو ١٦: ٢٢.

(٢٥) لو ١٦: ٢١.

ipsum ordinatus a Deo est. Et ideo *paratus* appeliatur, quia personam nullius erubescit: nec divitis, nec potentis, nec regis, nec sacerdotis»[26].

النفوس تطمئنّ إذ تكون تحت قيادة الملائكة، **والرائحة النتنة**[٢٧] التي تفوح منها من جرّاء النقائص البشريّة، يبدّدها العبير الملائكيّ الطيب.

«الحياة السعيدة هي حياة أصحاب تلك الفضائل الملائكيّة، التي سيحظى بها جميع المختارين والقديسين الذين ينعمون بالقيامة؛ فإنّهم يكونون كملائكة الله. «الكرمة المزدهرة»، تلك الكرمة التي تُقدّم رائحتها الزكيّة إلى كلّ نفس، والنعمة التي سبق ونالتها من الخالق، تعود الآن بعد فقدانها، تستأنفها وتُقدّمها زكيّة وسماويّة، طاردة رائحة الموت والفساد الكريهة».

«Sanctae veto illae et beatae angelicae virtutes, quibus electi quique et beati ex resurrectione sociabuntur, qui 'erunt sicut angeli dei'[28], ipsae sunt 'vites florentes' et 'vineae'[29] quae 'odorem suum' unicuique animae et gratiam, quam a conditore prius suscepit et nunc iterum perditam reparant impertiunt et suavitate coe1estis odoris *foetorem tandem abjectae ab iis mortalitatis corruptionisque depellunt*»[30].

(26) *Homilia in Leviticum* 9, 4; *PG*. 12, 512; *CB*. 4, 423.

(٢٧) فيما يتعلّق **بالرائحة النتنة** التي تفوح من النفوس الآثمة، راجع: **رؤيا الأنبا مقار** التي تكلّمنا عنها في الفصل الثالث، فقرة ٦.

(٢٨) مت ٢٢: ٣٠.

(٢٩) نشيد الأناشيد ٢: ١٣.

(30) *Homilia in Cant. Cantic.* 4; *PG*. 13, 188; *CB*. 8, 228.

أمّا الأرواح الشرّيرة، التي تُحلّق في الهواء في مجموعات، فتتحايل بشِراكها للإيقاع بالنفوس. إنّها تحاول إغواء **نفوس الشهداء أيضًا**، حتّى وإن كان ذلك بلا فائدة.

«طوبى لتلك النفس [نفس الشهيد] التي تطرد بدماء الشهادة أسراب الشياطين المقبلين إليها. طوبى لذلك الذي يردّد الملائكة له وهو صاعد إلى السماء، قول النبي: "من هذا الذي الخ...؟" فطوبى إذن لتلك النفوس التي تتبع المسيح حيثما ذهب».

«Beata illa anima (martyris), quae occurrentes sibi *aëreas daemonum turmas* profusi in martyrio sanguinis cruore deturbat. Beatus est, de quo *eunte ad coelum* dicunt angeli illam propheticam vocem : 'Quis est iste, etc.[31] '.. Beatae ergo sunt animae, quae sic Christum sequuntur, quomodo eas Christus praecessit»[32].

٢. **«تسديد الضريبة» بعد الموت:**

الشياطين يقومون بدور الجُباة، كي تكون لهم حُجّة على النفوس. وهذه النفوس ينبغي أن تجتاز في رحلة ما بعد القبر عبر **جمارِك** قاسية، فإمّا أن تُسدّدها **بالاستحقاقات أو بالحياة**. كأنّها **دينونة أولى** يجب عليها المرور بها.

«إنّهم يُعذبون معتبرين يوم الدين خائفين من أنفسهم، فربما فيهم ما يُعتبر ذنبًا. فالذين إذن يُعانون ويتعذّبون هذا العذاب، سيحميهم الله يوم العذاب... أو عند انفصال النفس عن الجسد، وعند تجمّع الشياطين الخطأة وقوّات الأعداء عليها، فهذه الأرواح التي تريد القبض والاستيلاء عليها، إذا شاهدوا فيها شيئًا من

---

(31) أش ٦٣: ١.

(32) *Homilia in Librum Judicum* 7, 2; *PG*. 12, 981; *CB*. 7, 507.

أعمالهم ومآثرهم. يأتي رئيس هذا العالم إلى كلّ نفس تغادره، يأتي مع قوات الظلام، يبحثون، عساهم أن يجدوا فيها شيئًا مما هو لهم. فإذا وجدوا البخل، فهو نصيبهم. وإذا وجدوا الغضب، أو الفحشاء، أو الحسد، وأيّ شيئا آخر من ذلك، فإنّه نصيبهم فيأخذونها ويستولون عليها وينقلونها إلى موطن الخطأة... وإذا اكتشف أحد هذه الأمور في نفسه، يأتي كذلك الخطأة ويبحثون فيه عما يخصّهم. لكنهم لم يجدوه، ومع ذلك يحاولون جرّه إليهم بعنف، لكن الربّ ينقذه من الخطأة».

«Tribulantur enim considerantes *tempus iudicii* et semetipsos disentientes, ne forte aliquid inveniatur in eis quod vocetur *ad culpam*. Qui ergo propter hoc tribulantur et soiliciti sunt, erit Deus protector eorum in tempore tribulationis... Vel certe eo tempore *cum anima separatur a corpore* et *occurrunt ei peccatores doemones, adversae potestates, spiritus aëris buius qui eam volunt retinere et revocare ad se, si quid in ea suorurn operurm gestorumque cognoverint*. Venit enim *ad unamquamque animam de hoc mundo exeuntem* princeps huius mundi, et aëreae potestates, et *requirunt si inveniant in ea aliquid suurn*. Si avaritiam invenerint, *suae partis est*; si iram, si luxuriam, si invidiam, et singula quaeque eorum similia si invenerint, *suae partis est, et sibi eam deferunt, et ad se trahunt*, et ad partern eam peccatorum declinant... Si se aliquis ita observavit, veniunt quidem isti peccatores, et requirentes in eo quae sua sunt, et non invenientes tentabunt nihilominus ad suam partern *violenter* eum detorquere: sed Dominus eripiet eum a peccatoribus»[33].

---

(33) *Homilia* 5, 7 in *PS*. 36; *PG*. 12, 1366.

النفس البارّة مطمئنة في ذاتها، فأعمالها الصالحة هي دفاعها الذاتيّ وهي الـ
تُسدّد بها **الضرائب**.

«إن كان عليّ أن أقدّم حسابًا عن كلّ شيء، فأتقدّم من المحاسب وأقول له بلا خوف: لا شيء لك عندي. فيعود المحاسب ويطالب فأقاومه: إني على يقين أنّ ليس له أيّ سلطان عليّ، لأنه لا شيء له عندي. وإن كان عليّ أيّ شيء فيرسلني الذي يحاسبني إلى السجن، كما مرّ ذكره».

«Si omnibus universa redditero, venio *ad exactorem* et intrepida mente respondeo: *Nihil tibi debeo*. Venit exactor ad reposcendum. Resisto ei: scio enim, quia, si nihil debuero, in me non habet potestatem. Quod si debitor fuero, *mittet in me exactor meus in carcerern*, illo ordine, qui praedictus est»(34).

إرشاد. على المرء أن يسعى **للاستحقاقات** في هذه الحياة، لكي يتجنّب في الأخرى مغبّة **الجُباة القُساة**.

«فلننظر إلى كم من المخاطر يُحيق بنا، كي لا نخلو من أجرة السفر، فنُجرّ كالعادة بسبب دَيننا، كما يحدث عند المسافرين في هذا العالم، حيث يُسجن الواحد مقابل الدين الذي عليه للدولة».

«Consideremus, quantis periculis subiaciarnus, ne forte, cum non habuerimus quod pro vectigali queamus reddere, *ipsi trahamur pro debito* ut solet apud saeculi quoque fieri vectigales, quando quis pro debito ipse rei publicae serviturus includitur»(35).

(34) *Homilia in Luc*. 35; *PG*. 13, 1893; *CB*. 9, 214.
(35) *Ib*., 23; *PG*. 13, 1862; *CB*. 9, 155.

٣. الغنوصيّة في «مدرسة النفوس»:

بعد اجتياز النفوس لمنطقة الجباية، يتمّ استقبالها في **موضع الراحة**، وهو **فردوس** مكانه على الأرض. ذلك الموضع يعتبر بمثابة مدرسة، **«مدرسة للنفوس»** (schola animarum)، حيث تتلقّى النفوس دروسًا بشأن ما شاهدته على الأرض وتتلقّى معلومات بشأن الخبرات اللاحقة. فالمعرفة مسألة ضروريّة لمتابعة الرحلة إلى الموضع الأسمى.

«فإني أرى أنّ جميع القديسين، عند مغادرتهم هذه الحياة، سيمكثون في مكان معيّن من هذه الدنيا، يُسمّيه الكتاب المقدّس الفردوس، بمثابة مكان للتعلّم، إن صحّ هذا التعبير، وكمكان للاستماع وكمدرسة للنفوس، ليطلعوها على كلّ ما شاهدته في هذه الدنيا، وليبلّغوها أيضًا إشارات عما يلي في المستقبل، كما أدركت وهي في هذه الحياة أيضًا، بعض الإشارات عن المستقبل، وإنّ «بمرآة غبشاء» [١كور ١٣، ١٢]، إلّا إنهم أدركوا أيضًا بعض الأشياء، التي ستُكشف للقديسين بالمزيد من الوضوح، في الوقت والمكان المناسبَين».

«Puto enim quod sancti quique discedentes ex hac vita permanebunt in loco aliquo in terra posito, quem paradisum dicit scriptura divina, velut in quodam eruditionis loco et, ut ita dixerim, auditorio vel schola animarum, in quo de omnibus his, quae in terris viderant,

في المرجع: *Gontra* celsum, 6, 31; *PG*. 11, 1313 s، هناك مقولة النفس الموجّهة إلى «سيّد السلطة الخامسة من سلالة الصاباؤوت»، لكي تكون مقبولة في منطقته، وبالتالي في ذلك إشارة لحالات النفس المنفصلة التي وردت في علم الأخرويّات المصريّ القديم.

doceantur; indicia quoque quaedam accipiant etiam de consequentibus et futuris, sicut in hac quoque vita positi indicia quaedam futurorum, licet 'per speculum et aenigmata', tamen 'ex aliqua parte'[36] conceperant, quae manifestius et lucidius sanctis in suis et locis et temporibus revelantur»[37].

ذلك الموضع، الذي ليس هو النهائيّ كما تُبيِّن الجملة الأخيرة وكما سيتبيّن بوضوح في الفقرة التالية، يوصف بالمعنى المجازيّ: **حضن إبراهيم**. وهناك تتمتّع النفس كأنّها **في نهر من الفرح**.

«لقد ذكرنا أنّ ذلك هو رمز للخروج من مصر، أي عندما تغادر النفس ظلام هذا العالم، وعمى طبيعة الجسد، وتنتقل إلى الدهر الآخر، المشار إليه إمّا بحضن إبراهيم، كما بالنسبة إلى لعازر المسكين، أو بالفردوس، كما للصّ اليمين؛ أو بأماكن أو مقارّ أخرى يعلمها الله، قد تعبر بها النفس المؤمنة بالله وتصل إلى ذلك النهر، الذي يفرّح مدينة الله، لتنال فيه الإرث والنصيب الموعودَين للآباء».

«Illam figuram esse diximus exeundi de Aegypto, cum relinquit anima mundi huius tenebras ac naturae corporeae caecitatem, et *transfertur ad aliud saeculum*, quod vel *sinus Abrahae*, ut in Lazaro, vel *paradisus*, ut in Latrone... indicator : vel etiam si qua novit esse Deus *alia loca vel alias mansiones*, per quae transiens anima Deo credens et perveniens *ad flumen illud*, quod

(٣٦) ١ كور ١٣:١٢.

(37) *De Principiis* 2, 11, 6; *PG*. 11, 245 s.; *CB*. 5, 190.

laetificat civitatem Dei, intra ipsum sortem promissae patribus haereditatis accipiat»[38].

٤. الدينونة الأخيرة:

عند تمام الأزمنة، يواصل الملائكة **قيادة النفوس**. فيقودونها إلى **دينونة الله**. الديّان الإلهيّ لن يدين النفوس وحدها، بل سيُدين الملائكة أيضًا **على المعرفة**: الملائكة على تعليمهم والبشر **على ما استفادوه منه**.

«في نهاية العالم، يمثل إلى الدينونة، كلّ من الملائكة، مصطحبًا الذين كانوا من جماعته، وساعدهم وعلّمهم، ومن أجلهم شاهد وجه الآب... وأظنّ أيضًا أنّه سيتمّ البحث في ما يقابل مجهود الملائكة من تقاعس بشريّ. ذلك إنّه سيجري الحكم أيضًا على ما إذا وُجد أيّ تقصير من الأرواح في خدمتهم... أو كسل من طرف الذين حظوا بمساعدتهم».

«Unusquisque angelorum in consummatione saeculi *aderit in judicio, perducens secum eos*, quibus praefuit, quos adiuvit, quos instruxit, pro quibus semper vidit faciem Patris... Et *puto* etiam ibi inquisitionem futuram, utrum culturae angelicae *nequaquam digne segnitia humana responderit*. Erit ergo et in hoc judicium Dei, utrum *negligentia aliqua ministrorum spirituum*... an eorum, qui ab iis juvantur, *ignavia*»[39].

(38) *Homilia in Numeros* 26, 4; *PG*. 12, 776; *CB*. 7, 249.
(39) *Homilia in Num*., 11, 4; *PG*. 12, 647; *CB*. 7, 82.

٥. المَطهَر متعدّد الطبقات:

تواصل النفس بعد قيامتها الصعود من طبقة إلى طبقة أخرى[40] ومن سماء إلى سماء أخرى، لكي تتطهّر وتصير مُستحقّة لسماء الله.

«سيصعد إلى مكانه في الجوّ، ويصل إلى الملكوت السماوي، عبر عدّة مراحل، إن صحّ هذا التعبير، أو مقارّ يسمّيها اليونانيون "σφκίρκς دوائر أو كُورا"، أما الكتاب المقدّس فيسمّيها "السماوات"».

«Ad aëris locum ascendet et ad coelorum regna perveniet per locorum singulorum, ut ita dixerim, mansiones, quas graeci quidem *sphaeras* — σφκίρκς — id *est globos* appellaverunt, scriptura vero divina *coelos* nominat»[41].

التطهير يتمثّل في محو أيّ ظِلٍّ من ظلال **الجهل**، فالنفس تكتسي بنورٍ متزايد لكي تتمكّن من الاقتراب من أبي الأنوار.

«و[النفس]، عند صعودها إلى السماوات، لا تبلغ على الفور مقتحمة الأعالي، بل تعبر مراحل كثيرة، تزداد ضياء في كلّ منها، بتلقّيها النور والحكمة في كلّ من المراحل، إلى أن تصل إلى آب الأنوار».

«Post resurrectionem adscensura ad coelos (anima) *non subito* nec importune *ad summa conscendit*, sed per multas deducitur mansiones, in quibus *illuminata* per singulas et *augmento semper splendoris accepto in*

(40) راجع المراجع الغنوصيّة المنحولة التي عرضناها في الفصل الثاني من دراستنا هذه.

(41) *De Princ*. 2, 11, 6; *PG*. 11, 246; *CB*. 5, 190.

unaquaque mansione illustrata sapientiae lumine usque ad ipsum pervenit luminum Patrem»[42].

الملائكة هي التي تقود النفوس من صعود إلى آخر في ذلك **التطهير المتزايد**.

«يخطف إذن الملائكة، أولئك الذين يجدونهم أطهارًا قد برئوا من الذنوب؛ أمّا الذين يجدونهم ما زالوا مثقَلين ببعض الرواسب، فينقلونهم».

«Rapiuntur ergo ab angelis hi, qui *penitus purgati* et leves effecti sunt a *delictis* ; portantur vero hi, qui aliquibus adhuc *reliquiis praegravantur*»[43].

أوريجانوس لم يُحدّد الفترة التي ينبغي أن تقضيها النفوس في منطقتيّ التطهير والتعليم، بل ذكر مَبدأً وحيدًا، ألا وهو: **أنّها تبقى هناك حتّى حصولها على تمام المعرفة**. بمعنى أنّها لكي تنتقل من سماء إلى أُخرى يجب أن تعرف كلّ ما يمكن معرفته في كلّ واحدة من تلك السماوات، إلى أن تصِل إلى سماء الله حيث تتمكّن من معاينة الله «وجهًا لوجه»[44].

«ولا بدّ من الاعتبار أيضًا، أنّ القديسين يلزمون مقرّهم، إلى أن يعلموا ما يُتخذ في السماء في شأنهم من قرار».

«Putandum est igitur quod *tandiu* sancti ibi permaneant, usquequo utriusque modi rationem dispensationis eorum, quae in *aëre geruntur*, *agnoscant*»[45].

(42) *Homilia in Num*,. 27, 6; *PG*. 12, 787; *CB*. 7, 264. Cf. *lb*. 1, 3; *PG*. 12, 558; *CB*. 7, 6. .

(43) *Homilia in Num*., 5, 3; PG. 12, 606; *CB*. 7, 30.

(44) «Sic ergo quae in astrorum ratione et in his conversationibus, quae in coelo sunt, continentur, venient etiam ad ea quae non videntur».

٢ كور ٤: ١٨؛ رو ١: ٢٠؛ راجع: *De Princ*. 2, II; *PG*. 11, 247; *CB*. 5, 191.

(45) *De Princ*. 2, 11, 6; *PG*. 11, 245; *CB*. 5, 189.

٦. الخلاص العامّ النهائيّ:

ينتهي سبب التطهير بانتهاء عدم المعرفة، وحينئذٍ يضع الملائكة النفوس في يديّ المسيح. فيقوم المسيح، وهو المُعلِّم الأعظم، بإنارتهم بشكل حاسم يصِل إلى حدّ جعلهم مؤهّلين لملكوت الله.

«وأولئك الذين يقيمون في تلك الأثناء مع الملائكة، يتعلّمون الأمور السماويّة، ويجمعهم الملائكة القدّيسون، كمَن حازوا العلم بما في أعالي السماء حتّى أسفلها، ويقدّمونهم كعارفين، إلى المعلّم الابن كلمة الله، ليصحّح معلوماتهم وينالوا ما يقدّمه الابن للذين سبق ونالوا التعليم السماويّ. ولما كانت حياتنا هذه الأرضيّة بمثابة ظلّ، فبالتالي، لا بدّ للذين سيعلمون شيئًا في ملء الزمان، أن يتعلّموا الآن أشياء أخرى من الشريعة والأنبياء، ويتلقّنوا ملء العلم من ابن الله، أي الأمور السماويّة في حدّ ذاتها، على غرار الذين في السماوات العليا، ويملكون العلوم، ليستطيعوا بعد ذلك أن يدركوا حكمة الله، بل أكثر من ذلك: أي ابن الله نفسه، عند مجيئه، فهو الكمال الحقيقيّ».

«...eos, qui inter homines interim apud angelos doccntes caeiestia commorantur, congregabunt angeli sancti, ut ante cruditos in summis coelis usque ad terminos eorum, et *instructos tradant perfecto Magistro, Verbo Filio Dei, ad corrignandum*, et ad susceptionem eorum quae tradiderit Filius his qui doctrinam coelestem ante susceperint. Quoniam autem umbra est haec vita nostra in terris, consequens est ut nunc a lege et prophetis erudiantur, qui *in illa plenitudine temporis reliqua sunt sciturì et pleniora a Filio Dei sciturì secundum res ipsas coelestes*, ut qui sunt in summis

coelorum quasi in quibusdam eruditionibus sint, ut possint postmodum *capere sapientiam Dei*, magis autem *sapientiam*[46] *ipsum Filium Dei*, cum venerit, *quod vere perfectum est*»[47].

بالانتقال التدريجيّ من منطقة إلى أخرى، من نورٍ إلى نور، من العناصر إلى الملائكة، من الملائكة إلى المسيح، ومن المسيح إلى الله، تصِل النفوس إلى «**الخلاص العامّ**»: «ἀποκατάστασις πάντων».

«فإنّه، في النهاية، وعند تجديد كلّ شيء، جدير بأن نعلم أنّ [النفوس] تتقدّم وترتفع شيئًا فشيئًا، في الصفات والمقام، إلى أن تصل، أوّلاً إلى الأرض والعِلم اللذين هي فيهما، لتستعد وتتلقّن ما هو أفضل، ولا يمكن أن يُضاف إليه شيء. فإنّ المسيح الربّ، ملك الجميع، سيتولّى المُلك بنفسه، بعد العمّال والوكلاء، ويشرف بنفسه على تعليم أولئك الذين يستطيعون فهمه، الحكمة ذاتها، بعد إتقان الفضائل المقدّسة، مالكًا عليهم إلى أن يُخضعهم للآب».

«Hoc itaque modo in *consummatione ac restitutione omnium* fieri putandum est, ut paulatim proficientes et ascendentes modo et ordine perveniant primo ad terram ellam et eruditionem, quae in ea est, in qua ad meliora et illa, *quibus iam addi nihil potest*, instituta praeparentur. Post actores enim et procuratores, Christus Dominus, qui est Rex omnium, regnum ipse suscipiet : id est post eruditionem sanctarum virtutum eos, qui eum capere possunt secundum quod sapientia est, *ipse instruet*,

---

(46) ١ كور ١: ٢٤.

(47) *In Matth. Serm.*, 51; *PG*. 13, 530; *CB*. 11, 114.

regnans in eis *tandiu usquequo eos etiam Patri subiiciat*»[48].

٣- القدّيس أثناسيوس (٣٧٣):

في كتابات القدّيس أثناسيوس نجد فكرة الأرواح المنتشرة في الجوّ، التي تضع الفخاخ في طريق النفوس. لكنّه يُشير أنّه عند موت المسيح صارت بداية النور الذي **يزيل عتامة الهواء**، ويمنح السلطة **للملائكة القادة** ويفتح باب الفردوس، كما حدث مع اللصّ اليمين[٤٩].

١. الأرواح المنتشرة في الهواء لتحصيل الجباية:

«إنّ الشيطان، عدوّ جنسنا، عند سقوطه من السماء، يتوه عبر هذا الهواء الأسفل، ويأمر غيره من الشياطين المعاندين مثله، ويسحر بواسطتهم البشر بالسحر، محاولاً التعرّض للذين يحاولون النهوض نحو العلا».

«Diabolus nostri generis hostis, e coelo delapsus, *circa hunc infimum aëris vagatur*, ubi aliis daemonibus utpote in contumacia sui similibus imperans, eorum opera *homines praestigiis seducit*, *el his qui sursum tendunt obstare nititur* : de qua apostolus[50] ...».

لكنّ المسيح الذي مات معلّقًا بين السماء والأرض، هو الذي يُطَهِّر الهواء منهم:

«جاء الربّ ليقضي على الشيطان ويطهّر الهواء».

---

(48) *De Princ.* 3, 6, 9; *PG.* 11, 341 s.; *CB.* 5, 290.

(٤٩) بالنسبة للقدّيس أنطونيوس، راجع:

RECHEIS A., *Sancti Athanasii Magni doctrina de primordiis, seu quomodo explicaverit Genesim 1-3, in Antonianum*, 28 (1953), 219-260. — BERNARDIN J. B., *A Coptic Sermon atiributed to St. Athanasius (Journal of Theological Studies*, t. 38), London 1937.

(٥٠) أف ٢: ٢.

«venit Dominus ut diabolum prosternat, aërem purget»[51].

النفوس الخاطئة هي وحدها **المُلزَمة بدفعِ الجباية للشياطين**. كذلك يقول أيضًا إنّ نفس القدّيس أنطونيوس أبّ الرهبان قد أُعتِقت بثمن الفضائل:

«شاهد (أنطونيوس) نفسه كأنه خارج عن ذاته، يقوده بعضهم عبر الهواء. ثمّ شاهد بعضهم، رهيبين ومخيفين. واقفين في الهواء، يحاولون قطع الطريق عليه. وبعد أن أصرّ الذين يقتادونه على سؤاله إن كان معاديًا لهم ولما اتّهموه، ولم يستطيعوا إثبات التهمة، لم يُقطَع عليه الطريق».

«(Antonius) sese vidit tamquam extra se positum, et per aërem a quibusdam adductum. Exinde terribiles tetrosque nonnullos vidit in aëre stantes qui transitum eius intercedere volebant: obsistentibus his qui illum adducebant postulare illi num obnoxius ipsis esset... Cum accusarent, nec probare possent, libera illi nec minime interclusa via fuit»[52].

٢. الملائكة الصالحون يقودون النفس:

يتّضح ممّا سبق أنّ الملائكة الصالحين قد قادوا نفس القدّيس أنطونيوس وقاموا بحمايتها. وأيضًا نزلت ملائكة الله للقاء نفس الأنبا أمونيوس وقيادتها، فذلك معروف من سياق رؤيا عاينها القدّيس أنطونيوس:

«وفي أثناء إقامته (أنطونيوس) في الجبّ، رفع أنظاره، فشاهد أحدهم ينتقل في الهواء، في موكب عظيم، وسط بهجة مرافقيه

---

(51) «Ἦλθε δὲ ὁ Κύριος ἵνα τὸν μὲν διάβολον καταβάλῃ, τὸν δὲ ἀέρα καθαρίσῃ». S. ATAN., *Oratio de incarnatione Verbi* 24; *PG.* 25, 140.

(52) *Vita S. Antonii*, 65 s.; *PG.* 26, 935-937.

العظيمة. فدهش وأخذ يمتدح ذلك الجمهور السعيد، ويسأل ليعلم من هو. وللحال، جاءته نفس أمونيوس المتوحّد في النطرون، الذي مكث في التقشّف حتّى مماته»

«In monte cum sederet (Antonius), sublatis oculis, vidit *in aëre* quemdam efferri, et *magnum eorum gaudium qui ipsi irent obviam*. Admiratus ille atque hujusmodi coetum beatum praedicans, rogabat ut quid illud esset edisceret. Voxque tatim ad illum facta est esse Amunis in Nitria monachi animam. Is ad obitum usque in ascetae statu perseverarat»[53].

٣. عمل المسيح:

هو تمهيد طريق السماء للنفوس، وفتح باب الفردوس، وتهدئة الكاروبيم الذين يحرسونه بالسيف، ويُدخِل فيه الصالحين، كما فعل مع اللصّ اليمين.

«على أنّه لا ينبغي لذلك أن نتقاعس ونحيد، كمَن لا يستطيع شقّ طريقه إلى السماء؛ لا بل لا بدّ من الجهاد.... فإنّ الربّ أعدّ لنا الطريق بدمه، وجعله سهلاً ممهّدًا. كذلك:

لم يعزّنا بالنسبة إلى السماء وبعدها فحسب. بل جاء بنفسه وفتح بابها الذي كان موصدًا. وقد أُوصِد فعلاً، منذ أن طرد آدم من جنّة عدن، وجعل الكاروبيم وسيف النار، لحراسة الطريق المؤدّية إلى ثمرة الحياة، الطريق أصبحت الآن مفتوحة. وقد عاملنا بالمزيد من الرحمة والرأفة، آتيًا هو نفسه، جالسًا على الكاروبيم، فقد أدخل

(53) سيرة القدّيس أنطونيوس الكبير، ٦٠؛ د آي ٢٦، ٩٢٩.

الفردوس اللص، الذي اعترف به، وسبقنا هو نفسه إلى السماء ودخلها من أجلنا، فاتحًا الأبواب للجميع».

«Verumtamen haud idcirco ad torporem et metum declinandum est, quasi nempe *via ad coelum trajici nequeat:* imo potius alacriter agendum... Nobis vero Dominus *novam per proprium sanguinem viam munivit*, ipsamque *facilem et expeditam paravit*. Et iterum:

Neque solum circa coeli distantiam consolatus nos est, sed etiam quia *portam hanc* olim clausam, ipse veniens *aperuit*. Vere enim clausa fuit, ex quo Adamum expulit e paradiso voluptatis, atque *cherubim, et flammeum gladium versatilem deputavit ad viam ligni vitae custodiendam*. Quae quidem *nunc aperta est*. Ac maiore gratia clementiaque usus, *adveniens ipse qui sedet super cherubim, in paradisum quidem latronem, qui ipsum confessus fuerat, introduxit; in coelum vero ipsemet praecursor pro nobis ingressus, portas omnibus aperuit*»[54].

٤. الصلاة من أجل راحة الراقدين:

في مجموعة القوانين التي تحمل اسم القدّيس أثناسيوس، هناك القانون ٨٥ الذي يتكلّم عن الصلوات من أجل الراقدين. وقد قام الباحثان ريدل وكروم[55] بنشر النصّ العربيّ مصحوبًا بترجمة إلى الإنجليزيّة.

(54) «καὶ πλείονι χάριτι καὶ φιλανθρωπία ἐμφανεὶς αὐτὸς ὁ καθήμενος ἐπὶ τῶν χερουβείμ, εἰσήγαγεν εἰς μὲν τὸν παράδεισον μεθ᾽ ἑαυτοῦ τὸν ὁμολγήσαντα ληστήν. Εἰς δὲ τὸν οὐρανὸν ὁ αὐτὸς πρόδρομος ὑπὲρ ἡμῶν εἰσελθών, πάσιν ἀνεπέτασε τὰς θύρας». *Epistola* 44; *PG*. 36, 1440s.

(55) RIEDEL W.-CRUM W. E., *The Canons of Athanasius of Alexandria*, London 1904, 44 arabo, 51 trduzione inglese.

النصّ:

«لأنّه قد يكون غنيّ قد مات ولدَه وأنّ أباه يُعطي عنه مالًا كثيرًا، ويُعطي أيضًا لبيت الربّ نذورًا كثيرةً من أجل خلاص نفس **ابنه**، فبالحقيقة إنّ الله يقبلهم منه (من الأبّ) ويُخلّصه من **خطاياه** (أي الابن) بسبب تحنّنه على المساكين. فإنّ سليمان يقول(٥٦): "إنّ خلاص نفس الإنسان من غناه"».

٤ – ديديموس الضرير (حوالي ٣٩٨):

مثلما أُدينت فلسفة أوريجانوس، كذلك أيضًا أُدين ديديموس الضرير عام ٥٥٣ ممّا تسبّب في الضياع شبه الكامل لإنتاجه الأدبيّ الواسع. لكنّ أصالة كتاباته التي وصلتنا موثوق فيها. حاليًا ونحن في انتظار نشر النسخة الكاملة للمخطوطات التي عُثِر عليها في جبل طُره بالقُرب من القاهرة عام ١٩٤١(٥٧)، سنقتصر على الإشارة إلى بعض ملامح تعليمه العقائديّ.

١. الشياطين والخطأة على الأرض:

«قد سعوا لفعل الإثم والملائكة، وكلّ الملائكة الآثمين والشياطين الأرضيّين(٥٨)، وجميع البشر الذين يحملون صورة الإنسان الأرضيّ»(٥٩).

(٥٦) «فِداءُ نَفْسِ الإِنْسانِ غِناه» أمثال ١٣: ٨

(٥٧) المرجع:
DOUTRELEAU L., *Didyme l'aveugle sur Zacharie, texte inédit d'après un papyrus de Toura: Introduction*, in *SC.*, 83 (Paris 1962), 119-185.

(58) «καὶ οἱ ἐπίγειοι δαίμονες».

(59) *In Zach.* 1, 398; *SC.* 83, 405.

٢. الملائكة الأشرار في الهواء:

«اللعنة تُحلّق في الهواء، فهي لا تُصيب الخطأة الذين على الأرض وحدهم، بل تضرب **أيضًا أولئك الذين في الهواء**»(٦٠).

٣. الخلاص العامّ:

«ما أن تتمّ هذه العبادة الروحيّة السرّيّة.. لن يكون هناك فيما بعد **كنعانيّ**(٦١) في بيت الربّ القدير: في ذلك **اليوم الذي يكون فيه الخلاص العامّ لجميع؟...**»(٦٢).

٥- إيسيذوروس البيلوزميّ (الفرميّ) (حوالي ٤٣٥):

من **رسائل** هذا الراهب الحكيم الذي عاش في دير الفرما (البيلوزيّ) الواقع شرق مدينة بورسعيد، نستخلّص أقوالًا وجيزة ولكنّها واضحة عن **مهمّة الملائكة**، و**صلوات ترحيم اليوم الثالث**، وعن الجزاء إمّا في **الفردوس** أو في **الجحيم**، وعن **الدينونة الأخيرة**.

١. خدمة الملائكة:

«يعلمون أنّ المسيح أمر الملائكة أن ينقلوا مثل هؤلاء الناس إلى المقارّ السماويّة، ليعيّدوا فيها ويملكوا، ويتمتّعوا بسعادة النفس الأبديّة».

«Norunt Christum angelis, ut huiusmodi homines in coelestes sedes comportent, praecipisse; quo nimirum

(60) «ἀλλὰ καὶ τῶν περὶ ἅπτεται». *In Zach.* 1, 169; *SC.* 83, 385. .

(٦١) كناية عن الإنسان المُجرَّب.

(62) «ἀποκατάστασις γέγονεν τῶν π[...]κόντων». *In Zach.* 5, 204; *SC.* 85, 1083.
العبارة مشوّهة في المخطوطة الأصليّة.

festum celebrent, ac regnent, sempiternque animi laetitia perfruantur»[63].

٢. صلوات اليوم الثالث:

كما خرج يونان من جوف الحوت في اليوم الثالث، كما خرج يسوع قائمًا من جوف القبر في اليوم الثالث:

«وهكذا، من عادتنا نحن أيضًا، أن نقيم ذكرى الذين انتقلوا. ففي أيّة ساعة من النهار، انتقل أحد من هذه الحياة إلى الموت، يمضي اليوم التالي، وفي الثالث نقيم ذكراه. أظن أنك حظيت بالجواب على ما طرحته من سؤال».

«Sic autem nos quoque *eorum, qui mortem obeunt, memoriam celebrare consuevimus*. Quacumque enim diei hora quisquam vitam cum morte commutarit, postero dumdaxat die interjecto, altero post die *tertianum ipsius diem agimus*. Habes, ni fallor, propositae quaestionis solutionem»[64].

ثمّ يسوق مَثَلَ الملك الذي يُمكن أن يقبل التماس السجناء أو المداينين بالقيود الحديديّة، فيُفرج عنهم قبل انتهاء الفترة المقرّرة لسجنهم.

٣. مجد الفردوس ونيران الجحيم الأبديّة:

«لقد سألتَ ما هي حال النفس في الآخرة، أو كيف وفي أيّ مكان تقيم. وأنا أجيبك: النفس التي عاشت صالحة مستقيمة، ستأتي لقيامة الحياة. والتي قضت مسيرة حياتها في الشرّ والإثم،

(63) S. Is. Pel. *Epistolae: Libr.* 2, 111; *PG.* 78, 552.
(64) *Ib., libr.* 1, 114; *PG.* 78, 257-259.

ستنتقل إلى النار الأبديّة. وبالتالي عليك أن تخاف، وتبذل كلّ جهدك لتنجو من الدينونة والعقاب».

«Tu quidem sciscitatus es, quemnan illic anima statum habeat, aut quonam modo, vel loco contineatur. Ego vero respondeo: Ea quae recte atque honeste vixit, *ad vitae resurrectionem veniet*; quae autem male et flagitiose curriculum vitae confecerit, *ad sempiternum rogum proficiscetur*[65]. Quod quidem tu metuens, curam omnem adhibe ut condemnationis ac poenae expers inveniaris»[66].

٤. الدينونة الأخيرة: للنفس وللجسد:

«ما جاء في الكتاب أن الدينونة تسري على الأحياء والأموات، يعني أن النفس والجسد يمثلان للمحكمة، من غير أن ينفصل الواحد عن الأخرى. فإنّهما، كما عاشا مجتمعَين في هذه الحياة، كذلك يخضعان أيضًا للحكم معًا».

«Per id, quod vivos ac mortuos judicandos esse ait scriptura, illud significatur fore ut *anima et corpus simul in judicium veniant*, nec alterum ab altero sejungatur: verum quemadmodum in hac vita communem conjunctionem habuerunt, sic etiam futurum judicium subeant»[67].

(65) «εἰς αἰώνιον πορεύσεται πυρόν».
(66) *Epistolae, libr.* 1, 267; *PG.* 78, 341.
(67) *Ib., libr.* 1, 222; *PG.* 78, 321.

٦ - القدّيس كيرلس الإسكندريّ (٤٤٤):

العظة ١٤ من العظات المنسوبة للقدّيس كيرلس الإسكندريّ تحمل العنوان التالي: «*De exitu animae et de secundo adventu*»، «خروج النفس والمجيء الثاني»[68]. إنّها عظة هامّة للغاية بالنسبة لموضوعنا لأنّها تتضمّن عناصر تؤكّد بقوّة على تُراث الأقباط من التقليد المصريّ العتيق. هذه العظة تتكلّم عن قوّات هوائيّة تتقدّم باتّهامات ضدّ النفس؛ وأنهار ناريّة؛ ومناطق جباية تسهر عليها الأرواح الجابية؛ والدينونة الإلهيّة الرهيبة. الحديث بكامله مملوء بالأهوال.

« أخاف من نهر النار، أمام ذلك الديّان، يجري ويغلي ماؤه أشدّ الغليان».

«Metuo *flumen ignis* ante *tribunal* illud, fluens vehementissimaque aqua ebullienis»[69].

يجب على النفس اجتياز **خمسة مناطق للجباية** أو الحساب، حيث تُستجوب بشأن الحواسّ البشريّة[70].

١. المنطقة الأولى: πρότον τελώνιον:

إنّها منطقة نوعيّة تُفحص فيها مختلف نقائص المتوفّى، حيث تتكالب عليه فِرَق الأرواح المُتّهِمَة.

---

[68] «περὶ ἐξόδου ψυχῆς καὶ περὶ τῆς δευτέρας παρουσίας». *PG*. 77, 1071-1090.

[69] *Ib.*, col. 1071.

[70] هذه الوثيقة الحالية تتضمّن تفسيرًا للمسحة التي تُمسح بها أعضاء جسد المُحتضِر وصيغتها وفقًا للطقس اللاتينيّ. وقد سبق ورأينا أنّ أوريجانوس أيضًا تكلّم عن خمسة مناطق فيما وراء القبر ينبغي أن تتوسّل فيها النفوس. راجع:
ORIGENE, *Contra Celsum*, 6, 31; *PG*. 11, 1313.

«فأمامنا الجيوش والقوّات السماويّة، والرئاسات المضادّة سلطات الظلام، والمسؤولون عن المخالفات، وخدم العشّارين، وجامعو العشور، ومحاسبو الأعمال في الهواء، ومعهم الشيطان القاتل، القدير بإثمه... يزأر كالأسد في جحره، التنين العظيم، الخائن، الوحش الفاتح شدقيه، زعيم قوّات الظلام».

«Prasto sunt enim nobis *exercitus* et potestates caeletes, et contrariarum potestatum tenebrarum principes, improbritatis praepositi, mancipes publicani, rationum *exactores*, et *actionum censores aërei*, et cum eis ille homicida diabolus in malitia potens … qui insidiatur ut *leo* in antro suo, *draco* magnus, defector, *orcus* qui fauces aperit, qui potestati tenebrarum praesidet...»[71].

٢. المنطقة الثانية: δεύτερον τελώνιον:

«والجابي الثاني، هو نظرة العين، وكلّ ما يُرتكب بنظرات غير محتشمة، وفضوليّة، ومشاهدات شاذّة ولفتات خدّاعة».

«Secundum telonium est *oculorum visus*, quaecumque in decoro aspectu curiosoque et effrenato intuitu et fallaci nutu committuntur».

٣. المنطقة الثالثة: τρίτον τελώνιον:

«والجابي الثالث هو السمع، وكلّ ما تلتقطه هذه الحاسّة من الأرواح الشرّيرة».

«Tertium telonium est *auditionis*, et quaecumque per hunc sensum impuros spiritus accipiunt».

---

[71] S. CIR., *Hom*. 14; *PG*. 77, 1073.

٤. المنطقة الرابعة: τέτρκτον τελώνιον:

«والجابي الرابع هو حاسّة شمّ الروائح الزكيّة والعطور والأطياب، التي تليق بالنساء العاهرات».

«Quartum telonium est *olfactus* odoriferorum unguentorum et suavium odorum, quae mimas et impudicas decent mulieres».

٥. المنطقة الخامسة: πέμτον τελώνιον:

«والجابي الخامس هو ما تمّ باليدين من لمس أثيم ومحرّم، والحانات الأخرى كالحسد والغيرة والمجد الباطل والكبرياء، والحقد والغضب، والسخط».

«Quintum telonium est quae *manuum tactu* perverse et improbe facta sunt, et caetera vitiorum tabernae, invidiae, aemulationis, inanis gloriae et superbiae, acerbitatis et irae, iracundiae et furoris...»[72].

ثمّ ينتقل الحديث إلى **الدينونة**، فيتكلّم عنها بتوسّع. الحديث ينساب بدون تحديد لنوعيّة الدينونة، خاصّة أم عامّة، لكن يبدو من السياق أنّه يدور حول الدينونة الأخيرة[73]. فضلًا عن **أنّ المناطق المختلفة لا يُمكن اعتبارها مراحل دينونة خاصّة.**

(72) *Ib.*, col. 1073-1074.

(73) النصّ الموجود في المخطوط (*Papyrascodex*, pp. 6-7, 58-59, 150-153) يبيّن اعتقاد القدّيس كيرلس الإسكندريّ أنّه في الدينونة الأخيرة كثير من النفوس ستمُرّ "عن يمين وعن يسار" المسيح.

٧- الأنبا شنوده (حوالي ٤٦٠):

لقد سبق لنا الحديث عن الأنبا شنوده في الفصل الثالث، الفقرة ٧، حيث تكلّمنا عن سيرته. أمّا من حيث الجانب اللاهوتيّ فسنشير هنا إلى نصّين. الأوّل يتعلّق **بخدمة الملائكة** تجاه الإنسان، والثاني يتعلّق **بتذكار الراقدين.**

١. خدمة الملائكة:

إنّه نصّ من **عِظة حول قراءات أسبوع الآلام،** قام بنشرها الباحث بورمستر Burmester[74].

«إن كنّا نريد، يا إخوتي، أن نتجنّب الوقوع في يدي الله ونجد مغفرته، فلنختبر أنفسنا في مساء كلّ يوم بعد نهاية النهار، **ونفحص ذواتنا بشأن ما أعطيناه للملاك الذي يقوم بخدمته قبالتنا ليقوم بتقديمه إلى الربّ**[75]. وأيضًا لنفحص ذواتنا في خلوتنا عند انتهاء الليل وبزوغ النهار، لكي نعرف ما أعطيناه **للملاك المكلّف بتقديم عطيّتنا لله.** فلا تتحفّظوا لأنّ كلّ إنسان، رجل أو امرأة، صغير أو كبير، نال المعموديّة باسم الآب والابن والروح القدس، قد كلّف الله ملاكًا حارسًا بحمايته حتّى يوم رقاده: وهذا الملاك يُقدّم لله كلّ يوم أعمال الإنسان الذي يقوم بالسهر عليه، تلك التي يعملها نهارًا وليلًا. لأنّ الله لا يُغفل أعمالنا أبدًا. بل بالعكس، يتعرّف عليها أكثر، كما هو مكتوب: "عَينا الربِّ في كلّ مَكان

(74) BURMESTER O. H. E., *The Homilies or Exhortations of the Holy Week Lectionary*, in *Le Muséon*, 45 (1932) 24 testo copto, 53 traduzione inglese.

(75) «ϫⲉ ⲉⲧⲁⲛϯ ⲛⲟⲩ ⲙ̀ⲡⲓⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲉⲧⲣⲇⲓⲁⲕⲱⲛⲓⲛ ⲉⲣⲟⲛ ⲉⲑⲣⲉϥⲉⲛϥ ⲉⲡϣⲱⲓ ϩⲁ̀ⲡϭ̀ⲥ». *Ib.*, 24.

تُراقِبانِ الأَشْرارَ والأَخْيار»(٧٦). فهُم (الملائكة) الخُدّام الذين كلَّفَهم الخالق، مِن أَجْلِ الَّذينَ سَيَرِثونَ الخَلاص(٧٧)».

٢. تذكار الراقدين:

تكلّم الأنبا شنوده عن تذكار اليوم الثالث، السابع، والشهر والستّة أشهر والسنويّة. وبالإضافة إلى ذلك، أشار إلى عادة البعض في الاحتفال بالذكرى بالذبيحة الإلهيّة **كلّ شهر** على مدار العام الأوّل. كما تكلّم أيضًا عن إقامة القدّاس **يوميًّا** ووبّخ على ذلك.

«وعن جميع أمواتنا، الذكور منهم أو الإناث، نقدّم ما نستطيع من حسنة ثلاث مرّات: بعد شهر وافتهم الأوّل، وشهرهم السادس، ونهاية سنتهم، ونقدم التضحية في كلّ شهر من أجلهم إلى أن تنقضي السنة. وفي اليوم الثالث والسابع نجتمع كلّنا، وبعد ذلك، نجتمع مرّة واحدة في الشهر. والإخوة الصغار في الجماعة، يجتمعون وحدهم فيما بينهم. وأنتنّ تجتمعن وحدكنّ، فيما نحن نطوف، بحيث لا نتعوّد تقديم الذبيحة بكثرة، كما يفعل بعضهم، ممّن لا يقدّمونها في الأيام المتوالية، بل يقدّمون كلّ يوم. وليتهم يفحصون أنفسهم قبل أن يأكلوا الخبز ويشربوا من الكأس، لكي لا يتحوّل جسد الربّ ودمه إلى دينونة قاسية لهؤلاء العميان، الذين يقودون عميان».

«Pro singulis qui quoque tempore in nobis sive mares sive feminae morientur, stipes, si nobis praesto sunt, ter

(٧٦) أمثال ١٥: ٣.

(٧٧) عبر ١: ١٤.

dabimus : primo *eorum mense*, et *sexto eorum mense*, et *anno* eorum exeunte, et sacrificia *singulis mensibus* pro eis conficientur, quoad annus eorum absolutus erit. *Tertio eorum die et septimo* omnes simul congregabimur; et exinde per *eorum mensem* nos soli huc semel conveniemus[78]. Et ii fratres qui sunt in communitate minore, semel inter se soli convenient. Et vos quidem ipsae semel inter vos convenietis, dum nos simul circumierimus, *modo ne consuetudinem asciscamus sacrificium saepe conficiendi, sicuti nonnullorum mos est, qui non solum saepenumero, diebus inter se propioribus, sacrificant, sed cottidie semper offerunt*. Atque utinam ante etiam se probarent, quam de pane ederent et de calice biberent, ne corpus sanguisque Domini gravi damnationi fieret istis caecis, qui coecos ducunt»[79].

٨- مسائل ثيؤدوروس (حوالي ٦٩٠):

إنّه حوار طويل يتكوّن من ٢٣ مسألة، يتحاور فيه ثيؤدوروس الكاهن مع البطريرك الإسكندريّ الأنبا يؤانس الثالث، ثيؤدوروس يطرح الأسئلة حول موضوعات مختلفة فيجيبه الأنبا يؤانس.

هذه المسائل المنسوخة قُرب نهاية القرن السابع وصلتنا في ثلاثة نسخ: مخطوط باللغة القبطيّة الصعيديّ (مخطوط مورجان، Pierpont Morgan M. 605) وباللغة

(78) «ⲟⲩⲟⲛ ⲛⲓⲙ ⲉⲧⲛⲁⲙⲟⲩ ϩⲣⲁⲓ ⲛ̀ϩⲏⲧⲛ ⲛⲟⲩⲟⲉⲓϣ ⲛⲓⲙϫ ⲉⲓⲧⲉ ϩⲟⲟⲩⲧϫ ⲉⲓⲧⲉ ⲥϩⲓⲙⲉϫ ⲉϣⲱⲡⲉ ⲟⲩⲛⲧⲁⲛϫ ⲉⲛⲁ ⲉⲣⲁⲅⲁⲡⲏ ϩⲁⲣⲟⲟⲩ ⲛϣⲟⲙⲧ ⲛⲥⲟⲡϫ ⲡⲉⲩⲉⲃⲟⲧ ⲁⲩⲱ ⲡⲉⲩⲥⲟⲟⲩ ⲛ̀ⲉⲃⲟⲧ ⲙⲛⲡϫⲱⲕ ⲛⲧⲉⲩⲣⲟⲙⲡⲉϫ ⲛⲥⲉⲧⲁⲗⲉⲡⲣⲟⲥⲫⲟⲡⲁ ⲉϩⲣⲁⲓ ϩⲁⲣⲟⲟⲩ ⲕⲁⲧⲁⲉⲃⲟⲧϫ ϣⲁⲛⲧⲉⲧⲉⲩⲣⲟⲙⲡⲉ ϫⲱⲕ ⲉⲃⲟⲗ. ⲡⲉⲩϣⲟⲙⲧ ⲙⲛⲡⲉⲩⲥⲁϣϥ ⲉⲛⲁⲥⲩⲛⲁⲅⲉ ⲧⲏⲣⲛ ϩⲓⲟⲩⲥⲟⲡ. ⲁⲩⲱ ⲙⲛⲛⲥⲱⲥ ⲕⲁⲧⲁⲡⲉⲩⲉⲃⲧ ⲉⲛⲁⲥⲩⲛⲁⲅⲉ ϩⲁⲣⲓ ϩⲁⲣⲟⲛ ⲛⲟⲩⲥⲟⲡ ϩⲁⲧⲏⲛ».

(79) LEIPOLD I.-CRUM E. W., *Sinuthii archimandritae vita et opera omnia*, in *CSCO*., copto 73, 66, traduzione 108, 39 s.

العربيّة واللغة الأمهريّة (الأثيوبيّة). النسخ الثلاثة قام بنشرها مؤخرًا الباحث ثان لانسخوت(٨٠) مع ترجمة باللغة الفرنسيّة.

هذا المرجع يُناقش نقاطًا متنوّعة بشأن الأخرويّات، أهمّها يتعلّق بتطهير النفوس **وفترة العقوبات في جهنّم**. وسنشير أيضًا إلى نقاطٍ تتعلّق بالموت والدينونة(٨١).

١. دينونة النفس فور انفصالها عن الجسد:

السؤال الثالث هو الذي يتناول هذا الموضوع ولكن مع تمييز لفئات: المسيحيّين الأبرياء، المسيحيّين الخطأة، الأبرار غير المعمّدين الذين من العهد القديم، والوثنيّين. **بعد ثلاثة أيام**(٨٢) من الوفاة، تُقبَل نفوس المسيحيّين في جوار الله حيث تنال الثواب إن كانت بريئة أو العقاب إن كانت خاطئة. أمّا نفوس الفئتين الأُخريين فتُرسَل إلى آمنتي (الجحيم) مع الفارق: نفوس الأبرار من العهد القديم تمضي إلى العِتق لأنّ المسيح أعتقها عند «نزوله إلى الجحيم»؛ والأخرى تبقى هناك بلا حدود حيث أنّ الكتاب المقدّس لم يُحدّد شيئًا بشأنها. السؤال برُمّته مطروح على مستوى **دينونة خاصّة حقيقيّة**.

«يقول الكاهن (ثيؤدوروس): "هل يذهب الإنسان إلى جوار الله فور موته، يا قداسة البابا؟"(٨٣). يقول يؤانس (الرجل) القدّيس: "إن كان مسيحيًا يؤخذ إلى مواجهة الله لكي يسجد ليسوع. فيقول له:

(80) LANTSCHOOT VAN A., *Les «Questions» de Théodore*, (in *Studi e Testi*, 192), Città del Vaticano 1957.

(٨١) أسئلة متنوّعة، مشابهة لأسئلة ثيؤدوروس نجدها في البرديّة التي نشرها كروم: *Der Papyruscodex saec. VI- VII der Phillipposbibliothek in Cheltenham*, Strasbourg 1915.

(٨٢) اليوم الثالث موجود في النصّ العربيّ فقط: *Cod. ar* 2882 di Gotha.

(٨٣) هناك سؤال مماثل في: *Papyruscodex*, pp. 7 e 59.

"ها هو إلهك الذي خلقك"(٨٤). وإن لم يكُن مسيحيًا، يُساق إلى الجحيم فورًا"(٨٥).. الكاهن: "لو كان هناك إنسان لم ينل المعموديّة ولكنّه فعل ما يُرضي الله، الصلاة والصوم والصدقة، هل سينزل هذا أيضًا إلى الجحيم؟". الإجابة: "لا يُمكن أن يكونوا أبرارًا مثل إرميا ويعقوب، إبراهيم وموسى. هؤلاء كلّهم هبطوا إلى الجحيم لأنّهم لم ينالوا المعموديّة. وظلّوا هناك حتّى خرج ابن الله من موضعه الغير محدود لكي يتجسّد في بطن العذراء القدّيسة، ويُصلب وينزل إلى الجحيم **فأخذهم جميعًا إلى فوق**. أتقول لي الآن: أنّه سيأتي مرّة ثانية، ويولد ويُصلب وينزل إلى الجحيم فيأخذ هذا الإنسان إلى فوق؟ الكتاب المقدّس لم يُخبرنا شيئًا عن ذلك.."»(٨٦).

«الكاهن: "**إن كان مسيحيًا آثمًا**، هذا أيضًا يمثّل أمام الله فور خروجه من الجسد؟". فقال البابا: "نعم، يُساق إلى هناك كي يسجد ليسوع. فيقول له: "هذا هو إلهك الذي خلقك، الذي احتقرت وصاياه". **وحالًا يأتي حُكم يسوع**: "**خذوه إلى العذابات المُعَدّة له، بقدر خطاياه**"(٨٧)"».

(٨٤) برهنها بما ورد في مز ٢٥: ٩ «ويَهْدي الوُضَعاءَ إلى الحقّ».

(٨٥) أضاف الشواهد الكتابيّة: مز ٥٤: ١٦؛ أش ٢٦: ١٠.

(86) LANTSCHOOT, *op. cit.*, 173-177.

(87) «ⲁⲩⲱ ⲛ̄ⲧⲉⲩⲛⲟⲩ ϣⲁⲣⲉⲧⲁⲡⲟⲫⲁⲥⲓⲥ ⲉⲓ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲉⲛ̄ⲓ̄ⲥ̄. ϫⲉϫⲓⲧϥ ⲉⲛⲕⲟⲗⲁⲥⲓⲥ ⲉⲧⲧⲏϣ ⲛⲁϥ ⲕⲁⲧⲁ ⲛ̀ϣⲓ ⲛ̀ⲛⲉϥⲛⲟⲃⲉ». LANTSCHOOT, *op. cit.*, 21 s. testo, 180 s. traduzione.

٢. المَطهَر:

مازلنا في المسألة الثالثة، حيث يتواصل موضوع نفوس المسيحيّين الخطأة الذين حُكم عليهم بالنزول إلى الجحيم.

«ولا يُطرح في الجحيم فحسب، بل يطرح بين العذابات إلى **اليوم الذي يتمّم فيه ما عليه من جراء خطاياه فيُسمح له بالراحة**»[٨٨]. الكاهن: "أين كُتِبَ هذا؟". البابا: "داود يقول: "تَمْحيص الفِضَّةِ مَحّصتَني"[٨٩]. لم يقُل "تُطرح الفضة في النار وتبقى هناك"، بل قال "محّصتني كالفضّة". فقد بيّن أنّ الإنسان يُمحّص كالفضّة، **لكي تتلاشى كلّ الشوائب في النار، فيخرج أبيضًا مثل الفضّة**. الله رحيم، يذكُر جسده ودمه اللذان تناولوهما (أي الذي تناوله المسيحيّون الذين طُرحوا في الجحيم)، **فيجعلهم ينتقلون من اللهيب إلى الحياة الأبديّة**[٩٠]: هذا الذي ينبغي له المجد إلى الأبد. آمين»[٩١].

من هذا النصّ يتّضح **أنّ المَطهَر، الذي هو الجحيم حيث تكون العذابات، يقتصر على فئة المسيحيّين الذين خطئوا وحدها**. والمسيحيّون الأبرار فقد تجاوزوا المَطهَر. الأبرار من العهد القديم يبدو أنّهم اختبروا الجحيم، لكن بدون العذابات. أمّا فيما يتعلّق بفئة الوثنيّين، فالمسألة لا تزال مُعلّقة.

(88) «ϣⲁⲡⲉϩⲟⲟⲩ ⲉⲧⲉϥⲛⲁⲙⲉϩⲛⲉϥⲛⲟⲃⲉ ⲉⲃⲟⲗ ⲛ̀ⲥⲉϯⲙ̀ⲧⲟⲛ ⲛⲁϥ».

(٨٩) مز ٦٦: ١٠.

(90) «ⲛϥ̀ⲛ̀ⲧⲟⲩ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲙ̀ⲡⲕⲱϩⲧ. ⲉϩⲟⲩⲛ ⲉⲡⲱⲛϩ̀ ϣⲁⲉⲛⲉϩ».

(91) LANTSCHOOT, *op. cit.*, 22 testo, 180-182 traduzione.

فيما يتعلّق **بتطهير النفس الخاطئة بواسطة النار**، هناك برديّة أخرى من نفس المجموعة تتناول هذه المسألة، تتحدّث عن «**تكليف الملاك ميخائيل**». شاء الآب والابن أن يخلقا الإنسان، فلما خشي الآب كارثة البشريّة، أخذها الابن على عاتقه. عندئذٍ قال الآب: إن أخطأ الإنسان سآخُذ روحه وأعاقب جسده بالعودة إلى التراب. وفيما يتعلّق بالنفس التي انفصلت عنه:

«سأُعِدّ **أنهارًا من النيران** لأطرح فيها نفسه. **سأُمحّصها**، لأنّ الحياة التي سلكتها في العالم وهي ترتكب الخطايا قد قادتها إلى النار: **حيث تبقى هناك حتّى تتطهّر**»[٩٢].

٣. الدينونة الأخيرة. الفردوس. الجحيم:

المسألة ٢٢ تتناول هذا الموضوع، وهنا أيضًا نجد تمييزًا بين المُعمّدين وغير المعمّدين، من خلال مَثَل العذارى الحكيمات والعذارى الجاهلات. المسيح جالس على عرشه وينطق بحكمه النهائيّ.

«**العذارى الخمس الحكيمات هنّ المسيحيّون**؛ الزيت هو المعموديّة؛ المصباح المنير هو المسيح؛ الرسل هم الباعة الذين يبيعون الزيت. الرسل انتقلوا وتركوا أبنائهم، أي البطاركة والأساقفة والقسوس. والكنيسة هي المحلّ المقدّس لإنتاج الزيت. المصباح المشتعل هو المسيح ..».

(92) «ϣⲁⲛⲧⲉⲥⲧⲃ̀ⲃⲟ». Mss. Pierpont Morgan, M. 593, ff. 3v.-4r., in LANTSCHOOT, *op. cit.*, 182, nota 2.

«**العذارى الجاهلات هنّ اليهود والوثنيّين**، أولئك الذين يقولون: "إنّنا تلاميذُ مُوسى"[٩٣]، الذين يعتقدون في الحرف الميت، ويتركون الروح الكامن فيه..».

«لقد استيقظن جميعهنّ، أي: جميع العذارى في نفس الوقت وزيّنوا مصابيحهنّ. إذن، حين يقوم **المسيحيّون**، ستسطع وجوههم كالشمس في ملكوت أبيهم. لكن أولئك الذين لم ينالوا المعموديّة، ستراهم بجسد معتم كسواد القار، ظلمات تامّة في ظلمات إبليس أبيهم..».

«وقاعة العُرس، أليست هي أورشليم السمائيّة؟ تلك العروس التي سيأخذها (العريس) معه إلى **موضع الدينونة**، في حين يتمجّد فيها جميع القدّيسين، ويضعها عن يمينه. ثمّ يأمر بتنفيذ العذابات على الأثمة، ويجعلهم عن يساره مكتسين بالخزي».

«بعد ذلك، يقول للذين عن يمينه: "تعالوا إليّ، يا مُباركي أبي، رِثوا المُلك المُعَدّ لكم منذ إنشاء العالم[٩٤].."».

«ثمّ يقول للذين عن يساره: "اذهبوا عنّي، يا ملاعين، إلى النار **الأبديّة المُعَدّة** لإبليس وملائكته[٩٥]، ولكلّ من يُبغضني.."».

«حينئذٍ يأمر بإحضار إبليس في الحال ويديه ورجليه مكبّلة بقيود لا تُحلّ، ويُجيب قائلًا له: "إنّك ملعون[٩٦] أكثر من الآخرين،

(٩٣) يو ٩: ٢٨.
(٩٤) مت ٢٥: ٣٤.
(٩٥) مت ٢٥: ٣١.
(٩٦) تك ٣: ١٤.

لأنك أغويت خليقتي"[٩٧].. فينغلق فمه للحال ولا يجد ما يقوله. وعلى الفور يأمر يسوع بإلقائه في بحر النيران، الملتهب بالقار والكبريت[٩٨]. وبعد ذلك يقول للذين تبعوا الشيطان، الذين عن يساره: "ها هو ملككم! لم يستطع أن يُخلِّص نفسه!"»[٩٩].

الفردوس بالنسبة للمختارين هو أفراح ونعيم مزدهِر. وهم يتوسّلون من أجل المُدانين، ويسوع يستجيب لهم فيستشير الآب، لكنّ الآب لا يُغيّر موقفه.

«حينئذٍ، يلتفت الابن نحو الذين عن يمينه بعد أن يبكوا قليلًا ويقول: "كُفّوا عن البكاء، لأنّ زمن الدموع والتنهّد قد انتهى. والآن التهليل، والفرح والنعيم المُعدّ لكم في قاعة عُرس سيّدكم. من الآن وإلى الأبد"»[١٠٠].

يصدر الأمر بطرح الفاسقين في **جهنّم** بصوت لا يتوقّف.

«بعد ذلك، يقول الصالح بحزن: "ليَعُد الخطأة إلى الجحيم، مثل جميع الناس الذين نسوا الله".. في تلك اللحظة تُظهِرُ الهاوية حلقها وتُخرِج الخُدّام بأعداد غفيرة مثل رمل البحر لكي يُحيطوا بالجميع لدرجة أنّك ستقول إنّ الخُدام أكثر عددًا من البشر. فيأخذونهم لأسفل الجحيم في الحال، بينما ينوحون (الخطأة) ويصرخون، وتلتفت عيونهم الدامعة نحو الأبرار، وعيون الأبرار الدامعة

(٩٧) رؤ ١٢: ٩.
(٩٨) رؤ ٢٠: ٩.
(99) LANTSCHOOT, *op. cit.*, 268-277.
(100) LANTSCHOOT, *op. cit.*, 279.

تكون ملتفتة نحوهم أيضًا[101]. يا للهول العظيم في تلك اللحظة! فبالحقيقة في مثل تلك الظروف يجب أن تقول "أنه كان من الأفضل للإنسان ألّا يولد.."»[102].

٤. أبديّة جهنّم:

المسألة الثامنة تتناول حال المُدانين. إنّ مصيرهم، الذي يتقرّر في الدينونة **الخاصّة، يتأكّد بحُكم علنيّ في الدينونة العامّة**. وفكرة العفو مستبعدة.

«يقول الكاهن: "يا قداسة البابا، داود يقول: "الخاطئ لا يقوم في الدينونة"[103]. فإن لم يقوموا، كيف سيحاكمون؟" - فيقول البابا بعد أن يذكر دانيال[104] وداود[105]: "في ذلك الحين أيضًا لا شيء مستحيل عند الله. فحين يأتي ليدين المسكونة كلّها، يرافقونه إلى الفردوس مع القدّيسين: وكذلك تبدأ معه العذابات التي للأثمة، **الغارقين في النيران حتّى نصف أجسادهم**، حتّى يسمعوا الحكم عليهم". الكاهن: "إن كانوا لن ينجوا من العذابات إلى حين الدينونة، وإن كان العذاب قائمًا، فما الحاجة إلى الحكم عليهم؟ فهم بالحقيقة في العذاب فعلًا!". يجيب البابا: "قلتُ في مرّة أخرى: "**في لحظة خروجهم من الجسد يساقون إلى الجحيم فورًا**". لكن

(101) يمكن مراجعة وصف لمشاهد مماثلة عن الدينونة الأخيرة في المراجع التالية:
ROSSI F., *Trascrizione di tre manoscritti copti*, Torino 1885, 64, 104. — CRUM W. E., *Theological Texts from Coptic Papyri*, Oxford 1913, 33-36.

(102) LANTSCHOOT, *op. cit.*, 280.

(103) مز ١: ٥.

(104) دا ٧: ٩-١٠.

(105) مز ٤٩: ٣؛ ٩٦: ٣.

الآن[106] يُساقون لكي يعرفوا الديّان الحقّ، يسوع. وحينما يرون يسوع يندمون ويقولوا: "الويل، الويل لنا! ذاك هو يسوع الذي أنكرناه في العالم". خوفًا من أن يقولوا: "يسوع شيء والديّان شيئًا آخر""»[107].

من مجمل ما ذكرناه يتّضح أنّ **الخلاص العامّ مستبعد**. لكنّ النصوص التي ذكرناها، وخاصّة الفقرة الثانية، تبيّن قبولًا **لخلاص جزئيّ**: الأبرار الذين من العهد القديم أعتقهم يسوع حين مجيئه الأوّل، والمعمّدين الذين رقدوا في حال الخطيئة سينالون النعمة حين مجيئه الثاني. أمّا العقوبات الأبديّة فقد قيل أنّها قاصرة على الملائكة الأشرار والناس الذين ماتوا غير معمّدين. لكن هذا الوضوح في السياق تشوبه غشاوة في **المسألة السابعة**: حيث يبدو أنّ يهوذا، واليهود، والمعمّدين الجاحدين، تضمّهم نفس الفئة.

«أولئك الذين، بعد أن يكونوا قد أمضوا حياتهم كلّها في المسيحيّة، ثمّ ينكرونه حين وصولهم إلى نهايتهم، يكفّوا عن كونهم أحياء ويصيروا أمواتًا: نعم، هم أيضًا، مثل جميع الأموات الآخرين. .. المسيحيّ الذي يجحد معموديّته، يشبه يهوذا الخائن... وكلّ إنسان **لم يَنَلْ المعموديّة، يشبه رؤساء الكهنة** الذين قالوا ليسوع: "نحن لا نريدك مَلِكًا علينا"[108]. كذلك أيضًا **المسيحيّون**

(106) أي في يوم الدينونة.

(107) LANTSCHOOT, *op. cit.*, 205-207.

(108) لو ١٩: ١٤.

الذين جحدوا معموديّتهم، هم مثل يهوذا: الذي ذهب إلى رؤساء الكهنة وأسلمهم يسوع».

«إذن، في النهاية، ما الذي حدث ليهوذا؟ أبغضه جميع الناس واعتبروه خصمًا.. وأخيرًا ندم على ما فعل، لكن لم يعرف ماذا يفعل. فقال: "لست أدري ماذا أفعل". حينئذٍ استشار أبيه الشيطان، أبي كلّ الشرور. فقال له الشيطان: "اذهب فاشنق نفسك ولتمُت، لأنّ يسوع سينزل إلى الجحيم ويُعتق المأسورين. فلتسبقه أنت وتنزل إلى الجحيم. وهو رحيم سيُشفق عليك ويسمعك ويأخذك إلى فوق برفقته". بعد ذلك، حين نزل ربّنا يسوع إلى الجحيم ورأى يهوذا، قال له: "أتظنّ يا يهوذا أنّ رحمتي موجودة في الجحيم؟ لا، إنّها في العالم. فمن يتوب في هذا العالم قبل أن يموت، ذاك هو الذي أغفر له. لكن من يموت دون أن يتوب: فما مضى قد مضى!"»(١٠٩).

٩- ابن المقفع (حوالي ١٠٠٣):

هو الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين (في صعيد مصر) المعروف بابن المقفع(١١٠)، وقد وردت أقواله بشأن مختلف النقاط العقائديّة في علم الأخرويّات في كتابه تاريخ **بطاركة الكنيسة القبطيّة**(١١١). وسنتغاضى عن ذكرها، لأنّها من وجهة النظر اللاهوتيّة لا تُضيف شيئًا لما ورد في السنكسار، وما عرضناه في الفصل الثالث من دراستنا هذه. سنقتصر على ذكر بعض النصوص من **كتاب المجامع**.

(109) LANTSCHOOT, *op. cit.*, 201-205.
(110) *Réfutation* ... ed. Chébli P., *PO*. 3, 127.
(111) IBN AL-MUQAFFA', *Storia dei patriarchi della Chiesa copta*, teto arabo e traduzione inglese di EVETTS E. T. A., in *PO*., voll. 1, 5, 10.

١. شموليّة الموت:

«يزعم البعض أنّ بعض الناس سيحيون إلى الأبد، دون أن يمسّهم الموت: مثل إيليّا وأخنوخ. لكن هؤلاء حتّى ولو طال أجلهم، **وجب أن يموتوا**. وحين يأتي الديّان، **سيموت كلّ من كان حيًّا موتًا طبيعيًّا**. وبعد ذلك فقط سيحيا الجميع»(١١٢).

٢. الفردوس وأبرار العهد القديم:

«المسيح فتح باب الفردوس الذي كان **مغلقًا** منذ مخالفة آدم وخروجه منه **وأعاده إليه** (أي آدم) **وجميع الأنبياء الصالحين** وسهّل للناس سبيل الخلاص»(١١٣).

٣. الجزاء الفوريّ:

يتكلّم عن الشهداء فيقول:

«قرّبوا نفوسهم قربانًا ذكيًّا قدّام الربّ بإهراق دمائهم وبذل أجسادهم للعقوبات المختلفة في طاعة ربّهم وحفظ أمانتهم **وأخذوا جزاء تعبهم في ملكوت السماء وفردوس النعيم كلّ واحد على قدر منزلته**»(١١٤).

(112) IBN AL-MUQAFFA', *Histoire des Conciles*, testo arabo e trad. francese di Leroy L., *PO*. 6, 578.
وقد عارض ابن سباع هذا الرأي كما سنرى لاحقًا: IBN SIBÂ', *Perla*, PO. 16, 720.
(113) IBN AL-MUQAFFÂ', *Réfutation de Sa'îd Ibn-Batriq (Eulychius)*, testo arabo e trad. francese di CHÉBLI P., *PO*. 3, 1.42 s.
(114) IBN AL-MUQAFFÂ', *Réfuation*, *PO*. 3, 206.

١٠ - الصفيّ بن العسّال (حوالي ١٢٥٥):

كان فقيهًا في القوانين الكنسيّة، وقد عرف بالاشتراك مع أخويه الاثنين[115] أن يحافظوا على رُقيّ العلوم الكنسيّة في مصر خلال العصور الوسطى. وقد ترك تأثيرًا ملحوظًا في القوانين الكنسيّة ما زال قائمًا حتّى يومنا هذا.

لقد خصّص الباب ٢٢ من مؤلَّفه كتاب القوانين[116] لمسألة الأموات، حيث أشار إلى مختلف الرسوم والأحكام القانونيّة في المجموعات التي سبقت كتابه. سنقوم بتقسيم المسائل المختلفة تحت عناوين من اختيارنا نحن.

١. صلوات وقدّاسات التجنيز[117]:

«اجتمعوا بلا كلّل إلى البيع واقرأوا الكتب المقدّسة ورتّلوا على من رقد من الشهداء والقدّيسين المتقدّمين وأخوتكم الذين رقدوا وهم مؤمنون بالربّ ثمّ اصعدوا قدّاس الشكر الذي هو الجسد المقدّس والدمّ الجليل الذي للملك في كنائسكم. **وفي توديع الذي رقد**[118]، ابتدئوا بالمشي قدّامه والترتيل إن كان مؤمنًا بالمسيح.

[115] بنو العسّال ثلاثة هم: الصفيّ أبو الفضائل ابن العسّال، فخر الدولة أبو الفضل ابن العسّال، الأسعد أبو الفرج هبة الله ابن العسّال. راجع: GRAF, *Geschichte* etc,, vol. 2, Città del Vaticano 1947, 388, 398, 403.

[116] نتبع هنا: كتاب القوانين الذي جمعه الشيخ الصفيّ العالم ابن العسّال وألّفه في سنة ٩٥٥ للشهداء الأطهار، القاهرة ١٩٢٧، ١٧٧-١٨٠.

[117] هذا القانون مأخوذ من: حافظ داود، الدسقوليّة أو تعاليم الرسل، ف٣٣، القاهرة ١٩٢٤، ١٦٦ وما بعدها.

[118] في كتاب مرقس جرجس، ورد النصّ بشكل خطأ: "في كنائسهم وفي توديع الذي رقد"، لذا صحّحناه بحسب نسخة حافظ داود، الديداسكاليا.

يقول داود النبي: "كريم أمام الربّ موت أصفيائه"[119]. وأيضًا: "ارجعي يا نفسي إلى راحتك فإنّ الربّ قد أحسن إليك"[120]. والذين آمنوا بالله ليسوا أمواتًا كما قال الربّ للصدّيقين"[121].

٢. التعامل مع جسد المتوفّى:

احتضانه، تقبيله، غسله، إلباسه، تكريم العظام.

«ثمّ إنّ عظام الأحياء في الله ليست مرذولة ولا نجسة فإن إليشع النبيّ بعد موته أقام الميّت[122] الذي قتله أعوان سوريّة. ولمّا دنا جسده من عظام إليشع عاش وقام. ولم يكن هذا إلّا لأنّ جسد إليشع مقدّس. وأيضًا يوسف الحكيم كان معانقًا لجسد يعقوب أبيه على فراشه بعد موته[123]. وموسى ويوشع كانا حاملين جسد يوسف معهما ولم يحسب لهما نجسًا.

ونحن أيضًا أيها الأساقفة والقسوس والشمامسة فلنمسّ بتحفّظ من رقد ولا تظنّوا أنّكم بهذا تتنجّسون ولا ترذلوا عظام هؤلاء بهذا السبب واعملوا هذا بطهارة وحكمة.

[119] مز ١١٥: ١٥.

[120] مز ١١٤: ٧.

[121] مت ٢٢: ١٣.

[122] «Cum tetigisset *ossa*, Eliseus, revixit homo». 4 Reg. 13, 21.

[123] تك ٥٠: ١.

وورد في قوانين منسوبة للملوك: "إذا ماتت النفساء فلتغسل وتكفّن في غير الثياب التي ولدت فيها[١٢٤] ويصلّى عليها في الكنيسة فإنّ الموت قد طهّرها".

وتغسيل الميّت قبل تكفينه جائز لا ضروريّ فإنّ كتاب الأبركسيس تضمّن أنّ طبيثة التلميذة التي أقامها بطرس بعد موتها غسّلت ولو لم يكن ذلك جائزًا لما عمله المؤمنون في أيّام التلاميذ ولم يمنعوهم. وأيضًا فقد يكون الموتى متوشّحين بآثار أمراضهم فيستحب ألّا يدخلوا إلى الكنيسة إلّا بعد تغسيلهم.

وإن كان الهاجع (الميّت) كاهنًا فليُجعل أمام المذبح الإلهيّ وإن كان من الشعب فيُجعل أسفل من المذبح ثمّ يبتدئ رئيس الكهنة بالصلاة عليه والشكر لأجله وبعد ذلك يقرأ الخدّام الأقوال الزبوريّة (المزامير) والمواعيد الصادقة عن قيامتنا المبرّأة من الكذب والاعتراف المرضيّ ثمّ يتقدّم رئيس الكهنة بعد ذلك ويصلّي عليه وبعد ذلك يقبّله مسلّمًا عليه وبعده يقبّله الحاضرون أجمعون. ثمّ يسكب عليه رئيس الكهنة زيتًا ويصلّي عليه صلاة طاهرة وبعد ذلك يجعل الجسد في مكان مكرّم بجوار الأجساد الطاهرة المتّفقة معه في المنزلة»[١٢٥].

---

[١٢٤] راجع الفصل الأوّل، الفقرة الرابعة من دراستنا هذه.

[١٢٥] ابن العسّال، القوانين، ١٧٧ وما بعدها.

٣. أيّام التذكارات[١٢٦]:

«اعملوا الثالث للذين رقدوا بمزامير وصلوات لأجل الذي انبعث في اليوم الثالث. واصنعوا السابع تذكارًا للأحياء والأموات. وتصنعوا أيضًا تمام الشهر كالمثال الأوّل: هكذا حزن الشعب على موسى[١٢٧]. وتصنعوا أيضًا تمام السنة مثل تذكارهم. وتدفعوا للفقراء من قنايا الذي مات تذكارًا له. وإذا دعيتم يومًا فكلوا بترتيب وخوف من الله»[١٢٨].

«ويجب أن يُقرَّب[١٢٩] على الذين ماتوا في اليوم الثالث والسابع والرابع عشر في الكنيسة الجامعة»[١٣٠].

«وفي التاسع وفي الثاني عشر وكذلك في الأربعين وتمام الشهرين. والمرتب في كنيستنا[١٣١] الآن القربان يوم الدفن وفي تمام الشهر وفي كمال ستّة أشهر وفي تمام السنة. وأكثر الذين يمكنهم يرفعون أربعين قربانًا من يوم الدفن ويعطون الفقراء. ومن زاد على ذلك فله. وللميّت زيادة الأجر بقدر همّته وسريرته التي كانت من قبل (بقدر أعمال الميّت)»[١٣٢].

---

[١٢٦] هذا هو القانون ٧٦ من قوانين الرسل، الذي أشرنا إليه آنفًا في الفصل ٢، الفقرة ١٩.

[١٢٧] تث ٣٤: ٨.

[١٢٨] ابن العسّال، القوانين، ١٧٨.

[١٢٩] هذا هو القانون ٣١ من قوانين القدّيس باسيليوس.

[١٣٠] ابن العسّال، القوانين، ١٧٩.

[١٣١] هنا يذكر قانونًا من قوانين إكليمنضس، راجع الفصل الثاني، النقطة ١٧ من دراستنا هذه.

[١٣٢] ابن العسّال، القوانين، ١٧٩.

٤. الراقدون من الإكليروس الكنسيّ[١٣٣]:

«وإذا توفّي أسقف من الأساقفة فليمش الخوريابسقبس والأرشيدياقن أمام جنازته كما يمشي البنون أمام جنازة أبيهم. وإذا توفّي أحد هؤلاء فليمش الأسقف كما يمشي الأبّ أمام جنازة ولده.

وليقرأ في جنازة هؤلاء الصلوات كما يحقّ للمعلّمين والآباء الأخيار الروحانيّين. وليحضر جنازتهم الرعيّة كافّة لأنهم كانوا يسمّون آباء لجميعهم ويؤذّن بموتهم في كلّ الكنائس والأديرة التي في ذلك المكان وليذكّروهم أيضًا وذلك بغير حرم»[١٣٤].

٥. بشأن الفحّار[١٣٥]:

«ولا يتسخّر أحد في دفن الناس بل يدفع أجرة الذي يحفر والحارس الذي في ذلك الموضع الذي يهتمّ به ويعوله الأسقف ممّا يدفع للبيع»[١٣٦].

٦. التسليم المسيحيّ:

في هذا الشأن يستشهد بنصّين من رسائل القدّيس بولس.

[١٣٣] هنا يذكر القانون الأوّل من قوانين مجمع نيقية.

[١٣٤] ابن العسّال، **القوانين**، ١٧٩.

[١٣٥] هنا يذكر القانون ٦١ من **قوانين الرسل**، راجع الفصل ٢، ١٩ من دراستنا هذه.

[١٣٦] ابن العسّال، **القوانين**، ١٧٩.

«وليس ينبغي **أن يحزن** على الذين رقدوا كسائر الذين لا رجاء لهم»[١٣٧]. «لأنّ الحزن الذي من أجل الله **يكسب ندامة على** الذنوب والحزن الذي يكون للعالم يكسب موتًا»[١٣٨].

«وإن مات لكاهن قريب فلا يحزن عليه كباقي الأمم **ولا يخرق** ثيابه **ولا ينتحب بالبكاء ولا يشعّث شعره** بل يشكر الله كثيرًا وليكن صابرًا في مصائبه كأيّوب الصدّيق»[١٣٩].

١١- الأسعد أبو الفرج هبة الله بن العسّال (١٢٦٠):

هو شقيق الصفيّ ابن العسّال السابق ذكره[١٤٠]. قام بكتابة **مقال عن الأنفس الناطقة بعد مفارقتها**[١٤١]، انتهى من كتابته نحو عام ١٢٣١. وقد أقام بيانه بناء على مسائل أخرويّة بالإضافة إلى حجج علم النفس. كذلك أعطى أهمّيّة خاصّة للصلوات الطقسيّة من أجل الراقدين وإكرام الشعب لنفوس الراقدين.

المرجع الذي سنشير إليه مأخوذ من مخطوطات الكنيسة المرقسيّة بالإسكندريّة: مخطوط لاهوتيّ رقم ١٩ (Ms. *Teol.* n. 19, fasc. 5, 120 s.). يوضّح كاتب

[١٣٧] ١ تس ٤: ١٢.

[١٣٨] ٢ كور ٧: ١٠.

[١٣٩] ابن العسّال، **القوانين**، ١٨٠.

[١٤٠] للتعرّف على معلومات بشأن سيرته ومؤلّفاته، راجع: GRAF, *Geschichte etc.*, vol. 2, 403-407.

[١٤١] المخطوط الفاتيكانيّ العربيّ: Ms. Vat. as. 145, ff. 1r-28r, sec. 13/14؛ راجع: GRAF, *op. cit.*, vol. 2, 405 s. — *Ib.*, 61, dove a riguardo del melkita Abdallah Ibn FadI si dice: «Auszüge aus des ‘Abdallh, Fragen und Antworten über verschiedene Dinge, finden sich im Traktat über die Seele von Hibatallah Ibn AI-’Assal, in Vat. ar. 145, f.15v.».

المخطوط خلود النفس بعد الموت وجزائها مؤيّدًا بشواهد كتابيّة وعرفيّة وليتورجيّة ولاهوتيّة.

النصّ:

«بسم الإله الواحد الآب والابن والروح القدس

مسألة وردة من الشيخ الأمجد أبي المجد فخر الدولة ابن العسّال من دمشق إلى أخيه الشيخ الأسعد أبي الفرج بالقاهرة سنة ٦٢٦ ستّة وعشرين وستماية للهجرة يخبر فيها كيف حال النفوس بعد مفارقتها أبدانها قبل القيامة العامّة وهل الأنفس الصالحة والطالحة حال مفارقتها هذه الأبدان وقبل قيامتها تثاب وتعاقب أو تكون معطّلة. وإن لم تثاب وتعاقب فهل تحسّ بموضع الثواب والعقاب. أم لا إحساس لها بشيًا من ذلك. والناس قد صاروا فرقًا ثلاثة ❖ الفرقة الأولى قالوا بأن تقدم التواب والعقاب. لأنهم قالوا إنّا لا نعني بالقيامة إلى المجازاة فإن وقع الجزاء قبلها فقد استغنى عنها. وصارت هدرًا وباطلًا، لا قايلا بذلك من المتشرّعين. وثمّة من قال إنّ النفس لا تحسّ بنقلها. بل مثل الجنيّ في الحشاء والمتهجّع النايم ❖ والفرقة الثانية تقول بالتواب والعقاب ❖ والفرقة الثالثة تقول إنّ النفس قبل القيامة تحسّ بالنعيم وضدّه. وقد استشهدت هذه الفرقة بقبول المخلّص للصّ اليوم تكون معي في الفردوس[142]. وإن كان من نفسه في الفردوس مع المسيح فهو حاسًا بموضع الراحة العظيمة الصايرة إليه. هذا آخر ما تضمّنه

(١٤٢) لو ٢٣: ٤٣.

السؤال ❖ الجواب عن ذلك ملتقط من جواب تسع ❖ قال لو كان فساد الجسد يقترن به فساد النفس لكان من يفسد الجسد يستطيع أن يفسد النفس. لكنّ السيّد المسيح قال إنّه ليس كذلك لقوله لا تخافوا ممّنْ يقتل أجسادكم ولا يستطيع أن يقتل نفوسكم. خافوا ممّنْ يقدر يقتل النفس والجسد في نار جهنّم[143]. وكتير مَنْ في شريعتنا المقدّسة من اتّصلت نفسه بالروحانيّين. مثل يوحنّا الإنجيليّ وبولس الرسول وأمثالهم من المتّفق عليه عند النصارى. وإنّ الملائكة أحياء ناطقون. وإنّ لكلّ حيّ إدراك. ولا معنى الإدراك. وقد قال السيّد المسيح إنّ الحقّ إلّا إبراهيم وإسحق ويعقوب بعد موتهم أحياء فهم أيضًا مدركون. ولو كانت النفس بمفردها لا تفرح. لكان الملايكة لا يفرحون. لقول السيّد المسيح إنّ الملايكة تفرح بتوبة الخاطي[144]. ولو كانت أيضًا لا تحزن أعني الملايكة فقد فقيل في الكتاب إنّ الله لم يشفق على الملايكة الذين أخطوا لكن إلى أسفل الجحيم أهواء بهم[145] وهذا مثل لما قاله عن الناس. أرواح الناس من أنّها في الحبس وحبسها وفرحها وحزنها يدل على وجودها مدركة. وأيضًا لو كان الموتا لا يدركون لما قال أبينا بطرس أيضًا من أجل ذلك بشّر الموتا بأنّهم يدانون. وقوله أيضًا سيّدنا يسوع المسيح مضى بروحه وبشّر

(١٤٣) مت ١٠: ٢٨.

(١٤٤) راجع: لو ١٥: ١٠.

(١٤٥) ٢ بط ٢: ٤.

الأموات والأرواح الذين في الحبس(146). وأيضًا لو لم يحسّوا براحة تصل إليهم من جهة القرابين والطلبات عنهم لما أُمروا بذلك. وقد قال المعلّم بولس يجب أن تعملوا ذكرانًا لميّتكم في الثالث والسابع وشهره وسنته وأن تواصلوا القرابين عن روحه وإنّ في قدّاس القدّيس كيرلس وهو تفسير الأوشية التي أوّلها. وخودى جا أنون أبناب(147). وتفسيرها. وإن كنّا يا ربّ ما نستحقّ أن نشفع في السعداء الأبرار. لكنّهم قيام أمام منبر ابنك الوحيد. ليكونوا يطلبوا عن ضعفنا ومسكنتنا. ليكون غفران ذنوبنا بطلباتهم الطاهرة...»(148).

١٢ - أبو البركات (حوالي ١٣٢٥):

أبو البركات(149) هو واحد من مشاهير الكُتّاب الأقباط في العصور الوسطى. كان قيّمًا على كنيسة العذراء **المعلَّقَة** في القاهرة القديمة حين كتب أهمّ أعماله: كتاب

(146) ١ بط ٣: ١٩.

(147) النصّ القبطيّ: «ⲞⲨϪ ⲞⲦⲒ ⲌⲈ ⲀⲚⲞⲚ ⲪⲚⲎⲂ»، لكن النصّ القبطيّ الموجود في الخولاجيّ الحالي يتضمّن بعض التغييرات، راجع **الخولاجيّ**، ٤٦٩.

(148) ويستمرّ بعد ذلك توضيح القدّيس يوحنّا فمّ الذهب للمسألة. وقد أردنا أن نستكمل المرجع، لكنّنا لم نتمكّن من ذلك لأنّ النائب البطريركيّ في الإسكندريّة، القمص باسيليوس، رفض أن يفتح لنا الأرشيف مرّة أخرى. فهو متحفّظ، حتّى ولو كان ذلك على حساب كنيسته.

(149) الاسم بالكامل: شمس الرئاسة أبو البركات ابن كبر.

مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة (الإلهيّة)(150)، المكوّن من ٢٤ فصلًا. هذا العمل هو بمثابة موسوعة تمتدّ لتشمل جميع قطاعات العلوم الكنسيّة(151).

وقد عَنِيَ بمسألة الراقدين في عدّة مناسبات، وقد تكلّم عن الأحكام ومجموعات القوانين(152) التي تناولتها. كما أنّه اهتمّ بها وبتوسّع من الناحية الطقسيّة في الفصل ٢١، وجه ٣٩٢- ٤٠١، فعرضها بالنسق التالي: (١) **تجنيز البطاركة والأساقفة**. (٢) **تجنيز القسوس**. (٣) **تجنيز الشمامسة**. (٤) **تجنيز الرهبان**. (٥) تجنيز المؤمنين. (٦) تجنيز الأولاد الذكور. (٧) تجنيز الإناث من النساء والبنات، والراهبات.(٨) تجنيز البنات الأبكار. (٩) صلاة رفع الحصير (في اليوم الثالث). (١٠) صلاة على القبر في كمال الشهر. (١١) ذكر الراقدين في القدّاس. (١٢) طقس المحتضرين: الصلوات السبع أو صلاة القنديل الخاصّة بمسحة المرضى.

كما هو واضح، أبو البركات يعرض ترتيب الطقس القبطيّ المستخدم في زمانه، وقد يكون هذا مهمًّا بالنسبة للمتخصّصين في الليتورجيا لغرض الدراسة المقارِنَة، لكنّه لا يقدّم جديدًا بالنسبة لغايتنا هنا حيث قد سبق لنا التوسّع في مسألة الطقس القبطيّ في الفصل الخامس، والمتغيّرات فيه ليست جوهريّة من الناحية اللاهوتيّة.

(150) كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة – مخطوط ڤاتيكانيّ باللغة العربيّة مقاس ٢٩.٨سم× ٢٠.٢سم من القرن ١٦؛ Ms. Vat. arabo, n. 623 (sec. 16º), 238 ff., 29,8 x 20,2 cm.

(151) للتعرّف على سيرة أبو البركات ومؤلفاته، راجع: TISSERANT E., *Kabar* (*Chams Ar-Ryasah Abu'l Barakat Ibn*), in *DTC*. 8, 2293-2296. TISSERANT E.-VILLECOURT L.-WIET G., *Recherches sur la personalité et la vie* d'Abûl-Barakat Ibn Kubr, in Reina de l'Orient Chrétien, 22 (1921 s.) 373-394. VILLECOURT L., Introduct ion, (au) Licre de la lampe de Ténébres, KHOZAM M., L'illumination des intellzgences dans la .rcience des Fondements, etc., Romc 1941.

(152) فيما يتعلّق بالقوانين أو رسالة بطرس إلى إكليمنضس، قد سبق لنا الحديث عنها في الفصل ٢، ١٧.

مع ذلك، نجد جديدًا ذو طابع تاريخيّ، في الجزء الخاصّ بتجنيز البطاركة والأساقفة.

«إذا توفّي البطريرك أو أسقف لا يغسّل أجسادهما بل يغسّل أيديهما وأرجلهما. وكذلك قسّ أو راهب. قال سيّدنا له المجد لبطرس "إنّ الذي يطهّر لا يحتاج إلّا إلى غسل قدميه فقط لأن كلّه نقيّ"[١٥٣]. ويلبس المتنيّح بدلته كاملة... وكانت العادة جارية لبطاركة الإسكندريّة أن مَنْ يُنيَّح منهم يقبر في خشخاشة بكنيسة المعلّقة التي بثغر الإسكندريّة. وبعد انقضاء سنة ينقل جسده إلى دير القدّيس مقاريوس ببرّيّة شيهات. ولم يزل ذلك إلى أنبا مرقس بن زرعة الثاني والسبعون من البطاركة[١٥٤]. ومن بعده لم يتهيّأ نقل أحدٍ منهم إلى هناك. ولا ينبغي أن يسرع الشعب في طلب بطريرك وإقامته إلى أن يكمل للمتنيّح حول كامل. ليكون الحزن للكنيسة بسبب انتقاله كحزن بني إسرائيل على موسى النبي عليه السلام»[١٥٥].

(١٥٣) يو ١٣: ١٠.

(١٥٤) وفقًا لبطرس ابن الراهب، **تاريخ المشرق** (BUṬROS IBN RÂHEB, *Chronicon Orientale*, CSCO. 46, 150)، كان الأنبا مرقس أبو الفرج هو البطريرك ٧٣، الذي انتخب في ١٨ بؤونه عام ٨٨٢ ش (١١٦٦ م).

(١٥٥) أبو البركات، **المصباح**، وجه ٢٩٢. في الحقيقة، فترة خلوّ الكرسيّ البطريركيّ متفاوتة جدًّا. والآية الواردة هنا: تث ٣٤: ٨. أيضًا يقول فانسلب في هذا الصدد (VANSLEB, *Histoire*, 12): "فترة الحداد المنصوص عليها في قوانينهم عادة ما تكون عامًا كاملًا وليس بأقلّ من أربعين يومًا إذا ما دعت الضرورة الملحّة". وقد استغرق خلوّ الكرسيّ حوالي ثلاثة أعوام قبل انتخاب الأنبا كيرلس السادس.

١٣- ابن سباع (حوالي ١٣٣٥):

لقد عَنِيَ ابن سباع في الفصل ١١٠ من كتابه **الجوهرة النفيسة** بمسائل الراقدين والموروث عنهم وأيّام التذكارات، والغرض من صلوات الترحيم. سنقوم بعرض النصّ الوارد في مخطوطة باريس التي يرجع تاريخها إلى نهاية القرن ١٤[١٥٦].

«في ذكر تجنيز الأموات ورفع القرابين عنهم».

«الأموات على اسم المسيح يجتزوا كونهم انضجعوا في الإيمان المستقيم ومهما تركوه يبدأ أوّلًا منه ثمن الكفن والقبر ويعلّمه[١٥٧] كلفت الجنازة ورفع القربان عن ذلك الميّت في الثالث والتاسع والشهر والستّة أشهر والسنة. ومهما فضل من توارثه بعد وفا الدين الذي عليه كان لمستحقّي ميراثه. والميراث مرتب على تورية الأقرب وتورية المستفلين منهم الأولاد قبل المستعليّين وهم الآبا والأجداد. وللميراث كتاب جامع موجود عند مَنْ له الحكم به[١٥٨]. وشرح رفع القربان عن الميّت في الأوقات المعيّنة المذكورة ولهم الثالث والتاسع والشهر والأربعين والستّة شهور والسنة».

(156) Ms. ar. 207 della fine del sec. XIV, ff. 204r-205v. وأيضًا نشر المخطوط الباحث بيريه بالنصّ العربيّ مع ترجمة بالفرنسيّة (PÉRIER J., in *PO*. 16, 593-756). النسخة الكاملة باللغة العربيّة نشرها الأقباط مرّتين: الأولى طبعة القاهرة ١٩٠٢، والثانية بدون تاريخ كما اهتمّ بنشرها فيما بعد مرقس جرجس. وكلّتا النسختان القبطيّتان لا يمكن الاعتداد بهما بسبب التغييرات العشوائيّة مقارنة بالنسخة الأصليّة خاصّة وأن أغلبها ثقيل الوطأة من الناحية اللاهوتيّة.

(١٥٧) مرقس جرجس صحّح النصّ في نسخته، ص ٩٥، بما يتّفق مع العادة الجارية وقتها، فكتب اليوم السابع.

(١٥٨) أي البطريرك، فهو الذي له الحكم.

«فيقول إنّ القربان على الميّت ممّا يوجب له من الله الرحمة. فترتيبه الثالث لتشعر أهل الميّت إنّه رُحِمَ من الله فتسلّوا وتعزّوا عن فقده **برحمة الله إليه**[159].

وإمّا التاسع فإنّ نفس الميّت تبقى مع الملايكة قبل صعودها إلى السماء فقصدوا بالقربان في التاسع لأن **تجد النفس رحمة** في قربها من الله لوقوف الملايكة بها.

وأمّا **في الشهر** لجولان النفس في أماكن النعيم وأماكن العذاب. لكي إذا تقدّم نفس الميّت القربان يقبله الله تعالى عنها فتكون أيضًا **رفقًا بها**.

وأمّا **في الأربعين** فإنّ لمّا وجد أبوا مقّار الجمجمة الميّتة[160] ودكشها بعكازه وقامة أخبرته أنّها من عبدة الأوثان وأنّ النفس إذا خرجة من جسدها **تردّ على أربعين صنف من الشياطين** قبل سجودها أمام كرسيّ سيّدها. وإن تجوّزها يكون يوم الأربعين من انتقالها ولذلك رتّبوا أن يكون على الميّت قربان في يوم الأربعين الذي له.»

---

(159) «.. إنّ القربان على الميّت ممّا يوجب له من الله الرحمة فترتيبه في الثالث ليشعر أهل الميّت أنّه رُحِمَ من الله تعالى فيتسلّوا ويتعزّوا عن فقده برحمة الله إليه..»- لكنّ مرقس جرجس في نسخته، ص ١٧٥-١٧٦، اختصر النصّ وشوّهه تمامًا. فأوجز الشرح الذي وضعه ابن سباع لبيان سبب الصلوات المرتّبة في أوقات تذكارات الموتى المذكورة فابرز **التعزية الأهل** لا الترحيم على الأموات. وها هو ما كتبه: «وأمّا شرح رفع القرابين وإقامة القداديس على روح المتوفّى في الأوقات المعيّنة المذكورة فهو لأنّ الصلاة والتقديس مع رفع القرابين ممّا يعزّي ويسلّي أهل المتوفّى ويلهمهم الصبر على فقده. وتوجب له الرحمة من لدن الله». وأنهى الفصل بذلك مقتطعًا ما تبقى من النصّ. هكذا يتّضح أنّ الكاتب هو مرقس جرجس وليس ابن سباع، فقد غيّر مرقس جرجس بدافع قهر الكاثوليك فيما يتعلّق بعقيدة المَطهَر.

(160) راجع الفصل الثالث، ٧.

وأمّا **الستّة أشهر** ليجدّدوا عليه الرحمة من الله تعالى. فإنْ كان خيرًا فازداد وإن كان شرًّا فقد خفّف عنه.

وأمّا **السنة** فإنّها راس سنته في العالم الجديد كشبه الناشية هنا[161]. فقصدوا بتقدمة القربان عنه في السنة لأن يفوز أوّلًا **بالرحمة** وثانيًا لنعيم السيّد المسيح **بحلّة نورانيّة** لأنّها يوم ناشيته في العالم الجديد غير الذي كان فيه».

١٤- غبريال الخامس (١٤٢٧):

هو البطريرك الثامن والثمانون للكنيسة القبطيّة، ولا يزال حتّى الآن مؤلّفه **الترتيب الطقسيّ**، الذي قام بتحقيقه الأبّ ألفونس عبد الله الفرنسيسكانيّ عام ١٩٦٢[162]، مؤثّرًا في طقس الأقباط.

فيما يتعلّق **بالأموات** سبق أن أشرنا إلى تأثيره في مختلف نقاط الفصل الخامس من بحثنا هذا حين حديثنا عن **الليتورجيا**. أمّا هنا في سياق الشهادة بتاريخ اللاهوت، يكفي ذكر نصّين حول فعّالية الصلاة من راحة الراقدين.

الكتاب يورد التنبيه التالي في سياق تجنيز البطريرك:

«ثمّ يبتدوا (الأساقفة والكهنة) بعمل التجنيز. وكلّ الشعب رجال ونسوان قيام بسكوت بهدو. **مبتهلين إلى الله في نياح نفس**

---

(161) هذا النصّ في مخطوط باريس غير مفهوم، لذا نصحّحه من المخطوط العربيّ الموجود في الفاتيكان: (Ms. Vat. ar. 130, f.161^r)، ومخطوط الموسكيّ (Ms. Mûskî, f. 195^r): "راس سنته في العالم الجديد تشبه الناشية هنا".

(162) الأنبا غبريال الخامس، **الترتيب الطقسيّ**، تحقيق الأبّ ألفونس عبد الله الفرنسيسكانيّ (الدراسات المسيحيّة الشرقيّة - المصريّة)، القاهرة ١٩٦٢، ١٤٠٩-١٤٢٧.

أبيهم[١٦٣]. وأن يقيم لهم راعيًا صالحًا. يرعاهم عوض الذي فقدوه»[١٦٤].

وصيّة البطريرك المتنيّح في التذكار المقام لراحة نفسه:

«أنا أسألكم يا أولادي الأحبّا. إن تسالوا المسيح فى نفسى أن يعطيها راحة أمامه. ولا يواخذني لما سلف منّي. من الزلل والهفوات. أطلب إلى محبّتكم. وأتضرّع إلى قدسكم. أن تجعلونى في حلّ. من قبل كلّ واحد واحد منكم. وها الآن بعت منكم ورحلت عنكم. وما عدت من الآن أرى وجوهكم. وأنا أسألكم أن تتعبوا فى الصلاة عنّي. والذكر فى القدّاسات. أن يقبلني سيّدى إليه. ويصفح عن جميع ما تقدّم منّي. أنا أسأل المسيح. راع الرعاة الأعظم. أن يقيم لكم راعيًا صالحًا برضاه يرعاكم. ويسوس أموركم. ويسهر عن خلاص نفوسكم»[١٦٥].

١٥ – الوفد القبطيّ لدى إكليمنضس الثامن (١٥٩٥):

كان أعضاء الوفد: الراهبين عبد المسيح ويوسف من دير الأنبا مقّار بوادي النطرون، ويوسف رئيس شمامسة الكنيسة المرقسيّة بالإسكندريّة، وكانوا موفدين من قِبل الأنبا غبريال السابع، البطريرك القبطيّ السابع والتسعين. وقد قاموا بتوقيع

---

(١٦٣) الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسيّ، ٢٤٣.

(١٦٤) الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسيّ، ٤١٦.

(١٦٥) الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسيّ، ٤٢٠ وما بعدها.

الاعتراف الإيمانيّ لدى الكوريا الرومانيّة في ١٥ يناير ١٥٩٥. وفيما يلي نصّ الاعتراف الذي وقّعوا عليه:

«أعتقد أنهم إذا توفّوا في محبّة الله وتوبة حقيقيّة، قبل أن يصنعوا أفعال توبة عمّا ارتكبوه من خطايا، ليكفّروا عن عقوبتهم أمام العدل الإلهيّ، تتطهّر نفوسهم بعذاب المطهر بعد الموت، وينجون من هذا العذاب، وتفيدهم صلوات المؤمنين، أي ذبيحة القدّاس، والصلوات والصدقات، وأعمال الخير الأخرى التي من عادة المؤمنين أن يصنعوها للمؤمنين، وفق تعاليم الكنيسة. وأولئك الذين لم يرتكبوا، بعد المعموديّة، أيّة خطيّة، يُطهّرون من تلك الخطية أيضًا التي ارتُكبت بالمعصية (كما ذكرنا)، ويُقبلون على الفور في السماء، ويشاهدون بوضوح الله نفسه الثالوث الواحد، كما هو، لكن حسب استحقاقهم، هذا أكثر من ذاك. أمّا نفوس الذين يموتون في حال الخطية، أو الخطية الأصليّة فقط، فيهبطون على الفور في الجحيم، لكن لينالوا عقوبة مختلفة».

«Credo, quod si vere poenitentes in Dei charitate decesserint, antequam dignis poenitentiae fructibus de commissorum et omissorum poenis satisfecerint coram divina iustitia, eorum animas *poenis purgatorii post mortem purgari*, atque a poenis hujusmodi releventur, *prodesse eis fidelium vivorum suffragia*, missarum scilicet sacrificium, orationes et eleemosynas, ac alla pietatis officia quae a fidelibus pro aliis fidelibus fieri consueverunt, secundum Ecclesiae instituta : illorumque animas, qui post baptisimum susceptum nullam omnino peccati maculam incurrerunt; illas etiam, quae post perpetrati peccati maculam (ut dictum est) purgatae sunt, *in coelum mox recipi, et intueri clare ipsum Deum*

trinum et unum, sicut est, pro meritorum tamen diversitate alium alio perfectius. Illorum vero animas, qui in actuali mortali peccato, vel solo originali decedunt, *mox in infernum descendere*, poenis tamen disparibus perpetuo puniendas»[166].

هذا الاعتراف الإيمانيّ يتّفق بشكل واضح تمامًا مع ما يمكن أن يكون مطلوبًا. ولكن الصيغة هي صيغة كاثوليكيّة استنادًا للدستور «تبارك الله» (*Deus Benedictus*) الذي أصدره البابا بندكتوس الثاني عشر بتاريخ ١٩ يناير ١٣٣٦[illegible]. كذلك أيضًا في مجمع فلورنسا[illegible] وفيما بعده فرضته الكنيسة على الجماعات المجتمِعَة، كما هو الحال في حالتنا هذه، ولم يكن بوسع الأقباط إلّا أن يكتبوا فقط. وبالتالي، فإنّ قيمة الوثيقة بالنسبة لمسألتنا ليست إلّا عمل تاريخيّ عابر.

١٦ – المجمع الإسكندريّ القبطيّ (١٨٩٨):

هذا المجمع هو مجمع للأقباط الكاثوليك، انعقد في ١١ طوبة ١٦١٤ ش، الذي يوافق ١٨ يناير ١٨٩٨ م[illegible]. وبالتالي التعليم الأخرويّ الوارد فيه هو تعليم عقائديّ كاثوليكيّ موضوع وفقًا للتقليد الغربيّ[illegible].

---

(166) PRESSO BARONTO C., *Annales Ecclesiastici*, t. 8, Barri-Ducis 1887, 610, n. 40.

[illegible] فيما يتعلّق بالتاريخ والتوقيع راجع نفس المرجع السابق، ص ٦١٢، ٥٣-٥٥.

(167) DB. 530-531.

[illegible] لم تتضمّنه وثيقة "أنشدوا للربّ" (*Cantate Domino*) الخاصّة بالوحدة مع اليعاقبة. راجع:

WADDING L., *Annales Minorum*,, a. 1441, vol. XI, Quaracehi (Firenze) 1932, 144-151.

لكنّه موجود في وثيقة "السماء تسمح" (*Laetentur coeli*) بشأن الوحدة مع اليونانيّين، راجع:

WÁDDING, *op. cit.*, 152 s.

(169) GIAMBERÁRDINI G., *Sinodus secunda Coptorum*, in *La Voce del Nilo*, 16 (1957), 47 s.

[illegible] المجمع كان برئاسة إكليروس من الكنيسة الغربيّة، وكان المشاركون الأقباط فيه من ذوي الخلفيّة الغربيّة.

١. الموت والدينونة:

«نؤمن ونعلّم، وفق الوحي وتقليد الرسل، أنّ نفس الإنسان تنفصل بالموت على الفور عن الجسد، لا سيّما لتمثل أمام الله لدينونتها الخاصّة، لأنه يطلب حسابًا عن جميع أعمالها».

«Credimus et docemus iuxta divinam revelationem et apostolicam traditionem hominis animam *statim* ac per *mortem* separatur a corpore, praesentem coram Deo sistere qui *particulari iudicio* ab ea rationem omnium actionum eius exigit»[171].

٢. الفردوس وجهنّم:

«أمّا النفس الطاهرة التي لم تعترِها بعد المعمودية أيّة وصمة من خطايا، أو كفّرت تكفيرًا تامًّا عن جميع ما قُيّدت به من الخطيئة، تُستقبل في السماء على الفور، بصحبة الملائكة. وتشاهد الله الواحد الثالوث بوضوح، أكثر أو أقل، حسب استحقاقها. أمّا النفس التي غادرت في الخطيئة المميتة، فتمضي على الفور إلى جحيم النار، حيث تتعرّض مع الشياطين إلى العذاب الأبديّ، أكثر أو أقلّ، حسب ذنوبها».

«Animam quidem iustam quae post susceptum baptisma nullam omnino peccati maculam contraxit aut plenam omnium quibus obstricta fuit peccatorum expiationem praestitit, post hoc particulare iudicium *mox in coelum recipi* in societatem angelorum atque clare «intueri ipsum Deum unum et Trinum sicuti est, plus minusve perfecte pro meritorum gradu. Animam vero quae peccato mortali gravata discedit, *mox ad gehennam ignis ire*, atque ibi poenas cum doemonibus luere

---

(171) *Synodus Alexandrina Coptorum*, cap. IV, art. 1, Romae 1899, 45, n. 1.

aeternas, plus mimusve graves pro demeritorum ratione»[172].

٣. المَطْهَر:

«كما ونؤمن ونعلّم، أن هناك بعد الموت مكانا للتطهير المؤقّت، حيث نفوس الذين ماتوا في حال الخطايا العرضيّة، أو انتقلوا في محبّة الله تائبين توبة حقيقيّة، وقبل أن يجنوا ثمارًا جديرة بالتوبة عما فعلوه من خطايا أو أهملوه، يُطهّرون بعد الموت بالعذاب، إلى أن يستحقّوا دخول السماء».

«Insuper credimus et docemus locum esse post mortem *expiationis ad tempus duraturae*, in quo anima eorum qui *venialibus peccatis obstricti*, mortui fuerint, aut vere poenitentes in charitate Dei discesserint antequam dignis poenitentiae fructibus de commissis satisfecerint et omissis, poenis post mortem *purgantur* donec dignae fiant quae admittantur in coelum»[173].

١٧ – مرقس سميكة (١٨٩٧):

بهذا الكاتب ندخل في نطاق القرن العشرين، وهو قرن مليء بالأحداث والفعّاليات. فالجدل قاد الأقباط إلى إغفال العناصر الإيجابيّة في تقليدهم لمجرّد معارضة الكاثوليك. كان سميكة عالمًا لديه ثقافة غربيّة فلم يتّخذ موقفًا، لكنّه حكم على الموروث الأخرويّ لكنيسته القبطيّة بأنّه تعليم عقائدي مسيحيّ شابته عناصر وثنيّة.

(172) *Synodus Alexandrina Coptorum*, cap. IV, art. 1, Romae 1899, 45, n. 2.
(173) *Synodus Alexandrina Coptorum*, cap. IV, art. 2, Romae 1899, 47, n. 1.

«يعتقد الأقباط أنّ الروح يزنها رئيس الملائكة ميخائيل، الذي يحلّ محلّ تحوت. كما يعتقد غير المتعلّمين أنّ النفوس تُطلق من الأماكن التي تكون محتجزة فيها في انتظار يوم الدينونة العامّة خلال الأربعين يومًا التي تلي عيد القيامة... وهذه العادات الوثنيّة، جنبًا إلى جنب مع العديد من المعتقدات الوثنيّة، مثل الاعتقاد بأنّ الروح تظلّ هائمة طيلة أربعين يومًا بعد أن تغادر الجسد قبل أن تُدعى إلى الحكم، ثمّ يجري وزنها في الميزان..إلخ، لا تزال باقية بين أقباط الطبقات الدنيا، وبين جميع النساء، حتّى من الطبقة العليا».

«The Copts believe that the soul is weighed by the Archangel Michael, who takes the *place of Thoth*. The ineducated believe that the souls are let loose from the places where they are confined awaiting the general udgment during the forty days succeeding Easter... These *heathen customs*, along with many heathen beliefs, such as that according to which the soul remains at large for forty days after it leaves the body before it is called to judgment, its being then weighed in a scala, etc., still persitently linger amongst the Copts of the lower classes, and amongst all women, even of the upper class»[174].

١٨ – القمص يوحنّا سلامة (١٩٠٩):

عرض القمص يوحنّا سلامة بتوسّع المعتقدات والطقوس المرتبطة بالراقدين في كتابه الجدير بالثناء: **اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة**[175]. لكنّ

(174) MURQUS SIMAÏKA BEY, *Some social Coptic Customs*, London 1897, 12 s.
(175) القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٠٩.

العرض موجود في مواضع متفرّقة، لذا سنُجمله مع الإشارة إلى كلّ موضع في النقاط التالية: **التعامل مع الجسد؛ القدّاس وممارسات الترحيم الأخرى؛ التذكار؛ الأدلّة الرسميّة؛ الأسباب.**

١. التعامل مع الجسد:

التعامل مع الجسد يكون بثلاثة خطوات: غسله، تعطيره، وإلباسه قبل الانطلاق به إلى المدافن. العادة المتّبعة ليست عادة جديدة ولا معيّنة، فقد عرفها الوثنيّون واليهود، كما مارستها الكنيسة جمعاء. والدافع إليها هو الإكرام الواجب تجاه النفس التي كان متّحدة به[١٧٦].

٢. القدّاس وممارسات الترحيم الأخرى:

الجدير بالذكر بالإضافة إلى الذبيحة الإلهيّة، هي الصلوات والأصوام والصدقات[١٧٧].

«لا يخفى أنّ ذبيحة الصليب التي تقدّمت مرّة واحدة على مذبح الجلجثة **كانت للتكفير والاستغفار عن خطايا جميع الناس الأحياء والذين ماتوا على رجاء**»[١٧٨].

«لهذا ترى أن الكنيسة الجامعة منذ عصر الرسل إلى الآن تقدّم الذبيحة غير الدمويّة من أجل جميع المؤمنين **أحياء وأمواتًا**. ولثقتها

[١٧٦] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلي، ج ٢، ٥٤٤ وما بعدها.

[١٧٧] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلي، ج ١، ٦٠٦.

[١٧٨] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلي، ج ١، ٦٠٠.

في مراحم عريسها السماويّ الربّ يسوع تصلّي إلى الله وتلتمس صفحه عن هفوات الراقدين في الربّ»[١٧٩].

بالطبع، ليس معنى ذلك أنّ الكنيسة «**تقدّم الذبيحة عن الذين عاشوا وماتوا في الخطيّة**». فهم مائتون روحيًّا، والله هو إله الأحياء لا الأموات. لكنّها مع ذلك تضع في اعتبارها أولئك الذين ماتوا في **الخطايا العرضيّة الخفيفة** وحدها. الكنيسة «إنّما هي تقدّم الذبيحة وتلتمس رحمة الله للراقدين في الإيمان **وقد لحقهم توان أو كسل أو تفريط كبشر. لأنّ لا إنسان لا يُخطئ**»[١٨٠].

يبرّر القمص يوحنّا سلامة الصلاة من أجل الراقدين ببراهين كتابيّة وكنسية وليتورجيّة. فيذكر من الكتاب المقدّس: ١صمو ١٣:٢؛ ٢ صمو ١٢:١؛ ٢ صمو ٣٤:٣ وما بعد؛ ٢ مكا ١٣:٤٣-٤٦. ثمّ يضيف ممارسة الكنائس:

«كلّ الكنائس المسيحيّة -شرقيّة وغربيّة- تمارس الصلاة عن الراقدين... منذ ابتداء تاريخ الدين المسيحيّ تقدّم الذبيحة الغير الدمويّة من أجل خلاص جميع المؤمنين أحياء وأمواتًا»[١٨١].

٣. أيّام تذكار الراقدين:

في سرده لأيّام تذكار الراقدين يرجع القمص يوحنّا سلامة إلى ما ذكره ابن العسّال[١٨٢].

[١٧٩] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلي، ج ١، ٦٠٠.

[١٨٠] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلي، ج ١، ٦٠١. حيث يذكر مز ١٢:٢٠؛ ١ كور ٤:٤. فيما يتعلّق بالخطايا العرضيّة والمميتة، راجع نفس المرجع، ٦٠٥-٦٠٦.

[١٨١] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلي، ج ١، ٦١١ وما بعدها.

[١٨٢] راجع الفقرة ١٠ من هذا الفصل.

وفيما يلي ما كتبه **بشأن صلاة صرف الروح في اليوم الثالث:**

«هي صلاة ترفعها الكنيسة من أجل الراقد في اليوم الثالث وذلك تبعًا لأوامر الرسل.. المقصود بها صرف روح الحزن عن عائلة الراحل وتعزيتهم بكلمة الله طبقًا لقول الرسول: "عزوا بعضكم بعضًا"[183]. المقصود برشّ المياه في غرفة الميّت هو أنّ المياه إذا تقدّست بكلمة الله والصلاة (١تس ٥:٣) تستطيع أن تنقي وتطهّر وتقدّس[184] وتزيل الموانع المضرّة والأسباب المؤذية والبواعث المهلكة (حز ٣٦:٢٥؛ ٤٧:٨؛ عب ١٠:٢٢)».

أيضًا فيما يتعلق بالترحيم الذي يقام في أحد الشعانين، يشرح الكاتب:

«تحتفل الكنيسة بعمل جناز عامّ لجميع الراقدين في الربّ خلال أسبوع الآلام فقط»[185]. **السبب** هو أنها (الكنيسة) «لا تعمل جنازًا آخر لأحد منهم اكتفاء بهذا الجناز العامّ.. فإذا رقد أحد المؤمنين .. تكتفي بالصلاة وقراءة الفصول الإنجيليّة»[186].

زد على ذلك زيارة القبور. فهي عادة حميدة أشارت إليها الكتب المقدّسة. «ودَفَنوا أَبْنيرَ بِحَبْرُون، فرَفع المَلِكُ صَوتَه وبَكى على قَبرِ أَبْنير، وبَكى كلّ الشَّعْب»[187]. كما حدث هذا مع قبر ربّنا، يو ١١:٣١؛ ٢٠:١[188].

---

[183] ١ تس ٤: ١٥.

[184] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلى، ج ٢، ٥٤٥-٥٤٦.

[185] انظر الفقرة ١٧ من الفصل الخامس في دراستنا هذه.

[186] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلى، ج ٢، ٣٣٣.

[187] ٢ ملو ٣: ٣٢.

[188] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلى، ج ٢، ٥٤٧-٥٥٠.

٤. **الأدلّة والأسباب:**

يبرّر القمص يوحنّا سلامة ممارسة الصلاة من أجل الراقدين **بأدلّة من الكتاب المقدّس**، ومن **ممارسة الكنيسة**، ومن **الليتورجيا**، بالإضافة إلى **أسباب التخفيف والراحة**.

يورد الكاتب الشواهد التالية: ١ملو ١٣:٣١؛ ٢ملو ١:١٢؛ ٢ملو ٣:٣٤ وما بعده؛ ٢مكا ١٢:٤٣-٤٦. وفيما يتعلّق **بممارسة الكنائس** كتب: «ومن الإجماع. كلّ الكنائس المسيحيّة -شرقيّة وغربيّة- تمارس الصلوة عن الراقدين.. منذ ابتداء تاريخ الدين المسيحيّ إلى الآن تقدّم الذبيحة غير الدمويّة من أجل خلاص جميع المؤمنين أحياء وأمواتًا»[189]. ثمّ يشير إلى **أدلّة الليتورجيا** التي في نصوص كتاب القدّاس.

ثمّ يلخّص **مبرّرات وأسباب** طقس الراقدين كما يلي: «(١) لنوضّح أنّ أنفس الراقدين **حيّة**.. (٢) لتصديق **القيامة**.. (٣) لأجل تحقيق الدينونة المسيحيّة (أي وجود الدينونة).. (٤) لتأكيد أنّ **المكافأة لم ينلها أحد بعد** حسب تعليم الكتاب والمعلّمين الإلهيّين وأنّ الراقدين لا يكملون بدوننا. عب ١١:٤٠. (٥) لنذكر على الدوام أنّ الراقدين هم **أعضاؤنا وإخوتنا** وأنّه من الواجب علينا أن نذكرهم. (٦) لأجل التعزية الأحياء.. (٧) **لوفاء الدين الذي علينا نحوهم**»[190].

القمص يوحنّا لا يجادل، بل موقفه واضح تمامًا من السببين (٣) و(٤): **ستكون هناك دينونة في النهاية، والمكافأة بعد الدينونة الأخيرة**. لذلك من خلال ما عرضه

---

[189] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلى، ج ١، ٦١١ وما بعدها.

[190] القمص يوحنّا سلامة، كتاب اللآلى، ج ١، ٦٠٨. هنا يلخّص السبعة أسباب التي عرضها.

بشكل عامّ يستنتج العلمانيّ القبطيّ الكاثوليكيّ فرنسيس بدروس أنّ الأقباط الأرثوذكس يعترفون بجميع عناصر التعليم العقائديّ الكاثوليكيّ عن عقيدة المَطهَر[191].

١٩ - الإيغومانس فيلوثاؤس عوض (١٩١٢):

وضّحَ فكره في كتاب: **تنوير المبتدئين في تعليم الدين**[192]، ولا شكّ في أرثوذكسيّته وفقًا لما سنراه في النصوص التالية.

١. الموت. الفردوس. جهنّم:

«**الموت هو انفصال النفس العاقلة عن جسدها انفصالًا كاملًا.** وبعد هذا الانفصال فالنفس إن كانت مؤمنة صالحة تصحبها **الملائكة الأطهار إلى النعيم حيث الأبرار والصالحون**[193] وإن كانت كافرة أو مؤمنة أثيمة سيّئة الفعل **تذهب إلى الهاوية** حيث يسجن الكافرون والأُثَّم»[194].

٢. الترحيم:

يطرح سؤالًا ثمّ يجيب عليه.

«س: هل تنتفع الأنفس المؤمنة بالصلوات وفعل البرّ؟ ج: نعم **إنّ صلوات الكنيسة وتقدمة القربان الشريف وفعل الإحسان**

[191] فرنسيس بدروس، **صوت الكنيسة المرقسيّة**، (بدون تاريخ) ٣-٢٧.

[192] الإيغومانس فيلوثاؤس، **تنوير المبتدئين في تعليم الدين**، القاهرة ١٩١٢.

[193] كدليل يذكر لو ١٦: ٢٢؛ ٢٣: ٤٣. أي حالة لعازر وحالة اللصّ اليمين.

[194] فيلوثاؤس، نفس المرجع، ٦٦.

تنفع تلك الأنفس المنتقلة ببعض نقائص وزلّات بشريّة. لا المستغرقة في الرذائل وعدم الرحمة بدون توبة ولا استغفار. **وهذه القضيّة تعتبرها كنيسة المسيح الجامعة من الأجيال الأولى.** وكنيسة إسرائيل تشهد في **سفر المكابيّين**[195] أن يهوذا المكابيّ كان يقدّم ذبائح عن الجند المائتين»[196].

٢٠- القمص يوحنّا جرجس – جبران نعمة الله (١٩٢١):

تعاونا معًا في إصدار كتاب يحوي التراتيل الدينيّة، عنوانه: **اللؤلؤة البهيّة في التراتيل الروحيّة**[197]. التراتيل منسّقة في الكتاب وفقًا للأعياد الواقعة على مدار السنة.

المفاهيم المتعلّقة بالأخرويّات تتكرّر في التراتيل باستمرار، وهي: **المسيح يحطّم أبواب الجحيم ويعيد فتح أبواب الفردوس. آدم ونسله يستردّون حرّيتهم ويعودون إلى السماء.** فردوس الفرح يظلّ بابه مفتوحًا للجميع، **لكي يستطيعوا الدخول منه جميعًا: كما دخله: آدم والآباء، والأنبياء، واللصّ اليمين، والأبرار.** وسنذكر فيما يلي بعض المقاطع.

«المسيح نزل الجحيم وأعتق الذين فيه من سنين»[198]. «ردّ آدم للفردوس»[199]. «إلهنا الحبيب يسوع المسيح أتى حسب المكتوب»[200]. «من رأى لصّ آمن بالملك»

[195] ٢ مكا ١٢: ٤٣-٤٦.

[196] فيلوثاؤس، نفس المرجع، ٦٧.

[197] القمص يوحنّا جرجس – جبران نعمة الله، **اللؤلؤة البهيّة في التراتيل الروحيّة**، الإسكندريّة ١٩٢١.

[198] المرجع السابق، ٣٧.

(٢٠١). «الحقّ الحقّ أقول لك أيّها اللصّ.. ترث ملكوتي.. الرسول أنكر أمّا اللصّ فصرخ»(٢٠٢). «اللصّ تاب بعد ما كان هالك»(٢٠٣). «اليوم اللصّ وفي نذوره»(٢٠٤) «المسيح بموته وقيامته غلب الجحيم وكسر أبوابه الحديد والمتاريس»(٢٠٥).

٢١- كامل جرجس (١٩٢٦):

كان أستاذًا في إكلّيريكيّة الأقباط الأرثوذكس. قام بكتابة مقالة بعنوان **العلم والإيمان**(٢٠٦) قدّم فيها تعريفًا للفردوس سنذكره هنا من منظور الفصل التالي والأخير من دراستنا هذه.

«**السماء حالة وليست موضعًا**... هي حالة الطوبى، السعادة، البرّ والقداسة. لا مرض فيها ولا مشاغل ولا مقتنيات».

٢٢- سمعان سلّيدس عَلَم (حوالي ١٩٣٠):

سبق أن أشرنا في الفقرة ١٨ من هذا الفصل إلى أنّه بعد أن عرض القمص يوحنّا سلامة الهادئ طقس الراقدين، نشر الكاثوليكيّ فرنسيس بدروس كُتيب يحوي

(١٩٩) نفس المرجع السابق، ٥٩.

(٢٠٠) نفس المرجع السابق، ١٧٨.

(٢٠١) نفس المرجع السابق، ٣٣١.

(٢٠٢) نفس المرجع السابق، ٣٣١ و ٣٣٨.

(٢٠٣) نفس المرجع السابق، ٣٤٠.

(٢٠٤) نفس المرجع السابق، ٣٦٥.

(٢٠٥) نفس المرجع السابق، ٣٦٧.

(٢٠٦) كامل جرجس، **العلم والدين**، في **مجلة الكرمة**، ١٢ (القاهرة ١٩٢٦)، ٢٢٨.

ثلاثين صفحة بعنوان: «**صوت الكنيسة المرقسية**»(٢٠٧)، لكي يبيّن أنّ التقليد المصريّ يؤيّد عقيدة المَطهَر. ممّا دعا سمعان سلّيدس عَلَم († ٢٢ أغسطس ١٩٣٠)، أستاذ علم الأديان في إكلّيريكيّة الأقباط الأرثوذكس، إلى تأليف كتاب مكوّن ٤٦٤ صفحة بعنوان: **القول اليقين في الصلاة على المتنقلين**(٢٠٨)، نُشر بعد وفاته.

يحتوي هذا الكتاب الضخم ينفي الستّ عشرة مسألة التي أثارها فرنسيس بدروس لصالح العقيدة الكاثوليكيّة من جهة؛ ومن الجهة الأخرى يعرض التعليم العقائديّ للكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة. إنّه تعليم عقائديّ دفاعيّ يقوم على أساس نصوص كتابيّة، سنوجزه فيما يلي:

١. الدينونة الخاصّة والمَطهَر:

سلّيدس ينكرهما معًا على الإطلاق ويقول: عقيدة المَطهَر تفترض عقيدة الدينونة الخاصّة، «أمّا الكنيسة المرقسيّة الأرثوذكسيّة فلا تعتقد بشيء يُقال له دينونة خاصّة تكون بعد الموت مباشرة لأنّها لم تستعلم هذا التعليم من معلّمها مرقس الرسول»(٢٠٩)، وبالتالي فهي لا تعترف بوجود المَطهَر. فإن كانت تُصلّي من أجل نفوس الراقدين، ذلك من منظور الدينونة العامّة لأنّ النفوس بعد الموت تكون في انتظار تلك الدينونة(٢١٠).

(٢٠٧) فرنسيس بدروس، **صوت الكنيسة المرقسيّة**، القاهرة (بدون تاريخ).

(٢٠٨) سمعان سليدس علم، **القول اليقين في الصلاة على المتنقلين**، القاهرة (بدون تاريخ).

(٢٠٩) سليدس، المرجع المذكور، ٣٧٥.

(٢١٠) سليدس، المرجع المذكور، ١٨٩ - ١٩٢.

٢. الدينونة العامّة:

ليست هناك دينونة بعد الموت سوى الدينونة العامّة. ولا يمكن أن يكون الحال خلاف ذلك لأنّه كما أنّ النفس والجسد يمارسان معًا إمّا الفضائل أو الخطايا، كذلك **أيضًا لا بُدّ أن يتشاركا في الجزاء**. بالتالي، المصير المشترك للنفس والجسد لا يمكن أن يتحقّق إلّا بعد القيامة في نهاية العالم. والدينونة التي ستكون في نهاية العالم هي الدينونة العامّة[211]. ويستشهد بنصّ رؤيا القدّيس يوحنّا: «رَأيتُ تَحتَ المَذبَحِ نُفوسَ الَّذينَ ذُبِحوا في سَبيلِ كلمة اللهِ والشَّهادَةِ الَّتي شَهِدوها. فصاحوا بِأَعلى أَصْواتِهِم: "حَتَّامَ، يا أَيُّها السَّيِّدُ القُدُّوسُ الحَقّ، تُؤَخِّرُ الإِنْصافَ والاِنتِقامَ لِدِمائِنا مِن أَهلِ الأَرض؟"»[212]. لذلك كلّ الأدلّة التي ساقها الكاثوليكيّ فرنسيس بدروس والمأخوذة من الطقس القبطيّ، مثل: القدّاس، الجنازات، صلوات التذكار، الصدقات، وما إلى ذلك، ينبغي أن تُفسّر في ضوء الدينونة العامّة وحدها[213].

٣. الجزاء بعد الدينونة:

كما سبق وأن ذكرنا، لكي يتحقّق الجزاء الآتي **لا بُدّ أن تشترك فيه النفس والجسد معًا**. لذا يقول سليدس بأنّ الله سيجازي كلّ واحد «حسب أعماله» فقط بعد الدينونة العامّة، ويدلّل على هذا مستشهدًا بالنصوص الكتابيّة التالية ومُعلّقًا عليها: مز١:٥-٦؛ مت١٢:٢٦و٣٧؛ ١٣:٢٧-٣٠ و٤٠-٤٣؛ ١٣:٤٧-٥٠؛ ٢٤:٤٥-

[211] سليدس، المرجع المذكور، ٢٤٩-٢٥٢.

[212] رؤ ٦: ٩-١٠.

[213] سليدس، المرجع المذكور، ٢٩٥-٣٢٦.

٥١؛ ٢٥:١-٤٦؛ يو٥:٢٦-٣٠؛ ٢ تس١:٤-١٠؛ ٢تيمو٤:١-٢؛ ١بط٤:٣-٦؛ رؤ٢:٦-١٦؛ ١١:١٥-١٨؛ ١٤:١٠-١٢؛ ٢٠:١١-١٥؛ ٢١:١-٣[214].

٤. الفردوس للقدّيسين:

لا شكّ في أنّ موضع السعادة قاصر على أولئك الذين مارسوا الفضائل خلال حياتهم على الأرض. لكن لكي تتحقّق هذه السعادة **لا بُدّ للقدّيسين أن ينتظروا حتّى الدينونة العامّة**. الدليل الذي يسوقه سليدس في هذا الصدد هو الشواهد الكتابيّة التالية: يع٥:٧-١١؛ لو١٤:١٢-١٤؛ يهوذا٢٠-٢١، ٢٤-٢٥[215].

٥. جهنّم للمُدانين:

جهنّم هي المصير الذي ينتظر فاعلي الشرّ، لكن بنفس الشرط: ألّا وهو المرور بالدينونة العامّة. الشواهد الكتابيّة: مت١٠:١٤-١٥؛ ١١:٢٠-٢٤؛ ١بط٤:١٥-١٨؛ يو١٢:٤٦-٤٨؛ يهوذا ٤و١٤-١٥؛ مت٢٣:١٩-٣٣؛ روم٢:١-٥؛ مت٧:٢١-٢٣؛ عبر١٠:٢٥-٣١؛ ٢بط٣:٥-١٠؛ ١تس٥:١-٣؛ رؤ٦:١٢-١٧؛ مت٣:٧-١٠؛ ٢٥:٤١و٤٦[216].

٦. جدوى الترحيم:

من واجب الأحياء أن يصلّوا لأجل أمواتهم. هذا ما يستخلصه سليدس من نصّ متّى ٥:٤٤: «أَحِبُّوا أَعداءَكم وصَلُّوا مِن أَجلِ مُضطَهِديكُم». فإن كان هناك

[214] سليدس، المرجع المذكور، ٢٣٦-٢٤٩.

[215] سليدس، المرجع المذكور، ٢١٤-٢٢٤.

[216] سليدس، المرجع المذكور، ٢٢٥-٢٣٥.

إلزام بالصلاة لأجل الذي يفعل بنا الشرّ، فبالأحرى ينطبق ذلك على مَنْ فعل بنا خيرًا ثمّ مات[217]. أمّا بشأن استفادة الأموات من أعمال الرحمة التي نفعلها، فذلك واضح من واقع أنّهم قد ورثوا الخطيئة الأصليّة وبها ورثوا الضعف البشريّ الذي جعلهم يرتكبون الخطايا الشخصيّة «فعلًا، أو قولًا، أو فكرًا»[218]. هذه الخطايا التي بالطبع ينبغي ألّا تكون ثقيلة حتّى تُغفر بعد الموت، سينالون الحِلّ منها برحمة الله بفعل صلواتنا وقدّاساتنا وصدقاتنا التي نقدّمها من أجل الراقدين[219].

ممارسة الصلاة لأجل الراقدين الذين ارتكبوا خطايا، لكنّها «لا تُؤدّي إلى المَوت» على حدّ قول الرسول[220]، **إنّما هي من تقليد الكنيسة**. ولقد كان المسيحيّون الأوائل يُصلّون على مثال **المكابيّين**[221]. والكنيسة الجامعة صلّت وتُصلّي لأجل الراقدين، بدليل **الصلوات الطقسيّة**[222] العديدة، **والتقليد**[223] **أيضًا يشهد بذلك**.

---

[217] سليدس، المرجع المذكور، ٦٨-٧٤.

[218] سليدس، المرجع المذكور، ١٠٤.

[219] سليدس، المرجع المذكور، ٩٧-١٠٤.

[220] «إذا رأى أحَدٌ أخاه يَرتَكِبُ خَطيئَةً لا تُؤدّي إلى المَوت فَليُصَلِّ، واللهُ يَهَبُ لَه الحَياة "وأَعْني الَّذينَ يَرتَكِبونَ الخَطايا الَّتي لا تُؤدّي إلى المَوت فهُناكَ الخَطيئَةُ الَّتي تُؤدّي إلى المَوت ولَستُ أطلُبُ الصَّلاةَ لَها"» (١يو٥:١٦). في سليدس، المرجع المذكور، ١٤٨.

[221] ٢مكا ١٢: ٤٣-٤٦. سليدس، المرجع المذكور، ١٤٩-١٦٤.

[222] سليدس، المرجع المذكور، ١٦٥-١٧٨.

[223] سليدس، المرجع المذكور، ١٧٩.

لماذا نُصلّي؟ في بداية إجابته يستنكر سليدس تمييز الكاثوليك بين **العقاب الأبديّ في جهنّم والعقاب المؤقّت في المَطهَر**[224]. ثمّ يقول تحديدًا: الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة لا تعترف بمغفرة الخطايا بدون سرّ الاعتراف المقدّس، ولا تعتقد في الدينونة الخاصّة ولا المَطهَر. إنّها لا تُصلّي من أجل الراقدين للتعويض عن خطاياهم أو كفّارة عن العقوبات المفروضة عليهم أو عتقهم من المَطهَر، مثل تعليم الكاثوليك. لكنّ الأقباط الأرثوذكس يصلّون من أجل الراقدين لسبب واحد وحيد، ألا وهو **أن يرحمهم الله في الدينونة العامّة**[225].

٢٣- عيد بطرس (١٩٣٣):

الشمّاس عيد بطرس نشر كتيّبًا بعنوان: **البراهين القويّة على صحّة العقيدة الأرثوذكسيّة ردًّا على تعاليم كاثوليكيّة وبروتستانتيّة**[226]، بغرض الجدال مع الكاثوليكيّ مسيحة أفندي الذي نشر مقالة عن المَطهَر في مجلّة الصلاح - مايو ١٩٣٣. إذن، موضوع الجدل لا بُدّ وأن يكون إنكار ما يقوله الكاثوليك. مسيحة أفندي يقول: أنّ المَطهَر هو موضع توفّي فيه النفوس العقوبات الزمنيّة بعد الدينونة الخاصّة وقبل قبولها في الفردوس. ويدلّل بأنّ الكنيسة القبطيّة تعترف بهذه الحقيقة مستشهدًا بميمر (مديح) **اللصّ اليمين**، حيث يُذكر **نهر النيران**؛ وكتاب **نور الأنوار**،

---

[224] سليدس، المرجع المذكور، ٣٦٨.

[225] سليدس، المرجع المذكور، ٣٧٥- ٣٨٨.

[226] البراهين القويّة على صحّة العقيدة الأرثوذكسيّة ردًّا على تعاليم كاثوليكيّة وبروتستانتيّة بقلم الشمّاس عيد بطرس بالزقازيق ١٩٣٣.

الذي يقدّم وصفًا موسّعًا عن النفوس التي تُسكَب في ذلك النهر الناريّ، ويستشهد **أيضًا بكتاب الجنانيز** الذي تستخدمه الكنيسة القبطيّة[227]. أمّا عيد بطرس فيرفض ذلك وينفيه على النحو التالي.

١. الدينونة العامّة:

«إنّ تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة الذي عرضه مسيحة لعمري **هو تعليم زائف.** إنّه يناقض الكتاب المقدّس الذي يذكر **دينونة عامّة واحدة وحيدة في يوم واحد محدّد**: ألا وهو يوم القيامة، حين تقوم جميع الأجساد عند صوت البوق، ومجيء الربّ بضياء مجده برفقة الملائكة»[228].

٢. مواضع الانتظار الثلاثة:

من الطرح السابق يتتج «أنّ الكنيسة الأرثوذكسيّة تعتقد بأنّ الموضع الذي تكون النفوس فيه هو بمثابة مستودع تبقى فيه النفوس انتظارًا ليوم القيامة العامّة، أي **حتّى الدينونة العامّة**. حينئذٍ ستعود **النفوس فتلبس أجسادها** وتقف أمام عرش المسيح كي تُدان»[229]. هذا المستودع المذكور ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

(١) موضع علويّ للأخيار.

«يُقال أنّ هذا القسم الذي من أجل الأخيار هو **الفردوس الأرضيّ** الذي خرج منه آدم عَقِب سقوطه». ويقول الشيخ الصفيّ

---

(227) المرجع السابق، ٣١-٣٢.

(228) عيد بطرس، المرجع المذكور، ٣٢.

(229) عيد بطرس، المرجع المذكور، ٣٣.

ابن العسّال أنّ حال تلك النفوس يشبه حال «أناس في حجز تحفّظيّ انتظارًا لصدور الحكم على الخطايا التي ارتكبوها»[230].

(٢) موضع سفليّ للأشرار.

«الذين ارتكبوا **خطايا ثقيلة** لهم جهة خاصّة بهم، تتناسب مع جسامة خطاياهم. ويكونوا قَلِقين وحزانى، إذ يتعرّفون على ذنوبهم. لا يرغبون في شيء سوى اقتراب محاكمتهم، **لأنّهم واثقين من حلول العقوبة الصعبة عليهم** وخروجهم من هذا الحجز التحفّظيّ، الذي سيتبدّل إلى الأشغال الشاقّة أو إلى عقوبة الإعدام»[231].

(٣) موضع متوسّط للذين ماتوا **بخطايا عرضيّة**. يقول عيد بطرس أنّ هذا الموضع هو جهة متفرّعة من السابقة.

«ومن كانت ذنوبهم بسيطة لا تُذكر يوجدون في جهة مريحة فيكونون في راحة ويرغبون جدًّا في سرعة مجيء يوم المحاكمة لوثوقهم بالعفو عنهم وذهابهم إلى بيوتهم»[232].

٣. تفنيدات:

ينتقل عيد بطرس إلى تفنيد المسائل التي عرضها الكاثوليكيّ مسيحة. **(١) اللصّ اليمين.** فيقول أنّ **الميمر** المخصّص له هو محض خيال، وكذلك خيال هو **النهر الناريّ**. أمّا عن الشاهد الإنجيليّ فلا يقول أنّه أخذه إلى **السماء** بل **إلى الفردوس**، أي

---

(230) عيد بطرس، المرجع المذكور، ٣٤.

(231) عيد بطرس، المرجع المذكور، ٣٣.

(232) عيد بطرس، المرجع المذكور، ٣٣.

الفردوس الأرضيّ الذي كان فيه آدم[٢٣٣]. (٢) الكتاب: نور الأنوار. لم يتكلّم عن دينونة خاصّة ولا عن مَطهَر. بل يقول أنّ النفوس تكون في انتظار الاتّحاد بالجسد حتّى تنال المكافأة. (٣) **كتاب الجنانيز**. الصلوات التي يتضمّنها الكتاب غايتها **التعزية الأهل**. بالإضافة إلى نوال الصفح للنفوس ولأن تكون في مصافّ الأبرار ذلك يكون **بعد الدينونة العامّة**.

ثمّ يختتم عيد بطرس حديثه بتجريح الكاثوليك.

«إنّ تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة كاذب، ومعادل لتعليم غير **المسيحيّين** الذين يقولون. أنّ الميّت ستحاكمه الملائكة في القبر بعد دفنه، وسيتألّم قليلًا وبعد ذلك يذهب إلى الفردوس. ولذلك فهم (غير المسيحيّين) ينفخون في أذنيه لكي يجيب (أي الميّت) على أسئلة الملائكة[٢٣٤]. **وقد ابتدعت الكنيسة الرومانيّة هذه التعاليم كواسطة للحصول على المال من الكثيرين**. وهذا ما يتّضح بجلاء بقولها: أنّ النفس تتألّم في المَطهَر، وأنّها تصعد إلى السماء بالصلوات التي تشفيها من هذه الآلام وذلك بواسطة **بيع صكوك الغفران**»[٢٣٥].

---

[٢٣٣] عيد بطرس، المرجع المذكور، ٣٢ وما بعدها.

[٢٣٤] يشير إلى المسلمين. راجع الفصل الأوّل، الفقرتان ٣ و٩ من دراستنا هذه.

[٢٣٥] عيد بطرس، المرجع المذكور، ٣٨.

٢٤- القمص ميخائيل مينا (١٩٣٦):

كان مديرًا للكلّيّة الإكليريكيّة المخصّصة للرهبان في حلوان، قام بتأليف كتاب علم اللاهوت الذي يتكوّن من ثلاثة مجلّدات الذي يعتبر من أكثر كتب الأقباط الأرثوذكس تنسيقًا واكتمالًا[٢٣٦]. هذا الكتاب يتكلّم عن الأخرويّات في المجلّدين الثاني والثالث، لكن بطريقة دفاعيّة حيث يعرض العقيدة الكاثوليكيّة بغرض انتقادها. في سياق انتقاده للكاثوليك يسعى لعرض عقيدته التي تقتصر جوهريًّا على إنكار نقطتين: **إنكار الدينونة الخاصّة والمَطهَر**.

١. حالات النفوس الثلاثة:

«لقد زعم بائعو الغفرانات أنّ هناك ثلاثة أمكنة تذهب إليها أرواح الموتى: أحدها المكان الذي تذهب إليه أرواح القدّيسين فتتمتّع بالغبطة الأبديّة. والثاني المكان الذي تذهب إليه أرواح الكفرة والأشرار البغاة فتتعذّب في النار الأبديّة خالدة فيها. والثالث المَطهَر الذي تذهب إليه أرواح الذين تابوا ولم يتمكّنوا أن يتمّموا قانون التوبة المفروض عليهم فيعذّبون في ناره إلى حين لكي يتمتّعوا بعد ذلك بالخيرات الدائمة»[٢٣٧].

---

[٢٣٦] القمص ميخائيل مينا، كتاب علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، القاهرة ١٩٣٦-١٩٣٨.

[٢٣٧] القمص ميخائيل مينا، المرجع المذكور، المجلّد الثاني، ٤٨١.

٢. المَطهَر:

يعود القمص مينا للإشارة إلى مفهوم الكاثوليك عن المَطهَر، ولكن بتوسّع أكثر، وذلك في المجلّد الثالث. فيقول:

«تعتقد الكنيسة الرومانيّة أنّ هناك مكانًا يتميّز عن النعيم والجحيم يدعى المَطهَر تعتقل فيه نفوس عبيد الله المرضيّة له التي وإن كانت متّصفة بنعمته إلّا أنّها لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة اللائقة لمشاهدته تعالى. أو بعبارة أوضح أنّ الذين يموتون قبل أن يتمّموا القوانين الوقتيّة المفروضة عليهم في هذه الحياة يكابدون تلك القصاصات في النار المطهريّة. ومن ثمّ تمكث في هذا المكان منفيّة من جماعة القدّيسين الطوباويّين ومن معاشرة الملائكة متعذّبة بعذابات أليمة جدًّا حتّى أنّها بتعذيبها أو بصلوات المؤمنين تفي ما بقي عليها من الدين للعدل الإلهيّ وتتطهّر من الخطايا العرضيّة والهفوات الصغيرة وتقبل المغفرة من الله لكي تستحقّ الدخول إلى السماء»[٢٣٨].

ثمّ إنّ المؤلّف لاذع في إشارته لعقيدة الغفرانات، إذ يقول:

«ثمّ ادعوا (يقصد الكاثوليك) أنّ البابا يمكنه بالابتهال أن يُخرج الأرواح من المَطهَر قبل تمام تطهيرها فتصعد إلى السماء وأنّه بواسطة الغفرانات يمكن إخراجها منه في برهة عشر سنين أو عشرين سنة وإن طال عذابها ففي برهة خمسين سنة. وهذا الوهم

(٢٣٨) القمص ميخائيل مينا، المرجع المذكور، المجلّد الثالث، ٥٢٦ وما بعدها.

الباطل هو الذي ساعد على انتشار أوراق الغفران بين الشعب الرومانيّ»[٢٣٩].

٣. النقد:

يشجب القمص ميخائيل مينا العقيدة الكاثوليكيّة بشأن **المَطهَر**، وينتقل للحديث عن الغفرانات فيشجبها لثلاثة أسباب: أخلاقيّة وطقسيّة وكتابيّة.

(١) الأخلاقيّة:

«على أنّ هذه العقيدة (الكاثوليكيّة) فضلًا عن كونها مبنيّة على غير أساس ومضادّة لكلّ تعاليم الكتاب ولا تتّفق مع الصبغة المسيحيّة ولا تتلاءم مع مبادئها لا في جوهرها ولا في مظهرها. بل ولا تساير العقليّة السليمة المنصفة. **فإنّها تسهّل على المعتقدين بها ارتكاب الخطايا وتساعدهم على الإمعان والتوغّل فيها** ولا سيّما الأغنياء وذوي الأموال الطائلة»[٢٤٠].

(٢) الطقسيّة. الكاثوليك يستندون على الصلوات الطقسيّة للتدليل على وجود المَطهَر، فيقول القمص ميخائيل مينا:

«غير أنّ المَطهَر شيء والصلاة شيء آخر فعقيدة المَطهَر في الكنيسة الرومانيّة تتضمّن **دينونة خاصّة** ذات آلام وعذاب للميّت **مع تقييد لسلطة الله** جلّ شأنه بصكوك الغفران. أمّا عقيدة الصلاة في الكنيسة القبطيّة فلا يقصد بها سوى التوسّل إلى الله بطلب الرحمة في **يوم الدينونة** للمنتقلين الصالحين الذين لم يصلوا

(٢٣٩) القمص ميخائيل مينا، المرجع المذكور، المجلّد الثاني، ٤٨١ وما بعدها.

(٢٤٠) القمص ميخائيل مينا، المرجع المذكور، المجلّد الثاني، ٤٨٢.

إلى درجة النقاوة الكاملة مع ترك الحرّيّة الكاملة لله في استجابة الصلاة من عدمها»[٢٤١].

(٣) الكتاب المقدّس. يُدلّل الكاثوليك على وجود المَطهَر بشاهدين من الكتاب المقدّس. الأوّل: **١كور ٣:١٢** : فيقول:

«أمّا النصّ الذي تدعم به الكنيسة الغربيّة معتقدها في المَطهَر فهو قول بولس الرسول: "ولكن إن كان أحد يبني على هذا الأساس ذَهَبًا فِضَّة حِجارة كَريمة خَشَبًا عشبًا قشًا، فعَمَل كلّ واحِد سيصير ظاهرًا لأنّ اليوم سيبيّنه لأنّه بنارٍ يُستعلَن، وستَمتَحِنُ النَّارُ عَمَل كلّ واحِد ما هو. إن بَقِيَ عَمَل أحد قد بَناه عليه أجرة. إن احتَرَقَ عَمَل أحد فيخسر، وأمّا هو فيَخلُص، ولكِن كَمَا بنَارٍ". هذه هي حجّة أصحاب تلك العقيدة وهي حجّة واهية ضعيفة. لأنّ هذه الآية لا تشير إليها تصريحًا ولا تلميحًا»[٢٤٢].

ويقول بصدد الشاهد الثاني:

«وهناك آية آخرى يستند عليها الذين يعتقدون بالمَطهَر وهو قول السيّد له المجد: "الحَقَّ أَقولُ لَكَ: لا تَخرُجَ مِن هناك حتّى تُوفِيَ الفِلْس الأخير" (مت٥:٢٦). فيشرحونها (الكاثوليك) بقولهم: ".. يلقيك الله في سجن العذاب حتّى تفي كلّ دين الجريمة في (المَطهَر) لأنّ بلفظة (حتّى) **قوّة لثبات المَطهر** إذ تشير إلى إمكان **نهاية العذاب**". وقد فاتهم أنّ (حتّى) كما أنّها تفيد إمكان نهاية

[٢٤١] القمص ميخائيل مينا، المرجع المذكور، المجلّد الثالث، ٥٢٨.

[٢٤٢] القمص ميخائيل مينا، المرجع المذكور، المجلّد الثالث، ٥٢٩ وما بعدها.

العذاب كذلك تفيد التأبيد أيضًا. أي أنّ عذاب جهنّم يدوم ما دام الذنب باقيًا. وواضح أنّ الذنب دائم وغير متناهٍ لاقترافه ضدّ الجلال الإلهيّ. وحيث أنّ هذا التعبير يحتمل المعنيين فلا يسوّغ لنا أن نؤوله بحسب الوجه الذي يلائم أغراضنا ونترك الوجه الآخر الذي يتفق مع الحقيقة لأنّ في ذلك تلاعبًا بكلام الوحي الإلهيّ قد يؤدّي إلى دينونة عظمى[٢٤٣] (يع٣:١)»[٢٤٤].

٢٥- دلوار شنوده المنفلوطيّ (١٩٤٧):

أثار الشمّاس دلوار شنوده المنفلوطيّ جدالًا مع الكاهن الكاثوليكيّ حنّا نوير حول موضوع المَطهَر. فقد كان الأبّ نوير نشر عام ١٩٤٧ كتيّبًا من ٤٦ صفحة[٢٤٥]، فقام دلوار بمعارضته من خلال كتيّب يحوي ١١٦ صفحة[٢٤٦]، راح يخبط فيه يمنة ويسرة متفلسفًا وذلك لكي يفنّد ويُبطل المفهوم والبراهين الكاثوليكيّة الدالّة على عقيدة المَطهَر.

١. الكفّارة والمَطهَر:

«تعتقد الكنيسة الباباويّة أنّ الخاطئ يمكنه وفاء دينه للعدالة الإلهيّة بطريقتين: أمّا في حياته أو بعد موته. في الحالة الأولى يوفّيه بواسطة الكفّارة التي يعطيها له القسّيس **(في الاعتراف)**. والثانية:

[٢٤٣] «لا يَكثُرَنَّ فيكُم يا إخوَتي عَدَدُ المُعَلِّمين. فأنتُم تَعلَمونَ أنّنا سَنَلقى في ذلك أَشَدَّ دَينونة» (يع٣:١).

[٢٤٤] القمص ميخائيل مينا، المرجع المذكور، المجلّد الثالث، ٥٣٥.

[٢٤٥] الأبّ حنّا نوير الفرنسيسكانيّ، **المَطهَر**، أسيوط ١٩٤٧.

[٢٤٦] دلوار شنودة المنفلوطيّ، **المَطهَر تحت المجهر**، السكاكيني ١٩٤٧.

إذا مات التائب بدون أن يتمّ كفّارته سيوفّيها في المَطهَر. فضلًا عن ذلك يمكن للمسيحيّ أن يستبدل الاثنتين بصلوات الغفرانات[247].

بعد ذلك راح دلوار ينتقد هذا التعليم العقائديّ الذي أشار إليه بهذه الطريقة المشوّهة. **أوّلًا: الله لا ينزل العقوبات توقية لدين عدالته، بل لكي يُعلّم النفس ويشفيها من نقائصها. وبالتالي ليس هناك مكان للكفّارة[248]. ثانيًا: المَطهَر عقيدة جديدة، بدأها القدّيس غريغوريوس الكبير ثمّ تطوّرت في القرن ١٦ في المجمع التريدنتيّ. إذن، هل كانت الكنيسة غارقة في الخطأ طوال ١٥ قرنٍ من الزمان؟[249] لذا ينبغي الإصغاء لقول القدّيس بولس: «فلَو بَشَّرْناكم نَحنُ أو بَشَّرَكم مَلاكٌ مِنَ السَّماءِ بِخِلافِ ما بَشَّرْناكم بِه، فلْيَكُنْ مَحرومًا»[250].

٢. براهين من الكتاب المقدّس:

يقول المنفلوطيّ: يستشهد الكاثوليك عادة بثلاثة مراجع من الكتاب المقدّس، ألا وهي: ٢مكا ١٢:٤٣-٤٦؛ مت ٥:٢٥-٢٦؛ ١٢:٣٢؛ ١كور ٣:١١-١٥، ولكن ولا واحد منها يبرهن على وجود المَطهَر.

فسفر المكابيّين الثاني ١٢:٤٣-٤٦، لا يبرهن إلّا على مغفرة الخطايا بعد الموت من منظور القيامة التي ستكون فيما بعد. فالنصّ لا يُخبر بشيء عن المَطهَر، ولا عن

[247] دلوار شنودة المنفلوطيّ، المرجع المذكور، ٨.

[248] دلوار شنودة المنفلوطيّ، المرجع المذكور، ١٣-٢١.

[249] دلوار شنودة المنفلوطيّ، المرجع المذكور، ٣٧ وما بعدها.

[250] غلا ١:٨.

الألم ولا عن النار. لذا لا يمكن الاعتداد بذلك لكون وجود تناقض بين المغفرة والألم[251].

متى ٥:٢٥-٢٦. إذ يرفض المنفلوطيّ التفسير الكاثوليكيّ للنصّ، يشير إلى قبوله لاجتهاد الأرثوذكسيّ يوسف بك منقريوس:

«الربّ يقصد بقوله أنّه يجب على الأخ أن يوفّي لأخيه كلّ ما عليه له، ويتصالح معه بينما هما معًا قبل أن يأتي يوم الربّ - كما يشير إلى الدينونة الأخيرة، اليوم الذي يقوم فيه الأموات ويقفون أمام القاضي العادل الذي يحكم على الجميع بالعدل. فحينئذٍ يشكو المُهَان خصمه للقاضي العادل فيعاقبه (القاضي) ويسلّمه إلى الضابط، أي الملاك الذي بيده مفتاح الهاوية، ليلقيه في الحبس ألا وهو جهنّم». ثمّ يقول: «الحق أقول لك إنّك لن تخرج من جهنّم حتّى توفّي كلّ ديونك. وحيث أنّه لا أحد يستطيع أن يسدّد ديونه وهو في جهنّم، فبالتالي لن يخرج منها، بل يبقى فيها إلى الأبد»[252].

متى ١٢:٣٢ : «أمّا مَن قالَ على الرُّوحِ القُدُس، فَلَن يُغفَرَ لَه لا في هذهِ الدُّنيا ولا في الآخِرة». يقول المجادل: قد قيل هذا لتوضيح جسامة عدم المغفرة. فلو لم يكن الأمر هكذا، لكانت كلّ الخطايا تُغفر في الآخرة، وهذا زيف وبهتان. بالإضافة إلى أنّ المسيح قال بإنّ الله سيطلب منا حسابًا أيضًا عن كلامنا الباطل في يوم الدينونة. إذن، إن كان الله سيحاسبنا على الكلمة الباطلة في يوم الدينونة، فما هو لزوم أن

[251] دلوار شنودة المنفلوطيّ، المرجع المذكور، ٤٠.

[252] دلوار شنودة المنفلوطيّ، المرجع المذكور، ٤٥.

يكون هناك مَطهَر؟. ثمّ يواصل المنفلوطيّ جدله فيشير إلى كتاب نشره القبطيّ الأرثوذكسيّ بسطوروس إبراهيم[٢٥٣].

نصّ القدّيس بولس ١كور ٣:١١-١٥. يشير إلى تفسير القدّيس يوحنّا فم الذهب ويقول: **النار التي يتكلّم عنها هي نار جهنّم** وليست نار المَطهَر. أمّا الخشب **والعُشب والتبن** فترمز إلى الأعمال الرديئة التي تؤجّج النار الأبديّة. أمّا ذلك اليوم فهو «يوم الربّ»، يوم **الدينونة العامّة**. وفي النهاية يقول: الأعمال الرديئة ستفنى، لكنّ الشخص الذي ارتكبها **ينجو من الفناء**، ويستمرّ في الوجود في النار الأبديّة[٢٥٤].

٣. تَبِعات المَطهَر:

يستنتج المنفلوطيّ من العقيدة الكاثوليكيّة تبعات غير معقولة. (١) ضدّ الله. لقد جمع الله النفس والجسد ليعيشا معًا بحرّيّتهما الشخصيّة. فلو كانت النفس بعد انفصالها تنال عقابًا بدون الجسد، سيكون ذلك مضادًّا لعدالة الله. (٢) ضدّ سرّ **التوبة**. يقول الكاثوليك أنّ النفوس تتوب في المَطهَر وتَخلُص. لو قبلنا هذا ينبغي استنتاج **عدم جدوى** سرّ التوبة. لكن تلك النتيجة هي ضدّ الكتاب المقدّس: مت ٢٦:٧٥؛ مر ٢:٥؛ لو ١٥:٧؛ ١٨:١٤؛ يع ٥:١٥؛ ١ يو ١:٩. (٣) ضدّ القصد **الصالح**. حيث أنّ كلّ شيء يُلغى في المَطهَر بالتالي يمكن للمسيحيّ أن يستمرّ في خطاياه طوّال حياته، فالاعتراف الأخير والمَطهَر سيتكفّلان بكلّ شيء. (٤) ضدّ **العدل**. يبني الكاثوليك عقيدتهم على أساس **الغفرانات**. إذن، الإنسان الغنيّ يمكن

(٢٥٣) دلوار شنودة المنفلوطيّ، المرجع المذكور، ٤٨.

(٢٥٤) دلوار شنودة المنفلوطيّ، المرجع المذكور، ٤١ وما بعدها، ٤٨، ٦٨.

أن يرتكب جميع الخطايا حسبما يريد، ثمّ يشترى بماله صكوك الغفران وبالتالي حين يموت يدخل الفردوس مباشرة. فماذا عن الفقير الذي لا يستطيع الشراء؟ من الواضح هنا انعدام العدل[٢٥٥].

٤. الدينونة العامّة والجزاء:

يقول المنفلوطي أنّ الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة تقول بأنّ الجزاء سيكون في يوم الدينونة الأخيرة. فإن كانت تقول إنّ القدّيسين **يتنعّمون الآن** والخطأة يتألّمون، فهذا يكون باستخدام صيغة الحاضر بدلًا من صيغة المستقبل. «فإنّها (الكنيسة) تستعمل الأزمنة بالتبادل فتتّخذ المستقبل بمقام الحاضر حسب العادة المألوفة في الكنيسة»[٢٥٦].

ثمّ يذكر **١كور ١٥:٣١؛ يو ٣:١٨؛ ٥:٢٤**.

٢٦- بانوب عبده (١٩٥١-١٩٥٤):

قام الأرشيدياكون بانوب عبده بنشر ٥ مجلّدات كبيرة حول الأناجيل السنويّة بحسب الطقس القبطيّ الأرثوذكسيّ كتبها بقلم متعصّب وعدوانيّ.

في المجلّدات الثلاثة الأولى، اهتمّ بالتجديدات بحسب مناسبة الحديث عنها[٢٥٧]. فقال إنّ الدينونة الخاصّة والمَطهَر مرفوضتان، وأنّ الفردوس وجهنّم اللذان يمثّلان المصير الحاسم للنفوس الصالحة والطالحة بالترتيب ستكون بدايتهما مع الدينونة

(٢٥٥) دلوار شنودة المنفلوطيّ، المرجع المذكور، ٧٣-٧٥.

(٢٥٦) دلوار شنودة المنفلوطيّ، المرجع المذكور، ٧٩.

(٢٥٧) بانوب عبده، كتاب كنوز النعمة لمعونة خدّام الكلمة في شرح أناجيل السنة التوتيّة حسب ترتيب ومعتقد الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، القاهرة، ج ١، ١٩٥١؛ ج٣، ١٩٥٣؛ ج٣، ١٩٥٤.

العامّة. أمّا الترحيم أو الصلوات لأجل الراقدين فهي لمنفعة النفوس الصالحة وحدها، تلك التي شابتها خطايا خفيفة، غاية في أن تكون مستعدّة في يوم الدينونة.

١. المَطهَر:

«فليس هناك مكان متوسط بينهما (بين الجحيم والنعيم) كالذي يسمّيه الكاثوليك المَطهَر»[٢٥٨].

ويقول في موضع آخر:

«تعتقد الكنيسة الكاثوليكيّة أنّ هناك مكانًا متوسّطًا بين النعيم والجحيم يسمى **المَطهَر** تعتقل فيه نفوس عبيد الله المرضيّة التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة اللائقة لمشاهدته تعالى. وهناك تمكث منفيّة من جماعة القدّيسين، متعذّبة بعذابات أليمة جدًّا، حتّى بهذا **التعذيب** أو **بصلوات** المؤمنين **وصكوك الغفران** تفي ما بقي عليها من الدين للعدل الإلهيّ، وتتطهّر من الخطايا العرضيّة والهفوات الصغيرة وتقتبل المغفرة من الله لتستحقّ الدخول إلى السماء. أو بعبارة أخرى أنّ الذين يموتون قبل أن يتمّموا القوانين الوقتيّة المفروضة عليهم في هذه الحياة ينالون القصاص على ذلك في نار المَطهَر قبل الدخول إلى السماء». وهو يبدي رفضه للدليل المأخوذ من **١كور ٣:١٢**، مثل الكاتب السابق. ويقول أيضًا إنّه حين تفنى أفعال الخطيئة، تخلُص نفس الخاطئ: «غير أنّ خلاصه يكون كخلاص من احترق بيته وأثاثه ونجا هو بحياته فقط. فالذي يحترق (حسب كلام القدّيس بولس) هو الأعمال لا

[٢٥٨] بانوب عبده، كنوز، ج٣، ٣٣٢.

الأشخاص، في حين أنّ المَطهَر يحرق الأشخاص لا الأعمال. والنار المذكورة موجبة للخسارة بيد أنّ المَطهَر وضع للربح»[٢٥٩].

٢. الصلاة لأجل الراقدين:

«ولا بُدّ من الإشارة إلى **الفرق بين عقيدة المَطهَر وعقيدة الصلاة على المنتقلين** في الكنيسة القبطيّة، فالأولى تفيد تعذيب الميّت مع تقييد سلطة الله بصكوك الغفران، والثانية تفيد راحة الميّت وترك الأمر لمشيئة الله في استجابة الصلاة من أجله أو عدم استجابتها»[٢٦٠].

وبهذا يقصد أنّ الكنيسة القبطيّة تمارس الصلاة لأجل الراقدين. «وهذا لكي يرحم المسيح إلهنا نفوس الراقدين». والقدّيس بولس أيضًا صلّى من أجل نفس أونيسيفوروس قائلًا: «أَنعَمَ الرَّبُّ عليه بِأَن يَلْقى الرَّحمَةَ لَدى الرَّبِّ في ذلِكَ اليوم»[٢٦١]. وقد رتّبت الكنيسة تلاوة أوشية الراقدين في رفع بخور العشيّة[٢٦٢]. الصلاة من أجل الراقدين تفيد النفوس الصالحة وحدها، تلك التي لم تبلغ كمال القدّاسة.

«حيث أنّ أرواح الصالحين المنتقلين لا تخلو من السهوات والخطايا المستترة فالصلاة ولا ريب تنفعها لأنّ باب الرجاء ما زال مفتوحًا أمامها. ولهذا ساغ للكنيسة أن تصلّي لله وترفع القرابين

[٢٥٩] بانوب عبده، كنوز، ج٣، ٢٤١.

[٢٦٠] بانوب عبده، كنوز، ج٣، ٢٤١ وما بعدها.

[٢٦١] ٢تيمو ١: ١٨.

[٢٦٢] بانوب عبده، كنوز، ج٢، ٣٤٠ وما بعدها.

عنها رجاء التغاضي عمّا لحقها من توان وكسل وتفريط حتّى تصير أهلًا لمشاهدة جلاله الإلهيّ، ولا شكّ أنّها تنتفع بهذه الصلاة»[٢٦٣].

٣. حضن إبراهيم:

يرمز للفردوس الأرضيّ حيث تتجمّع نفوس الأبرار بعد الموت انتظارًا للدينونة الأخيرة. فقد قال الربّ: «فماتَ المسكين وحَمَلَتهُ المَلائِكَةُ إلى حِضنِ إبراهيم»[٢٦٤]. يعلّق بانوب عبده على هذا قائلًا:

«أي أنّ جسده عاد إلى التراب الذي أخذ منه، وأمّا نفسه فحملتها الملائكة إلى حضن إبراهيم، لأنّ الملائكة وهم أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص[٢٦٥]، يؤدّون خدمات جليلة للبشر منها **حمل أرواح الصالحين** منهم، **وحضن إبراهيم** المذكور **كناية عن مكان الراحة** الذي ينقلون إليه أنفس هؤلاء المؤمنين بعد الموت، لأنّ الكنيسة عامّة تعتقد أنّ الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها من أجسادها بل أنّ جزاءها الكامل مرجأ لليوم الأخير. وبناء على هذا فأنفس الصالحين تنعم **في جنّة عدن في مكان الراحة الذي عيّنه الله لها قبل قيامة الأجساد للدينونة**، كما يتّضح ذلك من قول المخلّص للصّ اليمين: "اليوم تكون معي في الفردوس"[٢٦٦]. وهذه النفوس

[٢٦٣] بانوب عبده، كنوز، ج٣، ٣٣٠.

[٢٦٤] لو ١٦: ٢٢.

[٢٦٥] عبر ١: ١٤.

[٢٦٦] لو ٢٣: ٤٣.

الصالحة وإن كانت لا تنال السعادة الكاملة إلّا بعد القيامة العامّة إلّا إنّها تتمتّع إلى ذلك اليوم بعربون السعادة في مكان الراحة الذي عبّر عنه المخلّص هنا بكلمة "**حضن إبراهيم**"، لأنّ الأولاد ينعمون في أحضان والديهم، وهكذا المؤمنون القدّيسون وهم أبناء إبراهيم يتمتّعون في حضنه بالبركة والطوبى التي وُعِدوا بها معه: تك ٢٢: ١٨»[٢٦٧].

٤. الدينونة الأخيرة والجزاء الكامل:

التعبير عن هذا واضح بجلاء في النقطة السابقة، لكن بانوب عبده يزيده توضيحًا فيقول:

«تعتقد الكنيسة العامّة بناء على ما ورد في الكتب الإلهيّة أنّ الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها من أجسادها بل تأخذ عربونًا فقط إمّا على السعادة إن كانت صالحة وإمّا على التعاسة إن كانت شرّيرة، ثمّ تستريح قليلًا شبه منعّمة، إن كانت صالحة، في جنّة عدن وهي الفردوس الذي عيّنه الله للأتقياء قبل القيامة كما قال المخلّص للصّ اليمين[٢٦٨]، أو شبه معذّبة في الجحيم إن كانت طالحة[٢٦٩]. وهناك تنتظر حتّى يوم الدين **حين تلبس أجسادها لتنال جزاءها الكامل من ثواب أو عقاب**. والدليل على أنّ الجزاء الكامل مرجأ إلى يوم الدين هو قول المخلّص للذين

[٢٦٧] بانوب عبده، كنوز، ج٣، ٢٣٩-٢٤١.

[٢٦٨] لو ٢٣: ٤٣.

[٢٦٩] إشارة إلى ٢بط ٢: ٤.

عن يمينه "رثوا الملكوت"، وللذين عن يساره "اذهبوا عنّي إلى النار الأبديّة"[٢٣٠].

٢٧ - مراجعة للمجلّات (١٩٥٦ - ١٩٦٢):

تختتم هذا الفصل باستعراض المقالات التي تتكلّم عن الأخرويّات، تلك التي نُشرت في المجلّات القبطيّة في السنوات الأخيرة السابقة لإعداد كتابنا هذا. طرحنا هنا هو مجرّد تقرير مبسّط موضوعه هو تسليط الضوء بصفة خاصّة على مسألة المَطهَر التي لا زالت قيد الجدل، وسنتناول ذلك وفق ترتيب زمنيّ.

١. ميخائيل البحريّ، **موت الأطفال غير المعمّدين**، في مجلّة **نهضة الكنائس**، ١٦ (١٩٥٦)، ٨٦-٨٨.

الكاتب يذكر المسألة ولكنّه لا يشارك في الجدل حولها. يقول بأنّ المعموديّة ضرورة لا بدّ منها للدخول إلى السماء، ويذكر يو ٣:٥. فبراءة الطفولة لا تحلّ محلّ المعموديّة ويستشهد بمز ٥١:٥. ثمّ يختتم: «ينبغي علينا أن نُعجّل بتتميم واجبنا بمعموديّة الأطفال، خشية أن يموتوا غير معمّدين».

٢. وهبة عبد السيّد، **الحياة بعد الموت**، في مجلّة **تعاليم الكنيسة**، ٥ (١٩٥٦) عدد ٧، ص ٢٩-٣٠.

الكاتب يتّخذ النهج الجدليّ، ومحور جدله هو هل هناك حياة للإنسان بعد الموت أم لا، وإجابته تأكيديّة. ليس هناك فناء للجسد بل تغيّر هيئته، والنفس لها الاستمراريّة في حياة حقيقيّة. هناك فقط اختلاف في الحالة: فالصالحين يعيشون

[٢٣٠] مت ٢٥: ٣٤ و ٤١. بانوب عبده، كنوز، ج٣، ٣٢٩.

حياة في فرح الفردوس، والطالحين عذابات جهنّم. وأوضح مثال على ذلك هو مَثَل الغني ولعازر.

٣. كاتب مجهول[٢٣١]، **الدينونة**، في مجلّة **رسالة الخلاص**، ٩ (١٩٥٧)، عدد ٨، ص ٢٠-٢٤.

بدأ الكاتب بتقرير وجود وقت الدينونة، فوجوده مسألة خارج النقاش، واستشهد بإنجيل متّى، الإصحاحين ١٣ و ٢٥. متى سيكون؟ سيحدث مرّتين: **بعد الموت**، عبر ٩:٢٧ ومثل الغني ولعازر، ثمّ في **نهاية العالم**. ولماذا ستكون لنا دينونة؟ لأنّنا لم نُقدّر ذبيحة المسيح وتضحيته من أجلنا. وكيف ننجو؟ بالعودة إلى المسيح بقلب تائب.

٤. حليم الإرسناديّ، **أين تذهب أرواح الأبرار بعد الموت؟**، في مجلّة **اليقظة**، ٣٣ (١٩٥٧)، عدد ٦، ص ٢٥-٢٧.

يستند الكاتب على الكتاب المقدّس فيقدّم وصفًا كونيًّا يتكوّن من خمسة مجالات: الأرض، السماء الأولى، السماء الثانية، السماء الثالثة أو الفردوس، وملكوت الله. **الأرض** هي المكان الذي يستحقّه الإنسان أو لا يستحقّه. **السماء الأولى**، هي الهواء الذي فيه تُحلّق الطيور. **السماء الثانية**، هي الفضاء الذي تتحرّك فيه النجوم والشمس والقمر. **السماء الثالثة**- أو **الفردوس**، هي موضع الراحة حيث تتجمّع نفوس الصدّيقين الذين ماتوا قبل أو بعد المسيح. وهو الموضع الذي حُمِل إليه اللصّ اليمين، لو ٢٣:٤٣؛ واختُطِفَ إليه القدّيس بولس، ٢كور ١٢:١-٤؛ ولبث فيه

[٢٣١] المقالة مذيّلة بالحرف ف، نظرًا السياق المجلّة، لا بدّ وأن يكون الكاتب قبطيّ بروتستانتيّ.

يسوع ثلاثة أيّام بعد موته. أمّا ملكوت الله أو بيت الله فهو أعلى موقع، وهناك يسكن الآب. وقد بلغه المسيح بعد عبوره السماوات، عبر ١٤:١؛ أف ١٠:٤، وهناك يجلس على عرش الآب، رؤ ٢١:٣. هناك أيضًا سيصعد الصدّيقون بعد القيامة. الفرق بين الفردوس وبيت الآب يشبه الفرق بين الحديقة والقصر.

٥. يوسف حنّا، **باب الأسئلة والأجوبة، الجواب الرابع: الفردوس وجهنّم**، في **مجلّة الإيمان**، ٢٦ (١٩٥٧)، ٢٣٣.

الفردوس وجهنّم من الإيمان، وأفراح الفردوس تفوق كافّة ما عداها، كما أنّ عذابات جهنّم تفوق كافّة العذابات الأخرى. إلى هناك تذهب النفوس بعد القيامة. الفترة ما بين الموت وذلك الحين ينعم فيها الصالحين بعربون السعادة الآتية، تلك التي ستكون أبديّة. أمّا الطالحون فيتألّمون من جرّاء اليقين من العقاب الآتي، الذي سيكون أبديًّا أيضًا.

٦. الأنبا لوكاس، **هل من مَطهَر في المسيحيّة؟**، في **مجلّة مار جرجس**، ٩ (١٩٥٧)، عدد ٩، ص ٥-١٢.

الأنبا لوكاس، أسقف منفلوط للأقباط الأرثوذكس، اشتهر بروح الجدل. وفي هذه المقالة بعد إنكاره وجود المَطهَر بطريقة لاذعة يسعى لتفسير عادة الكنيسة القبطيّة في الصلاة لأجل الأموات.

«المَطهَر بدعة تجديفيّة غبية، وعدوى وثنيّة، لتناقضها مع كرامة دم الفداء». فإن كان لا أحد على الأرض يمكنه أن يقوم بتوبة خلاصيّة (أش ٦:٥٥؛ اكور ٢٦-٢٤:١٥؛ مت ٢٨:١١؛ رؤ ١٤:١٠؛ ٦:٢٠): فكيف يستطيع أن يفعلها بعد

الموت (مت ١٣-١:٢٥؛ لو ٢٦:١٦؛ يع ١٧:١؛ روم ٢٠:٣؛ عبر ٤:٢؛ ٤:١٠). لا جدوى من ذلك: فبدون دمّ المسيح لا وجود للمغفرة.

فلماذا إذن تُصلّي الكنيسة القبطيّة من أجل الراقدين؟ ويُجيب: بالتأكيد ليس من أجل عتقهم من عذابات المَطهَر المزعوم، بل تصلّي لسببين آخرين: (١) «لتطلب بركتهم فتقول: بركتهم المقدّسة تكون معنا. آمين». (٢) لكي يستريحوا من آلام «قلق المحبّة»، لأنّهم في حالة قلق شديد من أجل أحبّائهم المجاهدين على الأرض. قلق المحبّة: هذا هو النياح، ويذكر: رؤ ١١-٩:٦؛ روم ٣٧-٣٥:٨؛ رؤ ١٢:١٢؛ عبر ٣٥:١١؛ رؤ ١١:٦.

من الواضح أنّ الأنبا لوكاس يقنع بحجج وجيزة للغاية. فيبتعد عن المسألة ويخلط القدّيسين مع النفوس المطهريّة. ولا يضع في اعتباره المراجع العديدة للغاية الموجودة في التقليد القبطيّ التي تشهد لصالح الصلاة من أجل نياح حقيقيّ للنفوس.

٧. كاتب مجهول، **بعد الموت**، في **مجلّة الشرق والغرب**، ٥٤ (١٩٥٨)، ١٣٨-١٤٢.

المقالة عبارة عن عرض علميّ لمسألة بقاء النفوس، والقيامة والحياة ويضيف الكاتب الحجج الإثنولوجيّة واللغويّة والكتابيّة والتقليديّة، وهو يضع في الاعتبار دائمًا وفي كلّ مكان التواصل الروحيّ مع الراقدين.

٨. نجيب جرجس، **الصلاة من أجل الموتى**، في **مجلة رسالة المحبّة**، ٢٤ (١٩٥٨)، ٥٧-٥٨؛ ٩٧-٩٨؛ ١٦٢-١٦٣.

يقدّم الكاتب عرضًا موسّعًا عن مسألة **فائدة الصلاة** لأجل الأموات، فيقول إنّها نافعة لأربعة أسباب على الأقل. (١) **لتعزية الأحياء**، بجعلهم على يقين من بقاء المنتقلين. (٢) لطمأنة **المنتقلين الأبرار** عن حال الكنيسة المجاهدة، رؤ ٦:٩-١١. (٣) لتهدئة **نفوس المنتقلين**، التي لكونها أكثر حساسيّة ممّا كانت حين اتّحادها بالأجساد، تندم وتتأسّف بشدّة على الخطايا التي ارتكبتها على الأرض. (٤) من أجل طلب **الراحة للراقدين الذين ماتوا بخطايا خفيفة**: «فتطلب لهم الكنيسة رحمة الله، لكي يترأّف بهم ويغفر لهم خطاياهم التي ارتكبوها من جرّاء الضعف البشريّ: كما طلب القدّيس بولس الرحمة لحبيبه أونيسيفوروس، ٢تيمو ١:١٨». ثمّ يستشهد بذكر أدلّة من العهد القديم والعهد الجديد وكتابات الآباء والليتورجيا.

٩. منسى يوحنّا، **أرواح الآباء والأنبياء قبل التجسّد. أين تذهب أرواح الموتى؟**، في **مجلّة رسالة المحبّة**، ٢٥ (١٩٥٩)، ٢٦٩-٢٧٣.

هناك جهنّم، وهناك الفردوس، والدينونة الأخيرة هي التي ستحدّد ذلك.

فأين تذهب النفوس الصالحة بعد الموت، وأين تذهب النفوس الطالحة؟ النفوس الصالحة تذهب إلى **الهاوية**، أع ٢:٢٧، حيث نزل يسوع. والنفوس الطالحة تذهب إلى **السجن**، ١بط ٣:١٩. وحتّى ولو كان هذان الموضعان غير منفصلين، هناك الفاصل بين الفرح الذي يشعر به الصدّيقون والعذاب الذي يقاسيه الخطأة. الحالة الأولى تُسمّى أيضًا **الفردوس**، حيث دخل اللصّ اليمين، لو ٢٣:٤٣، والثانية

تسمّى **جهنّم**، حيث النار التي لا تُطفأ والدود الذي لا يموت، مت ٥:٢٢؛ مر ٩:٤٣ إلخ. لكن ينبغي الانتظار حتّى الدينونة الأخيرة لتنفيذ ذلك.

الدينونة الخاصّة، ابتدعها باباوات روما، وقد اخترعوها لتبرير وجود **المَطهَر**. لكن لأنّ المَطهَر لا وجود له، رؤ ٢٠:١٤، بالتالي لا وجود للدينونة الخاصّة أيضًا. ويدلّل الكاتب على ذلك بذكر: الكتاب المقدّس لم يتكلّم أبدًا عن الجزاء الفوريّ. ١بط ٥:٤؛ ٢كور ٤:٣؛ ١يو ٢:٢٨؛ ٢تيمو ٤:٨.

١٠. ناشد سكندس، **الحياة... الموت... الأبديّة**، في **مجلّة شمس البرّ**، ١٣ (١٩٦١)، عدد ٤و٥، ص ٢٠-٢١.

ما الحياة إلّا خدعة، والموت هو نهاية هذه الخدعة وبداية الحياة الحقيقيّة في المسيح. النفوس المستحِقّة **تُحمَل على أجنحة الملائكة إلى الأرض الجديدة، حيث مقام الله مع قدّيسيه**.

١١. عزّت عطية، **ماذا سنعمل في السماء؟**، في **مجلّة رسالة الخلاص**، ١٣ (١٩٦١)، عدد ١١، ص ١.

سنعاين الله الأبهى جمالًا من جميع البشر، ونسجد للمخلّص الذي سيحتضننا. ستتعرّف على الحياة الحقيقيّة، الحياة المباركة. وسنعيش مع الملائكة الذين يخدمون الله، ويخدمون نفوس الصدّيقين أيضًا.

١٢. بولس سيدهم، **الأبديّة! هل تفكّر فيها؟ وأين ستقضيها؟**، في **مجلّة شمس البرّ**، ١٣ (١٩٦٢)، عدد ٨، ص ٦-٨.

هناك حياتان: واحدة محدودة والأخرى غير محدودة. الأولى تبدأ مع الميلاد والأخرى تبدأ مع الموت.

في الحياة الأبديّة، كلّ يوم هو بداية جديدة، فهي دائمة دوام الله. لكنّ السؤال هو أين وكيف تُقضى تلك الأبديّة. يُجيب الكاتب **ببطلان المَطهَر**، ليعرض مكانين، **مكانين فقط: الفردوس** للأخيار **وجهنّم** للأشرار. في **الفردوس**، تكون الحياة بلا نهاية، والنور بلا نيِّرة، والمجد والعظمة، مقام الصدّيقين ونعيم الله. **أمّا جهنّم** فهي: الموت بلا فناء، الليل بلا نهار، الظلمة واللهيب، الخواء والعار والشنار، مقام الأشرار، طبقة النيران.

١٣. سعد ميخائيل، **الحياة والخلود**، في **مجلّة رسالة المحبّة**، ٢٨ (١٩٦٢)، ٢٥٨-٢٥٩.

الموت مخيف ومُرعِب للناس، لكنّ المسيح قهره. لذلك، المسيحيّ الحقيقيّ لا يخاف الموت ولا ظلام القبر. المسيح بانتصاره على الموت **فتح لنا باب الأبديّة**.

١٤. كاتب مجهول، **طبيعة نار جهنّم**، في **مجلّة نهضة الكنائس**، ٢١ (١٩٦٢)، ٥٢-٥٣؛ ٨٣-٨٤.

إنّها نار حقيقيّة، وليست هناك نار أكثر منها هولًا. نار تحرق النفوس دون أن تفنيها. وكما أنّ الملح لا يفني الأجساد بل يحفظها، كذلك أيضًا نار جهنّم تعذّب النفوس دون أن تأكلّها: مت ٤١:٢٥؛ رؤ ١١:١٤.

١٥. حكيم جريس، **نعيم الأبرار**، في **مجلّة نهضة الكنائس**، ٢١ (١٩٦٢)، ١٨٦-١٨٧؛ ٢٠٧-٢٠٩.

الأبرار هم في شركة مع الله ويعاينون جلاله: مز ٢:٤٢؛ ١تيمو ١٦:٦؛ يو ٥:١٤؛ مز ٩:٣١؛ ١ يو ٢:٣. وإذ يعاين الأبرار الله وجهًا لوجه، فهم ينعمون بالسلام والسعادة.

الفصل السابع

التقييم العقائديّ

١- اعتبارات مبدئيّة:

الجزء الوثائقيّ الذي تمّ تنفيذه حتّى الآن تضمّن ستّة فصول مقسّمة إلى ٩٦ مادّة: الإثنولوجيا (ف١: ١-١٢)، الكتابات المنحولة (ف٢: ١-١٩)، سير القدّيسين (ف٣: ١-١٤)، الكتابات اليدويّة (ف٤: ١-٧)، الليتورجيا (ف٥: ١-١٨)، اللاهوت (ف٦: ١-٢٦). لم يتبقَّ لنا الآن سوى انتهاج عمل إجماليّ وتنسيقيّ مهمّته هي تقييم المعلومات العقائديّة المبعثرة فيما يقرب من ١٣٠ وثيقة قمنا بتحليلها في الجزء الأوّل، بغرض التعرّف بطريقة تقريبيّة على الملامح الحقيقيّة للكنيسة القبطيّة فيما يتعلّق بعلم الأخرويّات المسيحيّ. سيكون هذا مضمون الفصل السابع، الذي يتضمّن ٧ موادّ أخرى. ولتبسيط المرجعيّة، بدون تكديس وحشر للملاحظات، سنقوم بعد كلّ نصّ، بوضع رقم **الفصل** بين قوسين يليه رقم **المادّة** التي استخلصناه منها على النسق التالي: (ف١: ١) = الفصل الأوّل، مادة ١.

إنّ الحالة موضوع بحثنا قد وضّحتها الكنيسة القبطيّة بمصطلح عقائديّ صريح للغاية. وفي الواقع المناقشة التي موضوعها «**حالة النفس بعد الموت**» (ف٣:٤)، تلك التي دارت بين الأنبا أنطونيوس أبي الرهبان وبعض محاوريه، كانت حافزًا لفكر العديد من النُسّاك المصريّين. فالقدّيس باخوميوس أراد أن يعرف من مَلَكَين نورانيّين «**كيف تخرج نفوس الأبرار من أجسادهم**»، ثمّ «سألهما أيضًا كيف تخرج

نفوس الخطأة من الأجساد» (ف٣:٥). أيضًا، الأنبا مرقس الترمقيّ طلب من الله أن يكشف له **المصير المختلف** الذي يكون للنفوس في الحياة الأخرى، بناءً على اختلاف الإيمان الذي اعتنقوه في هذا العالم: «في يومٍ ما طرأ على فكري شأن نفوس البشر: نفوس الأبرار ونفوس الخطأة، الوثنيّين والجاحدين،... فأردتُ أن أعرف بأيّة طريقة تسوقها الملائكة بعد خروجها من الأجساد؛ وفي أيّ موضع تسكن نفوس الأبرار والذين آمنوا، وأين تكون نفوس الأشرار وغير المؤمنين. هل ذهب الذين آمنوا إلى الملكوت، والأشرار إلى عقوبات جهنّم؟ لمّا كانت تراودني هذه الفكرة كنت أنهضُ وأُصلّي لله من المساء حتّى الصباح. كنت أتضرّع إليه في كلّ ليلة بشأن هذه المسألة، كي يكشفها لي» (ف٣:١٢). أمّا الأنبا مقّاره فيتجاوز ذلك الحدّ فيسأل مَلَكَين أن يُعرِّفاه الدافع إلى الصلاة من أجل الراقدين: «لقد وضع معلّمي الكنيسة للمؤمنين أن يقدّموا لله قرابين في البيعة عن المتنيّحين في يوم الثالث والسابع ويوم الأربعين فلأيّ سبب يفعلون ذلك وأيّ منفعة للنفس التى قد انتقلت من هذا العالم بهذه القرابين؟» (ف٣:٦).

ذكرنا هذين السؤالين على سبيل المثال، بيد أنّ هناك مراجع عديدة في التقليد القبطيّ منذ بداياته وحتّى يومنا هذا. ما يهمّنا ليس السؤال فلا صعوبة فيه، لكنّ المشكلة تكمن في الإجابة المعطاة على السؤال. لقد أجاب كُتّاب أقباط عديدون جدًّا على هذا السؤال على مدار ١٩ قرن. وقد استلهمت إجاباتهم فكر تيّارات مختلفة متفاوتة للغاية. نظرًا إلى هذا التفاوت، كما هو متوقّع، سيكون من السهل جدًّا إصدار حكم عامّ بشأن عقيدتهم بشأن الأخرويّات. وفي الوقت نفسه، على الأقلّ

لكي لا نتسرّع، الأمر يتطلّب توضيح نقطتين أوّليّتين ضروريّتين: الأولى عن الكُتّاب، والثانية عن عقيدتهم.

الكُتّاب: كلّهم أبناء الكنيسة المصريّة، وبناءً على هذا فهم وحدة واحدة. لكنّهم يتناولون مسألة لم تتّخذ الكنيسة موقفًا تجاهها، وبالتالي كتاباتهم صدرت بناء على استقلاليّة تامّة. وبهذا الشكل المختلف صارت تعدّدية الآراء، ممّا يعكس استقلاليّتهم أكثر ممّا يعكس وحدة رأي الكنيسة بشأن عقيدتهم عن مصير النفوس، وبالتالي سيكون الرأي متفاوتًا أكثر منه متجانسًا. في الواقع، الكتابات التي تفحّصناها ليست نتاجًا فكريًّا لعصر ما، أو تيّار واحد فقط، أو حكم أصدرته السلطة الكنسيّة: بل تمثّل نتيجة ١٩ قرن من التقليد المتحرّر نسبيًّا. البعض منها يعكس تيّارات فكريّة مصريّة قديمة وغير مسيحيّة، وبعض آخر الفكر الغنوصيّ، وبعض ثالث فكر الخلاص العامّ للجميع (الأبوكاتاستاسيس)، وآخر يعرض مواقف الآباء بكلّ ملامح عدم الدقة المعروفة، وبعض آخر أيضًا تناولوا المسألة بنوعيّة من الجدل العقيم. وبالتالي لا يمكن أن يكون رأي الواحد هو رأي الآخر، لكن للتبسيط ولما يخدم غايات دراستنا هذه، يُمكننا تصنيف الكُتّاب الأقباط إلى نوعيّتين: التقليديّون (القرون ٢– ١٨) والجدليّون (القرنين ١٩ و٢٠). ولن نضع في حسباننا صيغة الوفد القبطيّ لدى البابا إكليمنضس الثامن، المطابقة تمامًا للدستور (*Benedictus Deus*) «تبارك الله»، بل تلك التي وقّعوا عليها فقط (ف٦:١٥).

النوعيّة الأولى من الكتاب تمتزج في كتاباتهم في بعض الأحيان العناصر الحقيقيّة بالأخطاء أو عدم الدقة في تأريخ العصور ذات الصلة بما يذكرونه، ولا يزال جزء كبير منها اليوم متداولًا في أيدي الشعب، بدون تمييز. من ناحية أخرى لا يتغلّب العداء عليها. وباعتبارها متمسّكة بالليتورچيا، فإنّها هي الأكثر تعبيرًا عن اتّجاه الكنيسة. وبطبيعة الحال، ستكون قيمتها الداخليّة من قيمة النوعيّة الأدبيّة التي تنتمي إليها الوثائق. بالتالي الكتابات المنحولة لن ترقى لمرتبة السِيَر، ولا هذه ترقى إلى مرتبة اللاهوت أو الليتورچيا. **الخلاصة المؤكّدة** هي أنّ هذا التدرّج في القيم، هو الذي سنعتمده في عرضنا، حتّى وإن كنّا سنذكر المراجع وفقًا لضرورات الحجج.

أمّا النوعيّة الثانية، وهي السائدة في العصر الحديث، فهي باهتماماتها الجدليّة تقف ضدّ الكاثوليك، وتتطرّف إلى طرق التفافية أليمة: فإمّا تتجاهل وثائق التقليد الأصليّ أو تغيّرها، وتعمد أسلوب المعارضة بعناد. نقطتا الخلاف، كما هو معروف، هما الدينونة الخاصّة والمَطهَر. إنّهم يعتبرون هاتين النقطتين استحداث لا بُدّ من إنكاره ببساطة لأنّ الكاثوليك قد توصّلوا إلى تعريفه ووصفه. سليدس علم ينكرهما لمجرّد الجدل مع الكاثوليكيّ فرنسيس بدروس (ف ٦:٢٢) رغم أنّه فيما بعد وجد صعوبة في تحليل المراجع الليتورچيّة (ف ٦:٢٢). والمنفلوطي يرفض الاعتراف بهما لأنّه لا بُد وأن يدحض مزاعم الكاثوليكيّ الأبّ/ حنّا نوير (ف ٦:٢٥). أمّا سلامة (ف ٦:١٨) وعيد بطرس (ف ٦:٢٣) فيشيران إلى كافّة العناصر لدعم حالة ثلاثيّة: الفردوس للصالحين وجهنّم للطالحين والمَطهَر للذين لم يبلغوا كمال النقاء. مع ذلك يستلهمان الجوّ السائد، فيخلُصان إلى الاستنتاج مثل الجميع : أنّ الجزاء سيكون بعد

الدينونة الأخيرة. أمّا الطامة الكبرى فهي حين يسيئان لتقليدهم ولصلواتهم الطقسيّة فيأخذهم المسعى إلى تشويه نصوص تقليدهم وليتورچيّتهم لكي تتّفق مع آرائهما الشخصيّة، بدلًا من إعادة صياغة آرائهما لكي تتوافق مع التقليد والليتورچيا. أيضًا، ابن سباع في القرن الرابع عشر، في كتابه **الدرّة النفيسة** خصّص لمسألة الراقدين فصلًا بكامله، فَصَّلَ فيه أيّام الترحيم أو الصلوات من أجل الراقدين، وبرّر هذه الممارسات بسببين وجيهين. سبب من أجل الراحل: «**ممّا يوجب له من الله الرحمة**»، والثاني من أجل الأهل الباقين: «**لتشعر أهل الميّت أنه رُحِمَ من الله فتسلّوا وتعزّوا عن فقده برحمة الله إليه**» (ف٦:١٣). لكنّ مرقس جرجس، الذي أعَدّ نسخة من كتاب **الدرّة النفيسة** في مطلع القرن الحاليّ، تدّخل فيه واقتطع منه واختصر أيّام التذكارات وتفلسف في بيان أسباب الصلاة من أجل الراقدين. حيث كتب: «لأنّ الصلاة والتقديس مع رفع القرابين **ممَّا يعزّي ويسلّي أهل المتوفَّى** ويلهمهم الصبر على فقده» (ف٦:١٣، حاشية). وبطبيعة الحال، صدرت نسخته مغايرة للنصّ الأصليّ الذي كتبه ابن سباع، الذي سطّر بالتحديد والترتيب: إنّ الصلاة من أجل الراقدين تُحرِّك رحمة الله، فتُخفّف رحمة الله عن المتوفَّى، وهذا التخفيف عن النفس يؤدّي إلى سلوان الأهل الباقين وتعزيتهم. لكنّ مرقس جرجس كي يُحرز انتصارًا على الكاثوليك، شوّه النصّ، إذ اقتطع منه ما يؤيّد خصومه، واستبدله بحجج معارِضة، فقدّم للقراء صورة مشوّهة لابن سباع ووضع على لسانه ما يتّفق أكثر مع موقفه الشخصيّ. هذه التصرّفات المقصودة عمدًا لم تنجو منها الليتورچيا أيضًا، فالصلوات الساميّة من أجل راحة نفوس الراقدين التي

تتضمّنها، حين لا يستبدلها ويغيّرها الناسخين الحدثاء، تُفسر في ضوء الجدليّات المعاصِرة المُعتِم. أمّا فعاليّتها فيقول عنها الأنبا لوكاس أنّها تؤثّر في الراقدين من وجهة نظر الأحياء، أي «لكي يستريحوا من آلام "قلق المحبّة"، لأنّهم في حالة قلق شديد من أجل أحبّائهم المجاهدين على الأرض» (ف٦:٢٧، بند ٦). مثل هذا الأسلوب، كما هو واضح، قصده التعتيم على الحقيقة وليس اكتشافها. بل وبالإضافة إلى ذلك، يجعل مهمّة اكتشافها من جديد مسألة في منتهى الصعوبة. غاية في تبسيط تقييمنا ينبغي أن نتبع **القواعد** التي سيرد ذكرها لاحقًا.

العقيدة: تتكرّر حرّيّة الكُتّاب في كتاباتهم عن العقيدة أيضًا، فهي بمثابة نتيجة. لذلك، فإنّ أيّ دراسة تهدف إلى وضع تنظيم للإيمان الإسكاتولوجيّ للأقباط، تُخاطر بأن تكون **جزئيّة** ما لم تضع في الاعتبار العصور، والتأثيرات والاتجاهات الواجبة التوضيح. فضلًا عن أنّ كلّ هذا، سبق وأن نبّهنا إليه في مقدّمة هذا العمل. في عصرنا الحالي، على سبيل المثال، يمكن القول بإيجاز أنّ الأقباط يتّخذون موقفًا ثلاثيًّا: ١) **ينكرون** الدينونة الخاصّة والمَطهَر. ٢) **ليسوا على يقين وغير محدّدين** في تعليمهم بوجود الثلاثة حالات: الدينونة، والثواب والتطهير، في الفترة الممتدّة من الوفاة حتّى الدينونة العامّة. ٣) **واضحين ومتّفقين** في الحديث عن الدينونة العامّة والجزاء الأبديّ الذي يتبعها، وعن جهنّم والفردوس. لكنّ بمقارنة كلّ واحدة من هذه الأقوال مع نظيرتها في عصور سابقة، بل وأيضًا في نصوص الليتورجيا، قد يوجد تناقض أو تغيير. فها هو تصريح عيد بطرس: «إنّ الكنيسة الأرثوذكسيّة تعتقد بأنّ الموضع الذي تكون النفوس فيه هو بمثابة مستودع تبقى فيه النفوس

انتظارًا ليوم القيامة العامّة، أي حتّى **الدينونة العامّة**». ثمّ يُقَسِّم المستودع إلى ثلاثة أقسام: قسم للصالحين، وقسم للمُدانين، وآخر للذين تلوّثهم الخطايا الخفيفة التي سينالون الحلّ منها في يوم الدين (ف٦:٢٣). لكنّ عيد بطرس بإنكاره للدينونة الخاصّة، لا يتوصّل لبيان سبب الحالات الثلاثة؛ وبإنكاره للمَطهَر لا مفرّ من وقوعه في مصيدة التناقض مع ذاته حيث أنّ الحالة الثالثة من الثلاثة تعادل المَطهَر. ولكن غالبًا ما تؤكّد الوثائق القبطيّة الأقدم وجود الدينونة الخاصّة، مع الأخذ في الاعتبار تنوّع وقتها: فإمّا بعد الوفاة مباشرة (ف٢:١٦؛ ف٣:٨-٩)؛ أو بعد ثلاثة أيّام من الوفاة (ف٢:٢؛ ف٢:١٢؛ ف٦:٨)؛ أو يوم الأربعين (ف٢:١٧؛ ف٣:٦). كذلك أيضًا، يدور الحديث عن المَطهَر بتوسّع أكثر (ف٢:٥؛ ف٢:٦؛ ف٢:٩؛ ف٢:١٢؛ ف٢:١٤؛ ف٣:١٥-١٦؛ إلخ). بنفس معيار **السببيّة**، سنجد كافّة الأقوال القبطيّة المتعلّقة بالأخرويّات، وهذا ما سنراه في البنود التالية. سنكتفي هنا بتحديد ثلاثة قواعد توجيهيّة، تساعدنا على التقليل من اللَّبْس وسوء الفهم خلال الفحص المنهجيّ للكتابات المتعلّقة بالأخرويّات، كلّ على حِدَة.

القاعدة الأولى تتعلّق بالكُتّاب: عدم اعتبارهم متحدّثين باسم الكنيسة؛ بل ربط كتاباتهم بالحقبة التي عاشوا فيها ويعكسون توجّهاتها؛ وذلك فقط بهدف رفع مستوى تعليمهم إلى خطّ التقليد، وفقًا للواقع الذي ينعكس فيه تيّار تقليديّ، أو التأثير الذي يمارسه حتّى تتمّ مصادقته من قِبل التقليد في وقت لاحق أو من قِبَل السلطة الكنسيّة.

القاعدة الثانية تتعلّق بالعقيدة: إملاء المفهوم الدقيق لكلّ عنصر من عناصر الأخرويّات بناءً على البيانات الجوهريّة وحدها، بدون تفاصيل التوجّهات، ومقارنة الوثائق القبطيّة بالمفهوم الجوهريّ، بما يتّفق مع الحِقَب والمدارس الفكريّة، على أن ينتهي النقاش بالتوضيح الذي قد تأخذ به الكنيسة في تعليمها الرسميّ، المعبّر عنه في الليتورجيا المقدّسة، وفي مجموع القوانين، وفي كتابات أولئك اللاهوتيّين التي تُرجّح على الكتابات الأخرى، بسبب سلطتهم أو كثرة عددها.

القاعدة الثالثة تتعلّق بطريقة التنقيح: التناقض في دراسة علم الأخرويّات القبطيّ يقوم على أساسين: نقصان الدقّة في المفاهيم، وروح الجدل المُفرِط. الأساس الأوّل نشأت منه مختلف المواقف العقائديّة للكتّاب الأقباط، مقارنة ببعضهم البعض. والأساس الثاني هو منبع معارضة الكنيسة الكاثوليكيّة. نقصان الدقّة في المفاهيم يمتدّ لجميع عناصر الأخرويّات، حتّى وإن كان ذلك بقدر مختلف، وهو نقطة مشتركة في كافّة وثائق التقليد القبطيّ. ومن ناحية أخرى، هذه الوثائق تتضمّن العناصر الأساسيّة لعلم أخرويّات سليم وكامل، رغم أنّها مبعثرة هنا وهناك، وحتّى وإن كانت الصيغة والشكل عتيقين. أمّا روح الجدل المضادّ للكاثوليك، فكُتّاب العصر الحديث (القرنين ١٩-٢٠) هم الذين يشعلونه وينحصر في الدينونة الخاصّة والمَطهَر. بناء على هذا الوضع وجدنا أنّه ينبغي الاكتفاء في المقالات اللاحقة باتّباع طريقة إعادة ترتيب الأوراق في عرض عناصر الأخرويّات كلّ على حدة باستثناء الدينونة الخاصّة والمَطهَر. فهذين العنصرين الأخيرين يتطلّبان، للسبب السالف ذكره، معالجة أكثر تدقيقًا وفي الوقت نفسه تُسلّط الضوء على الإيجابيّات

التي لصالحهما في التقليد أيضًا، وكم من الأسباب جعلت علماء اللاهوت في العصر الحديث يفصلونهما عن بقية العناصر الأخرويّة التقليديّة.

٢- الموت:

١. المفهوم:

المفهوم الأنتولوجيّ هو الذي يفرض الفصل بين العنصرين المكوّنين للكائن البشريّ. فيلوثاوس عوض قدّم هذا التعريف للموت: «الموت هو انفصال النفس العاقلة عن جسدها» (ف١٩:٦). ووثائق التقليد لا تخلق صعوبة تذكر في هذا الصدد. إذ أنّ وصف نياحة مريم يحمل نفس التعريف: «حينما رأت العذراء القدّيسة الموت بعينيها، صعدت نفسها من جسدها متوجّهةً إلى حضن ابنها الحبيب» (ف١٥:٢). وفي **قصة يوسف**، صلاة الأبّ القدّيس الأخيرة تعبّر بكلّ تلقائيّة عن الفكرة عينها: «الآن، دَع يا ربّ، ملاكك يبقى بجوار نفسي وجسدي: إلى حين أن ينفصلا» (ف١٦:٢). فضلًا عن إرفاق العنصر المسيحيّ: «الموت... ليس موتًا بل حياة أبديّة» (ف١٥:٢؛ ف١٦:٢). أمّا سعد ميخائيل فيقدّم سببًا لهذه الحقيقة، بالتطبيق الأدبيّ: الموت مخيف ومُرعِب للناس، لكنّ المسيح قهره. لذلك، المسيحيّ الحقيقيّ لا يخاف الموت ولا ظلام القبر. المسيح بانتصاره على الموت فتح لنا باب الأبديّة. (ف٦:٢٧/ ١٣).

إنّ سُنّة الموت هي **سُنّة عامّة**. فقد مات المسيح، وماتت مريم، ومات الصدّيقين جميعًا، وسنموت نحن، ويموت الجميع. وقد قال ابن المقفّع: «إيليّا وأخنوخ حتّى

ولو طال أجلهم وجب أن يموتوا. وحين يأتي الملاك سيموت كل من كان حيًا
الموت الطبيعي» (ف٦:٩).

٢. العناية بالجثة

الجسد بعد انفصال النفس عنه يستمرّ في كونه موضع عناية خاصة لدى المصريين. يغسلونه ويُدهن بالزيت ويُعطّر ويُكفّن. كلّ هذا معًا هو تركيبة تراث عرقية ووجدان مسيحيّ. فالكفن والزيت هما إشارة مباشرة لعادات عتيقة مثل التحنيط لدى المصريّ القديم وكفن لعازر: «فخرج الميْتُ مشدودَ اليدَين والرجلَين بالعصائب، ملفوفَ الوجهِ في منديل» (يو ١١:٤٤). وبعد مراسم الجنازة التي تتم أولًا في البيت وبعد ذلك في الكنيسة يُنقل إلى المدافن، حيث يُدفن بإكرام (ف١:٤ وما بعده).

القمص يوحنا سلامة يُعلّق على تلك المراسم بقوله إنّها ليست مستوحاة من الخرافات، بل أعمال رحمة مسيحية حقيقيّة (ف٦:١٨). وابن العسّال يذكر حججًا من الكتاب المقدّس (ف٦:١٠). هذا يعني أنّ الاجتهاد والجدية في العناية بجسد المتوفَّى ليس للجسد في حدّ ذاته إذ قد صار مادّة خاملة، بل لسببين آخرين. السبب الأوّل هو أنّ الجسد كان مسكن النفس، والثاني من أجل القيامة الآتية، حين تتحد به النفس من جديد. السببان اللذان يتفرّع أحدهما من الآخر، يقومان على أساس متين في التقليد المصريّ. ففي أزمنة مصر القديمة أمكن القول بأنّ الموت يجعل الرباط الذي يجمع عنصريّ الكائن البشريّ مرتخيًا لكن لا يُبطله. لدرجة أنّهم كانوا يضعون تابوتًا آخر فارغًا بجوار تابوت الميْت، لكي يستضيف الروح التي تأتي

لزيارة جسدها من حين لآخر. ذلك المعتقد لم يتلاشى تمامًا البتّة، فممارسة صرف الروح الخالية التي تُقام في اليوم الثالث للوفاة (ف١:٢-٣)، والزيارات الدوريّة للمدافن (ف١:١١) تُعيده إلى الذاكرة. أيضًا ظلّ الاعتقاد مستمرًّا بأنّ انفصال النفس عن الجسد ليس إلّا أمرًا زمنيًا مؤقتًا، وأنّ تمام الزمان يحدث بالقيامة وحينئذ يعود الجسد عينه والنفس عينها إلى الاتحاد من جديد ليكوّنا الإنسان عينه الذي اختطفه الموت. وبناءً على هذا المعتقد كان القدماء يقومون بتحنيط الأجساد (ف٤:١). والأقباط يعتنون بالأجساد بدافع من الإيمان المسيحيّ بالقيامة.

٣. مسار رحلة النفس:

لا يزال حيًّا في مصر تقليد سابق للمسيحيّة، ظلّ حيًّا مع المسيحيّة ولا يزال حيًّا حتى الآن، ألا وهو أنّ النفس بعد انفصالها عن الجسد عليها أن تسلك مسار رحلة طويلة مليئة بالأخطار (ف١:٨). نقطة الانطلاق هي مكان الوفاة، ونقطة الوصول هي قاعة المحاكمة الإلهيّة.

في الأيام الثلاثة الأولى تُترك النفس على حرّيتها، ويُبرّرون هذا بسبب إنسانيّ: كي يمكنها أن تُحلّق فوق جسدها، إمّا في البيت أو في القبر، فتواصل تمتّعها بقربه. ثمّ أنّ النفس الصالحة تستفيد من هذا بالعودة لرؤية الأماكن التي مارست الفضائل فيها. هذه التفاصيل منقولة عن الأنبا مقار، من القرن الرابع (ف٣:٦). بَيْدَ أنّ المعتقد في جوهره متأصّل في الليتورجيا المقدّسة التي رسّمت طقس اليوم الثالث الذي يُطلق عليه رفع الحصير (ف٤:١٢) أو صرف الروح (ف١:٢-٣).

تتّخذ الروح بعد صرفها مسيرتها تحت الأرض التي تعترضها الأنهار والحواجز هنا وهناك. وأينما سارت تنصب لها الفِخاخ في طريقها الشياطين الذين يحلّقون في الجوّ والحيوانات المفترسة، مثل الحيّات والتنانين والنمور والأسود الذين يسكنون في الكهوف المظلمة. كما تمتدّ أمام مسيرتها أنهار وبحيرات النار (ف٢:١٤). أيضًا من حين لآخر يقابلها باب يقوم على حراسته وحوش مسلّحة بالسكاكين، ومواضع جباية تقوم عليها كائنات تُثير الرعب، ينبغي على النفس أن تقدّم لهم حسابًا عن أعمالها حتّى يمكنها مواصلة المسيرة وبلوغ مصيرها. هذا الواقع يُرعِب النفس. مريم العذراء ذاتها، وفقًا لما ورد في **رؤياها**، اختبرت الفزع: وخافت «جُباة أمتي (الجحيم)... من تنّين الهاوية... من خُدّام الهاوية». فضلًا عن أنّها توسّلت لابنها «نهر النار.. دَعه لا يحرق نفسي حين أعبُرُ فوقه» (ف٢:١٥). القدّيس يوسف أيضًا، وفقًا لما روته **قصّته**، خاف من «ذوي الوجوه المُختلِفَة.. الموجودين عند الأبواب». خاف من نهر النار ومن الشرّير، ألّا وهو «الشيطان، وخلفه الكثير من مساعديه المكتسين بالنيران، بأعداد لا تُحصى، ينفثون الدخّان والكبريت من أفواههم... أولئك الممتلئين ضراوة ضدّه: وكم هي وجوههم مُتلظّية تجاه جميع النفوس التي تخرج من الجسد» (ف٢:١٦).

المُرشِد المأمون هو أفضل ما يمكن للنفس الحصول عليه في مثل هذه الظروف. والله، إذا كانت جديرة، يضع تحت تصرّفها الملاك ميخائيل، وفي كثير من الأحيان جبرائيل أيضًا، ويكونا مسلّحين بسيف لقتل العدوّ الذي يتّخذ هيئة التنّين ويسُدّ

الطريق. في حالة القدّيس يوسف، يسوع يتوسّل إلى الآب قائلًا: «ليرافق ميخائيل وجبرائيل نفس يوسف أبي طوال عبورها دهور الظلام السبعة» (ف٢:١٦). الحديث عن دهور الظلام السبعة يبين تأثير تيّار الغنوصيّة (المعرفيّة)، الذي نلاحظه أيضًا في أيّة إشارة أو تلميح لرحلة النفس. لقد تكلّم أوريجانوس بصراحة ووضوح عن الغنوص أو المعرفة، فقال إنّ النفس ينبغي أن تنتقل من قفزة إلى أخرى، من طبقة إلى أخرى، إلى أن تتحصّل على معرفة كلّ شيء. حينئذٍ فقط تصير أهلًا للمثول بقرب الخالق (ف٦:٢). **حكمة الإيمان** (*Pistis Sophia*)، ذلك الكتاب الذي ظهر في نفس الحقبة الزمنيّة، يقول إنّ مَلَكَين يستخرجان النفس من الجسد، ثمّ «يقضون ثلاثة أيّام يجعلونها تتجوّل فيها ويُعلّمونها بشأن مخلوقات العالم» (ف١٢:٢). أمّا **رؤيا القدّيس الأنبا باخوميوس**، من القرن الرابع، فهي إثبات على أنّ التأثير الغنوصيّ لم يكن قد خبّأ بعد: النفس ينبغي أن تعبُر الخليقة بكلّ أقاصيها لكي ترى كلّ شيء، وتعرف كلّ شيء، لكي تُمجِّد خالق الجميع بوعيها (ف٥:٣). لكن **رؤيا الأنبا مقّار** تقتصر على ركن منظور أكثر ارتباطًا بالأخرويّات: مسار الرحلة بكامله يمتدّ طوّال أربعين يومًا: ثلاثة على الأرض، وسبعة للفردوس وثلاثين لجهنّم. وبعد ذلك الدينونة. في غضون ذلك، بعد أن تكون النفس قد عاينت العالم كلّه وعرفته يمكنها أن تتعرّف على ما خسرته أو ما اكتسبته بأعمالها (ف٦:٣).

بَيْدَ أنّ الروايات القبطيّة ضاربة جذورها بتوسّع كبير في التقاليد المصريّة القديمة. ففي نقوش أحد شواهد القبور من القرن الثامن، نفس المسيحيّ قوزما

تنوح من جرّاء إبحارها الطويل فيما بعد القبر: «كم أنتِ طويلة أيّتها الرحلة إلى الخارج! أيّها الإبحار العسير فيه بلوغ الميناء!» (ف٤:٣). كما أنّه في كتاب الموتى المصريّ هناك وصف لتطلّعات النفس المرتحلة على متن مركب الشمس وتجتاز نفس الظروف الكئيبة: «دعوني أبحر في قاربي، في سلام، في سلام» (ف١:٨). إنّها ترغب في السلام، لأنّها تخشى الاستجواب بشأن **معرفة** الأشياء التي شاءها الإله، تخشى الأسد عاكر والتنّين أبوبيس، تخشى التدمير في إقليم مِسكت أحد الأقاليم الجهنّميّة الاثنتي عشر (ف١:٨). كما تخشى أيضًا **قنوات النيران**، بحيرة النار، أقاليم النار، **الحيّات** ذات الأفواه الناريّة، المتأهّبة لافتراس أعداء أوزيريس؛ **حُرّاس البوابات**، الذين يعاقبون النفوس عند كلّ امتحان، يخضعون له عند دفع الجباية. حينئذٍ تدعو النفس شِبه اليائسة قائلة: «لا تتركوني بلا حماية، لكي لا أفنَى» (ف٢: **المقدّمة**). وتُرسل الحماية للنفس بأشكال مختلفة مع اختلاف العصور: سيت ممتطيًا جوادًا متسلّحًا بسيفٍ، حورس بنفس الأسلوب، أنوبيس بالصولجان، قِطّ رع مسلّحًا بسكّين (ف١:٨؛ ف٢: **المقدّمة**).

بالطبع، الأقباط المعاصرون لا يعون هذا الواقع، الذي هو نتيجة دراسة مُقارِنة. بل يتمسّكون بالممارسة حتّى ولو كان ذلك بلا تفسير. هذه واحدة من الحالات الكثيرة في علم الأنثولوجيا. إنّه امتداد طويل لعناصر لا تُنسى منقولة عن الأسلاف، عادت لتطغى على الحضارات الجديدة، التي تعاطفت معها وهكذا ظلّت حيّة. في قرى صعيد مصر يضعون عملة معدنيّة من فئة القرش في فمّ المتوفَّى قبل أن يدفنوه، لأنّهم يعرفون بصفة عامّة أنّه يمكنه استعماله، لكنّهم لا يعرفون أنّ لذلك

علاقة بالجباية فيما وراء القبر وبحرّاس البوّابات (ف٤:١). كذلك تزخر الأيقونات القبطيّة برسوم متكرّرة تصوّر القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة حاملًا سيفًا، مثل مار جرجس والقدّيس ديمتريوس الفارسان اللذان يطعنان التنّين بالرمح، لكن لا تخطر صورة سيت ولا حورس ببال أحد، بل يعتقدون في الأساس: إنّهم يحمون النفس (ف١:٨). كما أنّ الليتورجيا تحتفظ في طقس الدفن بصلاة مليئة بالذكريات العتيقة:

«نسأل ونطلب من صلاحك يا مُحبّ البشر عن عبدك (فلان) الذي قد خرج من الجسد. لكي ترسل أمامه **ملاك الرحمة**.. ليقدّموه إليك بغير خوف. جميع غلطات لسانه وكلّ زلّاته اتركها له.. لتبطل **قوّة المضادّ**. وليضمحلّ **حنق التنّين**. ولتُسَدّ **أفواه الأسد** ولتتفرّق **الأرواح الشرّيرة**. ولتنطفئ **نار جهنّم**... ولتُضيء **الظلمة المدلهمة**. ولتَسِرْ أمامه ملائكة النور. وليُفتح له **باب البرّ**.. أدخله **فردوس النعيم**» (ف١١:٥).

٤. تَدَخُّل الأرواح:

في ظروف الوفيّات يُسيطر عالم الأرواح على خيال الأقباط. السماء، الأرض، الأقاليم السفليّة، تزدحم كلّها بالأرواح الشرّيرة. فمنذ أن تمرّدَ سطانائيل تجاه الله، وجميع اتباعه.

«يحلّقون في الجو، يحلقون على الأرض، وبعض جاءوا يحلّقون في أنطرْطوس الطاحون» (ف٢:٤).

«alii in aëra, alii super terram corruerunt, alli ad Antartûs at-Tahûn pervenerunt».

وقد أجمع التقليد القبطيّ بكامله على هذه النقطة. لكن، لا يقتصر مجال العمل هنا على الأرواح الشرّيرة وحدها إذ يتدخّل الملائكة الأخيار أيضًا، فيدافعون عن النفوس بأمر من الله. إنّهم، وفقًا لما يقوله إكليمنضس الإسكندريّ، يساعدون في تثقيف النفوس (ف٦:١). في كلّتا الحالتين نجد قولًا مُعبّرًا. فعند موت الخاطئ يأتي «أمير الجحيم» ومعه شوكة ذات ثلاثة أسنان يغرسها في قلب المحتضر، ويواصل تعذيبه حتّى يستخرج نفسه ليأخذها. أمّا عند موت الإنسان الصالح، يرسل الله «داود بقيثارته وكذلك جميع مرنّمي أورشليم (السمائيّة) كيما تخرج النفس حين تسمع ترنيمهم». وفي الواقع، حينئذٍ تخرج النفس، وتجلس «على يدّ ميخائيل» وتطير إلى السماء بفرح (ف٣:١٣). يتّضح من هذا أنّه عند خروج النفوس من الأجساد يتجمّع خليط من الأرواح الصالحة والأرواح الشرّيرة يتشاحنان على امتلاكها (ف١:٣)، وبالطبع أعمال النفس، الصالحة أو الطالحة، هي التي تحدّد انتصار فريق على الآخر.

إكلّيمنضس الإسكندريّ، بميول غنوصيّة، يرى أنّ الأرواح الصالحة مهمّتها أن تقوم بتعليم النفس حتّى تتحصّل على المعرفة (الغنوص)، أمّا الشرّيرة، أسياد الظلمة، (tenebrarum rectores)، فمهمّتها تعذيبها (ف٦:١). لكن أوريجانوس يرى أنّ الأرواح الصالحة تتعرّف على النفوس إن كانت صالحة أو طالحة من الرائحة التي تفوح منها، فالصالحة يفوح منها عبير طيّب والطالحة «نتانة» وعفونة شديدة (ف٦:٢). وديديموس الضرير يُعلّم بأن الأرواح الشرّيرة «تحلّق في الجوّ» (ف٦:٤). أمّا القدّيس أباتيل فيستدعي في ساعة الموت الأرواح «السلاميّة» لكي

تبدّد قوّات الظلمة «التي في الجوّ.. وتريد إعاقة طريق رحلتي إليك» (ف٣:١٤/٣)، وبالمثل يفعل القدّيس أبانوب الراهب (ف٣:١٤/٦). كذلك أيضًا القدّيسة مريم العذراء توسّلت إلى ابنها بنفس المفهوم: «أتوسّل إليك، يا بني الحبيب، أن تُبعِد من أمامي جبروت الموت وقوّات الظلام. دع ملائكة النور يأتون إليّ» (ف٢:١٥).

في كثير من الأحيان ينحصر رسل الشرّ في اثنين فقط. والإسلام أيضًا يقول بملَكَين ويُسمّيهما منكر ونكير، مهمّتهما استخراج النفوس وضربها (ف١:٣). لكن من الخطأ أن يُقال إنّ الأقباط نقلوها عن المسلمين، فالتقليد القبطيّ يسبق مجيء الإسلام بأربعة قرون على الأقلّ. وفي كتاب **حكمة الإيمان** المَلَكان اللذان «يستخرجان النفس من الجسد» يُطلق عليهما أبيوت وتشارمون (ف٢:١٢). أيضًا في **رؤيا الأنبا باخوميوس** يُروى أنّه عند نياحة أحد الرهبان يقترب «مَلَكان بلا رحمة» ويبدآن «فى ضربه». وبعد ذلك يستخرجان «روحه البائسة» بأداة مقوّسة تشبه السنّارة. وينتهي الأمر بهما إلى أن يربطونها «في ذيل روح حصان»، لكي يغرقاها في «أماكن الظلام والعذاب أو في أعماق الهاوية حسب ما اقترفته من أعمال» (ف٣:٥). هذا التقليد عينه جمعه الأنبا شنوده في القرن الخامس، فقال بأنّ «المَلَكَين اللذين بلا رحمة» يربطان النفس في ذيل الحصان ويغرقانها «في هاوية جهنّم السحيقة» (ف٣:٨). لكن في القرن السابع يورد الأنبا بستاؤس القصّة من أصولها المصريّة القديمة على لسان مومياء تقول إنّ «ملائكة الغضب» استخرجوا الروح (روح المومياء) بخطاطيف، ثمّ ربطوها في ذيل حصان، لكي يقودوها في رحلة رهيبة تجاه

الغرب. حيث توجد هاوية سحيقة تموج في داخلها زواحف سامّة، وأفاعي سامّة، وأفاعي ذات وجهين وديدان طولها ١٠٠ ذراع. هناك اختبرت آلامًا شديدة، حتّى أنّ ألم لدغات العقارب «لا تُعَدُّ شيئًا مقارنة بأنياب تلك الوحوش» (ف٣:١٠).

الروحان الشرّيران يقابلهما روحين صالحين. إنّه مشهد منقوش على شاهد قبر عُثر عليه مؤخّرًا في الفيّوم يصوّر روحين صالحين يجاوران النفس بغرض الدفاع عنها (ف٥:٢/١). في العادة يُقال إنّهما ميخائيل وجبرائيل، اللذين كما هو الحال في رواية القدّيس الأنبا تادرس المشرقيّ «يمكثان عن يمين وعن شمال النفس» (ف٣:١٤/٢). بَيْد أنّه في كثير من الأحيان ينحصر الدفاع عن النفس في يدّ القدّيس ميخائيل وحده. فهو الملاك الذي يحمل سلاحًا الذي كما سبق وأشرنا آنفًا لديه الإمكانيّة والقدرة على تبديد كلّ القوّات المُعادية. أيضًا بعض الوثائق تتكلّم عن الملاك الحارس، كما هو الحال في قصّة القدّيس يوسف، الذي في نهايتها يتوسّل إلى يسوع قائلًا: «لا تسمح بأن يتّقد وجه الملاك الذي عهدتَ بيّ إليه منذ يوم كوّنتني إلى اليوم، غضبًا عليّ في المسيرة المتّجهة إليك» (ف٢:١٦). ووفقًا لرواية الأنبا شنوده، الله يكلّف ملاكًا خصوصيًّا بمرافقة المسيحيّ منذ المعموديّة حتّى الموت لكي يُقدّم لجلاله تقريرًا يوميًّا عن الأعمال التي يقوم بها هذا المسيحيّ (ف٦:٧). هذا التقرير يُقدّم إلى القاضي الأعظم الذي يتحتّم على النفس التي يقودها ملاكها أن تقف أمامه بعد رحلتها على الأرض ورحلتها الشاقّة فيما وراء القبر.

٥. مهمّة الأحياء:

أفراد العائلة، الأهل، النّدّابات، الفحّار والكاهن: هؤلاء هم الأشخاص الذين تقع على عاتق كلّ منهم مهمّة يؤدّيها تجاه المتوفَّى. وقد سبق لنا الحديث عن العناية الضروريّة بالجثّة من الغسل حتّى الدفن. أمّا العناية الضروريّة تجاه النفس فتنحصر في الترحيم أو الصلاة من أجل راحتها، وسنتناول ذلك في الفصل الخاص بالمَطهَر. سنكتفي هنا بالإشارة إلى المظاهر الخارجيّة التي تُشكل جزءًا من التركيبة الشائعة للتقاليد المصريّة عند الشعب.

الضجّة الصاخبة هي أوّل الأعراض وأوّل الدلائل الكاشفة عن حدوث حالة وفاة. فأفراد العائلة يستقبلون وفاة أحدهم بذلك الصراخ والعويل الذي يطلقونه والذي ينمّ عن اليأس أكثر منه تسليمًا. لكن يتحتّم عليهم أن يفعلوا ذلك كإعلان وتنبيه للجيران القاطنين حول بيتهم. وهم يفعلون ذلك كعادةٍ متوارثة عبر القرون، إذ أنّ هيرودوت يروي أنّه في القرن الخامس قبل المسيح كانوا يفعلون هذا. كما أنّ الآثار المصريّة القديمة تشهد بأنّ هذه الممارسة موجودة منذ آلاف السنين (ف١:١). العبارات التي لا رباط بينها والمتناقضة التي يتلفّظون بها، مثلًا : «هوّه ماماتش، أنتو جايّين تباركوا فرحه؟» أو «سبعي مات» لا تُفسّر بالمنطق بل بمشاعر اللحظة التي تتأرجح بين الذكرى العزيزة والواقع المُحزِن. العويل والبكاء، الملابس السوداء، العظات الجنائزيّة، التراتيل الطقسيّة باللحن الحزين: تلك أيضًا تنمّ عن خسارة حقيقيّة وفراق أليم (ف١:٥).

في بعض الأحيان يضاف **الرقص الجنائزيّ** (ف١:٥) لإضفاء المزيد من الكآبة على المشهد، وفي كافّة الأحوال تقريبًا مراثي **النّدّابات** (ف١:٧). المشاركون في الرقص هم أهل المتوفّى وأصدقاؤه. المشهد له سمة دعاء غامض، والنّدّابات هنّ نساء مستأجرات يُطلقن صيحات وصرخات اليأس ويزرفن الدموع بلا ألم ولا توجّع. أمّا العبارات التي يتفوّهن بها تكون مؤلمة حقًّا، لكنّها لا تحمل أيّة التعزية نبيلة من تعزيّات الإيمان المسيحيّ. إنّما هي موروثة من ديانات أخرى، اقتبسها الناس ببساطة دون تمحيص ولا تدقيق.

لقد سعت الكنيسة جاهدة بسلطانها ضدّ مثل هذه الخزعبلات، فعارضتها مستخدمة قول القدّيس بولس: «لا تَحزَنوا كَسائِرِ النَّاسِ الَّذينَ لا رَجاءَ لَهم» (١ تس ٤:١٢). وبالإضافة إلى ذلك فرضت القانون الوارد ضمن مجموعة ابن العسّال: «فعلى القريب ألّا يخرق ثيابه ولا ينتحب بالبكاء ولا يشعّث شعره» (ف٦:١٠). ولكن كلّ هذا بلا جدوي، فباستثناء طبقات المجتمع الراقية، كافّة العامّة مازالوا مستسلمين طوعًا لهذه العادة المقرّبة لقلوبهم.

هناك مظهر آخر من مظاهر الحزن عند أهل المتوفّى، ألّا وهو **الامتناع عن أمور معيّنة**. يمتنعون عن حلاقة اللحية، عن الاستحمام، عن الذهاب إلى الكنيسة، وعن الطعام. الأمر كأنّه تخلّي عن الحياة، تضامنًا مع القريب الذي اختبر الموت. ويمتدّ الصيام عدّة أيام، كما يتكرّر أحيانًا في أوقات تذكارات المتوفّى (ف١:٦). وفي مثل هذه الظروف تظهر رأفة الجيران، فهم الذين يهتمّون بالطعام ويأتون به بوفرة كأنّه اعتراض على معنى الصوم في الجنازة. ولا يخلو الأمر ممَّن يتجاوز الحدّ بإفراط

لدرجة أنّ **الدساتير الرسوليّة** (ف٢:١٨)، وكذلك أيضًا **قوانين الرسل** (ف٢:١٩)، قد شجبت تلك العادة السيّئة وأوصت: أنّه فيما يتعلّق بالطعام في الجنائز يجب أن تتحكّموا في ذواتكم حتّى يمكنكم الصلاة من أجل الذين غادروا هذا العالم.

حتّى الفحّار لم يُنسى في مثل هذه الظروف، فهو يفعل ذلك بدافع من الرحمة والتربح. فهو يعمل برأفة في مكان مقدّس، يُهيّء الحفرة للجسد الذي استضاف نفسًا مُفتداة، ويحرس القبور التي ستنفتح يوم القيامة. وهو ينتظر أيضًا أجرة عادلة على عمله، من أجل لوازمه الشخصيّة والعائليّة. وبالتالي على المسيحيّين أن يراعوا حقوقه (ف١:١٢). مع ذلك راعت القوانين الكنسيّة السلبيّات أيضًا: «وليُطعم الأسقف المهتمّ والمقيم هناك كيما لا يُثقِل على الآتين» (ف٢:١٩).

أمّا الشخص الذي يهتمّ بشكل مباشر أكثر بالأمور الروحيّة تجاه المتوفّى، فهو الكاهن. فهو الذي يفتقده حين احتضاره، وهو الذي يرافقه في دخوله الكنيسة لآخر مرة، وهو الذي يبارك القبر كي يضمن له المقرّ الأكثر استقرارًا على الأرض: حتّى قيام القيامة. الصخب والعادات الآتية من تقاليد غير مسيحيّة، الكاهن هو الذي يجعلها مسيحيّة. فحين يُلقي الأهل النظرة الأخيرة على الجسد الذي بلا روح، عند خروجه من البيت، يقوم الكاهن بتطهير هذه النظرة من معنى اليأس الوثنيّ ويُفسرها باعتبارها موعد للقاء في المستقبل. وكوداع أخير بجوار القبر، ينطق الكاهن هذه الكلمات: «إنّك تراب وإلى التراب تعود»، وهكذا يُعطى للموت سببًا من الكتاب المقدّس. كذلك أيضًا يستمدّ حججًا من الكتاب المقدّس لكي يهدّئ

روح الأحياء ويخفّف عنهم، ويدعوهم للصلاة لكي تُرافق الترقّي إلى مجال الجزاء السماويّ.

٣- الدينونة الخاصّة:

ينكرها الأقباط المعاصرين بينما تؤكّدها الوثائق التقليديّة، وإنكارهم مترتّب على إنكار المَطهر، اعتراضًا ضدّ العقيدة الكاثوليكيّة. أمّا تأكيد الوثائق فتلقائيّ وشكليّ من حيث مناسبته. الرأي النهائيّ بشأن موقف الكنيسة القبطيّة الحقيقيّ يعتمد موازين الحجج والذرائع.

١. المفهوم:

نعتقد أنّه من الضروريّ الفصل المبدئيّ بين جوهر الدينونة وشكليّتها. نقصد بالجوهر تمييز النفس في ساعة الموت بين الخير والشرّ، وبالتالي معرفة الجزاء العادل في موضع الأفراح أو موضع العقابات. بناء على هذا الطرح، الدينونة الخاصّة مقبولة لدى الأقباط كافّة، حتّى الذين يعترضون ضدّ وجودها. ففي الواقع الاعتراض، حين وجوده، يكون ضدّ شكليّة أو صياغة معيّنة. فالتمييز المذكور أعلاه قد يتحقّق بشكليّات مختلفة: إمّا بالمعرفة الذاتيّة أو بضياء إلهيّ، أو رؤيا ملائكيّة، أو باستجوابات مع المسيح في حضور الأرواح. هذه الشكليّات كلّها يمكن العثور عليها بسهولة في الوثائق القبطيّة: وبالطبع ليست كلّها في وثيقة واحدة. بَيدَ أنّ النتيجة متماثلة: وهي تُعادل تنفيذ حُكم: إمّا جهنّم أو الفردوس أو مكان متوسّط.

الشكليّة الأولى: المعرفة الذاتيّة. لميعة التي تناقشت معنا في نقادة بتاريخ ٢ يناير ١٩٦١، كانت محدّدة جدًّا في تعبيراتها. قالت عن الدينونة: «لا توجد دينونة خاصّة، لكن توجد الدينونة العامّة». وعند إصرارنا على السؤال: ماذا سيكون إذًا مصير النفوس قبل الدينونة العامّة؟ أجابت : «كلّ نفسٍ تتعرّف بعد الموت على الخير والشرّ الذي فعلته. من هذه المعرفة تتشكّل ثلاثة حالات: الفردوس، الموضع الذي ينعم فيه الذين ارتكبوا بعض الخطايا لكنّهم لا يستحقّون جهنّم، والموضع الذي ينتظر فيه الأشرار متألّمين» (ف١:١٢). هذه الإجابة، الواضحة كالشمس، يمكن تعميمها على جميع الأقباط المعاصرين. هكذا أجاب متري في القاهرة، وشفيق في أرمنت الحيط قال: «لا وجود للدينونة الخاصّة، فكلّ نفس عند الموت تعرف أعمالها، وبناءً على ذلك تشغل المكان المقابل لذلك، فتتنعّم أو تتألّم وفقًا لصلاحها أو لشرورها. الدينونة الأخيرة لا تُغيّر مصيرهم هذا، لكنّها ضروريّة من أجل الإعلان العامّ لاستحقاقات أو لعنات كلّ فرد» (ف١:١٢). بالمثل أيضًا اللاهوتيّون حين يعترفون بوجود حالتين متميّزتين للنفوس أو ثلاثة ينكرون الدينونة الخاصّة (ف٦:٢٣). سليدس ينكرها لسببين : لأنّ القدّيس مرقس لم يعلّم الكنيسة القبطيّة بها، ولأنّه من العدل أنّ النفس التي اكتسبت استحقاقًا وارتكبت خطيئة مع جسدها، مع جسدها أيضًا يحكم عليها وتنال الثواب أو العقاب (ف٦:٢٢). إنّه يشير إلى القدّيس مرقس، رغم كونها إشارة غير مجدية، ولا يشير إلى ابن العسّال الذي قدّم طرحًا كاملًا حول نعيم أو آلام النفوس التي انفصلت عن أجسادها (ف٦:١١)، بل ويُغفل التعليم السائد في كنيسته الذي يحفظ للنفوس موضعين على

الأقلّ: حيث تتألّم، وحيث تتنعّم، انتظارًا للقيامة. أمّا بانوب عبده فينكرها لأنه لا وجود للمَطهَر (ف٦:٢٦). ويسير منسى يوحنّا على نفس النهج، فيخبط خبطات لاذعة: الدينونة الخاصّة، ابتدعها باباوات روما، وقد اخترعوها لتبرير وجود المَطهَر. لكن لأنّ المَطهَر لا وجود له، بالتالي لا وجود للدينونة الخاصّة أيضًا (ف٦:٢٧/٩). لكن كليهما، مثل سليدس يُغفلون أنّه لتبرير حالتيّ النفس بعد انفصالها عن الجسد، الذي تُعلِّم به الكنيسة القبطيّة عامّةً، يتطلّب الأمر دينونةً مبدئيّة. بَيْدَ أنّهم في الواقع يقصدون إنكار الدينونة الخاصّة من حيث الشكليّة الرابعة. ينكرونها لسببين: اعتراضًا ضدّ الكاثوليك الذين يربطون بها وجود المَطهَر؛ ولأنّهم يفترضون كونها بديل للدينونة العامّة، التي يتحتّم الاعتقاد بها في الواقع عند مجيء المسيح وملائكته. لكن كما هو واضح، بما أنّ الافتراضات ليست متماسكة فبالتالي الإنكار باطل. زد على ذلك: المعرفة الذاتيّة التي تحدث للنفوس ويترتّب عليها من وجود المصير الثلاثيّ، الذي يعترفون به، يجعل إنكارهم يشوبه التناقض. وأخيرًا، كما سنرى، الوثائق الوافرة التي بحوزة الكنيسة القبطيّة بشأن الدينونة الشكليّة التي تقع عند وفاة كلّ إنسان، توصمهم على الأقلّ بالجهل حين ينكرونها باعتبارها هرطقة آخرين في حين أنّها حقيقة موجودة لديهم.

الشكليّة الثانية: **الضياء الإلهيّ**. المقصود به الاستنارة المحسوسة بالعبير الطيّب أو العفونة التي تفوح من النفوس. وملائكة السلام يقومون بحماية النفوس التي يفوح عبيرها الطيّب. ويقول أوريجانوس إنّه أحيانًا تقوم الملائكة الصالحة بتطهيرها من الرائحة السيّئة:

«تغمرها بالعبير السمائيّ الفوّاح الذي يبدّد عفونة الأفعال الرديئة» (ف٦:٢).

«suavitate coelestis odoris faetorem abieaae ab iis moralitatis corruptionisque depellunt».

وقد يكون هذا متأتّيًا من مفهوم الخلاص الشامل (الأبوكاتاستاسيس). تتكرّر أيضًا مسألة الرائحة الطيّبة أو الرديئة في رؤيا القدّيس الأنبا مقّار وبشكل أكثر تحديدًا. فلإرضاء رغبته في معرفة كيفيّة التمييز بين النفوس الصالحة والطالحة في ساعة الموت، قال له مَلَكَين: «اسمع يا مقّاره، مختار الله، أمّا النفس الخاطية فإنّ نتن رائحة أعمالها تظهر وهي بعد في الجسد وبعد الموت أيضًا أضعاف ذلك لأنّ أعمالها تظهر منها ويعلوها ظلمة وسواد فيظهر الأمر بهذا أنّ تلك النفس غير صالحة، وأيضًا الرسل الذين يأخذونها يكونوا قُساة وبلا رحمة. وكذلك أيضًا النفس الصالحة يظهر صلاحها وهي بعد في الجسد يعلوها ضياءً ونورًا عظيمًا فيظهر الأمر أنّ تلك النفس صالحة والرسل الذين يأخذونها يكونوا أخيارًا رحومين» (ف٦:٣). هذه الرواية تتضمّن كلّ عناصر الدينونة: النفوس الصالحة والطالحة هي المادّة، والنور والظلمة اللذان يرتبهما الله يُعادلا الحكم الصادر، والملائكة الرحومين بالنسبة للفئة الأولى والقساة بالنسبة للأخرى هم الذين يقومون بتنفيذ الحكم.

الشكليّة الثالثة: الرؤيا الملائكيّة. بنفس نهج الشكليّة السابقة. هنا أيضًا خدمة الملائكة تندرج مباشرة في إطار قصد العناية الإلهيّة. ففي رؤيا بولس يُخاطب الملاك النفس قائلًا: «إنّ كلّ أفعالك الشرّيرة التي فعلتيها نهارًا وليلًا، أيّها النفس البائسة، قد حملتها أنا إلى حضرة الله: ليس رغبة (منّي)، ولكن بإرادة من الله الذي أمرني

قائلًا: "لا تكفّ عن تقديم خدماتك لهم؛ لعلّهم يتغيّرون ويتوبون". وها إنّني اليوم أجعل ذاتي غريبًا بالنسبة لكِ... فما أن تنهض تجذبها القوّات نحو السماء، و(يزيدونها) معاناة فوق أخرى» (ف٢:١٤). أمّا رؤيا القدّيس الأنبا باخوميوس، فالتحديد فيها أكثر، إذ تكون الملائكة خمسة. ثلاثة منهم يُرسلون إلى جوار المُنازع الذي يكون سلوكه مستقيمًا لطمأنته والتخفيف عنه: «في اللحظات الأخيرة للإنسان يقف أحد الملائكة بجوار رأسه، وآخر عند قدميه في مواجهة الشخص حيث يدهنه بزيت مقدّس حتّى تخرج نفسه، بينما يبسط الملاك الثالث ثوبًا روحيًا واسعًا ليستقبل فيه تلك الروح بكرامة عظيمة. وإذا كانت نفس رجل قدّيس تكون تلك الروح ذات جمال ونقاء فائقين... وأخيرًا تقود الملائكة تلك الروح إلى مكان الراحة المعين لها من قبل الله، وفقًا لمقدار أعمالها». أمّا الطالحون فيُرسل إليهم المَلَكَين الآخرين: «متى كان الإنسان شرّيرًا أثناء حياته على الأرض، فإنّه عند موته، يحضر مَلَكين بلا رحمة، ليأخذا نفسه، فيقف أحدهما عند رأسه والآخر عند قدميه. ويبدآن في ضرب هذا الإنسان حتّى تخرج روحه البائسة». ويستخرجانها بأداة معقوفة ثمّ يربطاها في ذيل حصان، وينتهي الأمر بإغراقها «في العذاب أو في أعماق الهاوية حسب ما اقترفته من أعمال شرّيرة» (ف٣:٥). هنا أيضًا يوجد فارق بين الصالحين والطالحين، إذ هناك معرفة واضحة تميّزهم عن بعضهم، وينتهي أمرهم إمّا بالثواب أو العقاب.

الشكليّة الرابعة: **محكمة المسيح التي تشهدها الملائكة**. هذه هي الشكليّة التي يعتمدها الأقباط المعاصرين، بل هي أيضًا الشكليّة المتوارثة عمومًا من الأقباط القدماء. الشكليّات الثلاثة السابقة مع أنّها كافية في حدّ ذاتها من حيث صلابة

العناصر الجوهريّة، إلّا إنّ الأقباط التقليديّين يعتبرونها بمثابة مراحل تمهيديّة لمحكمة المسيح. هذه الشكليّة تتناول الدينونة الخاصّة، المتميّزة بدقّة عن الدينونة العامّة. هناك كتابة على قبر المدعوّين جرجس ومريم، تُسطّر ابتهالًا مُعبّرًا: «يا إلهنا... عاملها برحمتك، لأنّهما مرتبكان أمام دينونتك الرهيبة، ولتُدخِلها ملكوتك السمائيّ مع قدّيسيك» (ف٤:٤/٣). هناك محكمة قد اجتازها القدّيسون قبلًا، والآن تقف أمامها نفسا جرجس ومريم. لذا كُتب الابتهال لكي يسمعا، مثل القدّيسين، الحكم المرغوب فينالا سريعًا الثواب في الفردوس.

بالإضافة لذلك، سبق لنا القول بإنّ الأقباط، الشديدي التمسّك بالتقليد، يتقبّلون الكثير من العناصر الأخرويّة المصريّة القديمة. وهذه الشكليّة الرابعة منقولة بأمانة كبيرة عن محكمة أوزيريس. الروح يقودها أنوبيس في **قاعة المحاكمة الكبيرة**، **والميزان** يتصدّر المشهد وعلى كفّتيه وُضع بالترتيب: قلب المتوفّى وقبالته ريشة العدل. وأنوبيس يراقب ما إذا كان القضيب الأفقيّ متزنًا أم لا. بينما يُسجّل تحوت كاتب الأعمال، سكرتير الآلهة، التفاصيل الدقيقة في **كتاب الحسنات والسيّئات**. هناك أيضًا وحشٌ يُدعى بعبي، برأس تمساح موجود في قاعة المحاكمة ويقف متأهّبًا لافتراس المُذنِب. فوق كرسيّ العدل يجلس أوزيريس، **ديّان الأحياء والأموات**، متسلّحًا بسوط في يده من أجل العقاب، وهو متأهّب أيضًا لكي يدعو الصالحين قائلًا: **«هلمّ فادخُل إلى مملكة السعادة»** (ف١:٩). تلك القضيّة، وفقًا لاعتقاد القدماء كانت تتكرّر عند وفاة كلّ إنسان. فلما تحوّلوا إلى المسيحيّة، نقلوا إلى الديانة الجديدة كلّ ما لا يتناقض معها. هكذا صار لدى الأقباط مفهوم **ميزان العدل**

الذي يضعونه في يدّ الملاك ميخائيل بديلًا عن أنوبيس. لديهم أيضًا مفهوم سفر **الحياة** المستوحى أو الذي يؤكّده **سفر الرؤيا** (٢٠:١٢): «فحوكِمَ الأمواتُ وَفقًا لِما دُوِّنَ في الكُتُب، على قَدرِ أعْمالِهم». ولديهم مفهوم **سيبيللا** بديلًا عن تحوت، الذي تتضمّن صيغ الطلبات اسمه (ف١:٩). والباقي له مأخوذ من الإنجيل، فالمسيح **ديّان الأحياء والأموات الحقيقيّ**، ينطق بحكمه الغير قابل للاستئناف، بحسب عدالته ووفق حقيقة الأعمال. هذه المفاهيم كلّها، التي تتضمّنها القناعات الشعبيّة والتي انتقلت إليهم من خلال تقييم الليتورجيا المقدّسة، لا يمكن إبطالها بمجرّد الإنكار.

بل أنّ الأدب القبطيّ يزخر بوثائق أوضح وأكثر تأكيدًا وإصرارًا. فوفقًا لقول إكليمنضس الإسكندريّ، دور الديّان الإلهيّ دائمًا مستقيمًا وصحيحًا: في العقاب وفي الثواب. كما أنّ عنايته تتضمّن السلطان والصلاح:

> «فهي علي حدّ سواء تُعنى بالخلاص: وتعاقب بسلطان : وبالحقّ أيضًا تمنح الخيرات بصلاح» (ف٦:١).
>
> «utraque vis, procurat salutem: illa quidem supplicio castigans, *ut domina*; haec vero per beneficientiam commodans, *ut benefica*».

وكما رأينا آنفًا في **رؤيا القدّيس الأنبا باخوميوس**، أنّ خدمة الملائكة المُرسلين من قِبَل الله تُعادل دينونة. بل هناك أكثر من ذلك، فالملائكة في معاملتهم للنفس «إنّما يتصرّفون في كلّ هذا وفقًا لحُكمٍ عادل متطابق مع أمر الربّ ووفق استحقاقات الأعمال التي فعلتها». فهم في الواقع الذين يقدّمونها «تحت أقدام الربّ». وبعد ذلك فقط «يقودونها إلى مكان الراحة المعيّن لها من قبل الله، وفقًا لمقدار أعمالها». الدقّة

الواضحة في الحوار تتجلّى من درجات الجزاء المتفاوتة: «من كان يستحقّ الحياة وحدها، فإنّه **يرى جسد ابن الله**»؛ أمّا من يموت في نقاوة قلب كاملة فقد أُعْطِيَ له **أن يعاين الله أيضًا**؛ فالمزيد متاح لمن يكون أفضل في يوم الدينونة الأخيرة (ف٣:٥). ممّا سبق يتّضح بجلاء الاعتقاد في وجود دينونة خاصّة، منفصلة بشكل صريح عن الدينونة العامّة.

من جهة أخرى **رؤيا مرقس الترمقيّ** ليست أقلّ تحديدًا. فهذا قد سأل مَلَكَين أين تذهب النفوس بعد خروجها من الأجساد. فبدأ المَلَكَان الإجابة بتحديد دقيق: يفصل المسيحيّين الأبرار عن المسيحيّين الخطأة، الذين يُصنّفون مع غير المؤمنين والوثنيّين. فبالنسبة للأوّلين، «النفس التي لم تُدنّسها الخطايا وتستحقّ الراحة، تصحبها الملائكة بعذوبة وسلام. فترى الخليقة المنظورة كلّها، بكلّ أقاصيها، خلال ثلاثة أيام، وتكون متهلّلة في الجوّ. وما أن يُقام طقس الثالث (اليوم)، تُرفَعُ إلى السماء **أمام عرش المسيح**، حيث تسجد له الملائكة وتسجد النفس أيضًا معهم. حينئذٍ تسمع صوتًا (يقول): "خذوا هذه النفس ودعوها تري جميع مواضع عذاب الخطأة ولترجع بعد ستّة أيام". فتقودها الملائكة بحسب أمر الله وتدعها تعاين جميع مواضع العذاب، وجميع المهاوي.. فترتعد وينتابها خوف عظيم. لكنّ الملائكة تقول لها: "إنّك مباركة أيّتها النفس التي آمنت بالمسيح!". فتتشدّد حينئذٍ، وتبتهج وتتهلّل لأنّها أفلتت من مثل هذه العذابات. ولديها الثقة في رحمة الربّ. وما أن يتمّ طقس اليوم التاسع، **تقف أمام محكمة المسيح. حينئذٍ يصدُر أمر الله: "فلتمضِ النفس إلى موضع الراحة"**». يلي ذلك مصير الأشرار سواء كانوا مسيحيّين أم لا. «أمّا نفس

الخاطئ، التي تدنّست بخطايا العالم بخضوعها للشياطين، فتقودها الملائكة لتقف **أمام محكمة المسيح**. وهناك تسجد الملائكة وتسجد النفس معهم أيضًا. ثمّ يصدر أمر من الله فيسوقها الملائكة لكي تعاين فردوس السعادة». وبعد أن تعاين أماكن النعيم والذين يتنعّمون فيها، «تقول الملائكة: "الويل لكِ أيتّها النفس، يامن حُرِمتِ من هذه الخيرات"». فتتألّم وتتعذّب وحينئذٍ تسوقها الملائكة من جديد النفس لتقف «**أمام محكمة المسيح**. ثمّ يصدر أمر من الله: "**فلتمضِ هذه النفس التي لم تكُفّ عن أعمالها (الشرّيرة) إلى موضع العذاب، لتلقى ما تستحقه أعمالها: حتّى يوم الجزاء**"» (ف٣:١٢). ههنا أيضًا، العبارة الأخيرة تضع فاصلًا دقيقًا واضحًا يفصل بين الدينونة الخاصّة والدينونة العامّة.

هناك أيضًا تمييز واضح في **مسائل ثيؤدوروس**، حيث يطرح القسّ المدعوّ ثيؤدوروس السؤال التالي على البطريرك الإسكندريّ الأنبا يؤانس الثالث: «"هل يذهب الإنسان إلى جوار الله فور موته، يا قداسة البابا؟"». يقول يؤانس (الرجل) القدّيس: "إن كان مسيحيًّا يؤخذ إلى مواجهة الله لكي يسجد ليسوع.. وإن لم يكُن مسيحيًّا، يُساق إلى الجحيم فورًا".. ويواصل الكاهن: "إن كان مسيحيًّا آثمًا، هذا أيضًا يمثّل أمام الله فور خروجه من الجسد؟". فقال البابا: "نعم، يُساق إلى هناك كي يسجد ليسوع. فيقول له: "هذا هو إلهك الذي خلقك، الذي احتقرت وصاياه". **وحالًا يأتي حُكم يسوع: "خذوه إلى العذابات المُعَدَّة له، بقدر خطاياه"""**» (ف٦:٨).

هناك وثيقة أخرى أيضًا تذكر كلًّا من الدينونتين، الخاصّة والعامّة وواضح فيها تميّز الواحدة عن الأخرى، ألّا وهي **رؤيا القدّيس بولس**. تنصّ الوثيقة على أنّ المَلَكَين اللذين «بلا رحمة» يرافقان النفس طوّال سبعة أيّام. وبعد ذلك يُقدّماها **أمام الديّان الإلهيّ**، قائلين: «**احُكم عليها وفقًا لأحكامِك**». حينئذٍ يتدخّل الديّان قائلًا: «لا مُحاباة للناس أمام الله، **والحكم الحقّ سيكون ما سيكون**». من جهة أخرى الحيثيّات عادلة: «**الله يعلم أنّه ستكون هناك دينونة** ولهذا السبب سمح لكلّ إنسان أن يفعل ما يريد على الأرض». لذلك حين تأتي ساعة الحساب بعد الموت، يُخضِع الديّان النفس لاستجواب دقيق. فإذا ما تجرّأت النفس على إنكار آثامها، يبيّن الديّان لها مواصفات الدينونة الواقعة عندئذٍ: «"هل تعتقدين أنّ هذا الموضع مثل العالم، حيث يرتكب الخطيئة كلّ إنسان، ويُخفيها عن جاره؟ عندما يحضرون (النفوس) أمام الله، تصير خطايا كلّ إنسان وكذلك أعماله الصالحة ظاهرة"». ثمّ يستدعي الملاك للشهادة، فيقول للديّان: «"يا سيّدي، ها هي في يدي الخطايا التي ارتكبتها هذه النفس منذ صباها. أتُريد، يا سيّدي، أن أُعدِّدَ هذه الخطايا منذ كان لها من العمر عشر سنوات؟"». فيجيب الديّان بالنفي، ويطلب فقط ذكر الذنوب التي ارتكبتها في السنة الأخيرة التي ماتت فيها، موضِّحًا: «"إن كانت النفس قد تابت أثناء هذه السنة التي ماتت فيها، سأنسى جميع الخطايا التي ارتكبتها فيما مضى"». عندئذٍ، حيث أنّ النفس قد أنكرت ارتكابها للخطيئة، يأمر الديّان باستدعاء شهادة نفوس أولئك الذين أذنبت إليهم في حياتها. فينفذ أورئيل و سورئيل أوامر الديّان ويجلِبان تلك النفوس. «وحينئذٍ تحضر هاتين الاثنتين (المتّهمة والذين يتّهمونها) **أمام الديّان**

الحقّ: لكي ينال كلّ واحد بحسب أعماله». كلمات الديّان الأخيرة هي الحكم الصادر في الدينونة الخاصّة، وإعلانًا مسبقًا عن الدينونة العامّة: «سلّموا هذه النفس إلى يدّ حاكم أمنتي ودعوها تتعذّب حتّى يوم الدينونة الكُبرى». عند هذه النقطة تتهلّل الملائكة الشهود قائلين: «إنّك عادل، أيّها الربّ، وأحكامك حقّ» (ف٢:١٤).

سنقدّم إثباتات عديدة أخرى للشكليّة الرابعة على نحو أكثر ملاءمة في المقالات التالية، وسيكون لها قيمة بأثر رجعيّ على المقالة الحالية. يطيب لنا هنا أن نضيف نصًّا مأخوذًا من الليتورجيا، مع أنّه يشمل العناصر الأخرويّة الأخرى بتوسّع، مع تلميحات إلى الدينونة الخاصّة. على سبيل المثال سنذكر نصًّا من تجنيز الشمامسة. يبتهل الكاهن الخديم قائلًا: «وإن كان يا ربّ قد أخطأ إليك في شيء كالبشر فاغفر له وسامحه». ثمّ تطلّب النفس ذاتها من الأحياء قائلة: «اسألوا الربّ عنّي ليتحنّن على ضعفي. اطلبوا من الربّ عنّي ليكون دخولي أمامه بدالة ويسامحني بجميع آثامي. ويعطيني رحمة أمام منبره المرهوب». فيقوم المؤمنون بتوجيه هذا الوداع السامي برجاء أن ينال حظوة في عينيّ الربّ: «امضِ بسلام يا أخانا إلى مسكن الفرح» (ف٥:٨). وهكذا الحال أيضًا في تجنيز القساوسة (ف٥:٩).

أمّا عن مفهوم الدينونة الخاصّة، فالعناصر التي يقدّمها التقليد القبطيّ كافية لإصدار حكم شكليّ أو ما يعادله. لذا لا جدوى من طلب المزيد، لأنّ الكنيسة القبطيّة لم تعرض أبدًا الحقيقة بتعبيرات عقائديّة محدّدة. وقد أضافت الأخت لميعة من تلقاء نفسها بعد أن ذكرت ما تعرفه: «إلى جانب أنّنا لم نرَ السماء ولا الجحيم، ولا

نعرف شيئًا على وجه اليقين سوى أنّ يسوع قال: "أمّا أنتم فاحذروا" (ف١:١٢). تصريحها هذا إنّما يماثل تصريح كنيسة بأكملها لا تزال تتلمّس طريقها بين أوجه عدم اليقين سِمَة القرن الخامس. لكن في حالتها هذه، عدم اليقين يقتصر على كيفية الدينونة، وهذا أمر حتّى الكنيسة الكاثوليكيّة لم تصدر فيه حكمها النهائيّ[1].

٢. عناصر الدينونة:

تناولنا في الصفحات السابقة **مسار رحلة** النفس فيما وراء القبر **والحيل** التي تنصبها لها الوحوش وحرّاس البوابات، **وحسابها على الأعمال** إن كانت خيرًا أو شرًّا. في ضوء هذه الأمور يمكن أن نتفهّم أكثر ما سنقوله الآن بشأن العناصر التي تتضمّنها الدينونة الشكليّة أو ما يعادلها التي تحدث بعد الوفاة مباشرة.

الأرواح الفاحصة. تلك الأرواح التي تمتحن النفس هي مصدر رعبها، إذ تُدرك تشدّدهم وعيوبها الشخصيّة. وهذا عنصر موروث من الأخرويّات المصريّة القديمة. الوحوش الكامنة على طول الطريق، حرّاس البوابات المسلّحين بالسكاكين، الأرواح التي تُخضع النفس لاستجوابات قبل أن تسمح لها بالمرور، اثنين وأربعين قاضيًا من أجل اثنين وأربعين اعترافًا سلبيًّا وإيجابيًّا: كلّ هذه الأمور تُشكّل محاكمة جزئيّة أو ثانويّة تمهيدًا لمحاكمة أوزيريس العظمى (ف١:٨). إنّ الأقباط بالرغم من كونهم مسيحيّين مؤمنين إلّا إنّهم لم يتخلّصوا من الأوهام

---

(١) يكفي التفحّص التاريخيّ واللاهوتيّ لعبارتين لا تزالا في كتاب القدّاس الرومانيّ، ألا وهما **"يوم الغضب"** (*Dies irae*)، و""**اعتقني يارب**" (*Libera me Domine*)، كي نرى أنّ اللبس بين الدينونة الخاصّة والدينونة العامّة ليس في الكنيسة القبطيّة وحدها.

الشيطانيّة التي كانت لدى المصريّ القديم. وقد كتب ڤانسلِب في النصف الثاني من القرن السابع عشر، أنّ الأقباط يقومون بالصلاة من أجل الراقدين خلال الأربعين يومًا الأولى بصفة خاصّة. وقد جمع من خلال سؤال الأقباط أنفسهم الأسباب التالية: لأنّ النفس يتحتّم عليها في رحلتها أن تقابل أربعين شيطانًا مختلفًا؛ لأنّ هؤلاء الشياطين يعذّبونها طوّال أربعين يومًا بإخضاعها لاستجوابات صعبة ويوبخونها على الخطايا التي ارتكبتها؛ وأخيرًا، لأنّ النفس بعد أربعين يومٍ عليها أن تقف أمام الدينونة الإلهيّة. لكنّ ڤانسلِب الذي كان يجهل مصدر مثل تلك المعتقدات، اقتصر على القول: «إنّ الكنيسة القبطيّة لا تزال غير واضحة في تفسيرها لهذه النقطة العقائديّة»[2]. بَيْدَ أنّ الأقباط أخبروه بأنّ هذا تقليد موروث عن القدّيس الأنبا مقّاره، في القرن الرابع (ف٣:٧)، وأنّ ذلك الأمر كُشف في رؤيا للقدّيس الأنبا مقّاره من خلال حواره «مع جمجمة أحد قدماء المصريّين الوثنيّين»[3] (ف١:١٠)، فكان ذلك بمثابة خيط تتبعه ليصل إلى المصدر. أيضًا، في القرن الرابع عشر، أشار ابن سباع إلى رؤيا **الجمجمة** هذه حين كتب: «وإنّ النفس إذا خرجت من جسدها تَرِد على أربعين صنفٍ من الشياطين قبل سجودها أمام كرسيّ سيّدها»، ولهذا يُرفع القربان في يوم الأربعين (ف٦:١٣). لكن كتاب **حكمة الإيمان** السابق لعهد الأنبا مقّاره، تضمن أثرًا لذلك إذ تكلّم عن أبيوت وتشارمون اللذان بعد أن يستخرجا النفس من الجسد «يجعلونها تهبط في الجحيم (أمنتي) أمام أرِئيل الذي يُعاقبها بويلاتِه طوّال ١١ شهرًا و ٢١ يومًا. بعد ذلك يقودونها إلى الفوضى أمام

(2) «l'Eglise copte ne s'est point encore expliquée».
(3) «par la tête d'un ancien égyptien idolâtre».

بالدابُث (Ialdabaoth) **وشياطينه التسع والأربعين**، وكلّ واحد من شياطينه يسقُط عليها لمدّة ١١ شهرًا و ٢١ يومًا أخرى يعذّبونها خلالها في منطقة النار» (ف١٢:٢).

كما يتّضح ممّا سبق، الأرواح وظيفتها إخضاع النفس لمحاكمة تمهيديّة: تختبرها وتوقع عليها أولى العقوبات. ووفقًا لما ورد في **حوار القدّيس الأنبا بسنتاؤس**، «ملائكة الغضب» يسألون النفس صراحةً: «**أين أعمالك التي قُمت بها؟ وأين السيّئات التي فعلتها؟**» (ف١٠:٣). في هذه الحالة أيضًا، مومياء مصريّة هي التي تكشف هذا وتروي القصّة الموروثة من العصر المصريّ القديم. أمّا **رؤيا القدّيس بولس** فتقدّم وصفًا حيًّا لمسار رحلة النفس التي تقابل خلالها مختلف القوّات التي بهيئة وحوش: أُسود، دببة، ثيران، غربان، أفاعي، حمير وتماسيح وكلّها في أيديها «مِديٌّ كبيرة من الحديد» والنار. وتقول إنّهم ينقضّون على النفس بُغْية تعذيبها قبل بلوغها قُرب الله. «إلى أين تنوين الذهاب أيّتها النفس التعساء؟ أتريدين الذهاب إلى السماء؟ توقفي هنا، لكي نتمكّن من رؤية ما فيكِ» (ف١٤:٢). بَيْدَ أنّ **حكمة الإيمان** يروي أنّ النفس تُمتَحَن في عقيدتها بشأن «**الاسم المقدّس**». فإن كانت مستعدّة للإجابة بدقّة يمكنها أن تتجنّب النار وتعبُر بحرّيّة مجال المصير، وتنجو من القوّات والشياطين و«مُستقبِلي (*paralîmptîs*) **الأفعال الشرّيرة**»، وتصل في النهاية إلى «النور اللا محدود» (ف١٢:٢). حتّى في **كتاب الموتى** المصريّ يُطرح على النفس السؤال اللغز: «لن أدعك تعبرين إلّا إذا أخبرتني باسمي الخفيّ» (ف٩:١).

مواضع الجباية والأستار، المتداخلة بقوّة في التقليد القبطيّ، تبيّن بأجلى وضوح مسألة الأرواح الجباة ومحاسبة النفوس. ولا تزال مسألة وضع عملة معدنيّة من فئة

القرش في فمّ المتوفّى تحمل هذا المعنى على الأقلّ بشكل رمزيّ. النفس لزامًا عليها أن تدفع شيئًا ما لشخص ما، في سياق رحلتها الغامضة فيما وراء القبر (ف١:٤). كما أنّ هناك عبارات صريحة في **موعظة** منسوبة للقدّيس كيرلس، تتكلّم عن أماكن الجباية المختصرة إلى خمس مناطق فقط. خمسة أستار يجب على النفس عبورها بالضرورة خلال **«النهر الناريّ»**. الزعامة هناك بيد

«جباة الأفكار والأعمال في الجو».

«rationum exactores et actionum censores aërei»,

بتوجيه من الشيطان،

«التنين العظيم، الذي يزأر كالأسد في جحره».

«qui insidiatur ut leo in antro suo, et draco magnus».

فترتعد النفس من هذه الفكرة:

«أخاف من **نهر النار**، أمام ذلك **الديّان**، يجري ويغلي ماؤه أشدّ الغليان».

«Metuo *flumen ignis* ante *tribunal* illud, fluens vehementissimaque aqua ebullienis».

ويتملك حواسّها التنانين الخمسة الذين ينبغي أن تؤدّي لهم حسابًا.

«الجابي الأوّل يحاسب على **كلّ شيء**... والثاني على **نظر العينين**... والثالث على **السمع**... والرابع على **الشمّ**... والخامس على ما تمّ **باليدين** من لمس أثيم ومحرّم، والحانات الأخرى من الرذائل، كالحسد والغيرة والمجد الباطل والكبرياء، والحقد والغضب، والغيظ» (ف٦:٦).

«Primum telonium est *de omnibus*... Secundum telonium est *oculorum visus*... Tertium telonium est

auditionis... Quartum telonium est *olfactus*... Quintum telonium est quae *manuum tactu* perverse et improbe facta sunt, et caetera vitiorum tabernae, invidiae, aemulationis, inanis gloriae et superbiae, acerbitatis et irae, iracundiae et furoris...».

كذلك أيضًا القدّيس الأنبا أثناسيوس في كتابه **سيرة القدّيس الأنبا أنطونيوس**، يخلق جوًّا من المقابلات الخطيرة والابتزازات الجبروتيّة. تلك التي تتعرّض لها نفس القدّيس الأنبا أنطونيوس، حيث يستوقفها الأرواح الشرّيرة على الرغم من أنّ الملائكة القدّيسين هم الذين يقودونها:

«شاهد (أنطونيوس) بعضهم واقفين في الهواء مخيفين ومرعبين، **يحاولون أن يقطعوا عليه الطريق**، فيما كان الذين معه يصرّون أن يسألهم **ماذا يؤذيهم**. ولما طلبوا شرح أحواله **منذ ولادته**، مانعهم من كانوا في صحبة أنطونيوس قائلين: **لقد محا الله جميع ذنوبه منذ ولادته**. ولكم أن تسألوا عنه منذ أن أصبح راهبًا، وكرّس نفسه لله، **فلما اتّهموه ولم يستطيعوا إثبات التهمة، فُتح له الطريق، ولم يُمنع عنه قطّ**» (ف٣:٤؛ ف٣:٦).

«Terribiles tetrosque nonnullos [Antonius] vidit in aere stantes qui *transitum eius intercludere volebant*. Obsistentibus iis qui illum adducebant postulare illi *num obnoxius ipsis esset*. Cumque *rationes ab eius nativitate* exponerent, id Antonii duces prohibuere, dicebantque : culpas eius omnes a nativitate delevit Dominus : *ex quo* autem monachus effectus est, et sese Deo consecravit, *liceat rationes ducere*. Cum igitur *accusassent, nec probare possent, libera illi nec minime interclusa via fuit*».

كما رأينا قبلًا في كتابات أوريجانوس دينونة بهيئة جباية، مثل تلك التي في العظة المنسوبة للقدّيس كيرلس، ومرافقة الأرواح الشرّيرة للنفس الشرّيرة في قصّة القدّيس الأنبا أثناسيوس. لكنّ قدرة الله تتدخّل من أجل الصالحين.

«عند انفصال النفس عن الجسد، تهجم عليها الشياطين الخطأة والقوّات المعادية وأرواح هذا الهواء، رغبة منهم في الاستيلاء عليها، لعلّهم يجدون فيها شيئًا من أعمالهم. فإذا وجدوا البخل، كانت من نصيبهم. وإذا الغضب أو الفحشاء أو الحسد، أو شيئًا آخر مماثلاً، فذاك من نصيبهم».

«Cum anima separatur a corpore, occurrunt ei peccatores doemones, adversae potestates, spiritus aëris huius qui eam volunt retinere et revocare ad se, si quid in ea suorum operurm gestorumque cognoverint. .. *Requirunt si inveniant in ea aliquid suum.* Si avaritiam invenerint, *suae partis est*; si iram, si luxuriam, si invidiam, et singula quaeque eorum similia invenerint, suae partis est».

وكلّها تحاول بعنف (violenter) أن تُعرقل مسيرة الصالحين أيضًا، لكن قدرة الله تتدخّل من أجل من كان صالحًا:

«الربّ ينجّي الصالحين من أيديهم».

«Dominus eripiet eum a peccatoribus».

وبعد ذلك تأتي استحقاقاته التي تتيح له **الدفاع عن نفسه** وتسديد الجبايات.

«عند تقديمي الحساب عن كلّ شيء، أتقدّم من الجابي وأجيب بلا خوف: **لا شيء لك عندي**. فيأتي الجابي **ليبحث**. لكني أعارضه، فأنا على علم أني إن لم يكن عليّ شيء، لا سلطان له عليّ. ولو كنت **مدينًا له**، فيزجّ بي الجابي في السجن».

«Si omnibus universa redditero, venio *ad exactorem* et intrepida mente respondeo: *Nihil tibi debeo*. Venit exactor ad reposcendum. Resisto ei: scio enim, quia, si nihil debuero, in me non habet potestatem. Quod si debitor fuero, mittet me *exactor meus* in carcerem».

وهنا يحثّ أوريجانوس على أن يتفادى المرء في حياته ما يخشى عاقبته عند موته.

«وإن لم تكن لدينا **أجرة النقل**، يجرّنا نحن **كبديل للأجرة**».

«Cum non habuerimus quod *pro vectigali* queamus reddere, *ipsi trahamur pro debito*».

هنا أيضًا يظهر **العدد خمسة** حين تخاطب النفس «سيّد السلطة الخامسة» (ف٦:٢).

مهامّ الأرواح الفاحصة التي تمتحن النفس، التي عرضناها حتّى الآن، تنطلق من ثلاثة اعتبارات. **الأوّل**: يُعادل محاكمة حقيقيّة، حتّى وإن كانت ابتدائيّة، غايتها معرفة المستوى الأخلاقيّ للنفوس في وقت الموت، وإصدار الحكم بالثواب أو بالعقاب. **الثاني: العدد خمسة**، عدد مناطق الجباية التي تُحاسب فيها **حواسّ الإنسان الخمسة**، يمكن أن يُفسّر طقس المسحة والصيغة التي تُتلى عند مسح أعضاء جسد المحتضر المرتبطة بالحواسّ الخمس. **الثالث: مناطق الجباية الخمسة**، أو مرّة أخرى العدد خمسة، المتوافق مع عدد أيّام الصلوات الطقسيّة، اليوم الأوّل، الثالث، السابع، الثلاثين، والأربعين (أو أيّام أخرى، حسب التقاليد المختلفة)، قد يُسهم في تفسير الطقس الآخر المتعلّق بتذكارات الأموات «في يوم الوفاة، والثالث والسابع والثلاثين والأربعين»[4].

(4) «in die obitus, tertia, septima, trigesima et quadragesima».

٣. موعد الدينونة الخاصّة:

نبدأ بتمييزها تمييزًا صحيحًا عن الدينونة العامّة التي ستحدث في نهاية العالم. ونتجاوز أيضًا المحاكمات الابتدائيّة التي تناولناها حتّى الآن. بالتالي نقتصر على مسألة الدينونة الشكليّة، التي يستهلّها المسيح بعد وفاة كلّ إنسان. فيما يتعلّق بوجودها، كما عرضنا آنفًا، هناك وثائق عديدة بحوزة الأقباط تؤكّده، إلّا إنّ هناك تنوّعًا ملحوظًا في الآراء بشأن **وقتها**، لكنّه طفيف. البعض يقول بإنّها تحدث يوم **الوفاة** حين خروج النفس من الجسد؛ وآخرون يقولون في **اليوم الثالث** حين خروج النفس من البيت؛ وبعض آخر يقول في **اليوم السابع** (أو التاسع، أو الثلاثين)، حينما يرافق الملاك النفس إلى حضرة الله؛ وآخرون أيضًا يقولون في **اليوم الأربعين**، بعد تُنهي النفس رحلتها وتتمكّن من التعرّف على أهوال الجحيم وأطايب الفردوس. ويقدّمون الدلائل في كلّ حالة.

في اليوم الأوّل:

وفقًا لإنجيل برثلماوس المنحول، يهوذا في نفس يوم ارتكابه جريمته حُكم عليه باعتباره شيطان ولقي نفس جزاءه (ف٢:٦). وفي **قصّة يوسف**، المسيح يُعلم الرسل بأنّه **في ساعة الموت** ينبغي على كلّ إنسان أن يرتعد أمام عرش الديّان الإلهيّ: «إنّ كلّ إنسان مولود في العالم وعرف الخير والشرّ.. **يحتاج لرحمة أبي في ساعة الموت**، في عبور الطريق، **عند عرش الدينونة الرهيبة**، وفي إعداده للدفاع» (ف٢:١٦). أمّا الأنبا شنوده فبعد أن كرّر مفهوم القدّيس بولس: «الضرورة necesse est»، ضرورة أن يقف الجميع **أمام محكمة المسيح**، حدّد موعدها أيضًا. **فعند ساعة الموت** تكون

النفس في كرب لأنّها «نسيت تمامًا يوم الدينونة» «judicium Dei esse prorsus oblivioni dedit». ثمّ يروي أنّه قد استطاع أن يسمع بنفسه الحكم التالي على إحدى النفوس: «اخرجي إلى الظلمة البرّانيّة» «Hanc audivi sententiam: Eicite eos in tenebras exteriores» (ف٨:٣). وأيضًا الأنبا متاؤس عاين أساقفة ورهبان يحاكمون على أعمالهم وعلى الخطايا التي ارتكبها الذين يتبعونهم. «كلّ منهم يجلس في المقدّمة لكي يُسأل عن أبنائه في الإسكيم وجميع الذين أتوا إلى ديره. **فكلّ منهم يُقدّم حسابًا عن خاصّته**». كان متاؤس لا يزال قيد الحياة، لكنّه تنبّأ يوم نياحته وقال إنّه في نفس هذا اليوم عليه أن يقف أمام دينونة الله. فقد سمع الأمر: «يا متاؤس، قم مسرعًا وامضِ إلي ديرك، واحضِر كتبك واجلس، لكي تُقدّم حسابًا عنه... سوف تُسأل عن نفسك وعن أبناءك الرهبان، حتّى عن الوصايا وعن الصلوات والأصوام... كلّ هذا ستُسأَلُ عنه في اليوم السابع من هذا الشهر». كان هذا يوم نياحته (ف٩:٣). كذلك أيضًا رتبت الليتورجيا نفس المعلومة في تجنيز النساء: «سامحها يا ربّ واغفر لها كثرة خطاياها وتجاوز عنها لأنّك لم تخلق الإنسان للشرور بل للخيرات. **فهي الآن أيضًا قائمة أمام منبر مسيحك**» (ف٥:٥).

في اليوم الثالث:

رؤيا إيليّا تتكلّم عن الدينونة الأبديّة في اليوم الثالث، لكنّها لم توضّح صراحةً شكليّة الدينونة. «إنّهم (الملائكة) يقضون ثلاثة أيّام في الطواف معها في الهواء قبل أن يأخذوها إلى الجزاء الأبديّ» (ف٢:٢). وأيضًا **حكمة الإيمان** يقول بإنّ مَلَكَين «يستخرجان النفس من الجسد، ويقضيان ثلاثة أيّام يجعلونها تتجوّل فيها ويُعلّمونها

بشأن مخلوقات العالم. وبعد ذلك يجعلونها تهبط في الجحيم (أمنتي)». لكن هنا الأمر ليس إلّا محاكمات تمهيديّة، مع إصدار الأحكام المترتّبة ويجب أن تمرّ بضعة سنوات حتّى تصل النفس «**إلى حضرة عذراء النور، التي تُدين الأبرار والخطأة، حيث تُدينهم**» (ف٢:١٢). كما تتكلّم أيضًا **مسائل ثيؤدوروس** عن المسيحيّ البارّ والمسيحيّ الخاطئ، فتقول بإنّ كلّيهما يُساقان بعد الموت للوقوف أمام محكمة المسيح، في اليوم الثالث. هناك ينال البارّ ثوابه وينطق القاضي بحكمه على الخاطئ «في التوّ واللحظة»: «خذوه إلى العذابات المُعَدَّةِ له، بقدر خطاياه» (ف٦:٨).

في اليوم السابع:

هذا ما وَرَدَ في **رؤيا القدّيس بولس**: «نظرتُ أنا، بولس، فرأيت نفسًا أخرى أُخرِجَت من الجسد، **يُمسِك بها مَلَكَين**. كانت تبكي وتصرخ قائلة: "ارحمني، أيّها الديّان، هذا هو اليوم السابع مُذ سُلِّمتُ لهذين المَلَكَين: ولست أعلم إلى أين يريدان أن **يأخُذاني**". لقد أخذاها إلى موضع الدينونة بالتحديد. وبعد استجوابات واختبارات، هي ومعها نفس أخرى اقتادوهما إلى «**أمام الديّان الحقّ: لكي ينال كلّ واحد بحسب أعماله**» (ف٢:١٤).

في اليوم الأربعين:

هذا مذكور في **قوانين إكليمنضس** أو في **رسالة بطرس إلى إكليمنضس**: «واعلم يا بني أنّ يوم الأربعين من نياحة الميّت تقف نفس المتعمّد الخاطئ بين يديّ السيّد المسيح **وتجازى بأعمالها** وتعتقل على قدرِ أفعالها» (ف٢:١٧). وأيضًا هناك حديث عن اليوم الأربعين في **رؤيا القدّيس الأنبا مقار**: «وفي تمام أربعين يومًا يصعدوها

(الملائكة يُصعدون النفس) لتسجد لله أيضًا. **حينئذٍ يخرج الحكم من الحاكم العدل الذي ليس عنده محاباة ولا أخذ الوجوه، أن يذهبوا بها إلى الموضع الذي تستحقّه**... وتبقى في الموضع الذي تستحقّه كأعمالها إلى يوم البعث وقيامة الأجساد فيتجدّد اتّحادها في ذلك اليوم بجسدها وتدوم فيما قد تستحقّه إلى أبد الدهور بغير زوال» (ف٣:٦). وليس من الضروريّ أن نبيّن كيف ظهر التمييز بين الدينونة الخاصّة والدينونة العامّة مؤكّدًا في هذا الشاهد المذكور أخيرًا. فهذا ليس فيه إلّا تأكيدًا لتمديد العقوبة من النفس إلى الجسد.

٤ - الفردوس:

يجب ألّا يُساء الفهم، فهنا تناول لحالة النياح والفرح الممنوحة للأنفس البارّة بعد الموت، في أعقاب الدينونة الخاصّة. أمّا الفردوس الذي يعطيه المسيح في الدينونة العامّة، ذلك الذي يشير إليه الأقباط المعاصرون، ليس موضوعنا هنا. أو إذا ما أُخِذَ في الاعتبار في بعض الأحيان، فذلك لأنّه تصديق للأوّل واستمراريّة له.

١. المفهوم:

المسمّيات وحدها تقول الحقيقة بكاملها وتنمّ عن مدى بهجة وسعادة هذه الحالة. في العادة يُطلق عليه في الوثائق المنسوخة باللغة القبطية **أمنتي** (رغم أنّ اللفظ يعبّر فقط عن مفهوم **العالم الآخر** بصفة عامّة، وكذلك أيضًا يُطلق على الجحيم كما هو الحال في الأدب المصريّ القديم)، ويطلق عليه **الفردوس** في الوثائق المكتوبة باليونانيّة وفي الوثائق العربيّة أيضًا. لكن في حالات معيّنة نجد أنفسنا أمام حشد غنيّ من الصفات: «**جنّة عدن**» (*adn paradisi*) (ف٢:٤)، **فردوس النعيم**

(ف٥:١٣)، **فردوسك** (ف٤:٧/ ٢)، **ملكوتك** (ف٤:٥/ ٤)، **ملكوت السماوات** (ف٤:٥/ ٣)، **شجرة الحياة** (ف٤:٥/ ١)، **نياح الحياة** (ف٥:١١)، **حضن إبراهيم وإسحق ويعقوب** (ف٤:٥/ ١)، **مسكن الصدّيقين** (ف٤:٦/ ١)، **رفقة القدّيسين** (ف ٤:٦/ ٢)، **نصيب القدّيسين** (ف٥:١١)، **موضع الأحياء** (ف٤:٦/ ٣)، **بيعة الأبكار** (ف٥:١١)، **بيته الدهريّ** (ف٥:١١)، **الحياة الأبديّة** (ف٢:١٢)، **الفرح الذي لا يتغيّر** (ف٥:١١)، **الفرح الذي لا يوصف** (ف٥:١١)، **موضع خُضْرَة** (ف٥:١٣)، **ماء الراحة** (ف٥:١٣). هذه المفردات، والكثير غيرها التي سننشير إليها في الصفحات التالية تحمل تمام قَدرِها الذي وردت به في مصدرها الأصليّ، الكتاب المقدّس، كما تُقدِّم الفردوس بمختلف جوانبه.

التعريف المُعطى رغم أنّه ليس كاملًا في كلّ الحالات إلّا إنّه يفترض تعليمًا عقائديًّا بنهج ملموس. وها هو تعبير كامل جرجس عنه: «السماء حالة وليست موضعًا. هي حالة الطوبى، السعادة، البرّ والقداسة. لا مرض فيها ولا مشاغل ولا مقتنيات» (ف٦:٢١). وفيلوثاؤس عوض يقول: «النفس إن كانت مؤمنة صالحة تصحبها الملائكة الأطهار إلى النعيم حيث الأبرار والصالحون» (ف٦:١٩).

الواضح بجلاء أنّ **أوصاف الفردوس** الذي تسكنه نفوس الأقباط منتشرة في غالبيّة ما يكتبونه وما يقرأونه. وهي تدحض صراحة ما يقوله كامل جرجس عن كون الفردوس حالة وليس موضعًا. أمّا **رؤيا بطرس** فتقدّم صورة ورديّة للفردوس، حيث هامّة الرسل يسأل المسيح: «أين يكون جميع الأبرار؟ ما هي نوعيّة العالم الذي هم فيه ويتألّقون بهذا المجد؟ فأظهر الربّ لي منطقة هائلة تمتدّ إلى أبعد

من هذا العالم، ساطعة بأنوار باهرة. الهواء في هذا المكان تضيئه أشعة الشمس، والأرض مزدهرة بنباتات لا تذبُل، وممتلئة بأنواع النباتات المُعمِّرَة، التي لا تفسد وتثمر ثمارًا مباركة. والازدهار قويّ لدرجة أنّ العبير يُعبِّقنا بكلّيّتنا» (ف٢:١٣).

بَيْدَ أنّ هناك صورة أكثر بريقًا وتأثيرًا، تتخلّلها موروثات مصريّة قديمة مع تحديدات مسيحيّة رغم كونها أكثر ماديّة منها روحانيّة، تلك الصورة التي تُتحفنا بها **رؤيا القدّيس بولس**. إذ تقول إنّ الفردوس هو الموضِع المحفوظ للأبرار. كلّ شيء هناك ساطع بالضياء وبديع. وقد دخله بولس من **أبواب** مختلفة، كلّها من الذهب. وقد ظهر في أحد هذه الأبواب، «حَنوك»، **كاتب العدل**. **ومركِب سمائيّ**، مُجهَّز بثلاثة آلاف ملاك، من أجل الوصول لملكوت المسيح. وهناك تجري **أربعة أنهار**: النيل الفرات، دِجلة و فيشون. هذه الأنهار تُشكّل أربعة مناطق: الغرب حيث يجري العسل، والجنوب حيث يجري اللبن، والشرق حيث يجري الخمر، والشَمال حيث يجري الزيت. النباتات فريدة النوع، فالنخلة مثلًا فيها عشرة آلاف غصن، وكلّ غصن فيه عشرة آلاف عنقود، وكلّ عنقود فيه عشرة آلاف من البلح. والأعشاب العطريّة تملأ الجوّ بالعبير الفواح، وضياء الشمس يجعل الجوّ أكثر سطوعًا من بريق الفضّة سبعة أضعاف. هذا هو موضع السعادة الذي التقى فيه بولس بيسوع والعذراء، حَنوك وإبراهيم والآباء، وإشعياء والأنبياء، وموسى، والأبرياء الذين قتلهم هيرودس. أيضًا رأى داود الذي يُرنِّم للمسيح بقيثارته في السماء السابِعة. وجميع الملائكة يرنّمون ويُنشِدون **هليلويا** بقوّة تزلزل أُسس المدينة السمائيّة (ف٢:١٤).

بالتعمّق أكثر في المسألة، من وجهة النظر اللاهوتيّة، يمكن تحديد طبيعة **الفردوس** بنحوٍ أفضل من الوثائق الأقدم. والسؤال هو هل الصدّيقون يعيشون في موضع سعادةٍ أيًّا كان، انتظارًا للدينونة العامّة، أو ينعمون فعلًا بالمعاينة الطوباويّة لله الواحد والثالوث، تلك التي ينبغي فقط أن تؤكّدها الدينونة العامّة. الحجج الحالية للكنيسة القبطيّة، لكونها تسعى إلى التملّص من مسألة الدينونة الخاصّة، تحاول بطريقة أو بأخرى تجاهل المفهوم الحقيقيّ للفردوس. هذا ما يُرى في رأي بانوب عبده الذي يقول إنّه **الفردوس الأرضيّ**، الذي سبق وأن طُردَ منه آدم. وهناك تنتظر نفوس الصدّيقين حُكم الدينونة العامّة، فرحة بإعلانه. وفي رأيه أنّ المرادفات: **الفردوس، جنّة عدن، حضن إبراهيم**، تعني موضع النياح الذي أعدّه الله قبل قيامة الأجساد، أي الدينونة [العامّة]. ثمّ يتقدّم ببراهينه «على أنّ النفوس لا تنال ثوابها أو عقابها بعد الموت مباشرة. بل هم الآن ينالون **عربون** السعادة ببقائهم في الفردوس الأرضيّ؛ أو تكون **شبه معذّبة** في الجحيم إن كانت طالحة.. وهناك تنتظر حتّى يوم الدين حين تلبس أجسادها لتنال جزاءها الكامل من ثواب أو عقاب». وكحجة حاسمة يذكر عبارة المسيح الواردة في الإنجيل: «تعالوا إليّ يا مباركي أبي» (ف٦:٢٦). بانوب عبده مُعانِد صلب، لكنّه بدا غافلًا مرّتين: قام بتشويه شكل الفردوس في سبيل إنكار الدينونة الخاصّة ولم يدري أنّه بتمييزه بين النفوس التي تستحقّ **عربون السعادة** وتلك التي تستحقّ **العقاب**، قد أشار بنفسه إلى دينونة خاصّة. الغفلة الثانية: قال بإنّ الصدّيقين ينتظرون حتّى الدينونة الأخيرة حين

يسمعون الحكم الذي يدعوهم إلى قُرب الآب، ولم يضع في حسبانه أنّ كنيسته تبتهل إلى الله لكي **يُعجِّل** بسماع نفس كلّ قبطيّ يتوفّى لهذه الدعوة عينها.

في الواقع، وثائق التقليد القبطيّ المختلفة كلّها، وخاصّة الليتورجيا المقدّسة المعاصرة دائمًا، لا تغفل أبدًا تكرار رجائها في أن تمضي النفس إلى **الفردوس الحقيقيّ**، وأن تنال **إكليل البرّ**، وأن تكون **مع القدّيسين**، وأن تبقى **مع المسيح**، وأن تنعم **بالقرب من الله**، عند الآب، عند الثالوث الأقدس. وها هي المراجع: عند نياحة **القدّيس إبيموس**، قاد الملاك ميخائيل نفسه إلى السماء **وكلّله المسيح في ملكوته**:

«وجعل إكليلاً على رأسه، وسط تمجيد لا يوصف، في ملكوته (ف٣:١٤/٤).

«coronam capiti eius imposuit cum gloria ineffabili in regno suo».

مع القدّيسين: وأن يكونوا مع الأربعة وعشرين شيخًا **الجالسين حول عرش الله**، «qui *circa thronum Dei* sedent» (ف٣:٣). لتقودهم «إلى مسكن الصدّيقين» (ف٤:٦/ ١)؛ «في رفقة القدّيسين» (ف٤:٦/ ٢). أيضًا في طقس مسحة المرضى: «انقله إلى فردوس الفرح ليكون مع جميع القدّيسين» (ف٥:١). وفي تجنيز الأطفال الذكور: «احسب عبدك (فلان) في عدد الأطفال الذين تقدّموه. المجتمعين في مواضع النياح التي لملكوتك» (ف٥:٢). **الإبصاليّة السنويّة**: «(يا ربّ)، نيّح نفوس المؤمنين الذين رقدوا مع جميع القدّيسين» (ف٥:١٦). **مع المسيح**: يسوع قال للصّ اليمين: «Ecce eris hodie in *ʿadn* paradisi et consors gaudii mei» «اليوم

تتنعّم معي في جنّة عدن» (ف٢:٤). جوقة الملائكة تستقبل نفس القدّيس لاكرونيس:

«ومضى به إلى مدينة ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح» (ف٣:١٤/١).

«et tulit eum in civitatem Domini, Dei et Salvatoris nosiri Jesu Christi».

القدّيس أثناسيوس يقول إنّ المسيح أدخل اللصّ اليمين الفردوس الذي دخله هو، وفتح الأبواب للجميع:

«أمّا هو فسبقنا جميعًا ودخل السماء، وفتح الأبواب للجميع» (ف٦:٣).

«in coelum vero ipsemet praecursor pro nobis ingressus, portas omnibus aperuit».

عند الله. نفس القدّيس الأنبا مقّار مُنِحت أن تعاين الفردوس الحقيقيّ المسكون فعلًا؛ فشاهدت «أبرار الله وقدّيسيه ونياحهم الذى نالوه عنده» (ف٣:٦). أيضًا مكتوب على شاهد قبر المدعوّ قُزما: «قد مضى إلى قدمي الله، بوسم الإيمان المسيحيّ» (ف٤:٣). وفي تجنيز الرجال الكبار، نقرأ: «هذه النفس التي اجتمعنا بسببها يا ربّ نيّحها في ملكوت السماوات. افتح لها يا ربّ أبواب السماء **واقبلها إليك** كعظيم رحمتك. افتح لها باب البرّ لكي تدخل وتتنعّم هناك. افتح لها يا ربّ باب الفردوس كما فتحته لذلك اللصّ. افتح لها يا ربّ باب الملكوت لتشارك جميع القدّيسين. افتح لها يا ربّ أبواب الراحة لترتل مع كافّة الملائكة. ولتستحقّ أن تنظر النعيم ولتُدخلها ملائكة النور إلى الحياة» (ف٥:٤). وأيضًا في تجنيز الرهبان: «ونسألك يا ربّ أن تنيّح نفسه.. حيث مسكن سائر الفرحين. **لأنّ عندك** ينبوع الحياة والرحمة ومحبّة

البشر» (ف٥:٦). وفي تجنيز الراهبات: «يا إله الأرواح وربّ الأجساد.. ورددت التراب إلى التراب. والروح **دعوته إليك**.. فلتجد راحة في حضن إبراهيم وإسحق ويعقوب في نور الأحياء في كورة النياح والراحة الموضع الذي هرب منه ألم القلب والكآبة والتنهّد» (ف٥:٧). وكذلك أيضًا في تجنيز الشمامسة: «**هذا الذي أتى إليك** وصار في غير الجسد وغريبًا من العالم. **أقبل إليك نفسه**» (ف٥:٨). **عند الآب**: يسوع يطمئن أمّه حين نياحها فيقول: «ونفسَكِ المباركة سآخذها معي في العلاء، في السماوات، وسأهِبها لأبي» (ف٢:١٥). كما أنّ القدّيس ميخائيل أنقذ الكثير من النفوس: «الملائكة وجميع الأبرار الذين خرجوا مع ميخائيل (أخذوهم واقتادوهم في أورشليم (السمائيّة). فقام ميخائيل بتقديمهم إلى الآب الصالح، فسجدت له جميع النفوس» (ف٣:٢). **فردوس الثالوث**: القدّيس جرجس الشهيد يُصعِدُ النفس،

«واصطحبها يسوع معه إلى فوق، إلى السماوات، وقدّمها هدية لأبيه الصالح **وللروح القدس**» (ف٣:١٤/٨).

«Jesus .. tulit eam secum sursum ad coelos, et dedit eam donum *Patri* suo bono, *et Spiritui Sancto*».

ونكتفي بهذا القدر من المراجع الزاهرة.

بقي توضيح أخير بشأن تفاوت الجزاء في الفردوس. ليس الجميع سيّان، وهذا ما تؤكّده الوثائق القبطيّة المذكورة آنفًا، حيث تكرّر باستمرار عبارة «بحسب أعماله». الأخت لميعة دلّلت على ذلك بذكر تعبير يسوع: «في بَيتِ أَبي مَنازِلُ كثيرة.. إِنِّي ذاهِبٌ لأُعِدَّ لَكُم مُقامًا» (ف١:١٢). وأيضًا إكلّيمنضس الإسكندريّ، في مقدّمة

التقليد المصريّ، يفصِّل مختلف الدرجات بناءً على **النيّة** عند القيام بالعمل. بمعنى ما إذا كان المرء قد قام بأداء العمل بدافع الخشية، أو المحبّة، الإيمان أو المعرفة. الجميع ينالون جزائهم مائة ضعف ما قدّموه، ولكن هناك امتياز خاصّ للعارف (الغنوصيّ):

«أمّا العارف فينال ما لم تره عين وما لم تسمع به أُذن ولا خَطَرَ على قلب بشر» (ف٦:١).

«Ei qui est gnosticus parata sunt quae oculus non vidit, nec auris audivit, nec in cor hominis ascenderunt».

لكن حاليًا تمّ إغفال امتياز العارف، ولم يبقَ إلّا الأساسيّ.

٢. بداية الفردوس:

ينفتح الفردوس أمام النفس بعد الوفاة، ولكن في حالتين: أن تكون قد اجتازت الدينونة الخاصّة ووُجدت في حال البرارة. الحالة الأولى وفقًا للقناعات التقليديّة لدى الأقباط، تتعلّق بترتيب وقت الدخول في الدينونة بمختلف تأجيلاته المشار إليها : اليوم الأوّل، الثالث، السابع، الثلاثين، الأربعين. أو أيضًا الستّة أشهر أو السنة. الحالة الثانية تفترض دينونة تامّة، يمكن الحصول عليها في الحياة أو في فترة رحلة النفس، أو في فترة تطهير تلي الدينونة ذاتها. في كافّة الأحوال، وقت الوقوف أمام الدينونة، والدينونة ذاتها، والعدالة، تحدّدها الوثائق التقليديّة القبطيّة بدون تناقضات، فيما عدا تلك الحالية، بشأن **الدخول الفوريّ**.

كتاب **حكمة الإيمان** يتبع هذه الإجراءات: النفس الصالحة تُساق إلى حضرة «عذراء النور» التي تُدينها. وبالكاد يمسّها «لهيب نيران العقوبات» بسبب جهلها

المتبقّي. وبعد تقلّبات مختلفة «تصل إلى وِجهَة عذراء النور، وترِث النور الأبديّ» (ف٢:١٢). أمّا **إنجيل الرُسل الاثني عشر** فيتكلّم عن شخص يُدعى حنانيا وعن القدّيسة مريم العذراء، فيؤكّد في كلّتا الحالتين دخولهما الفردوس مباشرة. يسوع المنازع يقول لحنانيا: «يا حنانيا! نفسَكَ لن تمضي إلى أمنتي، وجسدك لن تفوح منه رائحة الموتى.. وفي **تلك اللحظة** أخذ نفس حنانيا معه في السماء» (ف٢:٣). والقدّيسة مريم العذراء بالنفس وبالجسد «ذلك الجسد الذي أخذته في بطن أمها، قد أُقيم بنفس حالته **وصار عن يمين ابنها**». والشهود على هذا هم الرسل الذين شاهدوه «في تلك اللحظة» (ف٢:٣). أيضًا الأنبا صموئيل في نهاية حياته، كانت قد تبقّت له ثمانية أيّام على الرحيل منها، فلمّا انقضت الأيّام الثمانية نَجّاه الربّ من أتعابه وأخذه «**إلى الملكوت السماويّ**»؛ وجعله هناك شريكًا «في ميراث القدّيسين»، ومنحه جميع الخيرات «التي لم ترَها عين ولا سمعت بها أُذن ولم تخطر على قلب بشر». وهذا هو مسكنه «في مواضِع السُكنى في أورشليم السمائيّة» (ف٣:١١). القدّيس تاوضروس المحارب فور استشهاده دخل إلى السماء لينال الإكليل «مع جميع القدّيسين» «cum omnibus sanctis» (ف٣:١٤/ ٥). وكذلك أيضًا القدّيس أبانوب الراهب نال

«الإكليل غير الفاني في **ملكوت ربّنا يسوع المسيح**» (ف٣:١٤/٦).

«immarcescibilem coronam in regno Domini nostri Jesu Christi».

ويُقال عن نفس القدّيس أبالي التي باستشهاده صعدت إلى الربّ:

«احتضنها المخلِّص واصعدها إلى السماء في مجده» (ف٣:١٤/٧).

«Salvator amplexatus est eam, sursum ad coelos in gloria tulit eam».

أمَّا القدّيس إيسيذوروس البيلوزميّ فقد حملت إحدى رسائله تنبيهًا بشأن الراحة الأبديّة في الفردوس بعد الموت **مباشرة** يقول:

«أنت أيضًا سألتني: **ما هو حال النفس** في ذلك المكان، وكيف أو أين تقيم: وأنا أجيبك: النفس التي عاشت صالحة مستقيمة، تأتي **إلى الحياة والقيامة**» (ف٦:٥).

«Tu quidem sciscitatus es, quemnan illic anima *statum* habeat, aut quonam *modo*, vel *loco* contineatur. Ego vero respondeo: Ea quae recte atque honeste vixit, *ad vitae resurrectionem veniet*».

أيضًا، ابن المقفّع في سياق حديثه عن الشهداء أكّد مسألة **الجزاء الفوريّ**، الذي سيختلف بعد ذلك وفقًا للاستحقاقات: «وأخذوا جزاء تعبهم في ملكوت السماء وفردوس النعيم كلّ واحد على قدر منزلته» (ف٦:٩). أمّا بولس سيدهم، وهو كاتب من العصر الحديث، فيتّخذ الحيطة بأن يضع المَطهَر جانبًا، لكنّه لا يجد صعوبة في الاعتراف بوجوده ولا بالدخول الفوريّ في الفردوس (أو جهنّم). إنّه يقول بوجود حياتين: واحدة محدودة والأخير غير محدودة. الأولى **تبدأ بالميلاد والأخرى تبدأ بالموت**. وفيما يتعلّق بالفردوس، يبيّن أنّ فيه «الحياة بلا نهاية، والنور بلا نيِّرة، والمجد والعظمة، مقام الصدّيقين ونعيم الله» (ف٦:٢٧/ ١٢). وكذلك أيضًا حكيم جريس يؤيّد نفس التعليم، ويدلّل عليه بالعديد من النصوص الكتابيّة. فالأبرار

الذين يموتون بلا خطيئة، يدخلون على الفور في شركة مع الله، «وإذ يعاينون الله وجهًا لوجه، فهم ينعمون بالسلام والسعادة» (ف٦:٢٧/ ١٥).

الليتورجيا المقدّسة في صلوات التجنيز العديدة والرائعة غالبًا ما تُكرّر المفهوم والوعد الذي تناله النفوس **مباشرة** في الراحة الأبديّة. وهاكم صلاة تجنيز البنات:

«نسألك.. من أجل عبدتك هذه الفتاة الشابّة العذراء هذه التي.. **أتت إليك يا الله الحقيقيّ**. **فليكُن دخولها إليك مضيئًا** مثل مصباح غير منطفئ. احسبها مع العذارى صاحباتها اللواتي سبقنها **إلى وليمتك الواسِعَة في فرح أصفيائك الذي لا يوصف**» (ف٣:٥).

٣. دوام الفردوس:

لا شكّ في أنّ الفردوس بلا نهاية، أي أبديّ. جوهر السعادة فيه يقوم على كونها سعادة لن تنتهي أبدًا. دوامها كدوام الله. مع ذلك من الضروريّ اعتماد غاية دفاعيّة كردٍّ على أولئك الأقباط المعاصرين الذين يزعمون بإصرار على وجود فردوس تمهيديّ، وهو ليس الفردوس الحقيقيّ، بل مؤقّت إلى حين الدينونة الأخيرة، التي بعدها فقط يبدأ الفردوس الأبديّ. وفقًا للوثائق الأصليّة في التقليد القبطيّ، الفردوس واحد فقط ولا فردوس سواه، وهو ملء الفرح والسعادة من جرّاء رؤية الله الطوباويّة. الدينونة الخاصّة تحكم به والدينونة الأخيرة تؤكّده بامتداده للجسد.

إنجيل يوحنّا المنحول يتكلّم عن المؤمنين الذين يعيشون متمسّكين بالدين المسيحيّ. فيقول إنّه حين موتهم يأتي المسيح ويُعلن:

«**إنّهم ورثة فردوس النعيم الذي لا يفني والغير محدود**» (ف٢:٤).

«Eos heredes constituam paradisi deliciarum,cui neque consumptio neque terminus [erit]».

وفي وثيقة **نياحة مريم العذراء**، يسوع يُطمئن أُمّه بفكرة أبديّة الأفراح: «مواضع الراحة التي في السماء، والأمور الطيّبة التي في أورشليم السمائيّة كلّها مُعدَّة لكِ، لكي تستريحي **فيها إلى الأبد**» (ف٢:١٥). وهذه التعزية عينها نالها القدّيس يوسف، أبيه بالتبنّي: «منذ لحظة خروج نفسه من الجسد.. مضت إلى مواضع الراحة لدى أبي الذي في السماوات، **تلك المواضع التي لن تفنى أبدًا**» (ف٢:١٦). كما أنّ النقوش على **شواهد القبور** غالبًا ما تتضمّن العبارة التالية: «يا ربّ، أعطِها الراحة في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب: **في ملكوت الدائم إلى الأبد**» (ف٤:٧/ ٤).

من جانب آخر، **أشهر النصوص الليتورجيّة** تؤكّد تحديدًا على وحدانيّة وأبديّة الفردوس. ففي تجنيز الأساقفة والبطاركة، يذكر المؤمنون في صلاتهم هذه الفكرة المعزّية: «نسأل المسيح.. أن يعوضك عوض تعبك معنا **بأفضل الجزاء والخلود في أورشليم السمائيّة**» (ف٥:١٠). كذلك أيضًا الصلاة التي تقال عند الدفن في جميع فئات الأشخاص، تردّد المفهوم عينه: «نيّح يا الله نفسه. في مواضع نياح الحياة في **الفرح الذي لا يتغيّر. في نصيب القدّيسين**» (ف٥:١١). والعبارة التالية أيضًا كأنّها وداع مُعزّي لجميع أهل المتوفَّى: «**والإنسان مضى إلى بيته الدهريّ**» (ف٥:١١).

٥- جهنّم:

ليست هناك صعوبة تُذكر في التدليل على **وجود جهنّم** في حدّ ذاتها. لكن فيما يتعلّق **ببداياتها**، من وجهة النظر التبريريّة، فهي على نهج الفردوس تبدأ حينما يبدأ. بَيْدَ أنّ هناك بعض الصعوبات حين الحديث عن **دوامها**، ناجمة عن الكثير من الاختلافات في التعاليم العقائديّة الموجودة في الكنيسة القبطيّة، إلّا إنّها في الوضع الحالي تتعلّق بالتاريخ أكثر من اللاهوت.

١. المفهوم:

المصطلح الكلّاسيكيّ المستخدم في الكتابات القبطيّة بمعنى جهنّم هو أمنتي، ⲁⲙⲉⲛϯ: رغم أنّه كما سبق وقلنا في المقالة السابقة يُعبر عن فكرة **العالم الآخر** بصفة عامّة وبالتالي يمكن تطبيقه على الفردوس أيضًا. أمّا المصطلح الدارج في اللغة العربيّة فهو المصطلح السائد في كلّ اللغات الساميّة ألّا وهو «جهنّم». أمنتي هي كلمة مأخوذة من الأخرويّات المصريّة القديمة. اتّخذها الأقباط ولم يستخدموها فقط للتعبير عن جهنّم بل عن كلّ ملامحه البيئيّة. ونلاحظ وجود ذلك أكثر في الكتابات المنحولة، وبالتالي بما أنّ تأثيرها ممتدّ إلى التقليد، فقد ظهرت أيضًا في وثائق سير القدّيسين وكذلك أيضًا في الوثائق الليتورجيّة.

وفقًا للكتابات المصريّة القديمة، بقدر ما استكشفناه، العالم الآخر يبدو منقسمًا كما يلي: السماء، الأرض والعالم السفليّ الذي ينقسم بدوره إلى قسمين. **الأرض** هي موضع الاستحقاق أو عدم الاستحقاق، حيث تعود نفس المتوفَّى أو الـ«كا» للظهور. **السماء** هي منطقة المجالات النوارنيّة التي تبلغها النفس وتعبرها بمركب

الشمس. أمّا **العالم السفليّ** أي **الجحيم** فهو موضع المصير الذي تبلغه على الفور النفس المنفصلة عن الجسد. هذا الموضع ينقسم إلى منطقتين: أمنتي وهي المنطقة العلويّة، التي تمتدّ على جانب البلاد الغربيّة التي يحكمها أوزيريس؛ وطوات (*Tuat*) وهي المنطقة السفليّة، السحيقة والمظلمة التي تنقسم إلى اثنى عشر إقليمًا بشكل **كهوف** دائريّة، تُعرف باسم **كِرتي** (*Kerti*). هذا العالم السفليّ تجري فيه أنهار **النار** وتمتدّ فيه **بحيرات النار**، ويزخر في كلّ مكان بالتنانين، العقارب، الأُسود، وكافّة أنواع الوحوش. وتتربّص فيه في كافّة الأركان **الحيّات ذات الأفواه الناريّة** المتأهّبة لافتراس أعداء أوزيريس. وهناك شيطان **يقف حارسًا** على مجاري بحيرة **النار**. حين تراه النفس العابرة تتوسّل إلى مرشدها قائلة: «نَجّني من هذا الشيطان الذي هيئته تُشبه هيئة كلْب، لكن حاجبيه يشبهان حواجب الإنسان». كما تشاهد أيضًا نفوسًا مُدانَة تسير **ورؤوسها لأسفل**، غارقة في النار، وكلّها متألّمة ومرعوبة. وفي كلّ مدخل يقف **حرّاس البوّابات** لإشاعة الخوف فقط. البوّابة الأخيرة هي بوّابة قاعة **الحقّ- العدل**، حيث ينبغي للنفس أن تُعطي حسابًا عن عملها أمام اثنين وأربعين قاضيًا (ف١:٨-٩؛ ف٢: **المقدّمة**).

ربّما تكون **الكوميديا الإلهيّة** لدانتي أليجيري، قد استمدت مفهومها عن نشأة الكون من هذا المصدر البعيد القِدَمْ عن عالم ما وراء القبر لدى المصريّ القديم. وربّما تكون قد استخدمت كمصدر مباشر (راجع الأنشودة الثانية، ٢٨) الكتابات المسيحيّة المنحولة، وبنحوٍ خاصّ **رؤيا القدّيس بولس**. وبالتأكيد، الوثائق القبطيّة تعكس بطريقة ملموسة الكثير من تفاصيل المعتقدات الدينيّة للمصريّين القدماء.

فيلوثاؤس عوض طرح **تعريفًا** للجحيم: «وإن كانت النفس كافرة أو مؤمنة أثيمة سيئة الفعل **تذهب إلى الهاوية** حيث يسجن الكافرون والأثمة» (ف١٩:٦)، لكنّه تعريف منقوص وعاجز للغاية. وأيضًا، **إنجيل الرُسل الاثني عشر** لم يُضِف الكثير، حين الإشارة إلى مصير يهوذا: «فصار له مصير الحرمان من السماويّات والأرضيّات، لينتهي أمره في أمنتي: موضِع البكاء والنحيب» (ف٣:٢). وهناك إصرار وتركيز على **النار** حين الحديث عن العقوبات. وقد تكلّم إكلّيمنضس الإسكندريّ عن «**ملائكة النار**» «*angeli ignei*» و«أنهار النار» «*ignei fluvii*» (ف١:٦). كما أنّ **وصيّة إبراهيم وإسحق ويعقوب** تكلّمت عن نيران **ذكيّة**: «بحيث ألّا تقوم بتعذيب الأبرار، بل تُعَذِّب الخطأة وحدهم» (ف١:٢). وهذه خاصيّة مثيرة للاهتمام، من حيث أنّها تحمل على الاعتقاد في نارين أو تأثيرين للنار: **نار حارقة ونار مُطهِّرَة**. كما يُقال أيضًا إنّ النار ذات طبيعة **أخلاقيّة**. لكن في هذا الصدد الوثائق كلّها تُجمِع على كونها نار حقيقيّة. وقد كتب كاتب معاصر مجهول: إنّها نار حقيقيّة، وليست هناك نار أكثر منها هولًا. نار تحرق النفوس دون أن تفنيها (ف٢٧:٦/ ١٤).

إنّ **الأوصاف** تحتفظ بفعاليّة خاصّة لدى الأقباط، ولذا سنذكر بعضًا منها. **رؤيا بطرس** حاسمة في هذا الصدد، إذ ورد فيها: «إنّه موضِع العقاب. أولئك الذين كانوا يُعاقبون والملائكة الذين يعاقبونهم كانوا يرتدون ثيابًا قاتِمة، تتّفق مع جَوّ المنطقة. كان هناك البعض منهم مُعلّقًا من اللسان: أولئك هم الذين جدّفوا على طريق البِرّ. وكانت أسفلهم النار **التي تُعذبهم**. كانت هناك **بحيرة كبيرة مليئة بالأوحال**

المشتعلة، يرقُد فيها بعض الناس الذين انحرفوا عن الاستقامة: وكان الملائكة الزبانية يقومون بتعذيبهم. كان هناك أيضًا آخرين: نساء قد **عُلِّقْنَ من شَعرِهِنَّ** فوق هذا الأوحال المغليّة، إنّهنّ أولئك اللائي كُنَّ يُهيئنَ زينتهنّ من أجل الزنا. والرجال شركائهنّ في الزنا كانوا مُعلَّقين من أقدامهم، **ورؤوسهم مغمورة في الوحل**». يلي ذلك وصف لأنواع أخرى من العقاب، **وفقًا لفئات مختلفة من الخطأة** (ف٢:١٣).

أيضًا **رؤيا بولس** لم تُقصِّر في سرد الأوصاف، حيث يتبع بولس ملاكًا يقوده فيشاهد ويقدّم وصفًا لما يشاهده: «كانت هناك هاوية مليئة بالتنانين، وهاوية مليئة **بالثلوج**، وهاوية مليئة **بالقُطران والكبريت** الذي يغلي مثل (الماء في) مِرجَل مُلتهِب؛ ومنه تتصاعد أجزاء من القطران والكبريت ترتفع (في الجوّ) ثلاثين ذراعًا. كانت هناك أيضًا هاوية مليئة **بالديدان** (أو **الحيّات**) شديدة النتانة. وأيضًا هاوية مملؤة **بسائل رهيب للغاية**، وهاوية مملوءة بالجمر المُتَّقِد. وأيضًا هاوية أخرى يتصاعد منها دخان يبلغ عنان السماء. وهناك هاوية تستقر فيها **ملائكة الموت**. وأنا بولس نظرت فرأيت **نهرًا ناريًّا عظيمًا** تتحرّك أمواج كثيرة على سطحه. وكان مغمورًا فيه رجال ونساء: البعض كان مغمورًا حتّى الركبتين؛ والبعض كان مغمورًا حتّى الصدر؛ وبعض آخر حتّى الشفتين؛ وبعض كانوا مغمورين فيه حتّى شعر رؤوسهم. فقُلت للملاك: "**مَن هؤلاء المغمورين في أنهار النيران هذه؟**". أجاب الملاك: "هؤلاء هم الذين لم يعرفوا أن يحكموا ذواتهم أبدًا، وأولئك الذين لم يقدّموا أبدًا كأس ماء بارد، وأولئك الذين لم يلتزموا تمامًا بالصالحين، والذين لم يلتزموا تمامًا بالخطأة: فقد دمّروا بأنفسهم حياتهم على الأرض"». ثمّ أخذ الملاك بولس وأراه **مناطقًا متداخِلَة**،

وشرح له أسباب تنوّع فئات الخطأة. **فبكى بولس** عندما شاهد عقوبات كثيرة، لكنّ الملاك قال له: «لماذا تبكي، يا بولس؟ أأنت أكثر تحنّنًا من الله؟ الله يعلم أنّه ستكون هناك دينونة ولهذا السبب سمح لكلّ إنسان أن يفعل ما يريد على الأرض». وبعد ذلك قاده لكي يرى عذابات أثقل بسبعة أضعاف من تلك المذكورة (ف٢:١٤).

كذلك أيضًا في حديث **للبطريرك الأنبا تيموثاوس**، وَرَدَ أنّ القدّيس يوحنّا الإنجيليّ بكى حين رؤيته العقوبات الجهنّميّة. كان برفقة ملاك يقوده، ووصلا معًا

> «إلى **بحيرة** رهيبة للغاية، وكانت تقع **في وسط بحيرات أخرى**. كان عمقها واتّساعها أكبر بكثير من كافّة البحيرات (الأخرى). وسمِعتُ (أنا يوحنّا) هناك الضجيج العظيم الذي يُشبه عجيج المياه الكثيرة. فسألتُ الملاك الذي كان سائرًا معي: "يا سيّدي، ماذا تعني هذه الهاوية التي أراها، التي **يتصاعد من وسطها مثل هذا اللهيب الناريّ العظيم الشديد التوهّج؟**". فهذا اللهيب يرتفع إلى مسافة ٣٠٠ غَلوَة. ورأيت **أُسودًا ناريّة أفزعتني، وتنانين من النار، وحيّات وعقارب، والدُبّ الناريّ**، والدود الذي لا يموت الذي يتلوّى حول نفسه، **والثعابين والأفاعي السامّة المُرعِبَة**. وكان هناك **دولاب للتعذيب**، وآلاف وربوات من الصواعق الحارِقة تنطلق وتسقط في هاوية الجير الحيّ **المتلظّي بالنيران**. وقال لي هذا الملاك: "يا يوحنّا، حبيب الله، إنّ هذه العقوبة التي تراها هي أفظع من جميع العقوبات. الويل لجميع الخطأة الذين سيُطرحون في هذا العذاب.. الدولاب الناريّ الذي رأيته يُنزِل الخطأة الذين فوق إلى أسفل، ويُغرِقهم فيه طوّال ٣٠٠ يوم. ولا يُمكن لإنسان البقاء في جهته

السفليّة (من الدولاب)؛ (ثُمّ) يدور بهم لأعلى من جديد...

فبكيتُ طويلًا بسبب هلاك الخطأة» (ف٣:٢).

٢. بداية الجحيم:

يبدأ جحيم النفس، كما هو الحال في الفردوس، بعد الموت وبعد الدينونة الخاصّة. يبدأ على الفور ولا يتغيّر شيء بعد الدينونة العامّة، بل يمتدّ ليشمل الجسد أيضًا. لذلك، نرى أنّ عيد بطرس قد سار ضدّ نهج كنيسته إذ حاول تقديم جحيمين اثنين، ثانيهما وحده هو الذي سيكون الحقيقيّ: ذلك الذي سيبدأ بعد القيامة. أمّا الأوّل الذي يعقب الوفاة، ليس إلّا حجزًا تحفُّظيًّا. «الذين ارتكبوا خطايا ثقيلة لهم جهة خاصّة بهم، تتناسب مع خطاياهم. ويكونوا قَلِقين وحزانى، **إذ يتعرّفون** على جسامة ذنوبهم. **لا يرغبون في شيء سوى اقتراب محاكمتهم، لأنّهم واثقين من حلول العقوبة الصعبة عليهم**» (ف٦:٢٣). ويتبع بولس سيدهم هذا السبيل نسبيًّا، إلّا إنّه ينكر وجود المَطهَر بعد ذلك. فبعد تأكيده بأنّ **الحياة الحقيقيّة تبدأ بعد الموت**، يطرح السؤال حول أين وكيف ستُقضى تلك الحياة. ثمّ يجيب: **الفردوس للأخيار وجهنّم للأشرار**. ويقول في وصف جهنّم: «**أمّا جهنّم فهي**: الموت بلا فناء، الليل بلا نهار، الظلمة واللهيب، الخواء والعار والشنار، مقام الأشرار، طبقة النيران» (ف٦:٢٧/ ١٢).

أمّا **إنجيل برثلماوس المنحول** فيقول عن يهوذا، «قد كان اسمه ساطعًا في كتاب الحياة»، ثمّ يُضيف أنّه على الفور حوكم كشيطان (ف٢:٦). ويواصل **إنجيل يوحنا** المنحول المشابهة مع الحكم النازل على الشيطان وكافّة الأبالسة فيقول إنّهم فور أن

أخطأوا «*eo temporis momento* e gradu suo deciderunt»»، «أُنزلت مرتبتهم في التوّ واللحظة» (ف٢:٤). أيضًا، القدّيس إيسيذوروس البيلوزميّ حين سُئل عن مصير الأموات، أجاب بأنّه بعد الموت مباشرة يذهب الصالحون إلى الفردوس وكذلك أيضًا يذهب من فعل شرًّا إلى «*ad sempiternum rogum proficiscetur*»»، «موضع التعاسة الأبديّة» (ف٦:٥). أمّا مرقس الترمقيّ، فقد ورد في رؤياه أنّ من يموت في حال الخطيئة، في اليوم الثالث لوفاته «تبقى واقفة **أمام محكمة المسيح**. ثمّ يصدر أمر من الله: "**فلتمضِ هذه النفس** التي لم تكُفّ عن أعمالها (الشرّيرة) **إلى موضع العذاب**، لتلقى ما تستحقّه أعمالها"» (ف٣:١٢).

إنّه اعتقاد ثابت بذلك العذاب الفوريّ الذي ينتظر الخاطئ بعد الموت، ففي **الحوار** الذي دار بين **القدّيس بسنتاؤس ومومياء**، قيل وكأنّه للتدليل على ذلك أنّها كانت الفكرة السائدة في عصر المصريّين القدماء أيضًا. ففي الواقع روت المومياء:

> «**حينما أشرفت على الموت**، كان سادة عالم الظلمات هم أوّل من ظهر أمامي، وقالوا لي: "أين أعمالك التي قُمت بها؟ وأين السيّئات التي فعلتها؟ عسى أن يأتيك أبو أصيدان الذي كنت خادمه، الذي وثقت فيه، والذي توكّلت عليه وقُلت: إنّك الإله! فليأتِ ويُنقِذك من العذابات التي ستحدث لك وتُهاجِمك". . وبعد ذلك استخرجوا روحي من جسدي، **وملائكة الغضب المُكلّفين** بهذه المُهِمّة، ربطوني بلا رحمة في ذيل فَرَس أسود حالِك السواد، وساقوه نحو الغرب. يا ويل الخطأة أمثالي! كم هي قاسية عذاباتهم! وكم هي عنيفة عقوباتهم! آه، لو لم أرتكِب خطايا! يا ليتني لم أولد في هذا

العالم. لقد أسلموني، يا سيّدي، يا أبتِ، **لزبانية ذوي عنف وقسوة شديدة بلا أدنى رحمة**، قد أعدّوا عذابات من مختلف الأنواع، وكلّ منها بشكل مختلف» (ف٣:١٠).

لقد سبق لنا أن عرضنا هذه المسألة في الفصلين اللذين تناولا **الكتابات المنحولة وسير القدّيسين**، كما عرضناها من الجانب العقائديّ في الفصل الذي تناول **اللاهوت**. لذا ليس لزامًا علينا التوسّع في المسألة حيث أنّه ليس هناك داعٍ تنسيقيّ ولا تبريريّ.

٣. أبديّة الجحيم:

أبديّة الجحيم مسألة معقدة أكثر مما نتوقّع. ففي الواقع، هناك عناصر مختلفة لنظريّات مختلفة تتابعت في مصر في القرون المسيحيّة الأولى لا تزال موجودة ومنتشرة في الوثائق القبطيّة. الأبوكاتاستاسيس، نظريّة الألفيّة، زوال الخطأة، التخفيف عن المدانين، الأبديّة غير المشروطة: هذه كلّها تتردّد بدرجات موسّعة في الكتابات المسيحيّة المصريّة. ولكن إذا كان المرء لا يأخذ بعين الاعتبار حيرة بعض المؤمنين، حينئذٍ يكون الاعتقاد في أبديّة الجحيم هو الذي يسود.

أحيانًا تكون **الأبوكاتاستاسيس حالة شاملة**، حيث أنّها تتضمّن الخلاص الأخير للشياطين والبشر المُدانين؛ وأحيانًا **عامّة** بحيث تنطبق على البشر وحدهم؛ وأحيان أخرى تكون **خاصّة** فقط، بمعنى أنّ الخلاص سينطبق على المُعمّدين وحدهم دون سواهم. إكليمنضس، أوّل كُتاب الدسقوليّة الإسكندريّة لم يكن واضحًا في هذا الشأن، إذ تكلّم عن دينونة إلهيّة «**كاملة بكلّ جوانبها**» «perfectum ex omni parte». وأكّدَ أيضًا «وجود العذابات الجهنّميّة الأبديّة» «aeternum ignis

supplicium exsitit». لكنّه اعترف بها وفقًا لمبدأ أنّ كلّ عقاب ينزله الله إنّما هو بقصد الشفاء، ممّا يحمل على الاعتقاد بأنّ «مختلف أنواع العقوبات إنّما هي بهدف تصحيح السلوك البشريّ» «poenarum quibus hominum mores castigentur» (ف٦:١)، لكنّه لم يوضّح ذلك. بَيْدَ أنّ أوريجانوس كان أكثر تحديدًا للفئة، حيث أنّه اختصّ العارف (الغنوصيّ) بذلك في تعليمه. فالكامل هو من يعرف كلّ شيء، فإن كانت النفس التي على شفا الموت تجهل ما يجب عليها معرفته، لن تدخل السماء. لكنّها لن تكون مُبعَدة للأبد، فبعد الموت هناك «مدرسة النفوس» «schola animarum» التي يمكن لكلّ نفس ترتفع من الأرض بقيادة الملائكة أن تدخلها لمتابعة الكمال في العلم. وهكذا بالعبور من طبقة إلى أخرى، من نور إلى نور، من العناصر إلى الملائكة، من الملائكة إلى المسيح، ومن المسيح إلى الله، يمكن لكلّ كائن روحانيّ أن يبلغ النجاة، إلى حين الخلاص العامّ أو القيامة العامّة (ف٦:٢). أيضًا، يبدو ديديموس الضرير من نفس المدرسة الفكريّة، إذ يقول: «ما أن تتمّ هذه العبادة الروحيّة السرّيّة.. لن يكون هناك فيما بعد **كنعاني** في بيت الربّ القدير: في **ذلك اليوم الذي يكون فيه الخلاص العامّ للجميع**» (ف٦:٤).

كما هو معروف، مبدأ الخلاص العامّ مرفوض حتّى من قبل انفصال الكنيسة القبطيّة عن الكنيسة الكاثوليكيّة. مع ذلك، بسبب ترجيح اتّفاقه مع رحمة الله، عادت بعض مؤشّراته للظهور في بعض الكتابات الشعبيّة. ففي **رؤيا بطرس**، رغم أنّ الحديث يدور حول «الظُلُمات التي بلا نهاية»، في الختام زال عدم ارتياح بطرس: «أنت (يقول الربّ لبطرس) ينبغي عليكَ ألّا تُخبِر الخطأة بما تسمعه، لأنّهم قد

يُكثروا من تجاوزاتهم ويرتكبوا الخطايا». فبكي بطرس عِدَّة ساعات، لكنّه تَعزّى أخيرًا بهذا التأكيد من جانب الربّ: «**سيُعطي أبي للجميع الحياة والمجد والملكوت الذي لا يزول**. لقد أتيت بسبب الذين آمنوا بي؛ وكذلك أيضًا بسبب الذين آمنوا بي، بكلّمتهم، **سأتحنّن على البشر**» (ف٢:١٣).

أيضًا، في **حديث البطريرك الأنبا ثيؤدوسيوس** عن القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة يبدو أنّ الخلاص العامّ سيمتدّ **للشياطين** أيضًا. إذ يقول إنّ القدّيس ميخائيل طرح الشيطان في «**بحيرة النار**» وأنّه «**سيكون حبيسًا هناك حتّى يوم الدينونة الكُبرى**» (ف٣:١). وبعد ذلك؟ هذا ليس واضحًا أو على الأقلّ غير منطقيّ، لأنّه حين **الدينونة الكبرى** سيعلن الربّ حكمه على المدانين أيضًا، وسيكون حكمًا بالإدانة. أمّا فيما يتعلّق **بالبشر**، فقد ورد في **إنجيل برثلماوس** أنّ يسوع أفرغ أمنتي وحطّم أبوابها. ولم يجد رؤساء الجحيم «أحدًا في ذلك الموضِع، سوى أرواح **الرجال الثلاثة** الذين.. تمّ استبعادهم من **مصافّ القدّيسين** ومن **معرفة الخلاص**، ألّا وهُم **يهوذا وقاين وهيرودس**.. يهوذا خان الربّ في كلّ ما هو في السماء وعلى الأرض؛ وهيرودس لَطَمَ يسوع لطمة قويّة على وجهه؛ وقاين ثار على أخيه وقتله» (ف٢:٦). كلّ ما حدث قبل مجيء يسوع الأوّل، هل سيتكرّر أيضًا في مجيئه الثاني؟ هذا الأمر لم يُضِف إنجيل برثلماوس شيئًا بشأنه. مع ذلك، كأنّها استمراريّة لهذه المعتقدات، يَجْدُر ذكر **خطاب الأنبا تيموثاوس بطريرك الإسكندريّة** إكرامًا للقدّيس ميخائيل رئيس الملائكة. هذا المرجع يقول بإنّ القدّيس ميخائيل خفض جناحه ثلاثة مرات «**في بحيرة النار**» وفي كلّ مرة اغترف به «**جمهرة من النفوس**». وبإحصاء

إجمالي الذين اغترفهم نجدهم ٢٠٩٥٨٧٠ (مليونين وخمسة وتسعين ألفًا وثمانمائة وسبعين) نفسًا. ثمّ يُضيف المرجع: أنّ يسوع المسيح وجّهَ «صوته إلى النفوس المعذّبة، **كي يمكن أن ينالوا الراحة**: سواء المسيحيّين، الأمم، أو اليهود» (ف٣:٢). الانعتاق الجزئيّ تتكلّم عنه أيضًا **الليتورجيا** الحالية، ولكن كما سنرى في حينه، المسألة تتعلّق «بالنار المُطَهِّرة» (*ignis purgatorius*) أكثر من «النار الجهنّمية» (*ignis infernus*).

الفناء، في الأخرويّات عند المصريّ القديم قاصرة على أعداء أوزيريس (ف٢: المقدّمة). والكتابات المنسوخة منها باللغة القبطيّة موجودة في كتاب **حكمة الإيمان**، حيث يوجد وصف لجهنّم باعتباره «منطقة لا رحمة فيها ولا نور، بل البكاء وصريف الأسنان». هناك أيضًا فئة من البشر، وهم **الخطأة الأكثر دنسًا** «لا يمكنهم العودة من جديد إلى المنطقة: **بل سيهلكون ويتلاشون**» (ف٢:١٢). فكرة التلاشي، مع فكرة **الألفيّة** تتكرّر في **برديّات نجع حمادي الغنوصيّة**، حيث يدور الحديث عن أسطورة **طائر العنقاء** (أو فينيكس). «آلاف السنين في الجنّة تمرّ عليهم في عالمهم. . هناك ثلاثة رجال (ثلاثة فئات من البشر).. **أرواح إيون، والنفسانيّون والأرضيّون**. هؤلاء الثلاثة تُقابلهم ثلاثة عنقاوات (فينيس) في الجنّة. الأولى **خالدة**. والثانية تتضمّن **ألف سنة**. ومكتوب عن الثالثة في السِفر المقدّس أنّها ستُؤكل» (ف٢:١١). أمّا بالنسبة للموقف الحالي، فلا بد من القول إنّها نظريّات منسيّة. بَيْدَ أنّ فكرة الفناء تتكرّر لسبب واحد فقط، ألا وهو رغبة المُدان فيها حين يرى الآلام الرهيبة التي لا نهاية لها (ف١٢:١؛ ف٣:١٠).

هناك نقطة أخرى في الأخرويّات القبطيّة يدور النقاش حولها، ومن جوانب كثيرة مُعاصرة أكثر من النقاط السابقة، ألّا وهي إمكانيّة حصول النفوس المتألّمة على الراحة من قِبَل الأحياء. مراجع مختلفة تعترف بذلك. جمجمة الكاهن المصريّ كشفت للقدّيس الأنبا مقّار:

«أيّ ساعة ترحّمتَ على الذين في العذاب، صلِّ من أجلهم، **فينالون بعض التعزية**» (ف٣:٧).

«Quacumque hora misertus eorum qui sunt in tormentis, oraveris pro eis, *paululum solatii accipiunt*».

وهناك **أيضًا** مومياء من العصر المصريّ القديم أكّدت ذلك للقدّيس الأنبا بسنتاؤس: أنّ المعذّبين يُمنحون راحة من عذاباتهم **في أيّام الآحاد وأوقات الصلاة**. وقالت المومياء التي نفسها في الجحيم إنّ **الشياطين الزبانية** «يُشفقون على جميع المعذَّبين، **ويمنحوهم راحة في ليلة الأحد**، لأنّها قيامة المسيح؛ لذا يعطونهم راحة من **الجحيم من الساعة التاسعة يوم السبت حتّى نهاية يوم الأحد**». ثمّ استطردت تقول: «**حين صلّيت من أجلي، أمر الربّ أولئك المكلّفين بتعذيبي فكفّوا عنّي وأزالوا دخّان النار من فمّي**». وحين توسّلت المومياء للقدّيس بسنتاؤس أن يصلّي ثانية من أجل نفسها، كانت إجابته تتضمّن معرفة بالخلاص العامّ الأخير: قالت المومياء «أستحلفك بمحبّة الله، أن تُصلّي من أجلي لكي يرحمني [الله]». فأجاب الأنبا بسنتاؤس: «الربّ الرحوم الشفوق سيتصرّف معك برحمة بحسب عظمة رحمته: **وهكذا يمكنك أن تستريح، مثلما أنت الآن، حتّى يوم القيامة**» (ف٣:١٠).

هذه الراحة التي تحدث يوم الأحد، والتي تُضاف إليها **الخمسين يومًا الممتدّة من الفصح حتّى العنصرة**، سبق الحديث عنها في **رؤيا القدّيس بولس**. المسيح يُظهر ذاته عنيفًا تجاه المُدانين، لكنّه بعد ذلك يقول لهم: «حيث أنّهما (ميخائيل رئيس الملائكة وبولس) قد قدّموا تقدمات من أجلكم ومن أجل إخوتكم؛... فبدافع من صلاحي؛ ولأنّني قُمت من بين الأموات؛ **سأمنحكم الراحة في يوم الربّ [الأحد] في كلّ أسبوع، وطوال الخمسين يومًا التي تلي [يوم] القيامة**» (ف٢:١٤). الاعتقاد في هذه الراحة ليس معتقدًا انتهى أمره، فقد توارثته **الليتورجيا المقدّسة** ولا تزال تطرحه على المؤمنين حتّى اليوم. ففي **طقس السجدات الثلاثة الذي يقام يوم العنصرة**، والمعروف **أيضًا بصلاة السجدة**، تأمّل صريح في هذا الأمر: «ففي هذه الليلة [ليلة العنصرة] ، **تسجد النفوس التي خرجت (تحرّرت) أثناء أيّام الخمسين**، فرحًا بالربّ الذي قام من بين الأموات، **وخلال هذه الأيّام الخمسين** أطلق جميع الذين كانوا في العذاب. **هذا أيضًا يحدث في ليلة كلّ أحد** على مدار السنة» (ف٥:١٨). السبب في منح الراحة المذكور هنا، يؤدّي إلى إفراغ الجحيم، الوارد وصفه **في إنجيل برثلماوس المنحول** (ف٢:٦).

الأقباط المعاصرون يعتقدون في كلتي الراحتين، أعني راحة الآحاد وراحة الخمسين، ويدلّلون على ذلك بالسجدة كمصدر مباشر لما يعتقدونه (ف١:١٢). إلّا إنّ الأمر الغير واضح تمامًا ولن يسهل توضيحه هو ما إذا كانت هذه النفوس محكوم عليها فعلًا بالعذابات الأبديّة أم هي نفوس في حال التطهير. وينبغي ألّا ننسى أنّ

علم الأخرويّات لدى الأقباط لم يسلك بعد مسار التطوّر. وسنعود لاحقًا لهذا الموضوع في المقال المخصّص **للمَطهَر**.

الهدف الأوضح الذي تمكّن الأقباط من تناوله ومناقشته عبر القرون بشأن مسألة الجحيم، هو **أبديّة الجحيم**. **الجحيم أبديّ**. هذا المفهوم هو الذي طغى على المفاهيم التي سبقته، حتّى وإن كان لا يزال مرتبطًا ببعض نقاط الحيرة الرجعية. وهو مفهوم سهل التكرار في كافّة الوثائق. فإكلّيمنضس الإسكندريّ، على الرغم من الشكّ السابق توضيحه في تعليمه العقائديّ، وضع المبدأ الواضح: «العذابات الجهنّمية الأبديّة موجودة» «aeternum ignis supplicium exsitit» (ف١:٦). هناك **أيضًا** ترنيمة مصريّة من القرن الرابع تتضمّن هذا التأكيد: «نار جهنّم مُرعِبَة، **رهيبة على الدوام**» (ف١٦:٥). أمّا **إنجيل يوحنّا المنحول** المنسوخ باللغة العربيّة فلم يدع مجالًا لسوء الفهم:

«والذين ينكرون اسمي، أجعلهم ورثة لنار، **لا تنطفئ ولا تتلاشى ولا نهاية لها**» (ف٤:٢).

«Eosque qui nomen meum reicerunt heredes ignis instituam, *cui neque extinctio erit neque consumptio neque terminus*».

وأيضًا **سفر يوحنّا المنحول (أبوكريفون يوحنّا)** المنسوخ باللغة القبطيّة ينصّ على أنّه في الحياة الأخرى يوجد مكان لن تُقبَل فيه **«أيّة توبة»**. ثمّ يكرّر تطابقًا مع الإنجيل، أنّ الذين جدّفوا على الروح القدس **«سيتعذّبون بعقوبات أبديّة»** (ف٥:٢).

من جهة أخرى، سير القدّيسين التي تُلهب المشاعر التقويّة لدى الأقباط هي حاسمة **أيضًا** في هذا الصدد. فالقدّيس بسنتاؤس في حواره مع من كان يروي له الأحداث المتقلّبة التي مرَّ بها في رحلة ما وراء القبر، سمع التصريح التالي:

«**ملائكة الغضب**.. أخذوني وطرحوني أمام الوحوش [الجهنّميّة] المُرعِبة **التي لا تتوقّف أبدًا، بل تلتهم باستمرار**. أحاطت به أفواه الوحوش كلّها، وعندما يمتلئ فمّ الوحش، تملأ الوحوش كلّها أفواهها في نفس الوقت. إنّ ألم لدغات أذناب العقارب لا تُعَدُّ شيئًا مقارنة بأنياب الوحوش، لأنّ ألم لدغة العقرب لا يزيد عن يوم أو اثنين، **لكنّ ألم هذه لا يزول، لا يقِلّ ولا يتوقّف أبدًا**» (ف١٠:٣).

كذلك أيضًا، **مسائل ثيؤدوروس** ساطعة الوضوح في هذا الصدد. فقد سبق ورأينا أنّه وفقًا لما ورد في هذه الوثيقة، أنّ الذي يموت في حال الجحود يسمَع **«حالًا»** حُكم يسوع الذين يُدينه بالجحيم. وأنّه حين يأتي يسوع للدينونة العامّة، يتقدّم نحوه أيضًا الآثمين،

«"الغارقين في النيران حتّى نصف أجسادهم، حتّى يسمعوا الحُكم عليهم". فقال الكاهن: "إن كانوا لن ينجوا من العذابات إلى حين الدينونة، وإن كان العذاب قائمًا، فما الحاجة إلى الحكم عليهم [مرّة ثانية]؟ فهم بالحقيقة في العذاب فعلًا!". يجيب البابا: قلتُ في مرّة أخرى: "في **لحظة خروجهم من الجسد يُساقون إلى الجحيم** فورًا". **لكن الآن يُساقون لكي يعرفوا الديّان الحق، يسوع**». وحالهم في العذاب يظلّ بلا تغيير إلى **الأبد**. ثمّ يقدّم السبب فيما بعد، ألّا وهو أنّه لا وجود للرحمة في

الجحيم. «إنّها في العالم. فمن يتوب في هذا العالم قبل أن يموت، يقول يسوع، ذاك هو الذي أغفر له. لكن من يموت دون أن يتوب: **فما مضي قد مضى!**» (ف٦:٩).

يترتّب على عقيدة أبديّة العذابات، وخلافًا لما سبق عرضه بشأن راحة النفوس، إن كان هذا يتعلّق بالنفوس المُدانة، **قوانين الرسل تنصّ صراحةً على عدم جدوى صلوات الترحيم**. «أمّا المنافق فإذا دفعت كلّ شيء في العالم عنه للفقراء، فإنّه لا ينفعه» (ف٢:١٩). كما تنطق بها أيضًا **الدساتير الرسوليّة** بنفس القوّة والصرامة (ف٢:١٨).

٦- المَطهَر:

النقطة الحاسمة أو صُلب الموضوع في الأخرويّات القبطيّة هي المَطهَر. لذلك ينبغي التعجيل بتوضيح أنّ هذا العنصر من عناصر الأخرويّات أكثر من غيره لم تتكوّن فكرة واضحة أبدًا لديهم بشأنّه. لم تكن لدى الأقباط وبالتالي ولا لدى الذين يشرحون تعليمهم العقائديّ.

في العادة، علماء العقائد الكاثوليك يُمسكون على الأرثوذكس وصمة التناقض: **أنكره لاهوتيًّا وأقبله طقسيًّا**. أمّا نحن فيبدو لنا الأصحّ أن نعرض المسألة ونبحث عن خيط المنطق فيما بين الشرقيّين المنفصلين، فقد يكون إنكارهم وقبولهم مختلفة. بالتالي، يكون ما يُنكر في اللاهوت يُنكر تحت نفس الجانب أيضًا في الطقس. وبالعكس ما يُقبل في الطقس مرتبط أيضًا باللاهوت. فإن أمكن إعادة بنيان التوافق بين النظريّ والعمليّ، سيكون من السهل اتّخاذ موقف بشأن المعتقدات الحقيقيّة للأرثوذكس.

ينبغي القول أوّلًا بإنّ ما لدى الأقباط من وثائق تقليديّة سواء كانت طقسيّة أم نظريّة، لا شكّ في أنّها تنقل «وديعة إيمان» ثريّة. لكنّ الكُتّاب المعاصرين اتّخذوا موقف البغض دون توضيح الفكرة. لقد انطلقوا في صراع حادٍّ ضدّ الكاثوليك مدفوعين بروح المعارضة وتزايد اشتعال هذا الروح خلال المئة سنة الأخيرة بالهجوم النقديّ المعترض خاصّة فيما يتعلّق بالغفرانات. لكن حيث أنّهم لا يعرفون أين يسدّدون ضرباتهم، خاصّة بسبب نقص الوضوح في الأفكار، ألقوا الضوء على عناصر تقليدهم التي بفعلها انتهى أمرهم، دون قصد منهم، إلى منح ما قصدوا إنكاره في البداية. منحوه دون أن يدروا. وهكذا اتّضح أنّ المَطهَر، من حيث جوهره، لديه بيئة مواتية في الكنيسة القبطيّة أكثر ممّا هو متوقَّع.

١. مفهوم المَطهَر:

بغض النظر عن جميع الكماليّات، المَطهَر يتضمّن جوهره ثلاثة أفكار أساسيَّة: ١) **حالة العقوبات المُطهِّرة** التي تكابدها بعد الموت فورًا تلك النفوس التي لا تستحقّ الفردوس ولا العقاب الأبديّ. ٢) **كونها حالة مؤقّتة**، إذ ينتهي أمر النفوس بقبولها في الفردوس. ٣) إمكانيّة أن يُصلّي الأحياء **من أجل راحة النفوس** التي تكون قيد التطهير.

هذه النقاط العقائديّة الثلاثة سالفة الذكر، التي تُشكّل صُلب المَطهَر، موجودة في صُلب تعليم الكنيسة القبطيّة. كما يعترف بها أيضًا المجادلون المعاصرون الثائرين المناهضين للكاثوليك. بَيْدَ أنّ الاختلاف يكمن في النقاط الكماليّة أو الملحقة، لذا يجدر فورًا تحديد الأساسيّات.

١) فيما يتعلّق بوجوده:

الأقباط المعاصرون رغم اعتقادهم بوجود حالة **متوسّطة** بين السعادة الأبديّة والعقاب الأبديّ، ورغم نُدرة الذين لا يعتقدون بذلك، مع ذلك يرفضون الاعتراف بالمَطهَر. الأقباط يرفضون لأنّهم يقولون بأنّه وفقًا لمعتقد الكاثوليك الثلاث حالات، وبالتالي الوسيطة أيضًا، تندرج في مفهوم الدينونة الخاصّة. أي أنّهم ينكرونها لأنّها مرتبطة بدينونة. لكن يعترفون بوجود الثلاث حالات اعتمادًا على أحكام أخلاقيّة لا دينونيّة. فالأقباط الذين يحاولون إنكار الدينونة المنصوص عليها بشكل معيّن، ينتهي بهم الأمر بقبولها في شكل آخر. لذا فإنّ أسباب إنكارهم للمَطهَر مرجعها إنكارهم للدينونة الخاصّة. وقد سبق لنا تناول هذه المسألة.

٢) فيما يتعلّق بالزمنيّة:

مقبولة بمعنى أنّ الحالة المتوسّطة لها بداية ونهاية. لكنّ عدم اليقين أو الحيرة الممتدّ في التقليد حتّى أيامنا هذه، ينشأ ما أن يدور التساؤل متى تبدأ حالة التطهير ومتى تنتهي. وفي الواقع، قد أُعطيت كلّ الإجابات: إنّها تمتدّ من وقت الوفاة حتّى الدينونة الخاصّة؛ أو أثناء كامل سياق هذه الدينونة عينها حتّى صدور الحكم؛ أو من وقت النطق بالحكم حتّى وقت متوسّط؛ أو حتّى الدينونة العامّة؛ أو أيضًا حتّى الخلاص العامّ الأخير.

٣) فيما يتعلّق بممارسات الترحيم:

تجري ممارستها بتوسّع، والصلاة والصدقة تتصدّران المقدّمة. هنا نجد الشكّ متناثر أيضًا بين الأقباط المعاصرين الذين يحاولون تحريف غايتها. سنتناول أسبابهم في الفقرة اللاحقة من مقالتنا هذه.

نتناول الآن البراهين. نأخذ أوّلًا الأقباط المعاصرين الذين ينكرون المَطهَر ولكن يعترفون بحالة متوسّطة. الأرشيذياكون خرستوس متري، في مدينة القاهرة بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣، بعد إنكاره للدينونة الخاصّة والمَطهَر وَضّحَ ما يلي: «بعد الموت، قبل الدينونة العامّة، هناك ثلاثة منازل للنفوس، ألّا وهي: الفردوس، **موضع انتظار الصالحين**، وموضع الأشرار» (ف١:١٢). أمّا الراهبة لميعة، ففي نقادة بتاريخ ٢ يناير ١٩٦١، بالمثل بعد إنكارها، أضافت: «كلّ نفسٍ **تتعرّف** بعد الموت على الخير والشرّ الذي فعلته. من هذه المعرفة تتشكّل **ثلاثة حالات**: الفردوس، **الموضع الذي ينتظر فيه الصالحين**، والموضع الذي ينتظر فيه الأشرار متألّمين». وقالت بشأن أولئك الذين مصيرهم كلّ حالة من الحالات الثلاث: «في الفردوس: العذراء مريم، والأبرار الذين من العهد القديم، والرُسل وتلاميذ الربّ، والشهداء وجميع القدّيسين الكبار.. **في الموضع المتوسّط**: جميع الآخرين الذين ارتكبوا بعض الخطايا، لكنّهم لا يستحقّون جهنّم.. في الحالة الثالثة: الخطأة. لكنّ ضميرهم يؤنّبهم ومنذ الآن يعانون صريف الأسنان وعذابات النار» (ف١:١٢).

الكاتب عيد بطرس أعدّ دراسةً نشرها عام ١٩٣٣ ردًّا على مسيحة القبطيّ الكاثوليكيّ. في سياق دراسته، بعد أن قال بوجود دينونة عامّة فقط ، راح يستنتج ما

يلي: «الكنيسة الأرثوذكسيّة تعتقد بأنّ الموضع الذي تكون النفوس فيه هو بمثابة مستودع تبقى فيه النفوس انتظارًا ليوم القيامة العامّة، أي حتّى الدينونة العامّة». ثمّ أضاف أنّ المستودع المذكور ينقسم إلى **ثلاثة أقسام**: موضع علويّ، وموضع سفليّ، **وموضع متوسّط**. وعن هذا الموضع الأخير قال: «ومن كانت ذنوبهم بسيطة لا تُذكر يوجدون في جهة مريحة فيكونون في راحة ويرغبون جدًّا في سرعة مجيء يوم المحاكمة لوثوقهم بالعفو عنهم وذهابهم إلى بيوتهم» (ف٦:٢٣). عقب قوله هذا، يهاجم عبد بطرس الكاثوليك ويُفنّد حجّتهم بقوله إن كان هؤلاء يوردون مثال **اللصّ اليمين**، فهو «**أُدخِلَ الفردوس الأرضيّ، لا السماء**». كما أنّ يسوع، الذي قال له «تكون معي»، لم يذكر السماء بل الفردوس. وإن كان الكاثوليك يتذرّعون **بالطقس القبطيّ الغنيّ بصلوات الترحيم**، فهو يجيب: «الصلوات من أجل التعزية الأحياء لا من أجل الأموات». وسنرى في الفقرة الثالثة التالية مدى جودة قراءة عبد بطرس لطقسه. وإن كان الكاثوليك يتكلّمون عن الدينونة الخاصّة التي بناءً عليها تتحدّد الحالات الثلاث، فهو يقوم بتجريحهم: «الكاثوليك يعلمون مثل تعليم غير المسيحيّين، الذين ينفخون في أذنيه لكي يجيب (أي المتوفَّى) على أسئلة الملائكة..». هنا يخشى عبد بطرس ذكر اسم المسلمين، في أنّه هو القبطيّ، يجهل أنّ التقليد القبطيّ تكلّم عن **ملائكة الغضب** قبل الإسلام بقرون كثيرة (ف٢:١٢؛ ف٧:٢). بل ويتجاوز الحدّ فيُطلق عبارة لاذعة: الكاثوليك يرسلون النفوس إلى السماء «**بواسطة بيع صكوك الغفران**». قالها له البروتستانت، وهو يردّدها (ف٦:٢٣).

كذلك **أيضًا الأبا لوكاس**، المجادل اللاذع ضدّ الكاثوليك، والذي توفّي أثناء إعداد هذه الدراسة، **أعاد التفكير** في مسألة صكوك الغفران العسيرة الهضم فكتب: «المَطهَر بدعة تجديفية غبيّة، وعدوى وثنيّة، **لتناقضها مع كرامة دم الفداء**». الأبا لوكاس أسقف، وهو ينسى أنّ القدّاس الذي يحتفل به من أجل الراقدين يطبّق بدقّة تامّة استحقاقات «دمّ الفداء». بل بعداوته يبترّ ويفسّر بشكل معكوس غاية الترحيم: فيقول بإنّه لا يفيد الأموات بل الأحياء، فالصلوات تجلب **للأحياء** بركة الأموات، وتُريح الأموات **من قلقهم على الأحياء** (ف٦:٢٧/٦).

وهناك **أيضًا** القمص ميخائيل مينا، وهو من أفضل اللاهوتيّين الأقباط في الفترة الحالية. هو أيضًا يقبل وجود **حالة متوسّطة** تنتهي عند الدينونة العامّة، ولكن ليس المَطهَر. الترحيم يفيد هذه الحالة المتوسّطة. فهذا «توسّل إلى الله بطلب الرحمة في يوم الدينونة **للمنتقلين الصالحين الذين لم يصلوا إلى درجة النقاوة الكاملة**». وهو يرفض عقيدة **المَطهَر** لسببين: لأنّها تفترض وجود الدينونة الخاصّة، ولأنّها تُسهل للناس ارتكاب الخطايا بأمل مغفرتها بعد الموت. بالإضافة إلى **عشرة** صكوك الغفران، التي تتجاوز كلّ شيء «فتُقيِّد قدرة الله»، بتمديدها لسلطة البابا. أي أنّ البابا يستخدم الغفرانات لتقصير فترة الكفّارة التي حدّدها الله (ف٦:٢٤). لكنّ من السهل ملاحظة أنّ المعلومات الأكثر دقّة عن المعطيات العقائديّة من شأنها أن تجعل الجزء الجدليّ من عرضه عديم الجدوى.

لدينا أيضًا دلوار المنفلوطيّ، الذي نشر كُتيِّبًا عام ١٩٤٧ عن **المَطهَر** لمعارضة الكاثوليكيّ الأبّ حنّا نوير. وقد رفضه لأربعة أسباب: ١) **العناية الإلهيّة**: فقد خلق

الله النفس والجسد ليعيشا معًا، ليتنعّما أو يتألّما معًا. فإن كانت النفس ستتألّم أو تتنعّم وحدها بدون الجسد بعد الموت، سيكون ذلك مناقضًا للعدالة الإلهيّة. ٢) **سرّ التوبة**: سيكون سرًّا عديم الجدوى لو أمكن للنفس الخلاص في المَطهَر. ٣) **القصد الصالح**: لو كان هناك حلّ من كلّ الذنوب بالاعتراف الأخير وفي المَطهَر، فلا جدوى للاهتمام بعمل الصالحات. ٤) **ضدّ العدل**: إذ يخلّ ميزانه بيع صكوك الغفران، التي يمكن للغني شرائها ولكنّ الفقير لا يستطيع ذلك. النتيجة: الغنيّ يتنعّم في العالم وفي العالم الآخر، أمّا الفقير فيتألّم في كليهما. بالتالي لن يتقبّل أحد مثل هذا الانعدام الهائل للعدالة (ف٦:٢٥). كما هو واضح، المنفلوطيّ لديه خيال واسع أكثر من الإيجابيّة في التعليم العقائديّ.

أمّا بانوب عبده فقد انضمّ لصفوف المعارضة منذ عهد قريب، فقد رفض الدينونة الخاصّة وبالتالي المَطهَر أيضًا. كما اعترف بفائدة الترحيم، لكن في ضوء الدينونة العامّة وحدها. وفيما يتعلّق بما بعد الموت مباشرة، يقول: «تعتقد الكنيسة العامّة أنّ الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها من أجسادها.. الجزاء الكامل مُرجأ إلى يوم الدين». وحتّى يحين ذلك ينالون «عربونًا» للسعادة بانتظارهم **في الفردوس الأرضيّ**، أو تكون سجينة «**عذابات**، مشابهة لتلك التي في الجحيم». هكذا يؤكّد بانوب عبده باسم الكنيسة العامّة ما لا يتّفق حتّى مع تعليم الكنيسة المحليّة التي ينتمي إليها. وبعد ذلك لا داعي للعودة لإنكار التعليم العقائديّ التقليديّ المتعلّق بالدينونة المُباشِرة والجزاء المُباشر، لكي يُقدّم تعليمًا جديدًا يتضمّن

نفس العناصر، **ألا وهو معرفة** الصالحين والطالحين **لعربون** الجزاء المستقبليّ، أي الحالة الحالية في الفردوس الأرضيّ أو العذابات المشابهة لعذابات الجحيم.

كاتب آخر، هو سليدس الذي كتب مجلّدًا معارضًا لوجود المَطهَر، لكنّه عرض فيه شواهد من الكتاب المقدّس، والتقليد والليتورجيا تدليلًا على جدوى الترحيم. وحدّد جدواه كما يلي: «الأقباط الأرثوذكس يصلّون من أجل الراقدين لسبب واحد وحيد، ألّا وهو **أن يرحمهم الله في الدينونة العامّة**». لكنّه يُضيّق النطاق حين يقول إنّ طلب الرحمة يكون فقط لأولئك الذين يموتون مرتكبين خطايا **خفيفة**، أي ليست «**مميتة**» (ف٦:٢٢). هذا التضييق للنطاق بالذات هو الذي يضع سليدس أيضًا في مواجهة دينونة خاصّة وفئات ثلاثة للنفوس بعد الموت مباشرة، أيًّا كانت شكليّة الدينونة أو شكليّة تحديد الحالات الثلاثة.

أمّا الأيغومانوس فيلوثاؤس عوض، فإذ تناول مسألة الترحيم، كتب: «الترحيم مُجدِي بالتأكيد. صلوات الكنيسة وتقدمة القربان الشريف وفعل الإحسان تنفع تلك الأنفس المنتقلة **ببعض نقائص وزلّات بشريّة**». وليست مجدية لأولئك الذين ينتقلون بخطايا ثقيلة وعِناد. ويختم بقوله: «وهذه القضيّة تعتبرها كنيسة المسيح الجامعة من الأجيال الأولى» (ف٦:١٩). هذا الكاتب أيضًا يعود إلى الاعتقاد في الحالة المتوسّطة التي تكون للنفوس بعد الموت. بَيْدَ أنّ المصير المقرّر في الحالات المختلفة يتطلّب تمييزًا يقوم على أساس العدل.

ليس من الضروريّ أن نشير إلى أنّ السلوك الجدليّ لدي الأقباط المعاصرين يؤدّي إلى تشتّت المفاهيم. فهم يحيدون عن خطّ التقاليد القبطيّة القديمة فلا يتّبعونها

فيما بعد أو يشوّهونها. إنّهم يرفضون العقيدة الكاثوليكيّة وينتقدونها دون فهم نطاقها لمضمون جوهرها، فالقصد المشترك بين الجميع هو إنكار وجود المَطهَر. ولكن نظرًا لأنّه لا يندر وجود استثناءات مشتركة أيضًا بينهم، فإنّهم يعترفون بوجود **حالة متوسّطة** للنفوس بعد الموت، وهذه الحالة المتوسّطة المقبولة لديهم تعادل المَطهَر إلى حدٍّ كبير، وبالتالي يُرى جليًّا أنّهم يدورون في دائرة مغلقة. ونقطة انطلاقهم ليست فقط في الكنيسة الكاثوليكيّة، ولكن أيضًا في تقليد الكنيسة القبطيّة. ففي الواقع، التقليد القبطيّ يعترف بوجود النار المُطهِّرة.

قصّة نياحة مريم العذراء تَنُصّ على أنّه بعد موت الأبرار وكذلك الأشرار ينبغي أن يجتازوا اختبار النار، مع اختلاف نتيجته. وهي، أمّ الله، لمّا أشرفت على الموت خافت من النار ونادت ابنها قائلة: «**لتكن أنهار النار**(*)، حيث **يُمتحن** الفريقين، أي **الأبرار والخطأة**، هادئة إلى حين عبوري لها.. نهر النار.. **دَعه لا يحرق نفسي حين أعبُرُ فوقه**» (ف١٥:٢). نفس الشيء نجده في **قصّة القدّيس يوسف**. فالقدّيس يوسف لحظة نياحه توسّل إلى يسوع قائلًا: «لا تسمح بأن تثور ضدّي أمواج نهر **النار، حيث تتطهّر جميع النفوس قبل أن ترى مجد ألوهيّتك: أيها الإله الذي يُدين الجميع بالحقّ والعدل**» (ف١٦:٢). ضرورة أن **يتطهّر الجميع بالنار** تكرّرت في نصّ آخر من **القصّة** نفسها، حيث يؤكّد يسوع لجميع الذين يكرّمون القدّيس يوسف نجاتهم من كافة الأخطار على مسار رحلة ما وراء القبر. فيما عدا تحفّظين اثنين في

(*) فيما يتعلّق بنهر النار يجدر مراجعة الدراسة التي قام بها الباحث إدسمان:

EDSMAN C. M., *Le baptême de feu*, (*Acta Seminarii Neotestamentici Upsalensis*, t. IX, 1940).

هذا الشأن: «ما عدا ضرورة الموت **ونهر النار** الموضوع بجوار أبي، **الذي يُطهِّر جميع النفوس**» (ف١٦:٢). من سياق هذه النصّوص، لا وجه للجدل في وجود النار **وفعلها التطهيريّ**. وأيضًا لا بُدّ من حدوث التطهير **قبل رؤية الله وجهًا لوجه**. غير أنّه ليس واضحًا، إذا ما كانت النفس تمرّ من خلال النار التي تنقّيها **قبل الدينونة الخاصّة**. ومع ذلك، إذا كنّا نتحدّث عن ذلك خلال **مسار رحلة النفس**، التي تواجه فيها الحيّات والتنانين والأُسود **ونهر النار**، فالاعتقاد المرجح أكثر هو أنّه **مَطهَر سابق**.

كما أنّ **رؤيا بولس**، في سياق وصف رحلة النفس «**إلى ديّان الحقّ**»، تتكلّم عن مختلف **القوّات التي في هيئة الوحوش**، المتسلّحة **بمِدىٍ ناريّة كبيرة**. وتقول إنّ جميعها تقوم بتعذيب النفس المنتقلة، **قبل** أن تدخل السماء حيث مقرّ المحكمة الإلهيّة. «إلى أين تنوين الذهاب، أيتها النفس التَعِسة؟ أتريدين الذهاب إلى السماء؟ توقّفي هنا، لكي نتمكّن من رؤية ما فيكِ» (ف١٤:٢). **رؤيا الأنبا مقار** أيضًا نجدها أكثر تفصيلًا في هذا الصدد. هذه تنصّ على أنّ هناك أربعين يومًا ما بين الموت والدينونة الخاصّة. وفي خلال هذه الفترة تتألّم النفس تكفيرًا عن ذنوبها كما تستفيد أيضًا من صلوات الترحيم التي تُرفع إلى الله من أجلها. كما توصي بإقامة الترحيم في اليوم الثالث، «لأنّها تكون متألّمة بالحزن والأسف **على الخطايا التي ارتكبتها** وهى في الجسد. فيُعلمها الملاك الذى قبضها أنّه قد قُدِّم عنها قربان وصلاة وصدقة في كنيسة الله فتتعزّى النفس بهذا ويصير لها رجاء برحمة الله». حقيقةً، الله يتقبّل تلك الترحيمات: «فلذلك هو جيّد أن يصنع عنها قربان وصلاة وصدقة في اليوم الثالث

الذي فيه تقف أمام الربّ الإله». وفي اليوم السابع بعد زيارة النفس للفردوس، يرافقونها لكي تسجد لله، «**فهو أيضًا جيدًا أن يُصنع عنها** في الكنيسة قربان وصلاة وصدقة تذكار». وأخيرًا في اليوم الأربعين بعد أن تكون النفس قد عاينت جهنّم أيضًا، تقف للمرّة الثالثة أمام الله. وفي هذه المرّة أيضًا «ولذلك هو جيّد أن يصنع في البيعة ترحيم وصدقة تذكار عن الميّت الذي انتقل من هذه الدنيا» (ف٣:٦). أمّا مرقس الترمقيّ فتختلف روايته عن اليوم الثالث والتاسع، لكنّه يعرض المعتقد ذاته. ففي تلك الأيّام تكون قلقةً أمام الله، ولذلك الكنيسة «تُقيم الطقوس» لكي تُساعدها (ف٣:١٢).

في هذه الوثائق الأخيرة يتجلّى الاعتقاد في الترحيمات بشكل عقائديّ دقيق: فهي تنطلق من المؤمنين الأحياء الذين على الأرض، موجّهة إلى الله مباشرة، وتُطبّق على النفوس وفق مرضاة الله. لذا فالمفروض ألّا تمرّ هذه الملاحظات تحت أعين المجادلين الأقباط في العصر الحالي مرور الكِرام.

أمّا فيما يتعلّق **بفترة المَطهَر**، فتتحدّد بدايتها قبل الدينونة، ولكن ليس هناك تأكيد بشأن نهايتها. مع ذلك، بمقارنة النصوص السالف ذكرها مع ما ورد في **حكمة الإيمان**، ينبغي القول بإنّ الكفّارة تستمرّ أيضًا **بعد الدينونة**. ففي الواقع، وفقًا لهذه الوثيقة المذكورة أخيرًا، النفس فور «خروجها من الجسد» تكون هائمة في الجوّ لمدّة ثلاثة أيام **لكي تتعلّم**. ثمّ تُقدَّم أمام مختلف القوّات الذين يعاقبونها «**بويلاتهم**» التي تستمر للبعض طوال ١١ شهرًا و ٢١ يومًا، ولبعض آخر فترة أطول، ولآخرين أقلّ. «وبعد ذلك يقودونها إلى حضرة عذراء النور، **التي تُدين الأبرار والخطأة**،

حيث تُدينهم». وعقب انتهاء المحاكمة بالنطق بالحكم، «**يقودها القائمون بطقوس المنطقة إلى مياه تجري أسفل المنطقة فتصير نارًا مُلتهبة تلتهم كلّ من يدخلها: حتّى تتطهّر تمامًا**» (ف١٢:٢).

أيضًا **مسائل ثيؤدوروس** تتكرّر فيها أصداء **حكمة الإيمان**، ولكن بمضمون لاهوتيّ أكثر صلابة. فهذه الوثيقة التي قدّمت إسهامًا ملحوظًا في مسألة الدينونة الخاصّة، ألقت الضوء أيضًا على عقيدة المَطهَر. فقد نصّت على أنّ نفس المسيحيّ الخاطئ بعد الموت عقب صدور حكم يسوع تُطرح «حالًا» في الجحيم. وتبقى هناك بين العذابات «**إلى اليوم الذي يتمّم فيه ما عليه من جرّاء خطاياه فيُسمح له بالراحة**». ثمّ تُقدّم كدليل نصّ المزمور: «تَمحيصَ الفِضَّةِ مَحَّصتَنِي» (مز٦٥:٩). وتشرحه بأنّ الإنسان «يُمحّص كالفضة، **لكي تتلاشي كلّ الشوائب في النار، فيخرج أيضًا مثل الفضّة**» والسبب اللاهوتيّ الأكثر متانة هو رحمة الله التي تضع في الحسبان الإيمان الحقيقيّ الذي اعترف المسيحيّون به: «الله رحيم، يذكُر جسده ودمّه اللذان تناولوهما، **فيجعلهم ينتقلون من اللهيب إلى الحياة الأبديّة**» (ف٦:٨).

هناك أيضًا نصّ مماثل، شبه مطابق حرفيًّا للنصّ السابق، وصلنا مسطّرًا في برديّة قبطيّة. ينصّ على أنّ الله يخاطب المنتقل قائلًا: «**سأُعِدّ أنهارًا من النيران** لأطرح فيها نفسه. سأُمحّصها، لأنّ الحياة التي سلكتها في العالم وهي ترتكب الخطايا قد قادتها إلى النار: **حيث تبقى هناك حتّى تتطهّر**» (ف٦:٨).

في استجوابات ثيؤدوروس يبدو التمييز الواضح بين الدينونة الخاصّة والدينونة العامّة، وكذلك أيضًا بين أبديّة النعيم وأبديّة العذاب. لكن بقى لديه شكّ، وقد

يمتدّ الشكّ أيضًا إلى الجزء السالف ذكره الآن: ألا وهو هل تُطبّق أبديّة العذاب على جميع الخطأة، أم على غير المسيحيّين وحدهم. التفاصيل تبيّن أنها تنطبق على الجميع. لكن في التأكيدات العامّة والمُطلَقة تبدو أكثر ميلًا لاستبعاد المُعمّدين. في هذه الحالة، لن يكون هناك حلّ بخلاف **الخلاص الأخير الجزئيّ**.

٢. مدّة المَطهَر:

المَطهَر، موضع العذابات، **له نهاية**: هذا هو لُبّ المسألة. والوثائق القبطيّة تبيّن بتوسّع زمنيّة العذابات التطهيريّة. بَيْدَ أنّ المشكلة تقوم وتتعقّد ما أن يبدأ استقصاء المدّة المحدّدة للآلام.

لاحظنا في الفقرة السابقة أنّه نظرًا لتنوّع واختلاف الكتابات القبطيّة المتعلّقة بالأخرويّات، ليس من السهل تحديد **بداية فترة المَطهَر**، بمعنى: هل تبدأ مع بداية رحلة النفس، أم مع استعدادات الدينونة الخاصّة، أو مع صدور حكم الديّان الإلهيّ. في هذه الفقرة الأخرى مسألة **نهاية المَطهَر** بالنسبة لكلّ من النفوس، واضح أنها أقلّ قابليّة للحلّ من سابقتها، والسبب دائمًا هو تنوّع طابع الوثائق. وفي الواقع هناك على الأقلّ ثلاثة حلول مقترحة: حَلّ **الخلاص العامّ الأخير**، وحلّ **المعرفيّة**، والحلّ الأقرب إلى التعليم الأصيل حتّى وإن كان أكثر عموميّة: «**إلى اليوم الذي يتمّم فيه ما عليه من جرّاء خطاياه**».

لقد تناولنا آنفًا مسألة **الخلاص الأخير** (ف٧:٥/ ٣). لكن يجدر هنا أن نذكر مضمونها المتميّز حتّى نستنتج استنتاجًا ملائمًا للموضوع. سبق أن قلنا أنّه يمكن أن يكون **شاملًا**، بحيث يشمل الأبالسة والبشر؛ ويمكن أن يكون **عامًّا**، بحيث يمتدّ

إلى البشر وحدهم؛ ويمكن أخيرًا أن يكون **جزئيًّا**، بحيث يقتصر على المعمّدين وحدهم.

من بين التصنيفات الثلاثة التي **للخلاص الأخير**، التصنيف **الشامل** المرفوض من قبل انشقاق الكنائس الشرقيّة، تصعب عودته للظهور في الوثائق القبطيّة، ويبدو أنّه هناك إشارة لذلك في حديث البطريرك الأنبا ثيؤدوسيوس عن القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة. حيث يذكر أنّ رئيس الملائكة سيُغرق الشيطان «في بحيرة النار.. حتّى يوم الدينونة الكُبرى» (ف٣:١). لكنّ المعنى الحقيقيّ للعبارة مزدوج. فالخلاص **العامّ** فيه نفس المصير السابق ذكره، بل يعود للظهور بتكرار أكثر. وفي حديث آخر عن القدّيس ميخائيل، ذكره البطريرك الأنبا تيموثاوس، ما يلي: «فوجّه ربّنا يسوع المسيح صوته إلى النفوس المعذّبة، **كي يمكن أن ينالوا الراحة: سواء المسيحيّين، الأمم، أو اليهود**» (ف٣:٢). كما أنّ هذا المعنى ورد أيضًا في **رؤيا القدّيس بطرس**: «بسبب الذين آمنوا بي، بكلمتهم، **سأتحنّن على البشر**» (ف٢:١٣). **رؤيا إيليّا** تكلّمت أيضًا عن أنّ الخطأة أيضًا ينالون الخلاص بفضل استحقاقات الأبرار: «وفي ذلك اليوم سيُسمح للخطأة بما طلبوه [الأبرار] مرارًا وتكرارًا» (ف٢:٢). من جهة أخرى، **حكمة الإيمان** لم يُشِر إلى أيّ تفرقة بين الأديان في سياق الحديث عن مختلف العذابات التطهيريّة، التي تنتهي بدخول النفوس في طبقة النور التامّ (ف٢:١٢). أمّا التصنيف الثالث، **الجزئيّ**، فبالمثل يلقى قبولًا، وتشهد بذلك **مسائل ثيؤدوروس** المذكورة في الفقرة الأخيرة. حيث ذُكر أنّ يسوع يقول إنّه بفضل

الإفخارستيا التي تناولها المسيحيّون في حياتهم: «**سأجعلهم ينتقلون من اللهيب إلى الحياة الأبديّة**» (ف٦:٨).

في منظور الخلاص الأخير لن يكون هناك جحيم فيما بعد: على الأقلّ بالنسبة لتلك الفئة من المخلوقات المتضمّنة في إحدى تصنيفاته. **سيكون مَطهرًا بكامله**. مع ذلك، في كافّة الحالات ليس واضحًا ما إذا كانت نهاية العذابات ستتكوّن **للجميع في النهاية**، أم لكلّ من يتمّم الكفّارة. بَيْدَ أنّه في هذه الحالة الأخيرة، ستظلّ المسألة معلّقة بلا تحديد. على أيّة حال، نظريّة الخلاص الأخير لم تدخل بتاتًا ضمن تعليم الكنيسة القويم، وحاليًا قد نسيها المؤمنون تمامًا.

أمّا فيما يتعلّق **بالمعرفيّة**، فالخلاص يرتكز على المعرفة. الجهل يحرم النفس المنفصلة عن جسدها من دخول الفردوس. بحيث أنّ ما لم تتعلّمه في الحياة، يجب أن تتعلّمه بعد الموت. وبهذا المنظور قال أوريجانوس بفكرة «**مدرسة النفوس**»، التي تترأسها الملائكة وتقوم بالتدريس فيها (ف٦:٢). الويلات، النار، الصعود من طبقة إلى أخرى، وبلوغ الوطن السعيد: هذا هو مضمون المَطهَر للنفوس. والأمر ينتهي **بالمعرفة الكاملة** للعالم وللحقائق الدينيّة. المكتبة الغنوصيّة التي اكتشفت حديثًا في نجع حمادي تتضمّن الكثير من عناصر بشأن هذه النظريّة.

أيضًا الكتابات المصريّة القديمة تقدّم النفس التي ترمز لها بطائر العنقاء وهي تهتف في نهاية مسعاها: «ها قد وصلتُ إلى **موطني الأصليّ**، وانتظر موضع إقامتي **الثابت**. لقد **تمّ اقتلاع الشرّ** الذي كان فيّ مع جذوره. عيوبي ونقائصي **كلّها قد زالت**، **فقد عَبَرتُ بالفعل دروب العالم الآخر**» (ف٢: **المقدّمة**). لكنّ دخول مواضع

السعادة يكون بعد الاستجوابات المُفصَّلَة حول **مختلف المعارف** (ف١:٩). إنّ رمزيّة طائر العنقاء مقبولة ومحبّذة في الأجواء القبطيّة (ف٢:١١). ففيها توضيحات لا تنتهي للتجديد في المقدرة على **المعرفة**. مثلًا، **إنجيل فيلبس المنحول** يُقدّم هذه الحجّة: المعرفة التدريجيّة هي تطهير تدريجيّ. والجهل الذي يقوم عقبة والذي سبب الانفصال قد غلبه المسيح الذي أعاد الوحدة بتعاليمه. وهكذا إذ يتجاوز العارف (الغنوصيّ) العقبة ويبلغ الحيازة التامّة للنور، يستطيع أن يقول لسيّده: «أعرِف مَن أنت»، وهذا القول يجلب له الحياة الأبديّة (ف٢:٩). والمفهوم عينه يتكرّر أيضًا في **إنجيل الحقّ**، حيث أنّه ينصّ على أنّ كلّ إنسان ينبغي أن يعود للوحدة كي ينال الخلاص، وسيتحرّر من التعدّدية بواسطة **المعرفة (الغنوص)**. فبالمعرفة الوحدة ستبتلع المادة، وتحوّل الظلمة إلى نور، وتُبدِّل الموت إلى حياة. الآب هو مبدأ تلك الحركة، وهو أيضًا نهايتها. أمّا الابن فقد أرسله الآب **لكي يُعلِّم الطريق الحقّ** الذي يؤدّي من البداية إلى النهاية. وهكذا إذ يحوز العارف تعليم يسوع كاملًا، حينئذٍ سيتحاشى «أمنتي»، «**وسيعود سريعًا** إلى المنطقة التي أخذ فيها جوهر كينونته» (ف٢:٨).

أمّا **إنجيل مريم** فينصّ على أنّ النفس تكابد **تطهيرًا تدريجيًّا**، يبدأ من هذا العالم ويكتمل بعد الموت. فإذ لا تزال متّحدة بجسدها يمكنها أن تقول: «من هذا الزمن سأبلُغ الراحة». وعقِب صعود تدريجيّ تصِل إلى التجرّد من ثياب الجهل والتوصّل إلى ملكوت المعرفة. وهي تبلغه بعد تحرّرها من **أشكال الجهل السبعة**: الظلام، الرغبة، الحماقة، الموت، مملكة الجسد، حكمة الجسد، الحكمة الرعناء. خلال هذا

الفعل لا يسَع النفس سوى أن تُردِّد: «رغبتي هي أن أبلُغ الكمال». وكمالها هو المعرفة، والمعرفة هي راحتها (ف٢:١٠).

أمّا **أبوكريفون يوحنّا** فنجده أكثر وضوحًا وصراحةً. فيوحنّا الرسول يُعرِب ليسوع عن رغبته في أن يخبره عن حالة نفوس **أولئك الذين لم يكونوا متطهّرين تمامًا** في ساعة الموت. والمعلّم يُفَصِّل: الذين لم يستجيبوا في حياتهم ليس لهم إلّا العذابات الأبديّة. «لن تُقبَل منهم أيّة توبة.. أولئك الذين جدَّفوا على الروح القدس، **سيتعذّبون بعقوبات أبديّة»**. أمّا في حالة الخطايا الخفيفة فلهم **التطهير المعرفيّ**. «بعد أن يتعرّوا [من الجسد]، يُسلَّموا إلى السلاطين الموجودين تحت الدهور. ثمّ يُطرحون من جديد بين الرباطات ويُساقون في جولات: **حتّى يتخلّصوا من عدم المقدرة على الأخذ بالمعرفة**: وهكذا يصلون إلى أن يكونوا كاملين ومُخلَّصين» (ف٢:٥). من هذه الوثيقة يتّضح جليًّا الفارق بين الجحيم والمَطهَر، وكذلك أيضًا صدور الحكم بعد الموت مباشرة.

رغم أنّ الغنوصيّة قد أفَل نجمها مثل الخلاص الأخير، إلّا إنّها تظهر أحيانًا بأشكال أخرى في الوثائق شبه الطقسيّة وسير القدّيسين. وتلك هي الوثائق التي مازالت قراءتها تطيب لدى الشعب. فمثلًا، **رؤيا القدّيس الأنبا باخوميوس** تقول إنّ الملائكة يتسلّمون النفس حال خروجها من الجسد، ويرتفعون بها إلى أعلى: «**حتّى تستطيع أن ترى المسكونة بأجمعها وجميع الخليقة**». وبعد تلك المعرفة، يجعلونها تعرف «**المكان الذى خصّصه الله لها لكى تستريح فيه**» (ف٣:٥). ونقرأ في **رؤيا مرقس الترمقيّ**: «النفس التي لم تُدنّسها الخطايا وتستحقّ الراحة، تصحبها الملائكة

بعذوبة وسلام. **فترى الخليقة المنظورة كلّها، بكلّ أقاصيها، خلال ثلاثة أيّام**، وتكون **متهلّلة في الجوّ**». ثمّ بعد أن تحوز تلك المعرفة وبعد الدينونة الخاصّة، تسمع الحُكم: «فلتمضِ النفس إلى موضع الراحة» (ف١٢:٣). ووفقًا **لرؤيا القدّيس الأنبا مقّار**، النفس المنفصلة تكتسب المعرفة تدريجيًّا خلال أربعين يومٍ: ثلاثة أيّام لكي تتعرّف على مواضع الأرض، وسبعة أيّام لمعرفة أماكن السعادة في السماء، وثلاثين يومًا لتتعرّف على الجحيم. ثمّ في اليوم الأربعين تكون الدينونة والجزاء (ف٦:٣).

لكنّ فترة المَطهَر غير محدّدة حتّى في المذهب الغنوصيّ. فليس فيه سوى النصّ العامّ: **إنّها زمنيّة**، بدون تحديد نهاية الفترة الزمنيّة لبقاء كلّ نفس هناك. ستنتهي **حينما** تكتسب النفوس المعرفة الكاملة. **رؤيا الأنبا مقّار** يبدو أنّها تُغلق الموضوع فتضع **القيامة** كمصطلح نهائيّ فيه: حيث تقرّر أنّه بعد الحُكم على النفس في اليوم الأربعين، «يُذهَب بها إلى الموضع الذى تستحقّه أعمالها **إلى يوم البعث وقيامة الأجساد**، فتستعيد في ذلك اليوم جسدها. وحينئذٍ تدوم في الحالة التي استحقّتها أبد الدهور بغير زوال» (ف٦:٣). هنا، كما هو واضح، الأمر لا يتناول نظريّة معرفيّة بحتة.

الحلّ الثالث: المَطهَر موجود، وهو زمنيّ، وسينتهي بانتهاء الكفّارة عن الذنوب.

حكمة الإيمان إذ يتحدّث عن مختلف العذابات النازلة بالنفوس، يحدّد أيضًا المدّة الزمنيّة لكلّ نوع منها بما يتناسب مع أنواع الخطايا. فعلى سبيل المثال: ٣ سنوات و ٩ أشهر للقتلة؛ واللصوص ٣ أشهر، ٨ أيام، ساعتين؛ المتكبّرين ٢٠ شهرًا؛ الشهوانيّين المعاندين ١١ شهرًا؛ اللوّاطيّين ١١ عامًا. لكنّ الأزمنة المشار إليها تسبق الدينونة

الخاصّة مع ارتباطها بها. فالنفوس تبدأ مطهرها الحقيقيّ بعد هذه الدينونة الخاصّة. «يقودونها إلى مياه تجري أسفل المنطقة فتصير نارًا مُلتهِبة تلتهم كلّ من يدخلها: حتّى **تتطهّر تمامًا»** (ف١٢:٢). بغضّ النظر عن كافّة الانحرافات الواردة في حكمة **الإيمان**، التفصيلة الأخيرة المتعلّقة بتطهير النفوس تتّفق مع التعليم الأصيل للكنيسة، المُعبَّر عنه في الليتورجيا. فالنفوس تمضي لمواجهة دينونة الله، ومن ذلك المنظور تستدعي معونة الأحياء من أجل غايتين محدّدتين: لكي يعاملها الله بالرحمة، ولكي يتحقّق دخولها السماء في أقرب وقت ممكن. لذلك يُقال في تجنيز القسوس: يقول المتنيّح لإخوته **«اطلبوا لكي يسامحني [الربّ] ويهبني رحمة أمام منبره ويدخلني بسلام إلى مسكن الفرح»** (ف٥:٩). وسيتّضح هذا التعليم جليًّا في الفقرة التالية.

٣. الترحيمات:

الكنيسة القبطيّة تحتفظ بذخيرة ثريّة من الترحيمات من أجل المنتقلين. ولكي نتبيّن قيمتها بالوضوح الواجب وبالمعيار اللاهوتيّ الصحيح، سنتناول بالترتيب أيّام **التذكارات، والممارسات التقويّة، ثمّ الغرض من الترحيمات.**

أ) أيّام التذكارات:

لقد حدّدت الكنيسة أيّامًا معيّنة لإقامة تذكار المنتقلين. تحديد هذه الأيام منقول عن تقليد عتيق، مع أنّه لقي عبر القرون اختلافات طفيفة. الوثائق التي نقلت هذا التقليد تُقدّم بشكل شبه دائم الأسباب التي دعت لهذه الممارسة أيضًا. ها هنا سنختصر المسألة ونتّخذ ترتيبًا زمنيًّا.

الممارسة الشعبيّة (ف١٠:١). إنّ أيّام التذكارات الأكثر شيوعًا في الممارسات الشعبيّة، والتي انتقلت على مرّ القرون، هي التالية: **اليوم الأوّل أو يوم الوفاة، الثالث، السابع، الثلاثين، الأربعين، الستّة أشهر، والسنة**. وفي بعض القُرى يُضاف اليوم التاسع، المعروف أيضًا قبلًا في الجنائز المصريّة القديمة (ف٤: المقدّمة). وفي أماكن أخرى يضيفون أيضًا **اليوم الثاني عشر والرابع عشر**. ذلك التنوّع والاختلاف مصدره الأصليّ هو الوثائق العتيقة التي تمّ الأخذ بها دون فرزها والتدقيق فيها.

القدّيس إيسيذوروس البيلوزميّ (ف٥:٦). هذا ذكر **اليوم الثالث**: «نحتفل باليوم الثالث» «Tertianum ipsuis diem celebramus». بالإضافة إلى أنّه يخبرنا أنّ تلك كانت العادة المتّبعة في كلّ مكان:

«ونحن أيضًا، من عادتنا أن نُقيم ذكرى الذين يموتون».

«Nos quoque eorum, qui mortem obeunt, memoriam celebrare *consuevimus*».

والمثير للاهتمام في المسألة أيضًا هو تحديد المفهوم: أنّه مثلما خرج يونان من بطن الحوت في اليوم الثالث، وكما خرج المسيح في اليوم الثالث أيضًا وأعتق النفوس من موضع المعاناة والألم كي يدخلها في موطن الأفراح. ولتسهيل فهم المسألة طرح مثالًا: كما أنّه من الممكن أن يقبل الملوك التماس المسجونين فيطلقوهم من السجن قبل استيفاء عقوبتهم، الله أيضًا قد يسبّق بخروج النفوس من المَطهَر بناءً على الترحيمات التي نقوم بها.

الأنبا شنوده (ف٧:٦). سبق أن حدّد منذ القرن الخامس سلسلة من الترحيمات لا تزال مستخدمة رسميًّا في الكنيسة القبطيّة. فقد ذكر **اليوم الثالث، السابع، الشهر،**

السنّة أشهر، السنة. بالإضافة إلى أنّه أشار إلى عادة فرديّة في الاحتفال بالذبيحة في **كلّ شهر** على مدار السنة الأولى:

«ولتقدّم من أجلهم الذبائح **كلّ شهر**، حتّى تمام السنة لوفاتهم».

«sacrificia *singulis mensibus* pro eis conficientur, quoad annus eorum absolutus erit».

رؤيا القدّيس الأنبا مقّار. أشارت إلى **اليوم الثالث والسابع والأربعين**. وذكرت أنّها الأيّام التي تقف فيها النفس ثلاثة مرات أمام الله لكي يُحكم عليها أخيرًا. لقد أراد القدّيس الأنبا مقّار أن يعرف لماذا رسم الآباء القدّيسون ممارسة الترحيم في الثلاثة أيّام المشار إليها. فأجابه الملاك: «لأنّه في اليوم الثالث إذا قدّم قربان عن النفس التي قد انتقلت من هذا العالم، **تجد لأجله راحة وعزاءً** لأنّها تكون متعبة بالحزن والأسف على الخطايا التي صنعتهم وهي في الجسد.. **فيرحمها الله بفعل القربان والصلاة والصدقة**». ثُم أضاف أنّه لهذا السبب «جيّد أن يُصنع عنها في الكنيسة قربان وصلاة وصدقة تذكار عن نفس الميّت» وكذلك أيضًا **في اليوم السابع وفي الأربعين**.

رؤيا مرقس الترمقيّ. ذكرت **اليوم الثالث والتاسع**. الظروف والملابسات هي بعينها التي وصفتها الوثيقة السابقة، أي الاستعداد للدينونة الخاصّة. وبالمثل تكون مزامنة الصلوات «**وما أن يُقام طقس الثالث.. وما أن يتمّ طقس اليوم التاسع، تقف أمام محكمة المسيح**».

قوانين إكلّيمنضس (ف١٧:٢). «اذكر الموتى **في اليوم الثالث والتاسع والاثني عشر والثلاثين والأربعين** و(الستّين؟) كلّ سنة». وقد أشارت بوضوح إلى مفاعيل

الترحيم: «**اذكروا موتاكم بالقدّاسات في كلّ حين فإنّه نافع لهم جدًّا وهو يقرّبهم من السيّد المسيح**».

الدساتير الرسوليّة (ف١٨:٢). حدّدت مراسم معيّنة:

«فيما يختصّ بالموتى، فليُحتفل: **باليوم الثالث.. واليوم التاسع.. والرابع عشر.. وأيّام التذكارات السنويّة**».

«Quod spectat ad mortuos, celebrator: dies trtius.. dies nonus.. dies quadragesimus.. denique anniversaries dies».

أمّا من جهة جدواها فنجدها مشروحة بالاستبعاد:

«إنّنا نتحدّث عن الصالحين. أمّا الطالحون، فلن يفيدهم شيئًا، حتّى لو قدّمت للفقراء خيرات العالم بأسره».

«De piis dicimus; nam de impiis, licet omnia mundi bona pauperibus dederis, nihil iuvabis eum».

قوانين الرسل (ف١٩:٢). رتّبت تذكار **اليوم الثالث**، «بمزامير وصلوات، لأجل الذي انبعث (أي قام) في اليوم الثالث»؛ **واليوم السابع؛ وتمام الشهر؛ وتمام السنة**. وفيما يتعلّق بفائدتها كرّرت ما قيل في **الدساتير الرسوليّة**.

ابن العسّال (ف١٠:٦). إذ وضع في اعتباره الترتيبات الكنسيّة المختلفة، بما في ذلك **قوانين الرسل**، كتب: «ويجب أن يُقَرَّب على الذين ماتوا في اليوم الثالث **والسابع وفي التاسع وفي الثاني عشر وكذلك في الأربعين وتمام الشهرين، وفي كمال ستّة شهور وفي تمام السنة**. وأكثر للذين يمكنهم ذلك». وأشار إلى أنّ جدوى جميع الترحيمات المذكورة يظل مرهونًا بما فعله المنتقل بشأن خلاصه: «**وللميت زيادة الأجر بقدر همته وبقدر أعمال الميت**».

ابن سباع. لقد عددها مرتين: «**الثالث والتاسع والشهر والأربعين والستة أشهر والسنة**»، لكن اليوم الأربعين يظهر في المرة الثانية فقط. وقد وضَّح غاية كلّ تذكار: «**فنقول إنّ القربان على الميت مما يوجب له من الله الرحمة. فترتيب الثالث ليشعر أهل الميت أنه رُحِمَ من الله فيسلوا ويتعزوا عن فقده برحمة الله إليه**». وفيما يتعلق بالأوقات الأخرى يشير أيضًا إلى ملابساتها التاريخية.

القمص يوحنا سلامه (ف١٨:٦). في بيانه لأيام التذكارات يتخذ مرجعية ابن العسال (ف١٠:٦). فمن جانب يوضّح أن ممارسة الصلاة من أجل الراقدين مسألة تقليدية وعامّة: «**كلّ الكنائس المسيحية -شرقيّة وغربيّة- تمارس الصلاة عن الراقدين منذ ابتداء تاريخ الدين المسيحيّ**، وتقدم الذبيحة غير الدمويّة من أجل خلاص جميع المؤمنين أحياء وأمواتًا». وقد برهن على أقواله بذكر شواهد من الكتاب المقدس، وشواهد كنسية وليتورجية. ثمّ أضاف أنّ الترحيمات تفيد فقط أولئك الذين ماتوا بخطايا خفيفة. «الكنيسة تقدم الذبيحة وتلتمس رحمة الله للراقدين في الإيمان **وقد لحقهم توان أو كسل أو تفريط كبشر. لأن لا إنسان لا يُخطئ**». ويجدر أن نذكر أن كلّ توضيحات سلامه سليمة، لكنه أفسد كلّ شيء بملاحظة الفكر القبطيّ المعاصر: الراقدون مازالوا لم يحاكموا بعد، ولذلك الترحيمات إنما هي تفيدهم في الدينونة العامة.

الليتورجيا (ف١٢:٥). لقد رتبت الليتورجيا المقدسة في كتبها إقامة تذكار الراقدين في الأوقات التالية: **اليوم الأول، الثالث، السابع، الثلاثين، الأربعين، الستة أشهر، السنة**. وكما هو واضح لم تنظر إلى المتغيرات الأخرى. وقد حددت صلوات

خاصّة لكلّ وقت، لكن في بعض الأحيان تحدد صلوات معينة تتفق مع أكثر من وقت واحد، مثل الصلاة التالية: «يا الله الضابط الكلّ، نسأل صلاحك المملوءَ رأفة على هذه الوديعة التي هي نفس عبدك (فلان). **الذي هو كمال شهره (أو أربعينه أو سنة اشهره أو سنته) في هذا اليوم**». دخول ملكوت السماوات هو الرجاء الذي تُعبر عنه كافة الدعاءات. وأيضًا تنصّ في صلاة الثالث والسابع: «نسالك يا ملكنا ربّ الكلّ أن **تحفظ هذه الوديعة التي لعبدك (فلان) وامنحه أجرًا سمائيًا ونصيبًا صالحًا في ملكوتك**». وفي الأوقات الأخرى: «**فليكن قيامه أمامك ودخوله إليك بأمرك** المعطي الحياة وإرادتك الطوباويّة في كلّ حين. **فليكن وقوفه أمامك مستقيمًا** وبصلاحك المملوءِ رحمة **مُر له بموضع راحة وبرودة ونياح في مساكن القدّيسين إلى قيامة الصديقين ومجازاة كلّ العالم**».

ب) الممارسات التقويّة:

إنّ إخلاص الأقباط في الترحيم على الراقدين في الأزمنة الموضحة عاليه وفي مناسبات أخرى، يتضمن **الصلوات، والصدقات، والأصوام**.

الصلاة من أجل الأموات هي السبب الأساسيّ في التذكار، كما أكدته بوضوح الوثائق التي عرضناها حتّى الآن. لكن الموضوع يستحق التعمق في مفهومه الخاص به.

لقد أوصت **الدساتير الرسوليّة** (ف١٨:٢) و**قوانين الرسل** (ف١٩:٢)، بالحرص التام على تتميم واجب الصلاة: «وإذا دُعيتم يومًا (إلى الولائم الجنائزيّة)،

فكلّوا بترتيب وخوف من الله، **كي يمكنكم أن تُصلّوا من أجل الذين انتقلوا من هذا العالم**».

وابن **العسال** (ف٦:١٠)، إذ يتكلّم عن الجنازات، يعود للتركيز على إقامة القداس الإلهيّ:

«اجتمعوا بلا كلّل في الكنيسة واقرأوا الكتب المقدّسة ورتلوا على من رقد من الشهداء والقدّيسين الذين سبقونا وإخوتكم الذين رقدوا وهم مؤمنون بالرب. ثمّ اصعدوا قداس الشكر الذي هو الجسد المقدس والدم الثمين الذي للملك في كنائسكم. وفي توديع الذي رقد، ابتدئوا بالسير أمامه وترتيل المزامير إن كان مؤمنًا بالمسيح».

وأيضًا **ابن سباع** (ف٦:١٣)، إذ يثير نفس الموضوع، يبين ضرورته الإلزاميّة:

«الأموات على اسم المسيح **يجنزوا** لكونهم رقدوا في الإيمان المستقيم». كما يشير أيضًا إلى الأحكام القانونيّة بشأن تركة الميت، وتخصيص جزء منها من أجل «رفع القربان عن ذلك الميت في **الثالث والتاسع والشهر والست اشهر والسنة**».

أمّا **القمص يوحنا سلامه** (ف٦:١٨)، فبعد أن استبعد الأموات الذين ماتوا دون أن يتوبوا من الصلاة لأجل الراقدين، يوصي بالصلاة من أجل المسيحيّين الذين ينتقلون بخطايا خفيفة. والكنيسة كلّها هي التي تمارس الترحيم،

«ولشفتها في مراحم عريسها السماويّ الربّ يسوع تصلي إلى الله وتلتمس صفحه عن هفوات الراقدين في الربّ». وحيث أنّ ذبيحة القداس تظلّ محورًا لكلّ عمل تَقَويّ، فهذا ينطبق أيضًا على

الترحيمات. «لا يخفى أنّ ذبيحة الصليب التي تقدمت مرة واحدة على مذبح الجلجثة **كانت للتكفير والاستغفار عن خطايا جميع الناس الأحياء والذين ماتوا على رجاء**».

كذلك أيضًا **الليتورجيا المقدّسة** التي يشير إليها الكُتّاب المذكورين، نجدها ثريّة حقًّا وبها رسوم متنوعة وصلوات مرتبة خصيصًا للترحيم، وللتجنيز له كتاب خاص. كتاب التجنيز هذا يتضمن المراسم والصلوات الخاصّة والممارسات: من **أجل المنازعين، تجنيز الأولاد، البنات، الرجال الكبار، النساء، الرهبان، الراهبات، الشمامسة، القسوس، الأساقفة والبطاركة؛ ومراسم الدفن** (ف١:٥/١١). الصلوات تتفق مع ظروف وفئة المتوفَّى الذي تُتلى من أجله. المفهوم السائد والمشترك فيها كلّها هو: **أن يبلغوا سريعًا الوطن السمائيّ**. سنبين ذلك من خلال سرد بعض النصوص مع وضع إشارة لموضعها في بحثنا هذا بين قوسين.

من أجل المنازعين:

«وإن أمرت أن تأخذ نفسه فليكن هذا بيد ملائكة نورانيّين يخلصونه من شياطين الظلمة. **انقله إلى فردوس الفرح ليكون مع جميع القدّيسين**: بدمِك الذي سُفك من أجل خلاصنا، الذي به اشتريتنا لأنّك رجائنا نحن عبيدك، بشفاعة العذراء والدة الله وسؤال جميع القدّيسين» (ف١:٥).

من أجل الأولاد:

«فإن كان قد صارت لهم هذه النعمة العظيمة من السماء [أي: أن يعاينوا وجه الآب إلى الأبد] **احسب عبدك (فلان) في عدد**

الأطفال الذين تقدموه. المجتمعين في مواضع النياح التي لملكوتك.
ألبِسه معهم الحلة النقيّة والبهاء الغير المضمحل في مظال النور حيث اخترت لمن يرضيك» (ف٥:٢).

من أجل البنات:

«فليكُن دخولها إليك مضيئًا مثل مصباح غير منطفئ. احسبها مع العذارى صاحباتها اللواتي سبقنها إلى وليمتك الواسِعَة في فرح أصفيائك الذي لا يوصف (المحفوظ) للذين أرضوك» (ف٥:٣).

من أجل الرجال الكبار:

«هذه النفس التي اجتمعنا بسببها يا ربّ **نيحها في ملكوت السموات**. افتح لها يا ربّ أبواب السماء واقبلها إليك كعظيم رحمتك. **افتح لها باب البرّ** لكي تدخل وتتنعم هناك. **افتح لها يا ربّ باب الفردوس** كما فتحته لذلك اللص. **افتح لها يا ربّ باب الملكوت لتشارك جميع القدّيسين.** افتح لها يا ربّ أبواب الراحة **لترتل مع كافة الملائكة.** ولتستحق أن تنظر النعيم **ولتُدخلها ملائكة النور إلى الحياة...** وإن كان عمل شيئًا من الخطايا إليك مثل البشر **أغفر له وسامِحه. ولتُزِل عنه سائر عقوباته** لأنك لم تخلق الإنسان للهلاك بل للحياة» (ف٥:٤).

للنساء:

«نسألك يا محب البشر المُتحنّن كلّ حين، **ارحمها ونيحها. سامحها واغفر لها كثرة** خطاياها **وتجاوز** عنها لأنك لم تخلق

الإنسان للشرور بل للخيرات. **فهي الآن أيضًا قائمة أمام منبر مسيحك فليكن لها نياحًا وراحة وبرودة وفرح**» (ف٥:٥).

للرهبان:

«نسألك يا ربّ، أن تنيح نفسه في كورة الأحياء في موضع النور حيث مسكن سائر الفرحين. لأنّ عندك ينبوع الحياة والرحمة ومحبة البشر» (ف٥:٦).

للراهبات:

«**فلتجد** راحة في حضن إبراهيم وإسحق ويعقوب **في نور الأحياء في كورة النياح** والراحة الموضع الذي هرب منه ألم القلب والكآبة والتنهد» (ف٥:٧).

للشمامسة: المتوفَّى نفسه يدعو الأحياء قائلًا:

«اسألوا الربّ عنّي **ليتحنّن على ضعفي**. أطلبوا من الربّ عني **ليكون دخولي أمامه بدالة ويسامحني بجميع آثامي. ويعطيني رحمة أمام منبره المرهوب.** سامحوني واغفروا لي جميع ما تقدم مني» (ف٥:٨).

للقسوس:

«وقد **أتى إليك** يا إله الكلّ وقد رجع (جسده) إلى الأرض التي أُخِذَ منها. أمّا نفسه فهي وديعة طاهرة طوبانيّة. لتكن له راحة وبرودة ونياحًا. ولتكن له درجة حسنة في مظال أصفيائك. **ويشارك كلّ الذين سبقوه في نصيب وميراث القدّيسين الفائزين في بيعة الأبكار برتبة الكهنوت.** المكان الذي وعدت به الذين

أرضوك. **ليكن قيامهم أمامك** في طهارة وبر واستقامة يا إله كلّ الأحياء» (ف٥:٩).

للأساقفة والبطاركة:

هنا الراعي هو الذي يطلب من القساوسة والمؤمنين الصلاة من أجل راحته، فيقول:

«أسألكم يا أولادي الأحباء أن تسالوا المسيح في نفسى، أن **يعطيها راحة أمامه. ولا يؤاخذني لما سلف منى من الزلّل والهفوات.** أطلب إلى محبتكم. وأتضرع إلى قدسكم. أن تجعلوني في حلّ. من قِبَل كلّ واحد منكم.. **وأنا أسألكم أن تتعبوا في الصلاة عني. وتذكروني في القداسات. أن يقبلني سيدي إليه. ويصفح عن جميع ما تقدم مني**».

فيجيب الحاضرون على دعوته:

«ونحن نسألك يا أبينا الأب القدّيس.. وليعوضك عوض تعبك معنا **بأفضل الجزاء. والخلود في أورشليم السمائيّة**. مع آباءِنا البطاركة السالفين (لك)» (ف٥:١٠).

عند دفن الجميع:

«نسأل ونطلب من صلاحك يا مُحبّ البشر عن عبدك (فلان) الذي قد خرج من الجسد. لكي ترسل أمامه ملاك الرحمة. ملاك العدل. ملاك السلامة. **ليقدموه إليك بغير خوف. جميع غلطات لسانه وكلّ زلاته أتركها له.. وليُفتح له باب البرّ. وليكن مُشاركًا لمصاف السمائيّين. أدخله فردوس النعيم.** أطعمه من شجرة الحياة.

أتكئه في حضن آبائنا الأولين. إبراهيم وإسحق ويعقوب في **ملكوتك**» (ف٥:١١).

التذكار في القداس الإلهيّ:

بالإضافة إلى صلوات الطقوس الجنائزيّة، تقوم الكنيسة القبطيّة بذكر الأموات في كافة القداديس وفي جميع الأزمنة. هذا التذكار يقوم في ثلاثة أفعال طقسيّة متميزة: في **رفع البخور** الذي يسبق القداس، وفي **التذكار** الذي يشكل جزءً من القداس المعتاد، وفي **قداس التجنيز**. - **رفع البخور:**

«تفضَّل يا ربّ نيّح نفوسهم جميعًا، **في حضن آبائنا القدّيسين إبراهيم وإسحق ويعقوب. عُلهُم في موضع خُضرةٍ، على ماء الراحةِ في فردوس النعيم.** الموضع الذي هرب منه الحُزن والكآبة والتنهُّد. **في نور قديسيك**» (ف٥:١٣).كذلك أيضًا في **التذكار في القداس: «فأولئك يا ربّ الذين أخذت نفوسهم، نيّحهم في فردوس النعيم، في كورة الأحياء إلى الأبد. في أورشليم السمائيّة**» (ف٥:١٤). ليس هناك تغيير كبير عن النصّ الوارد في **ليتورجية سيرابيون العتيقة** (ف٥:١٥):

«اللّهُمّ، يا مَن لك السلطان على الحياة والوت، .. **وتقبل نفوس القديسين وتخلقها من جديد**،.. نتوسّل إليك من أجل نياحة عبدك هذا وراحته – أو عبدتك – جدد خلق نفسه وروحه في أماكن الراعي، ومنتجعات الخليقة الجديدة، مع إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع قديسيك، ولا تذكر ذنوبه وخطاياه، واجعل نهايته سعيدة ومبارَكة».

«Deus, qui vitae et mortis potestatem habes, .. qui .. *suscipis sanctorum animas ac recreas*,.. oramus te pro dormitione et requie buius servi tui vel buius servae tuae

animam et spiritum eius recrea in locis pascuae, in : cubilibus recreationis cum Abraham et Isaac et Jacob et omnibus sanctis tuis.. delictorum euis et peccatorum ne memineris; exitum eius fac paratum et benedictum esse».

الجناز العام يوم أحد السعف:

إنّه طقس ترحيم وتجنيز يُقام وينبغي أن يمتد مفعوله طوال أسبوع الآلام، حيث أنّه محظور طقس التجنيز في هذه الأيام. «من أجل قيامة الأموات الذين رقدوا وتنيحوا في الإيمان بالمسيح يا ربّ **نيّح نفوسهم أجمعين**» (ف٥:١٧).

السجدات الثلاثة في يوم العنصرة:

الثلاثة سجدات هي طقس آخر يُجرى في نهاية الزمن الخمسينيّ، وغايته هي «**الترحيم على الراقدين**»، لأنّه حسبما يفسر ابن سباع «خلال هذه الأيام الخمسين **أطلق الربّ جميع الذين كانوا في العذاب**». وقد اخترنا من الطقس الطويل هذه الصلاة:

«**لأنّ لنا عِظَم رجاء من أجل انحلال كلّ الذين في جميع الآلام والذين وضعوا نفوسهم في يديك**. اسمعنا نحن عبيدك المذلولين. إذ نطلب إليك أن **تُنيّح أنفس المسيحيّين الأرثوذكسيّين الطالبين إليك من أجلهم**. الذين رقدوا والذين جازوا من ههنا إلى هناك، لكي **يتنيحوا مستريحين في موضع برودة. الموضع الذي هرب منه وجع القلب والكآبة والتنهد. ولتكن نفوسهم في مظال النور، اجعلهم مستحقين للغفران والسلامة**» (ف٥:١٨).

الصدقة:

الصدقات ممارسة أخرى مأخوذة من التقليد القديم ومازالت قائمة بتمامها في الكنيسة القبطيّة ترحيمًا على الراقدين. وقد أوصت بها صراحةً **الدساتير الرسوليّة** (ف٢:١٨) **وقوانين الرسل** (ف٢:١٩): «وتدفعون للفقراء من مقتنيات الذي مات تذكارًا له». ثمّ تستطرد بتمييز واضح بين المتوفَّى في الخطايا العرضيّة فقط، والذي يموت مثقلًا بالآثام، فتقول إنّ الصدقة بالنسبة لهذا الأخير «**لن تنفعه بشيء**». كما أنّ ابن العسال جمع نفس الرسوم ونقلها: «يرفعون أربعين قربانًا من يوم الدفن ويعطون الفقراء» (ف٦:١٠). ولا يزال كتابه **مجموع القوانين** حجة قوية قائمة حتّى الآن. عمليًّا توزيع الصدقات لدى الأقباط في أيامنا هذه مسألة متنوعة جدًّا. في العادة يقدمون: الخبز، الفطائر، البسكويت، الفواكه، العدس، البصل، لحم الضأن، الزيت، البخور، والمال. أيضًا، أثناء صوم الميلاد والصوم الأربعينيّ، وفي كلّ الآحاد، جرت العادة لديهم على زيارة أديرة الصحراء لتقديم عطاياهم. الأديرة العتيقة غالبيتها غير مأهولة، لكن تحيط بها كلّها مقابر. فيمضي إليها الكهنة والمؤمنين منذ يوم السبت، فيقدم المؤمنون عطاياهم ليأخذها الكهنة كي يوزعونها. هذه التقدمات تذهب للفقراء كهدف مباشر، لكن غايتها الأخيرة هي **منفعة الراقدين** (ف١:١١).

الأصوام وزيارة القبور:

أزمنة التوبة، المربحة روحيًا جدًّا، وضع الأقباط ضمنها الراقدين أيضًا، فهم يصنعون توبة عن أنفسهم وعن المنتقلين. ويبرهنون على ذلك بزيارة المدافن، وهي

ليست زيارات خاصّة كتلك التي في كلّ وقت، إنما هي زيارات طقسيّة، كرسها التقليد. المبدأ الشائع والمتبع لتحديد الأوقات الإلزاميّة هو **الطلعة** إلى المدافن في الفترة ما بين نهاية الصوم وبداية الأعياد. الأعياد الموضوعة في الاعتبار هنا هي الأعياد الرئيسيّة: الميلاد، الغطاس، الفصح، العنصرة، عيد انتقال سيدتنا، وعيد الرسل. لكن العادة تختلف باختلاف المناطق (ف١:١١). الذين يذهبون هناك لتذكار الأموات يقتدون بالقصّص الإنجيليّة المختلفة (ف١:١٢؛ ف٦:١٣). فينبغي أن تكون استحقاقات الصوم والصدقة التي تمارس في هذه الأوقات نافعة للأموات أيضًا، وهكذا يكون العيد الذي يليها مباشرة عيدًا مشتركًا للأحياء والأموات.

ج) الغرض من الترحيمات:

الأقباط المعاصرين الذين يحتدمون في جدلهم مع الكاثوليك، لا يتفقون فيما بينهم حول الغرض من الترحيمات. البعض يزعم بأنّها تفيد الأحياء فقط لا الأموات. وبعض آخر يعترف بأنّها تفيد الأموات أيضًا، ولكن فقط بعد القيامة. لكنهم يتفقون على السبب في رفض التأثير الفوريّ لمنفعة النفوس، ألّا وهو: أنّ المعقول هو أن تتنعم النفس أو تتألم مع الجسد، مثلما مارست الفضائل أو نخلت عن الرذائل مع الجسد أيضًا؛ وبالتالي لكي تتنعم أو تتألم مع الجسد ينبغي الانتظار حتّى يوم القيامة (ف١:١٢؛ ف٦:١٨-٢٧؛ ف٦:٧/ ١).

بَيْدَ أنّ الأقباط المعاصرين لا يعبئون بوثائق تقليد كنيستهم. فوثائق التقليد تُبطل استنتاجهم. ففي الواقع، قد وضّحت الوثائق أن التذكار في الأيام المحدّدة،

والصلوات، والصدقات وزيارة المدافن إنما هي كلّها ممارسات من أجل راحة الراقدين، وليست من أجل الأحياء: حتّى وإن كانت تؤدي إلى تعزيتهم بشكل غير مباشر. بالإضافة إلى أن الوثائق أشارت صراحة في سياق كلّ ممارسة بصفة عامة إلى غايتها: **لتحلّ رحمة الله على النفوس، ويقبلها في نعيم أورشليم السمائيّة**.

رؤيا القدّيس الأنبا مقار وحدها هي التي أوردت كافة العناصر المذكورة. «فقال لهما (أي للملَكَين) أنبا مقاره يا ساداتي أطلب إليكما أن تعرفاني بهذا أيضًا: قد وضع معلمين الكنيسة للمؤمنين أن يقدموا لله قرابين في البيعة عن المتنيحين في يوم الثالث والسابع ويوم الأربعين فلأي سبب يفعلون ذلك وأي منفعة للنفس التي قد انتقلت من هذا العالم بهذه القرابين؟» لقد اقتصر الأنبا مقار على ذكر الثلاثة أوقات التي، وفقًا للرأي المشترك، يتحتم على النفس فيها أن تقف أمام الله كي يحكم عليها. وكانت إجابة المَلَكَين مستفيضة غطت كافة الجوانب: الأحكام التي وضعها الآباء إنما هي من وحي صلاح الله؛ فالربّ يقبل وينفع النفوس بالقرابين التي ترفعها الكنيسة بناء على الرسوم المرتَّبة؛ وإذ تحلّ رحمة الله بالنفوس تنال التعزيّة عظيمة؛ وتنالها بعد الموت مباشرة، في الفترة الممتدة من الثالث حتّى الأربعين (ف٣:٦).

أما مسألة تألم النفوس أو تنعمها في حالة الانفصال عن الجسد، فقد بينها الأسعد ابن العسال ببراهين من العقل، والكتاب المقدس والليتورجيا. وهو يقول بإنّ الترحيمات تجلب للنفوس النياح والراحة. هذا الكاتب الذي عاش في العصور الوسطى، والذي لا يزال تأثيره الموثوق باقيًا حتّى الآن على الكُتّاب الأقباط،

استخلص من طرحه الاستنتاج التالي: «**لو لم يحسوا (الأموات) براحة تصل إليهم من جهة القرابين والطلبات عنهم لما أومروا بذلك**» (ف٦:١١).

في الواقع، هناك العديد من القوانين الصريحة التي رتبت الترحيم على الراقدين. وقد أشار إليها الصفي ابن العسال شقيق المذكور في الفقرة السابقة، كما رأينا آنفًا، حيث قدمها في تصنيف يُعدّ من بين أفضل التصنيفات (ف٦:١٠). كذلك أيضًا، **الدساتير الرسوليّة** (ف٢:١٨) **وقوانين الرسل** (ف٢:١٩) رتبت تقديم الصدقات والصلاة «من أجل الذين غادروا هذه الحياة» «pro jis qui e vita migrarunt». **وقوانين إكلّيمنضس** ورد فيها أنّ النفس بفضل تلك الترحيمات **تقترب من المسيح**: «اذكروا موتاكم بالقداسات في كلّ حين، فإنّه نافع لهم جدًّا وهو يقربهم من السيد المسيح» (ف٢:١٧). كما أنّ القانون ٨٥ من المجموعة المنسوبة إلى القدّيس أثناسيوس ينصّ على أنّ الله **يقبل** التقدمة التي يقدمها الأب عن ابنه المتوفَّى «**ويُخلّصه من خطاياه**» (ف٦:٣). بالإضافة إلى ذلك، تنص **رؤيا الأنبا مقار** على أنّ «**الله يتحنن على النفس** بفعل القربان والصلاة والصدقة» التي تُقدم من أجلها في اليوم **الثالث والسابع والأربعين** بعد الموت (ف٣:٦). كما يُضيف **القدّيس إيسيذوروس البيلوزمي** أنّ الله إذ يتقبل تلك التقدمات لا يتحنن على النفس فحسب، بل أيضًا **يُعجّل بإطلاقها من العذاب وبلوغها إلى الوطن** (ف٦:٥). كما نذكر أيضًا مثالًا من سير القدّيسين، حيث ورد فيها أنّ الله بفضل صلاة القدّيس أوسابيوس أعتق نفسًا من العذاب (ف٣:١٤/ ٩).

بالأضافة لما سبق هناك أيضًا النصوص المنقوشة على شواهد القبور، تلك التي تتعرض لموضوعنا من وجهة النظر الشعبيّة الأكثر انتشارًا، نجدها تحدد نفس الغاية بلا تغيير: مغفرة الخطايا والراحة في ملكوت الله. وفيما يلي الكتابة المنقوشة على قبر المدعو أخنوخ، والتي تُعبر عن مفاهيم كثيرة: «لتكن رحمتك عظيمة لنفس طيب الذِكر أخنوخ». ثمّ تُضيف: «**ليرحمه الربّ ويمنحه الراحة**»، وتُختَتم بدعوة موجهة للأحياء: «فليذكره كلّ من يقرأ هذه الكتابة، **لكي يذكره الله أيضًا في دينونته** الرهيبة» (ف٤:٤/ ٢). وشاهد آخر يطلب الصلاة من أجل راحة جرجس ومريم: «امنح الراحة يا إلهنا، لنفسيهما.. برحمتك، لأنهما مرتبكان أمام دينونتك الرهيبة. **ولتُدخِلهما ملكوتك السمائيّ، مع قديسيك**» (ف٤:٤/ ٣). وأيضًا على قبر المدعوة أماديا: «اذكر يا إلهنا.. خادمتك، ولا تعامِلها بحسب خطاياها التي ارتكبتها بل تَغَمَّدها برحمتك واعطِها الراحة في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب: **في ملكوتك الدائم إلى الأبد**» (ف٤:٧/ ٤).

كذلك أيضًا المجموعة الغزيرة من سير القدّيسين تُكرّر باستمرار قصّصًا أخرويّة تصِف بوضوح فعالية الترحيمات في راحة وعِتق النفوس. فمثلًا في **حديث الأنبا مقار**، يقول المتوفَّى:

> «في أيّ ساعة ترحّمتَ على الذين في العذاب، صلّ من أجلهم لينالوا بعض الراحة» (ف٣:٧).
>
> «Quacumque hora misertus eorum qui sunt in tormentis, oraveris pro eis, paululum solatii accipiunt».

وأيضًا بنفس النهج تقريبًا تحدثت المومياء مع القدّيس الأنبا بستناؤس، إذ قالت: «حين صليت من أجلي، أمر الربّ أولئك المكلّفين بتعذيبي فكفّوا عنّي وأزالوا دخان النار من فمي». وأنهت حديثها قائلة: «لذا استحلفك بمحبة الله، أن تُصلّي من أجلي لكي يرحمني» (ف٣:١٠). أمّا **أعجوبة القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة** فتعتبر مِسك الختام لمثل تلك القصص. فرئيس الملائكة «**اغترف جهرة من النفوس**.. عددها لا يُحصى.. **قام بإخراجهم من بحيرة العذابات .. وقام بتقديمهم إلى الآب الصالح، فسجدت له جميع النفوس**» (ف٣:٢).

كذلك أيضًا الراحة الممنوحة للنفس **في أيام العنصرة الخمسين وكلّ الآحاد على مدار السنة**، إنّما هي بفعل الصلاة. وهذا ليس معتقدًا شعبيًّا فحسب بل اعترافًا إيمانيًّا وممارسة طقسيّة. وقد ذكرته أيضًا **رؤيا بولس** (ف٢:١٤)، وحوار الأنبا **بستناؤس** (ف٣:١٠)، كما ورد في كتاب **الدرة النفيسة** لابن سباع (ف٥:١٨) وفي **الليتورجيا** أيضًا. يتجلى أيضًا قدرها من كون الليتورجيا خصّصت لها طقسًا بكامله كما أشرنا آنفًا، يُعرف باسم **صلاة السجدة** التي تُقام يوم الخمسين. هذا الطقس يبدو فيه واضحًا تمامًا الارتباط بين الترحيمات وراحة النفوس كما أشار النصّ التالي الوارد في **رؤيا القدّيس بولس**: قال المسيح «حيث أنّهما (القدّيس ميخائيل و القدّيس بولس) قد قدما تقدمات من أجلكم ومن أجل إخوتكم.. فبدافع من صلاحي؛ ولأنّني قُمت من بين الأموات؛ سأمنحكم الراحة في يوم الربّ (الأحد) في كلّ أسبوع، وطوال الخمسين يومًا التي تلي (يوم عيد) القيامة» (ف٢:١٤). فضلًا عن

الصلاة الليتورجية، تواصل التعبير عن الرجاء حيث تنصّ: «لأنّ لنا عِظَم رجاء من أجل انحلال كلّ الذين في جميع الآلام» (ف٥:١٨).

من **كافة ما سبق** طرحه ينتج أن النفوس المنفصلة عن أجسادها قد تتألم وقد تنعم. وتلك التي تتألم من جراء خطايا خفيفة لديها إمكانية الحصول على الراحة، بفعل الصلاة من أجلها مع إمكانية امتداد الفعاليّة إلى تخفيف لفترة من الزمن أو التعجيل بالتحرر النهائيّ. أمّا توقيت ذلك التحرّر فهو في علم الله: «**إلى اليوم الذي تتمّ فيه ما عليها من جراء خطاياها**». كافة الصلوات الطقسيّة تُعبر عن هذا الإيمان وهذا التعليم العقائديّ، والليتورجيا بقوة التقليد الكامن فيها، وأصالتها وملائمتها لكلّ العصور لهي جديرة بالتفضيل على كلّ صوت تجديديّ. ولا شيء على الإطلاق يعلو على التقليد.

٤. ملحق بشأن اليمبوس أو مكان الانتظار:

هناك مسألة مرتبطة بالمطهر ألّا وهي **اليمبوس**، لكن الكنيسة القبطيّة لم تُحدّد شيئًا في هذا الصدد. بَيْدَ أنّه يُمكن الإلمام بمفهوم ما عنه من خلال الوثائق المتناثرة. هذا المفهوم تُقدمه الوثائق تحت ثلاثة وجوه: **يمبوس لآباء العهد القديم، ويمبوس للبشر الذين ماتوا تحت ناموس العهد الجديد، ويمبوس للأطفال الذين يموتون بدون معمودية**. الوجهان الأولان يُقال عنهما بوضوح إنّهما حالة من **الألم** وموضع انتظار **للخلاص**. أمّا الوجه الثالث فيبدو فيه استبعاد للألم، ولكن فيه رجاء الدخول في الفردوس أيضًا.

يمبوس الآباء. الإبعاد عن الفردوس منذ خطيئة آدم حتّى فداء المسيح، هي حكم عام على الجميع. فلم تُفتح أبواب الفردوس سوى بموت المسيح الفادي، وبعد أن نزل الفادي إلى الجحيم وأدخل الأبرار الذين كانوا قد ماتوا قبل مجيئه في الفردوس من جديد. هذا التعليم العقائديّ العام، لا نقاش فيه لدى الأقباط. لكن الاختلاف بين الوثائق يبدأ حين الرغبة في تحديد نوع **المعاناة والألم وامتداد** فئات البشر المُخلَّصين. فيما يتعلق بالألم يبدو أنّه تنطبق عليه معايير العهد الجديد حينما يكون الحديث عن جهنّم. كذلك هناك مخطوط باللغة العربيّة يقول عن العذراء مريم: «أنتِ التي أنقذتِ آدم وحواء من **الظلمات**»[6]. وفيما يتعلق باتساع نطاق الخلاص، يقول **إنجيل برثلماوس المنحول إنّ جميع البشر** نالوا الخلاص باستثناء ثلاثة: «يهوذا، قاين وهيرودس» (ف٢:٦). ويبدو أنّ الليتورجيا تُردد صدى هذا المفهوم حين تكرّر في كثير من الأحيان أنّ مريم لأنّها ولدت يسوع «قد خلّصت آدم وحواء ونسلهما»[7]. وأيضًا «لقد خلّصتِ، يا مريم، آدم وبنيه»[8]. بَيْدَ أنّ اللاهوت والليتورجيا ذاتها في مضمونها الواسع، يحصران النطاق على «الأبرار» وحدهم، حتّى وإن لم يوضّحا ما إذا كانت فئة الأبرار تنحصر في الشخصيات الكتابيّة. «بمريم دخل الفردوس آدم وحواء والآباء الأقدمين والأنبياء و**الصديقين**»[9]. فما أن توضح

[6] راجع:
GIAMBERARDINI G., *La Mediaione di Maria nella Chiesa egiziana*, Cairo 1952,49.
وأيضًا في هذا المديح لوالدة الله ذاته: «لولاكِ يا شفوقة ما نجا آدم من النار» (نفس المرجع، ص ٥٦).

[7] نفس المرجع السابق.

[8] نفس المرجع، ٥٥.

[9] نفس المرجع، ٥٥.

الكتابات القبطيّة ارتباط كلمة **الصديقين بالشخصيات المثاليّة** في العهد القديم، حينئذ يبتعد كلّ لبس في المسألة. وهي تبيّن ذلك بصفة عامة، وتكرّره مع ذكر الأسماء. ويكفي للتدليل على ذلك نذكر الطروباريّة المريميّة التالية:

«السلام لك، يا مريم، خلاص أبينا آدم. السلام.. تهليل حواء. السلام.. فرح هابيل البار. السلام.. خلاص نوح. السلام.. نعمة إبراهيم. السلام.. خلاص اسحق القدّيس. السلام.. تهليل يعقوب. السلام.. فخر يهوذا. السلام.. كرازة موسى. السلام.. كرامة صموئيل. السلام.. فخر إسرائيل. السلام.. ثبات أيوب البار. السلام.. ابنة الملك داود. السلام.. صديقة سليمان. السلام.. رفعة الصديقين. السلام.. خلاص أشعياء. السلام.. شفاء إرمياء. السلام.. علم حزقيال. السلام.. نعمة دانيال. السلام.. قوة إيليا. السلام.. نعمة إليشع. السلام.. والدة الاله: السلام.. أم يسوع المسيح: السلام.. الحمامة الحسنة»[10].

يمبوس الذين ماتوا تحت الشريعة الجديدة. هذا الوجه الآخر من اليمبوس لا شكّ في حقيقته وفي تنوع **العذابات**. فما يعدده الإنجيل بالاسم عن حالة المعذبين: **الدود، النار، الظلمة، صريف الاسنان**، إلخ..؛ ما وصفته الكتابات المنحولة بمبالغة: **الأسود، التنانين، الأفاعي، الوحوش المسلحة**، إلخ..، كلّ هذا اعترفت به الكتابات القبطيّة وطبقته على الذين فيما بعد قدمتهم كخاضعين للخلاص. بَيْدَ أنّ الشكّ يقوم حينما يتناول الأمر تحديد النفوس التي تنتهي عذاباتهم ويدخلون في فرح الفردوس.

[10] نفس المرجع، ٢٨ وما بعدها.

هؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة فئات: نفوس المعمدين الموصومين بخطايا خفيفة، نفوس المعمدين المذنبين بخطايا ثقيلة، نفوس غير المعمدين. وهنا تُستبعد الفئة الأولى لأنها ليست ضمن مسألة اليمبوس، بل تندرج في فئة المطهر التي تناولها آنفًا. أمّا الفئتان الثانية والثالثة فمآلها جهنّم. لكن، حيث أنّ بعض الوثائق القبطيّة تلتزم بمنظور الخلاص، لذا تجدر الإشارة لهذا الشأن بإيجاز على الأقل. أساس هذه المسألة هو عقيدة **الخلاص الأخير** (الابوكاتاستاسيس)، العام أو الجزئيّ، التي سبق لنا تناولها (ف٧:٥). من المحتمل أن تكون **مسائل ثيؤدوروس** قد اعترفت بالخلاص الأخير الجزئيّ، أي الخلاص النهائيّ **لجميع نفوس المعمدين**. مثلما أعتق يسوع أبرار العهد القديم في مجيئه الأوّل، هكذا أيضًا المعمدين الذين ماتوا في الخطيئة سينالون نعمة في مجيئه الثاني. «يذكُر جسده ودمه اللذان تناولوهما (أي المسيحيّون الذين طُرحوا في الجحيم)، **فيجعلهم ينتقلون من اللهيب إلى الحياة الأبدية**» (ف٦:٨). وأيضًا رؤيا **القدّيس بطرس** رغم كونها متناقضة إلّا إنّها تمدّ الخلاص الأخير ليشمل جميع البشر. وتنصّ على أنّ يسوع يقول: «**سيُعطي أبي للجميع الحياة والمجد والملكوت الذي لا يزول**.. بسبب الذين آمنوا بي، بكلّمتهم، **سأتحنن على البشر**» (ف٢:١٣). كما أنّ **المديح** الذي نظمه البطريرك الأنبا تيموثاوس إكرامًا **للقديس ميخائيل رئيس الملائكة**، أكثر وضوحًا في هذا الشأن. فالقدّيس ميخائيل يغترف نفوسًا من الجحيم بجناحه ثلاثة مرات ويعتقها. «ارتفع العدد (الناجين) إلى مئتيّ ضِعف عشرة آلاف، وإلى تسعة أضعاف عشرة آلاف، ونصف العشرة آلاف، و٨٧٠ (أي ٢٠٩٥٨٧٠ نفسًا).. **فوجّه ربنا يسوع المسيح صوته إلى النفوس المعذبة، كي يمكن أن ينالوا**

الراحة: **سواء المسيحيّين، الأمم، أو اليهود**» (ف٣:٢). يبدو في هذا النصّ أنّ مسألة ذكر عدد معيّن تدل على استثناء المجموع، إلّا إن كان العدد رمزيًّا يُقصد به الإشارة إلى **ضخامة المجموع**. لكن لا شكّ في أنّ الخلاص يمتد أيضًا إلى غير المسيحيّين.

يمبوس الأطفال غير المعمدين. لم يتبين لنا من فحص وثائق التقليد القبطيّ اهتمامها بمسألة هذا الوجه من وجوه اليمبوس. حقًّا أنّ اللاهوتيّين المعاصرين يُلَمّحون إليه ولكن بدون تعمق في المسألة. حبيب جرجس في كتابه **أسرار الكنيسة السبعة**[١١]، وضع مبدًا عامًا وطَبَّقَه على الأطفال بدون تحديد: من لا يولد من الماء والروح، لا يمكن أن يدخل ملكوت السماوات. بالتالي الأطفال الذين يموتون بدون معمودية يقعون مثل الجميع تحت طائلة الحكم المذكور، أي لن يدخلوا الفردوس. ولم يُضِف بعد ذلك شيئًا عن حالتهم بعد الموت. أمّا البحريّ فيواجه المسألة بتوسع أكثر، إلّا إنّ موقفه الشخصيّ لا يختلف عن موقف حبيب جرجس: المعمودية شرط لدخول ملكوت السماوات، بناءً على الشاهد من إنجيل يوحنا ٣:٥. وحيث أنّ البراءة الشخصيّة للأطفال لا تحلّ محلّ المعمودية، كما ورد في المزمور ٥١:٥، بالتالي يتحتم أن يُستبعدوا من ملكوت الله. ثمّ يختتم الكاتب قوله بتنبيه عملي: «ينبغي علينا أن نُعجِّل بتتميم واجبنا بمعمودية الأطفال، خشية أن يموتوا غير معمدين» (ف٦:٢٧/ ١). أمّا القمص ميخائيل مينا ففي كتابه **علم اللاهوت**[١٢] أشار إلى رأي فئتين من اللاهوتيين. فئة تقول بإنّ الأطفال غير المعمدين يبقون في

[١١] أسرار الكنيسة السبعة، القاهرة ١٩٥٠، ص٣٨.

[١٢] المجلد الثاني، القاهرة ١٩٣٦، ص٣٤٧.

حالة من الراحة، أي لا يُعذبون لأنّهم لم يرتكبوا ما يستحق العذاب؛ ولا يُقبلون في نعمة الفردوس لأنّهم لم ينالوا المعمودية فهي الشرط لدخوله. الفئة الثانية تقول ببساطة إنّهم محرومون من رؤية الله الطوباويّة. اللاهوتيون الذين يشير إليهم القمص مينا هم كاثوليك وليسوا أقباطًا أرثوذكس. كما أنّه لم يذكر من الآباء سوى القدّيس أغسطين، ولم يتخذ هو شخصيًا موقفًا بل تحير في رأيه فيما بين الفريقين. ولم يستطرد في تطوير المشكلة بشأن احتمال خلاص الأطفال الغير معمدين المشار إليهم.

٧- الدينونة العامة:

المصير النهائيّ للراقدين سيتقرّر بعد قيامة الأجساد في الدينونة العامة، ذلك هو التعليم العقائديّ الذي اتفق عليه الأقباط كافةً. وقد اتفقوا أيضًا بشأن شكليّة الدينونة وعلى الحكم المزدوج إمّا بالثواب أو العقاب، لأنّهم يتمسكون في كلّ شيء بوصف الكتاب المقدّس أو شبه يقتصرون عليه في حجتهم. بالتالي، بما أنّ التوضيحات بشأن المضمون وبشأن اختلافات التقاليد القبطيّة محدودة جدًّا فيما يتعلق بهذه الحقيقة العقائديّة، فلاستكمال الدراسة الحالية سيكون كافيًا تناول مسألة وجود الدينونة والحكم النهائيّ بإيجاز.

١. مسألة وجود الدينونة العامة والحجج المبرهنة على ذلك:

في مسائل ثيؤدوروس طُرِحَ السؤال: إن كان مصير النفوس قد تقرّر في الدينونة الخاصّة، وإن كانت الدينونة العامة لن تُغير حالتهم، فما الضرورة التي تُحتّم وقوفهم

أمام الديان الإلهيّ في نهاية العالم ؟ (ف٦:٨). لقد اختلفت إجابات الأقباط على هذا السؤال ولكن كلّها تتضمن جانبًا من الحقيقة.

البطريرك الأنبا يؤانس أجاب على يسؤال ثيؤدوروس، كانت حجته هي أنّ فعل **الدينونة جماعيّ، يقف فيه الجميع في حضرة المسيح الديان**. «قلتُ في مرة أخرى: "في لحظة خروجهم من الجسد يساقون إلى الجحيم فورًا". لكن الآن يُساقون لكي يعرفوا الديان الحقّ، يسوع..، خوفًا من أن يقولوا: "يسوع شيء والديان شيئًا آخر"» (ف٦:٨). هذه الفكرة تؤكدها الليتورجيا حيث تنصّ في تجنيز البنات على أنه في ذلك الحين سيكون الإعلان العام لما كان خافيًا من قبل: «وأشرت لنا بنشور القيامة الأخيرة هذه التي تأتي فيها في ظهورك الثاني عند انقضاء هذا الدهر وتدين الأحياء والأموات وتُجازي كلّ أحد كنحو أعماله إن كان خيرًا وإن كان شرًا. في الوقت الذي تظهر فيه أعمال البشر الخفيّة بإعلان في طرفة عين» (ف٥:٣).

مفهوم الشمول **يمتد أيضًا إلى الملائكة**. وهذه حجة أخرى ساقها أوريجانوس من قبل:

«كلّ من الملائكة، سيحضر للدينونة في أخر الزمان، مصطحبًا معه جميع الذين أشرف عليهم، وعلّمهم وشاهد وجه الآب من أجلهم... وأظنّ أيضًا، أنّه عندئذ سيتمّ الفحص إن كان التقصير البشريّ لم يستجب قط لرعاية الملائكة كما يجب. **كما ويحكم الله إن كان الأمر بسبب تقصير الملائكة في خدمتهم... أم بسبب كسل الذين يحظون برعايتهم**» (ف٦:٢).

«Unusquisque angelorum in consummatione saeculi aderit in judicio, perducens secum eos, quibus praefuit,

quos adiuvit, quos instruxit, pro quibus semper vidit faciem Patris... Et puto etiam ibi inquisitionem futuram, utrum culturae angelicae nequaquam digne segnitia humana responderit. *Erit ergo et in hoc iudicium Dei, utrum negligentia aliqua ministrorum spirituum... an eorum, qui ab iis iuvantur, ignavia*».

وهناك أيضًا حجة ثالثة، ألّا وهي **ظهور الجسد مع النفس** في الدينونة. فالعنصرين المكونين للإنسان، اللذين فصلهما الموت، سيعودان لاتحادهما معًا حين القيامة. لذلك، فكما فعلا الحسنات أو ارتكبا السيئات معًا قبل الموت، كذلك أيضًا بعد القيامة يقفان معًا في الدينونة الإلهيّة. وأيضًا القدّيس إيسيذوروس البيلوزميّ، حين طُرح عليه السؤال بشأن ضرورة الدينونة، أجاب صراحةً:

«وقول الكتاب إنّ الدينونة تشمل الأحياء والأموات، يُعنى به أنّ **النفس والجسد يقفان معًا للمحاكمة**، من غير أن ينفصل هذا عن تلك. فكما في هذه الحياة كانا متحدَين، كذلك يُحاكمان في الدهر الآتي» (ف٦:٥).

«Per id, quod vivos ac mortuos judicandos esse ait scriptura, illud significatur fore *ut anima et corpus simul in judicium veniant*, nec alterum ab altero sejungatur: verum quemadmodum in hac vita communem conjunctionem habuerunt, sic etiam futurum judicium subeant».

هذه الحجة نجدها غالبة التكرار في الوثائق حتّى الآن. فيقول سليدس بإنّه حين الدينونة العامة فقط، وفي وجود النفس والجسد معًا، سيُدين الله كلّ واحد «حسب أعماله» (ف٦:٢٢). كما يقول بانوب عبده: «تنتظر النفوس حتّى يوم الدين حين تلبس أجسادها لتنال جزاءها الكامل من ثواب أو عقاب» (ف٦:٢٦).

إنّ الدينونة العامة **لن تُغير شيئًا من حالة النفوس**، فلن يكون فيها سوى تأكيد **الحكم الصادر في الدينونة الخاصّة بحُكم نهائيّ**. كذلك أيضًا رؤيا الأنبا مقار، تنصّ بأنّ النفس **بعد محاكمتها** في اليوم الأربعين بعد الوفاة، يتقرّر مصيرها «في الموضع الذي تستحقه **كأعمالها** إلى يوم البعث وقيامة الأجساد فتتحد في ذلك اليوم بجسدها وحينئذ تدوم **فيما استحقته** إلى أبد الدهور بغير زوال» (ف٣:٦).

الأقباط المعاصرين، الذين ينكرون الدينونة الخاصّة يدفعون بحجة واحدة بسيطة، **ألّا وهي** أنّ الدينونة العامة ستكون **لأجل الحكم على الأحياء والأموات بشكل نهائيّ لأوّل مرة**. وهم يؤكدون هذا، رغم أنّ ذلك يتناقض مع معتقداتهم عن حال النفوس فيما قبل الدينونة. ففي الواقع، إنّهم يقولون، كما سبق ووضحنا، إنّ النفوس بعد الموت تنتظر الدينونة، إمّا كلّها على قدم المساواة دون تمييز فيما بينها؛ أو تنقسم إلى فئتين، الصالحة والطالحة، أو تنقسم إلى ثلاثة حالات، الفردوس، وجهنّم، وموضع التطهير.

بغض النظر عن الاختلاف بشأن **حجج الدينونة العامة**، يبقي قائمًا لدى الأقباط كافّة **أنّ وجود** هذه الدينونة لا نقاش فيه. فكلّ واحد منهم يعتبرها نقطة تلاقي مشتركة. فبالإضافة للملائكة، ستتجمع هناك كلّ النفوس: تلك التي تتنعم في الفردوس بالفعل، وتلك التي تتألم في الجحيم، وتلك التي لا زالت في طور التطهير. وحيث أنّ قيامة الأجساد متوقعة، فجميع النفوس تكون في انتظار الاتحاد بأجسادها، لكي تتحقّق الدينونة للإنسان بكامله.

٢. الحكم النهائي بشأن مصير الراقدين:

المسيح هو ديان الأحياء والأموات، وهو سيظهر في وسط الجماعة بمجد عظيم. ويقول إنجيل يوحنا المتحول: إنّ رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل سيمهدان لمجيئه ويُعلنانه:

«في ذلك الزمان، آمر جبرائيل رئيس أحباري، أن ينادي بالقرن وميخائيل ينفخ في البوق» (ف٢:٤).

«Eo tempore Gabrielem, pontificum meorum caput, iubebo buccinas occanere et Michaelem inflare tubas».

سيأتي البشر من أربعة أرجاء المسكونة للقاء المسيح الديان، ويصطفون أمام عرشه الرهيب، ولا يمكن أن يتغيب أحد. هناك استثناء وحيد يتوقعه إنجيل يوحنا المتحول عينه ألا وهو أولئك الذين مارسوا التناول اليوميّ وقاموا بأعمال الرحمة.

«فهؤلاء لن يأتوا الدينونة بل يخرجون من قبورهم إلى الحياة الأبدية مباشرة» (ف٢:٤).

«ad judicium non venient, sed exsilient de tumulis suis ad vitam perpetuam».

كما يرد أيضًا ذكر هذه الفئة من البشر عينها في مسائل ثيؤدوروس، لكن ليس بشأن إعفائهم من الدينونة ولكن بشأن الصفح عن كلّ نقائصهم (ف٦:٨).

إنّ مشهد الدينونة المهيب موصوف في الوثائق القبطيّة بحيويّة مشاهد رؤى نهاية العالم. ولكي نأخذ فكرة عن ذلك، يكفينا ذكر الفصل ٢٢ من مسائل ثيؤدوروس. فهناك يتناول مثل العذارى العشر ويتخذه سبيلًا لوصف رمزيّ للدينونة الأخيرة. العذارى الخمس الجاهلات هن رمز للخطأة، والخمس الحكيمات يرمزن للأبرار. والعروس هو المسيح الديان. أثناء غياب الجاهلات لابتياع الزيت

يفتح عروس الحق قاعة العُرس، فيدخل ذوات المصابيح الموقدة المستعدات ثم يُغلق الباب. أمّا الأخريات فيُنهكن تعبًا من كثرة البحث دون جدوى، وعندئذ يَرجعن ويقتربن من الباب الذي وجدنه مغلقًا ويصرخن قائلات: "يا سيده يا سيدنا، افتح لنا". فيجيبهم بصوت رهيب قائلًا: "أنا لا أعرفكن"».

«قاعة العُرس، أليست هي أورشليم السمائيّة؟ تلك العروس التي سيأخذها (العريس) معه إلى موضع الدينونة في حين يتمجد فيها جميع القدّيسين، فيجعلهم عن يمينه ثم يأمر بتنفيذ العقابات على الأثمة ويجعلهم عن يساره يكسوهم خزيهم».

«بعد ذلك يقول للذين عن يمينه: "تعالوا إليّ يا مُباركي أبي، رِثوا المُلك المُعَدّ لكم منذ إنشاء العالم"، لأنني سبق وقلتُ: "من أحبني يُحبه أبي"».

«ثمّ يقول للذين عن يساره: "اذهبوا عنّي، يا ملاعين، إلى النار الأبدية المُعَدّة لإبليس وملائكته ولكلّ من يُبغضني"، لأنّ سبق أن قلت: "من يبغضني، يُبغض أبي أيضًا". حينئذ يجيبوه قائلين: "ارحمنا نحن أيضًا، لأننا سمعنا أنك رحيم". لكنه هو أيضًا يجيبهم: "الدينونة بلا رحمة للذين لم يمارسوا الرحمة"».

وحيث أنّ الخطأة يتعلّلون بأنّ إبليس أغواهم،

«حينئذ يأمر المسيح بإحضار إبليس في الحال ويديه ورجليه مكبلة بقيود لا تُحلّ، ويُجيب قائلًا له: "إنك ملعون أكثر من الآخرين، لأنك أغويت خليقتي. فما هي المواعيد التي وعدت بها من يحبونك؟ ما هو ملكوتك الذي ستعطيه لهم؟". فينغلق فمه

للحال ولا يجد ما يقوله. وعلى الفور يأمر يسوع بإلقائه في بحر النيران، الملتهب بالقار والكبريت».

هذا هو مصير إبليس.

أمّا مصير الخطأة :

«فبعد ذلك، يقول الصالح بحزن: "ليَعُد الخطأة إلى الجحيم، مثل جميع الناس الذين نسوا الله".. في تلك اللحظة تفتح الهاوية حلقها وتُخرِج الخُدّام بأعداد غفيرة مثل رمل البحر لكي يُحيطوا بالجميع لدرجة أنّك ستقول إنّ الخُدام أكثر عددًا من البشر. فيأخذونهم لأسفل الجحيم في الحال، بينما ينوح الخطأة ويصرخون، وتلتفت عيونهم الدامعة نحو الأبرار، وعيون الأبرار الدامعة تكون ملتفتة نحوهم أيضًا. يا للهول العظيم في تلك اللحظة!!».

وأخيرًا مصير الأبرار. ما أن تنتهي الدينونة،

«ينهض عروس الحقّ من موضع الدينونة ويُدخل أبنائه ملكوت السماوات، لكي يملكوا معه، **إلى الأبد**» (ف٦:٨).

إلى الأبد! أجل، فالمصير الأخير للبشر فترته أبدية. عذابات الطالحين ستكون أبدية، وأفراح الصالحين ستكون أبدية، ولن تكون هناك الحالة الوسطيّة الزمنيّة، حالة **النيران المُطهِّرَة** فيما بعد.

بَيْدَ أنّ الوثائق القبطيّة لا تخلو من تأكيدات بشأن استثناءات فيما يتعلق **بالأبدية**. **فحكمة الإيمان** يتكلّم عن فئة من الخطأة ستفنى (ف٢:١٢). أيضًا وفقًا لنظرية الخلاص الأخير، الطالحون، أو جزء منهم، سيؤول مصيرهم إلى الخلاص. لكنها

آراء عفا عليها الزمن، غالبيتها على الأقل. العقيدة السائدة والباقية في كلّ أوان هي التالية: «المختارون الذين فعلوا الخير، فسيأتون إليَّ ولن يروا الموت من جراء النار التي تلتهم. لكن الطالحين، **والخطأة** والمنافقين سيظلون في أعماق الظُلُمات التي بلا نهاية» (ف٢:١٣).

***

بهذا نكون قد عرضنا **مصير الموتى في الكنيسة القبطيّة**. وقد قدّم لنا التقليد الشعبيّ في هذه الكنيسة الكثير من العناصر الثمينة لمضمون غزير من التعليم العقائديّ الأخرويّ. كما قدم لنا أيضًا الكثير من عدم الدِقّة، التي ترجع إلى اختلاف المدارس على مسار التقليد، ونقصان التطوير اللاهوتيّ، وغموض المسألة. كما أنّه حاليًا، بالإضافة إلى ذلك، يواجه تعتيمًا وحصارًا من جانب حركة خطيرة. فالأقباط المعاصرين في سعيهم للجدل ضد الكنيسة الكاثوليكيّة والانتصار عليها، يغامرون بتفضيل عدم الدقّة **وإهدار أو تزييف العناصر الثمينة الموجودة في كنيستهم**. هذه العناصر التي يجهلون أغلبيتها، والتي في سبيل إنقاذها ينبغي إبعادها عن أنظارهم.

فهرس الأسماء

غ

ف

ڤ

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

ملحق الصور

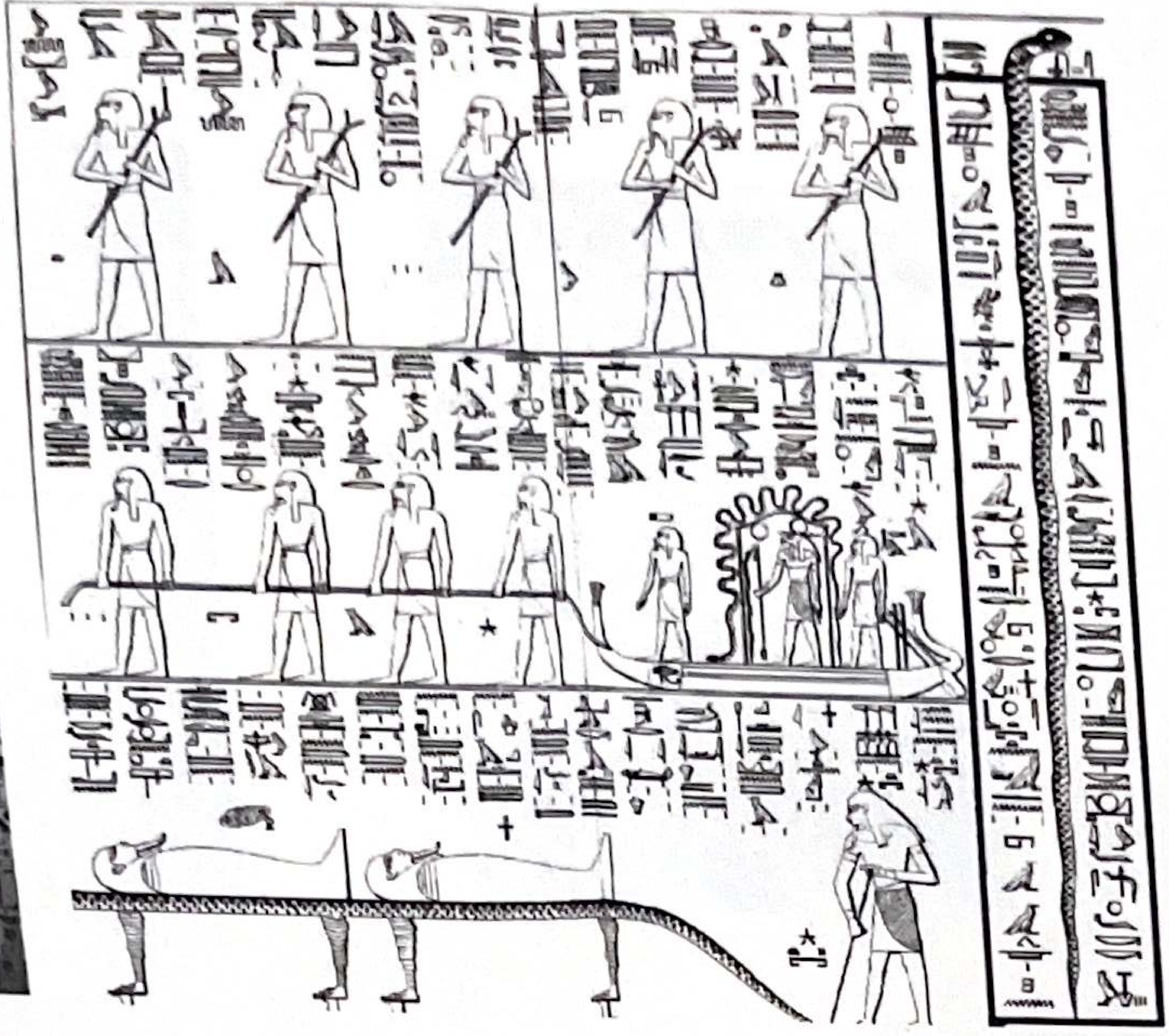


مقبرة رع موزا، شيخ عبد القرنة.

مجموعة من الندابات تتوسط الموكب الجنائزيّ.

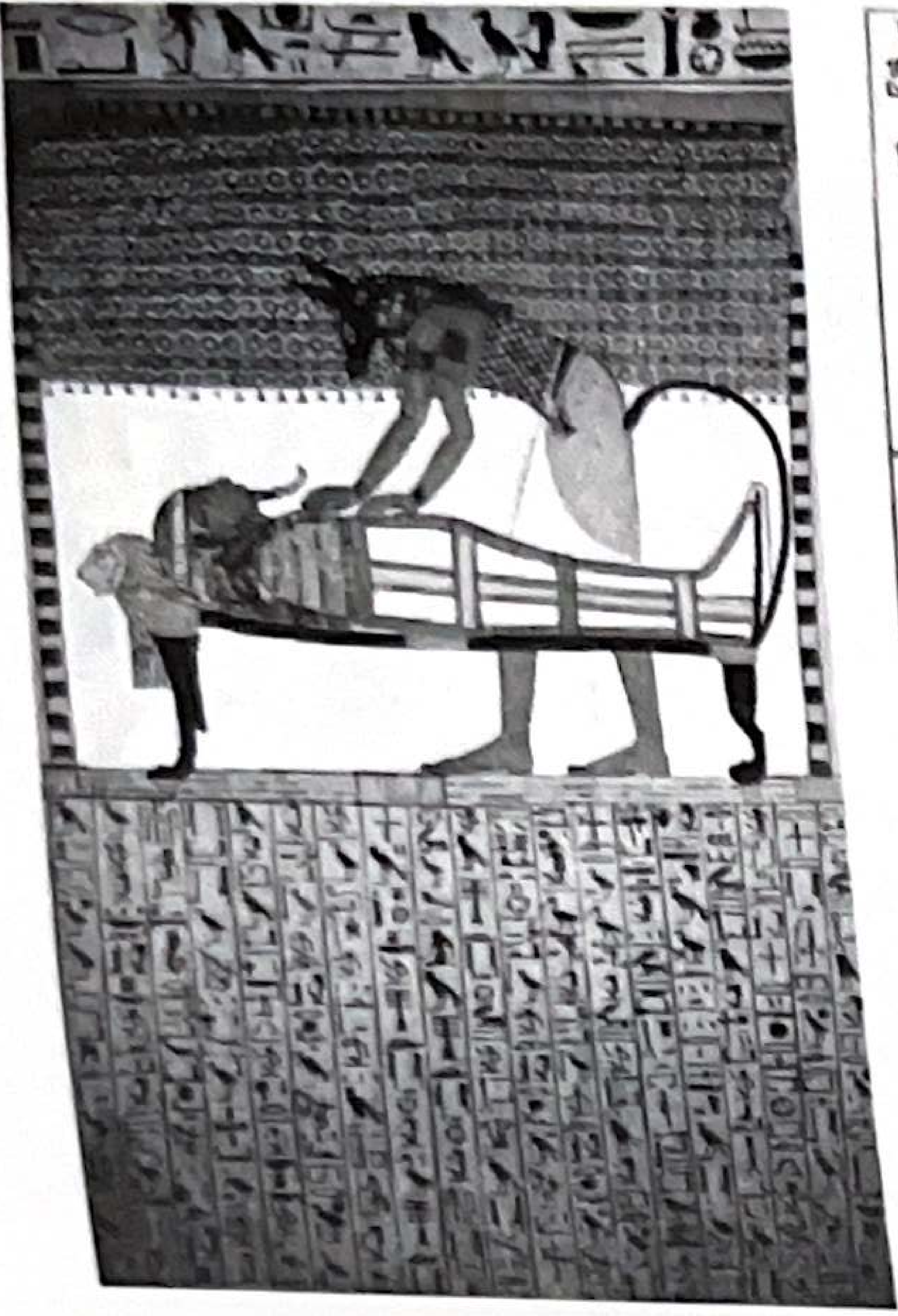


الندابات الحاليات (إمبابة).



مقبرة سيتي. مسار الروح تحت الأرض في دوات.

مركب الشمس والكوبرا الحامية.



مقبرة سن-نيجم. دير المدينة.

أنوبيس يهتم بالمومياء.

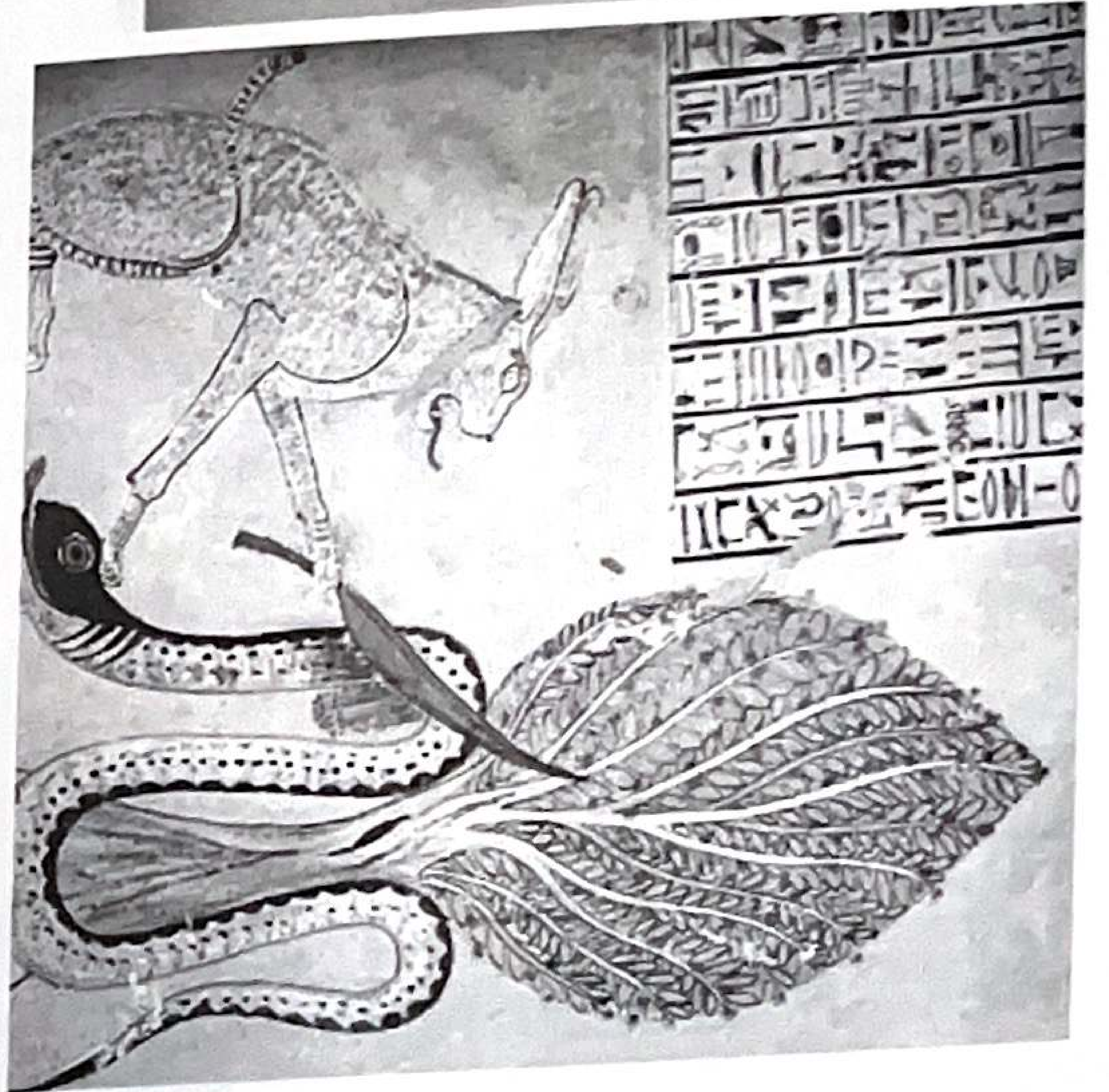


موكب جنائزيّ معاصر، تصحبه الندابات.



الإله حورس يقتل بالسيف العدو ست في هيئة تمساح.

نحت من متحف اللوفر.



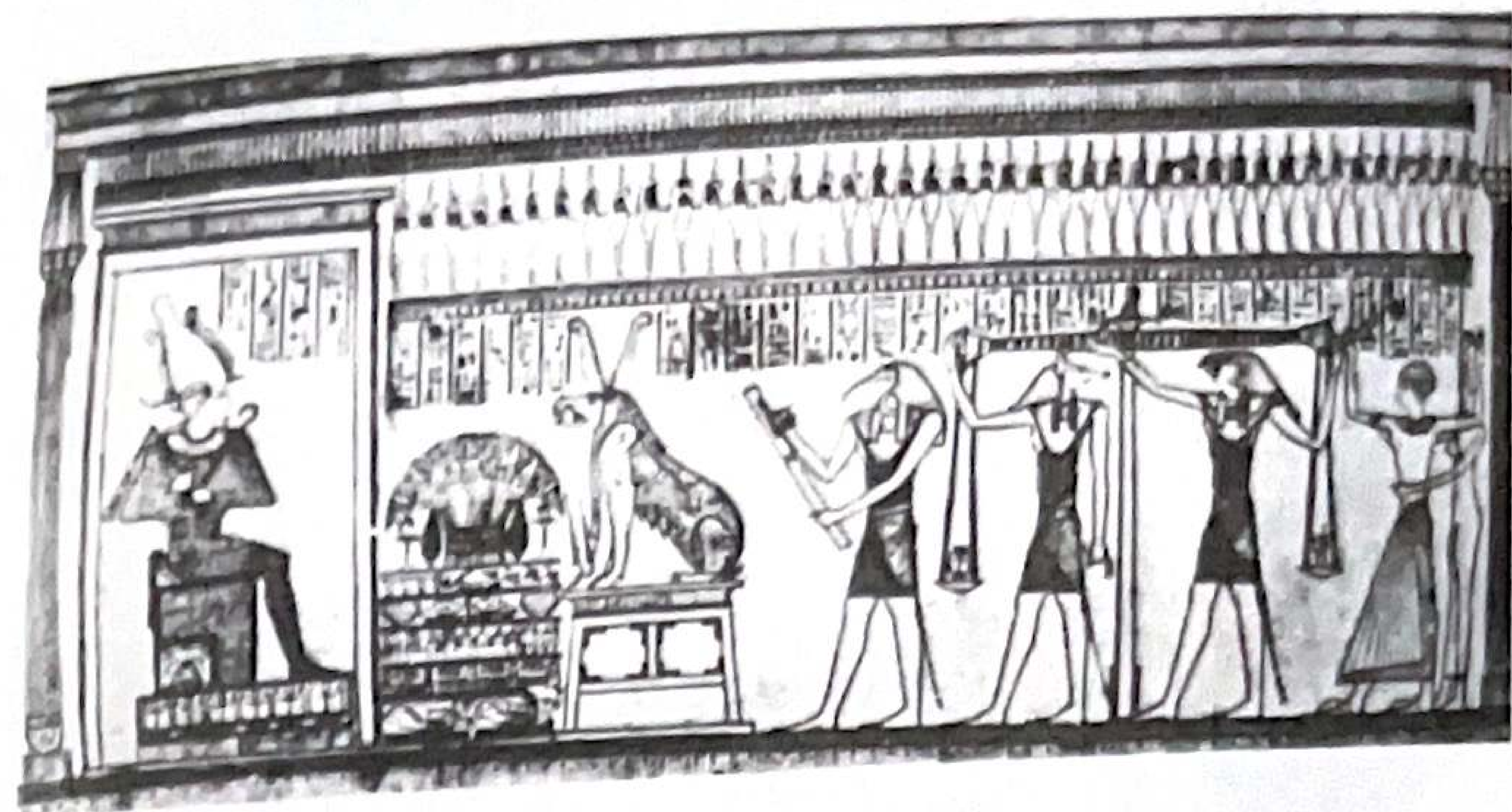
قتل الثعبان أبوفيس بواسطة القط، مندوب رع.

مقبرة إن حر خعو، دير المدينة.



القديس ديمتريوس (معروف باسم جورجيوس)، على مثال حورس، يقتل العدو.

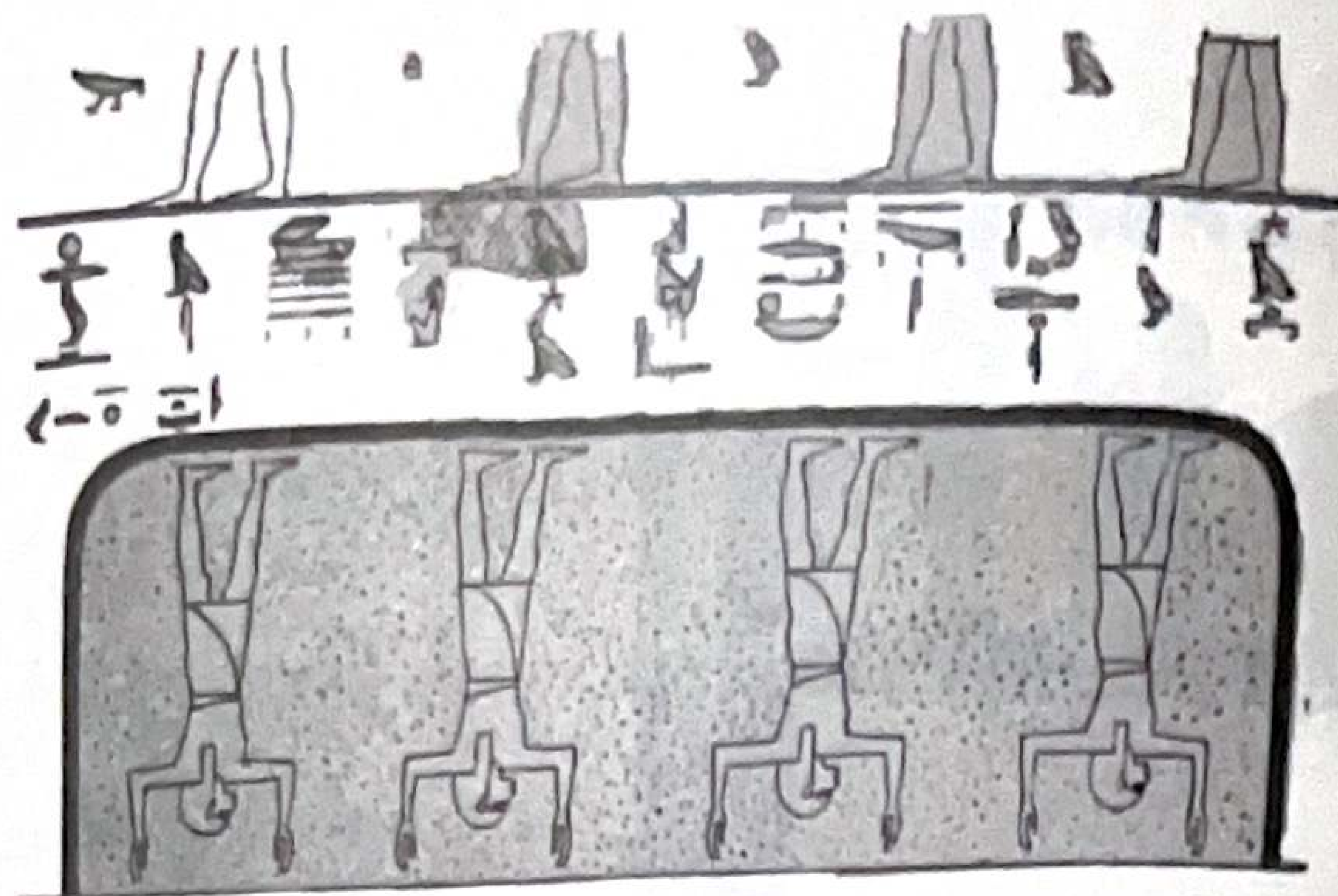
(كنيسة أبو سرجة – مصر القديمة)



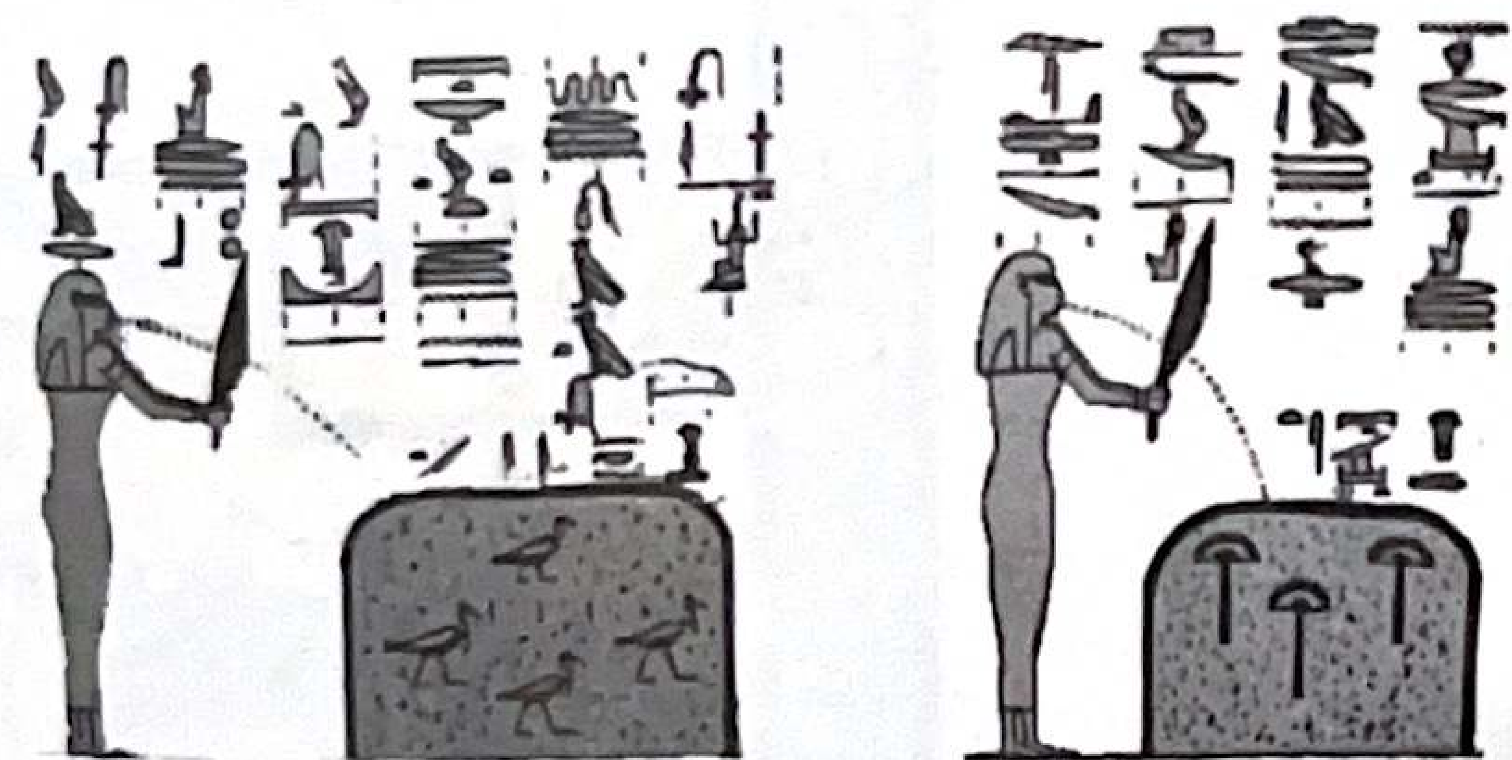
محاكمة الروح أمام أوزيريس. (بردية في متحف اللوفر).



رئيس الملائكة ميخائيل يستقبل روح المتوفي. يحمل السيف للدفاع عنها. ويحمل ميزان العدل ليزن أعمالها. (كنيسة العذراء بحارة زويلة. القاهرة).

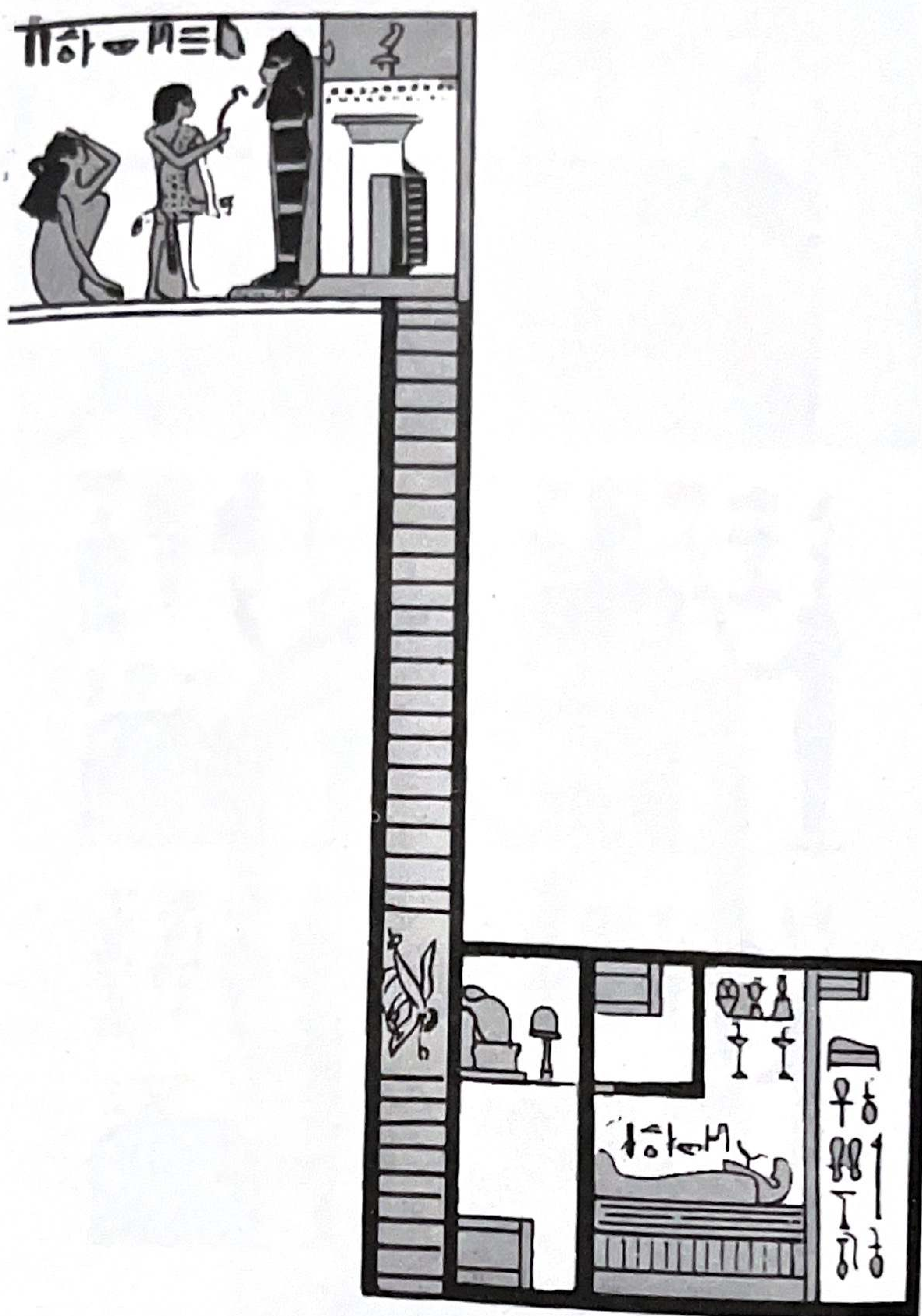






عقوبات مختلفة للأرواح الملعونة.

في الأعلى: يسقطون ورأسهم في النار. في الوسط: الذبح وقطع الرأس. في الأسفل: عقوبات خاصة للأرواح (البا) ولظلال الموتى (خاييت).



الروح في أمنتي ذاهبة لزيارة الجسد في القبر.

حضر إلى مصر وأقام فيها من عام ١٩٥٠ حتى ١٩٦٩، حيث تخصّص في علم القبطيات. قام بالتدريس في المعهد الإكليريكي الفرنسيسكاني الشرقي بالجيزة حتّى سنة ١٩٦٥. منذ سنة ١٩٥٢ إلى ١٩٥٥ تولى الإشراف على الدراسات في الإرساليّة الفرنسيسكانيّة ليلوجه القبلي؛ في سنوات ١٩٥٣-١٩٥٦ اختير عضوًا بمحكمة الإسكندرية الكنسية؛ تولى إدارة مجلة صوت النيل (la Voce del Nilo) من ١٩٥٦ إلى ١٩٥٩؛ في عام ١٩٥٧ تمّ تعيينه عضوًا في السينودس القبطيّ الكاثوليكيّ في القاهرة للقسم العقائديّ؛ من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٨ تولى إدارة مركز الدراسات المسيحيّة الشرقيّة بالموسكي، كما أصبح رئيس تحرير مجلة كوليكتانيا (Collectanea) التي تصدر سنويًا عن المركز المذكور. في عام ١٩٦٢-١٩٦٥ اشترك في المجمع الفاتيكانيّ الثاني في معية الأساقفة الأقباط الكاثوليك. أصبح أستاذًا لعلم المريميات الشرقية منذ سنة ١٩٦٧ في معهد الدراسات المريميّة في روما. في سنة ١٩٦٩ بدأ يعلم اللاهوت الآبائيّ في كلية اللاهوت بجامعة الأنطونيانوم الفرنسيسكانيّة الحبريّة في روما. في السنوات الثلاث من ١٩٧٢-١٩٧٥ عين عميدًا لتلك الكلية، وبالتبعية أصبح مشرفًا على القسم العقائديّ، وعضوًا بالمجلس الأكاديميّ للجامعة. إلى جانب ذلك كان يلقي محاضرات في معهد الكتاب المقدس الفرنسيسكانيّ في القدس ما بين ١٩٧١ و ١٩٧٣، بالإضافة إلى محاضراته العلميّة من خلال مشاركاته

مصيرُ المَوْتى
في التَّقليد القبطيّ

لقد كانت خطتنا في البداية أن يكون هذا الكتاب قاصرًا على تناول مسألة المطهر في العقيدة القبطيّة الأرثوذكسيّة. ولكن حين بدأنا في جمع الوثائق شعرنا تدريجيًا بكوننا في خِضمّ شبكة معقدة من المعلومات الرائعة والأقوال المتضادة. ولقد اضطرتنا العقبات المستمرة المتواترة التي قابلتنا إلى التوسع في الموضوع الذي يُعبِّر عنه أفضل تعبير العنوان الذي تحمله هذه الدراسة.

بالتأكيد يظلّ المطهر هو الموضوع الرئيسيّ في الطرح كُلّه ولكن دون أن يقتصر عليه. ولا يُمكن أن يقتصر طرحنا عليه حيث إنّ مفهومه منتشر ومُتفرِّق لدى بعض الباحثين الجدد. وفي الحقيقة، إن كانت هناك محاولات في بعض الأحيان إلى تأكيد وجود المطهر عند الأقباط وفي أحيان أخرى إلى نفي وجوده، إلا إنّه في كثير من الأحيان يكون هناك شعور بأنّ الفترة الممتدة من الموت حتّى الدينونة الأخيرة تعتبر مطهر عندهم.

قبل أن نخوض في متاهة الوثائق الأصليّة المعقدة، أردنا أن نتعرف على آراء المستشرقين الذين سبقونا في الخوض في غمار هذه المسائل. في الواقع، لا توجد دراسة بحثيّة بشأن المطهر أو بشأن العناصر الأخرويّة لدى الأقباط، لكن هناك أحاديث عارضة أو جزئيّة في سياق أعمال واسعة المضمون. الآراء متنوعة للغاية بقدر تنوع المراجع.

B 220